

قبر عبادي الذين يستهون بالقول فيجبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و« مناراه كمنار الطريق »

مصر ٢٩ ربيع الانور ١٣٣٣ ٢٥ الدلو (ش ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ فبراير ١٩١٥

فاتحة السنت الثامنة عشرة للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، وجل
ثناؤك ، ولا إله غيرك ، (٣:٢٩ قل اللهم مالك الملك أوتي الملك من تشاء ،
وتنزغ الملك ممن تشاء ، وتفرغ من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك
الخير إنك على كل شيء قدير

سبحانك اللهم وبحمدك ، ما عدل حكمك ، وما أجل حكمتك ،
وما أوسع علمك ، وما أنفذ مشيئتك ، (قل اللهم فاطر السموات

والأرضِ عالمِ الغيبِ والشهادةِ أنتَ تحكمُ بينَ عبادك فيما كانوا فيه
يختلفونَ)

سبحانك اللهم وبمحمدك، لأنحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
نفسك، أسبغت النعم ظاهرة وباطنة، وأفضت أنوار الكرم بارزة وكامنة،
ووهبت العقول والمشاعر، وبينت السنن والشعائر، وأكملت هداية
الدين، ببعثة محمد خاتم النبيين، فصل وسلم اللهم عليه وعلى آله الأئمة
الطاهرين، وأصحابه المهادين المهديين

اللهم ان نعمك لا تحصى وقد كفرها الكافرون، وان صراطك
المستقيم لا يخفى وقد تنكبه الضالون، وان حكمك هو الحق وان عمي
عنه المبطلون، وان عدلك هو القسطاس وان جهله الظالمون، (٧: ٣٣
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ * ١٨ : ٦٥ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجَارُونَ ٦٦ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ)

ربنا إنك آتيت أقواما الغنى فطغوا وفسقوا عن أمرك، وآتيتهم
القوة فبغوا في أرضك، ربنا ليضلوا عن سبيلك، بما أعرضوا عن
دليلك، (١٠: ٨٨ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم، فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم * ١٧ : ٤٤ بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى
طال عليهم العمر، أفلا يرون أننا نأتي الأرض نقصها من أطرافها ؟
أفهم الغالبون ؟)

يأيها الناس لا حير في الحضارة المدنية، اذا اقيمت على قواعد

الأثرية والقوة المادية ، ولا خير في العلم ولا في العمران ، اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان ، أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وانه بعباده رؤف رحيم وإنما يرحم الراحمين ؟ وانه يأمر بالعدل والاحسان وخص بمحبته المحسنين ؟ (٤٠ : ٨٢ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * ٢٩ : ٩ أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) * (٣٨ : ٩ أم عندم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ١٠ أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليترققوا في الاسباب ١١ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب)

(٤ : ١ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة * ٤٩ : ١٣ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) لا لتناكروا وتتخالفوا ، (٤٥ : ١٢ وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) لتشكروا لا لتكفروا ، ولتصاحوا بالفساد ، وليس الإصلاح في الاستعانة بقوى المواد وخواص الاشياء ، على إفساد أمر الناس الذين خلق الله لهم جميع الاشياء ، وإنما الإصلاح كل

(* لا يحول دون الاعتبار بهاتين الآيتين هنا نزولهما في قوم كانوا أقل ممن قبلهم قوة وكسبا وعمرانا وآثارا في الارض وكونهما لا تنطبقان من بعض الوجوه على بعض الامم المغرورة بقوتها وعمرانها في هذا العصر - فالعبرة واحدة

الإصلاح ، أن تستعينوا بما آتاكم الله من العلم والرفان ، وما هداكم إليه من تسخير القوى الكامنة في الاجسام ، على جعل منافعها شرعاً بين جميع الناس ، وجعل الغاية منها إيصال الشعوب كلها الى ما يمكن من الكمال . وان الإفساد كل الإفساد ، ان تحنكر الشعوب العاملة منافع العلم ، وتجعله ذريعة لبغي بعضها على بعض ، واستدلال الشعوب الضعيفة في الأرض ، وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الاعمى ، بل هم اشد اهانة لمن كرم الله واكثر تدليلاً (١٧: ٧٠) ولقد كرنا بني آدم وحنناهم في البر والبحر وزرقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً - ١٦ واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا ناطر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً

يا أيها الانسان ، اتق الله في أمر أخيك الانسان ، ولا تستعل على من فضلك عليه بالعلم والمال ، فقد خلت من قبلكم القرون والاجيال ، (١٤: ٤٤) وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال - ٢٨: ٦٧ ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واآيناه من السكنوز ما ان مفاحه لتنوء بالعصبة اولي النوء ، اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين (٧٧) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين (٧٨) قال انما اوتيته على علم عندي ، او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ، ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون

(٧٩) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٨٠) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقِّبُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨٢) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسُبُّوا اللَّهَ يَسُبُّوا الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ، لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاءُ وَيَكُنَّا لَهُ لَا يَفْخُ الْكَافِرُونَ (٨٣) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

يأيها المغرورون بالعلم والقوة، قد عرفتم القوى المادية، فلا تنسوا القوة المعنوية، يأيها المغرورون بعرفان السنن الكونية والاجتماعية، لا تنكروا سنن العدالة الإلهية، (٣ : ١٣٦) قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * ١١ : ١١٨ وما كان ربك ليهلك القرى "بظلم وأهلها مُصلحون" - ٢٨ : ٥٩ وما كنا مُلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ٧ : ٩٩ أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعدهم إن لو نشاء أصدناهم بذنوبهم، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

واما أنتم يامعاشر المستضعفين والمظلومين، فما زاتم شرًّا على أنفسكم

من الاقوياء العادين ، لا نعم الله شكرتم ، ولا دين الفطرة أقيم ؛ لا سنن
 لله في الكون عرقتم ، ولا على سننه في ارتقاء البشر سرتم ؛ لا بالقوى
 لمادية انتفعتم ، ولا بالقوى المعنوية اعتصمتم ، فما ظلمكم الله ولا الناس
 لكن أنفسكم ظلمتم . تطالبون ربكم بما وعد به المؤمنين ، ولا
 طالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، (٣ : ١٥٢) ولقد
 يمدقكم الله وعده اذ تحسبونهم باذنه حتى اذا فشتم وتنازعتم في الأمر
 مرمكم بخالفه كتابه وسننه في عباده ذلك النصر ، (٨ : ٤٧) واطيعوا
 لله ورسوله ولا تنازعوا فتفشاوا وتذهب ربحكم واصبروا إن الله مع
 الصابرين) (٣ : ١٣٨) وتلك الايام نداولها بين الناس * ٢٧ : ٥ ونريد
 ان نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين)
 يا قوم ! طالما أنذركم المنار على رؤوس السنين والاحوال ، سوء عاقبة
 ما أنتم عليه من التفريط والفرور والاهمال ، وطالما فصل لكم في أعقاب
 لشهور ، ما تخرجون به من الظلمات الى النور ، ميينا لكم بآيات القرآن ،
 وأقيسة الميزان ، وسنن الله في سيرة الانسان ، أن الامر ليس بالأمانى
 والاحلام ، ولا بمجرد الانتساب الى الاسلام ، وانما هو بالاخلاق
 والاعمال ، والعدل والاعتدال ، التي بالايماز تبلغ درجات الكمال ، وانما
 لخلافة في الارض بالصلاح والاصلاح ، والمؤمن المصلح يرجح المصلح
 لكافر بالايماز ، (٢١ : ١٠٥) ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك أن
 لارض يرثها عبادي الصالحون * ١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن
 لظالمين ١٤ ولنسكيننكم الارض من بعدهم * ٧ : ١٢٧ وعد الله الذين

آمنوا منكم وعملوا الصالحات لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ ١٢٧:٧ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

نعم طالما حذركم النار وأنذركم ، بل طالما ذكركم بنذر ربكم ، وبسننه في الدين معكم والذين خلوا من قبلكم ، فتماريتهم بالنذر ، وتعلمتم بالقضاء والقدر ، وإنما يعتذر بالقدر من يبرئ نفسه ، ويتهم ربه ، على أنكم تدعون ربكم ان يبدل فيكم سنته ، ويبطل لأجلكم حكمته ، وينصركم بالاستبداد الأنف ، وقطع أسباب القدر ، وقد تلوتم ما نزل في حنين وأحد ، إذ نزل بخير سلفكم ما نزل ، جزاء العجب والخلاف والفشل ، وفيهم خاتم الأنبياء والرسل ، أإسلامكم خير من اسلامهم ، أم لكم براءة في الزببر ، (كلاً والقمر ، والليل إذ أذرب ، والصبح إذا أسفر ، إنها لإحدى الكبر ، نذيراً للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)

نعم ان لله في خلقه آيات ، وان لربكم في أيام دهركم نفحات ، وان له تعالى رحمة خاصة لدنيته ، تتخلل سننه الاجتماعية ، « وان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ^(١) « وان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال مأم من أهله » ^(٢) ولكن الله تعالى لا يؤيد بخوارق الآيات ، من أعرض عن السنن وآيات القرآن ، ولا يمد بالنفحات والرحمة الخاصة ، من استحق الحرمان من معظم الرحمة العامة ، ألا وان تأييد الله الاسلام

(١) حديث رواه الطبراني عن عمرو بن النعمان بن مقرن وعلم عليه السيوطي

في جامعهه بالصحة (٢) حديث رواه الطبراني عن عبدالله بن عمرو بسند ضعيف

بغير اهله ، اكبر حجة على جميع من يُمدون من اهله، ولا سيما اذا أُصروا على خذل انفسهم بخذله ، افلا يعلم من لاخير له في نفسه من نفسه ، أن لاخير يرجى له من غيره ؟ (٣٦: ٥٣) لم يَنْبَأُ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ٣٧ و ابراهيم الذي وفي ٣٨ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ٣٩ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى)

يجب علينا معاشر المسلمين أن ننتصف من أنفسنا ، قبل أن تنتصف أو نستنتف من الأجانب عنا - وأن نستجيب لله وللرسول اذا دعانا لما يحينا ، قبل أن ندعوه أن يستجيب لنا ويؤتينا ما وعدنا - وأن نشكر نعم ربنا التي أعطى من غير استحقاق لها ، قبل أن نسأله حفظها أو المزيد منها بدون قيام بحقها - وأن نعلم أن الله تعالى لا يستجيب الدعاء بلسان المقال ، الا اذا كان دعاء بلسان الاستعداد والحال ، (١٣ ١٢) إِنْ اللهُ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)

إبني أذكر في فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار ، بما طالما فصلت فيه القول في السنين الخوال ، إننا نحن مسلمي هذا العصر ، لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ، ولا خلافة في شيء من الارض ، لا بحسب سننه في خلقه ، ولا بمقتضى وعده في كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقي ، فتلك عناية تعالى وفضله لا مما جمعه وعدا عليه حقا ، وإن الله تعالى ليلو عباده بالحسنات ، كما يلوهم بالسيئات ، ليلوهم أحسن عملاء فيكون أحسن جزاء وخيرا أملا (١٨ : ٥٥) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ٥٩ وَ رَبُّكَ

الغفورُ ذُو الرَّحْمَةِ ، لو يؤاخذُهُم بما كسبوا لَمَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ، بل لهم مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا

هذا وإن آية المؤمن أن يحمد الله في السراء والضراء ، ولا ييأس من روح الله مهما اشتدت الأهوال والأرزاء ، ويعلم أن ما أصابه من حسنة فمن فضل ربه ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه وسوء كسبه ، فيحدث عند الحسنة شكرًا ، ويحدث عند السيئة توبة وذكرى (٢٢ : ١١) ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ ، فإن أصابه خيرٌ اطمان به ، وإن أصابه فتنةٌ انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسرانُ المبين (٢٢ : ٧) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ - ١٠ : ٨٥ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٨٦ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ - ٢ : ٢٨٧ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا . . .

٢ : ٢٠٠ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
٣ : ١٩٤ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِعَادَ

٧ : ٨٩ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

٣٩ : ٧٥ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

منشئ المنار ومحوره

محمد رشيد رضا

﴿ الجهاد الديني في الاسلام ﴾

ان أحكام القتال في الاسلام أعدل وأرحم من احكام القوانين الاوربية فهي الاصلاح الاعظم لهذه المصيبة الاجتماعية . ويظن كثير من نصارى الشرق - تبعا لأئمتهم في الغرب - ان الجهاد الديني في الاسلام عبارة عن تصدي المسلمين لقتل كل من يخالفهم في الدين . وقد يندنا خطأ هؤلاء وهمهم بالأدلة والآيات البينات . ويدهشنا ان نرى أجدر الناس بالفهم والحفظ والذكر لما كتبناه - كاصحاب الجرائد - قد نسوه وظلوا على رأيهم الموروث بدليل ما كان من توقعهم قيام المسلمين في البلاد العثمانية بدمج إخوانهم في الجنس والوطن، واستغرابهم اتحاد الدولة العثمانية مع دولتين من غير دينها

أعانت الدولة العثمانية الجهاد الديني فكان المسلمون في بلادها السورية وغيرها أشد اتفاقاً مع غير المسلمين منهم قبل هذا الجهاد . وما ينقل من تعدي الترك والاكراذ على الأرمن فسببه - على فرض صحته - المنازعات الجنسية والسياسة ، والاتقام منهم لملهم الى الدولة الروسية

وأما الجهاد العام في الاسلام فلا يكون الادفاعاً ولا يجوز فيه قتال غير المقاتلين المعتدين (٣ : ١٤٠) وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

الدعوة الى انتقاد المنار

نجرت عادتنا بأن نذكر قراء المنار في كل عام بما يجب من الانتقاد الذي هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساعدة على الدعوة الى الخير، وبث النصيحة ونشر العلم، فنحن نطالب كل من قرأ في المنار شيئاً يرى أنه خطأ أن يبين لنا ذلك قولاً أو كتابة مؤيداً لنقده بما عنده من الدليل، وأما من سمع الإنكار على المنار من بعض الناس سماعاً فينبغي له ان يثبت ولا يعجل بموافقة المنكر ومجاراته، حتى يرى ذلك بعينه، أو يقرأه الثقة عليه، فان من الناس من يقترى الكذب عمداً، ومنهم من يحرف ما يقرأ حسداً وضحفاً، ومنهم من يستنبط من الكلام لوازم لا تلزم، على ان لازم المذهب ليس بمذهب

واننا وایم الله لا نرغب الى أهل العلم والفهم ان ينتقدوا ما نكتب غروراً منا بنفسنا، وثقة بأن النقد ينكشف عن خطأ الناقد وصوابنا، بل نعم اننا كغيرنا من البشر عرضة للخطأ والنسيان، ولجهل الحقائق وضعف البيان، ولا نبرئ أنفسنا الا من سوء القصد، واتباع الهوى عن عمد، وان لنا في هذه الدعوة أربعة أغراض:

الاول التوسل بها لإصلاح خطأنا، وتقوم عوجنا

الثاني التعاون على البر والتقوى والاصلاح بضم رأي غيرنا الى رأينا والاستفادة

من علم أهل العلم

الثالث اقامة الحججة على المعتابين والكذابين الذين يقولون علينا ما لم نقل،

وينسبون الينا ما نحن برآء منه، ويعيون المنار بما ليس فيه

الرابع التوسل الى تصحيح خطأ المتقد اذا كان هو المخطئ

هذا. ومن شاء ان ينشر ما يكتبه الينا من غير تصريح باسمه فله ان يأمرنا

بكتبان اسمه. ووضع ماشاء أو شئنا من الاسماء والالقباب في مكانه

واننا نشترط على المتقدين ما نشرطه لهم على أنفسنا من الادب في العبارة.

ونزيد التزام الموضوع وعدم الخروج عنه الى ما ليس منه، ومراعاة الاختصار بقدر

الحاجة

التاريخ الهجري الشمسي

يعلم القراء أننا شرعنا من بضع سنين باحياء التاريخ الهجري الشمسي بذكر سنينه في المنار بعد التاريخ الهجري القمري وقبل التاريخ الميلادي وقد كنا نكتفي أولاً بذكر السنة تابعة للشهور الافرنجية الشمسية ، بدأنا بهذا في المجلد الثاني عشر (سنة ١٣٢٧) ثم ارتأينا في أول السنة الخامسة عشرة عشرة - سنة ١٣٣٠ - ان نذكر الشهور الشمسية الهجرية ونعتمد في تسميتها ما اختاره احمد مختار باشا الغازي في تقويمه بين فيه ذلك . وذلك ان تسمى الشهور بأسماء الفصول مع الوصف بالعدد ، بأن يقال : الخريف الأول - الخريف الثاني الخ لان حفظ هذه الشهور يسهل على العوام كالمواضع ، ومن أسمائها يعرفون مواقعها من السنة من أول العهد باستعمالها . وقد جرينا على هذا الحساب في جماعة الدعوة والارشاد وندرسها . وكنا عازمين على طبع تقويم خاص للسنة الهجرية الشمسية

ثم اننا رأينا ان بعض اخواننا من الفارسيين والافغانيين يستعملون التاريخ الهجري الشمسي ولكنهم يسمون شهور السنة بأسماء بروج الشمس ، فالشهر الأول من السنة هو شهر الميزان وهو اول فصل الخريف الذي وصل النبي (ص) في أول يوم منه الى المدينة المنورة ، ولما نهبنا الناس الى احياء هذا التاريخ في مصر صار بعض اصحاب التقاويم المصرية يذكرونه في تقاويمهم ، وتبعوا الفرس والافغان في تسمية الشهور لاجل هذا رأينا الآن ان نجاري هؤلاء وأولئك في هذه التسمية ، وأن نكتفي بالاشارة الى تسمية الشهور بأسماء الفصول بالحروف المقطعة من أولها ، وذلك بجعل حرف خ رمزاً للخريف وحرف ش للشتاء وحرف ر للربيع وحرف ص للصيف ، ونضيف الى هذه الحروف الارقام الدالة على الاول والثاني والثالث . فالقارى يرى هذا الجزء مؤرخاً في ٢٥ من شهر الدلو (ش ٢) اي الشتاء الثاني .

﴿ سنة المنار الجديدة عشرة أشهر ﴾

بيننا في جزء آخر السنة الماضية أن ما أحدثته حرب المدينة الاوربية من الضيق وقلة الورق اضطرنا الى جعل سنة المنار الجديدة عشرة أشهر كما كثر المجلات المصرية ، مع ابقاء جزء كل شهر ثمانين صفحة . واذا طالت الحرب وزاد هذا الضيق فر بما نضطر الى تقليل عدد الاوراق أيضاً

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٣

(الهواء)

يفهم مما تقدم في الكلام على المطر ان الهواء يشتمل دائما على بخار الماء (الرطوبة) وهذا البخار يقل أو يكثر بحسب درجة حرارة الهواء، فإذا كان الهواء ساخنا كان أكثر رطوبة من الهواء البارد

وأهم ما يوجد فيه من الاجسام الاخرى فهو : —

في المائة تقريبا وذلك بالحجم لا بالوزن	{	٧٩ و ٠٢	النيتروجين
		٢٠ و ٩٤	الأكسجين
		٠ و ٠٤	غاز ثاني أكسيد الفحم

وهي مختلط بعضها ببعض وليست متحدة اتحادا كإيوا كما سبق : وفي الهواء غير ذلك آثار من عناصر أخرى ومركبات لا حاجة هنا لتفصيلها
أما أنواع الهواء بحسب الامكنة فهي ما يأتي :

١- هواء البحار — وهو يشتمل على كثير من بخار الماء النقي ومن أكسجين كثيف يسمى (الاوزون)^(١) وهو عبارة عن أكسجين خائر (مركز) تشتمل كل ذرة منه ثلاث جواهر فردة من الأكسجين . وهواء البحار البعيد عن البرخال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات والروائح الكريهة ويكون في الشتاء دافئا وفي الصيف باردا وذلك لأن الماء يبرد ببطء ولا يسخن بسرعة فيبقى أشد سخونة أو برودة من الأشياء المحيطة به فيعدل درجة حرارة الجو

(١) كلمة يونانية معناها « الفواح » لوجود رائحة له خاصة وهو يتولد من أكسجين الهواء بسبب الكهرباء وهو مما يطهر الهواء من العفونات.
(المنار ج ١) (٥) (المجلد الثامن عشر)

فهواء البحار من أنفع الاهوية للصحة ومفيد لكثير من الامراض ولو انه يشتمل على رطوبة كثيرة فان ذلك لا يضر فيها

٢- هواء الصحاري - ورطوبته أقل كثيرا وهو أيضا خال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات وغيرها، وأكسجينه يوجد فيه أيضا النوع المسمى (أوزون) كهواء البحار وأما درجة حرارته فهي عالية في الصيف منخفضة في الشتاء وهو أيضا نافع للصحة ومفيد لبعض الامراض الاخرى

٣- هواء المدن - وهو يشتمل على كثير من الميكروبات^(١) والغازات الضارة والعفونات وغيرها مما يخرج مع نفس الحيوان ومما يتصاعد من النيران وغيرها، ويشتمل أيضا على رطوبة كثيرة ولكنها ليست نقية بل مختلطة بكثير مما يتبخر من سطح الارض من القاذورات والروائح السكرية المنبعثة من المراحيض ونحوها أو من المياه الرا كدة الآسنة، ولذلك كان هواء المدن من أفسد الاهوية وأضرها بصحة الانسان

٤- هواء الحدائق والغيطان [الحقول] - ونحوها وهو من جهة الرطوبة بين هواء الصحاري وهواء البحار، وميكروباته قليلة جدا، وفي النهار يقل منه غاز ثاني أكسيد الفحم بسبب تنفس الاشجار فهي تستنشق منه غاز الفحم الضار وتترك الاكسجين للانسان والحيوان . وفي الليل يكون هذا الهواء فاسدا لأن الاشجار والنباتات تنفس فيه تنفس الحيوان فان لم يكن المكان طلقا أضر هذا الهواء الانسان ضررا كبيرا واذا لم يتجدد الهواء ربما يقتله

الانتشار والتخلل أو (الاختراق)

علم مما تقدم أن ذرات المادة تحت مؤثرين عظيمين الاول قوة الانضمام والثاني قوة الاندفاع وهي المبر عنها فيما سبق بالحرارة الكامنة فاذا زادت قوة الانضمام عن قوة الاندفاع كان الجسم صلبا واذا تساوت القوتان

(١) تعيش في الهواء مددا مختلفة بحسب ما تجده فيه من الغذاء فانها تعلق بذرات مخاطية أو خلايا بشرية أو نحو ذلك، وبحسب قوة مقاومتها للعوامل الطبيعية كنور الشمس وغير ذلك. وبعد المطر الشديد تقل كثيرا من الهواء لانه يفصله منها

كان سائلا واذا زادت قوة الاندفاع عن قوة الانضمام كان غازا
ففي الغازات تميل ذراتها الى الانتشار في جميع الجهات بقوة الحرارة الكامنة
فيها وهذا هو المسمى في علم الطبيعة بالانتشار، وتلك القوة تحدث ضغطا على الاجسام
المحيطة بالغاز فهي أيضا من أسباب الضغط الجوي الذي تقدم ذكره (راجع صفحة
٧ من هذا الكتاب) (١)

وكما كان الغاز خفيفا كانت قوة الانتشار فيه أشد فالهيدروجين — وهو أخف
من الاكسجين — ينتشر بسرعة أكثر من الاكسجين

واذا وجد في طريق الغاز المنتشر غشاء مما له مسام نفذ الغاز من خلاله
وقوة النفوذ هذه تسمى قوة التخلل أو الاختراق وتسمىها الأفرنج (Osmosis)
وكما أن الغازات تخترق بعض الأغشية كذلك من الاجسام الصلبة ما يخترقها
أيضا اذا كان ذاتيا، والاجسام بالنسبة الى قوة الاختراق نوعان:

(الاول) اجسام تتشكل بشكل البلورات كالاملاح وهي سهلة النفاذ (الثاني)
اجسام لا تتشكل كالواد الزلاية والغروية والصفغية وهي يتعسر نفاذها أو يتعذر
فالاجسام الاولى اذا كانت ذاتية في سائل مع الاجسام الاخرى نفذت خلال
الأغشية وحدها دون الاجسام الاخرى وبذلك يمكن فصل هذه عن تلك
وأخير فوائد سنة الانتشار والتخلل الخمس الآتية:

(١) انه بسبب قوة الانتشار يدرك الانسان جميع المنتمومات
(٢) التنفس لجميع الحيوانات البرية والبحرية فالاكسجين المنتشر في الهواء
والذائب في الماء يندفع بهذه القوة الى مجاري التنفس [الرئة] في الحيوانات البرية
والى خياشيم الحيوانات البحرية فيثقب أغشيتها حتى يصل الى الدم فيتحد به
وكذلك الغاز الذي في الدم المسمى (ثاني أكسيد الفحم) يتركز ويندفع الى الخارج
خلال أغشية الاعضاء التنفسية

والسبب في اتجاه الاكسجين الى الداخل هو كون ما يوجد منه في الهواء
أكثر مما يوجد منه في الدم، والغازات تميل في انتشارها الى الموازنة والمساواة كما

(١) المراد ما يطبع منه على حدة

تميل السوائل الموجودة في مستويات مختلفة الى الموازنة أيضا كما سبق
وكذلك اتجاه ثاني أكسيد الفحم الى الخارج يكون لهذا السبب بعينه. ويسمى
الاندفاع الى الخارج Exosmose ويسمى الاندفاع الى الداخل Endosmose
(٣) امتصاص الاغذية من القناة الهضمية في الحيوان وامتصاصها من جدر
الرحم بالاجنة الحيوانية يحصل أيضا بقوة التخلل مع مساعدة الخلايا البشرية المبطنة
للاغشية ولذلك تمتص الاملاح مع المواد الزلالية في مثل الجنين بسبب فعل هذه
الخلايا ولولا ذلك لتعسر نفاذ غير الاملاح أو تعذر
(٤) تجدد الهواء وذلك أنه اذا قل الاكسجين في حجرة. اندفع الأكسجين
الهواء الخارجي الى هذه الحجرة من جميع المنافذ الممكنة حتى لا يتخلو الهواء
الداخلي من الاكسجين والامات الحيوانات فيه ولا نطفات المصابيح
(٥) فصل بعض المواد الكيماوية عن بعضها في المعامل يكون أحيانا
بطريقة التخلل

(مأخذ أسماء أشهر العناصر المذكورة آنفا ومعانيها)

(١) النيتروجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناها (مؤكد النيت) لأنه
يدخل في تركيبه والنيت (Nitre) اسم لنترات البوتاسيوم وهي ملح البارود
المسمى أيضا (الملح الصخري) (Saltpetre) وكان النيتروجين يسمى قديما
(أزوت) وهي يونانية أيضا معناها « عديم الحياة » لأن الحيوانات لا تعيش فيه
(٢) الاكسجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناها «مولد الحامض» لانهم
كانوا يظنون أنه هو السبب الوحيد في الحموضة أو أنه داخل في تركيب جميع
الحوامض ولكنهم علموا بعد ذلك خطأهم وبقي الاسم بدون تغيير الى الآن
(٣) الهيدروجين : لفظ يوناني أيضا مركب من كلمتين معناها « مولد الماء »
لأن كل ذرة من الماء مركبة من جوهريين فردين من الهيدروجين متحدتين مع جوهري
واحد من الاكسجين. وبعبارة أخرى حجمان من الاول مع حجم واحد من الثاني

الكهرباء

الكهرباء احدى قوى المادة العظيمة وهي عبارة عن حركة مخصوصة في ذراتها وكان أول الاهتداء اليها في حجر الكهرمان (ويسمى أيضا الكهرباء) فبدلكه تولد هذه القوة فيه فيجذب اليه بعض الاجسام ولذلك سميت باسمه ، وأول من شاهد ذلك فيلسوف يوناني يسمى ثيلس (Thales) سنة ٦٥٥ ق . م

وهي تولد بطرائق عديدة أهمها أربع : —

(١) الاحتكاك فاذا ذلك الزجاج بالحرير تولد فيه كهرباء من النوع المسمى «بالكهربائية الزجاجية» واذا ذلك الراتينج (وهو يتولد من الزيوت الطيارة بالتأكد ويشبه الصمغ) بتماش الصوف المسمى (فلانلا) تولدت فيه قوة كهربائية من نوع آخر تسمى بالكهربائية الراتينجية.

(٢) التفاعل الكيماوي فاذا وضع عمود من الزنك (الخارصين) وعمود آخر من النحاس في حامض الكبريتيك المخفف ووصل بينهما بسلك حصل التفاعل الكيماوي بين الحامض وبين الزنك وتولدت قوة كهربائية تسري من النحاس الى السلك ومنه الى الزنك ومنه الى الحامض حتى تعود الى النحاس ثانية فكأنها تجري في دائرة كاملة، ويسمى مجموع ذلك بالخلية الكهربائية

واجتماع عدة خلايا كهذه بحيث يتصل بعضها ببعض ويتكون منها دائرة تجري فيها الكهرباء تسمى بالبطارية الكهربائية

وكلمة بطارية مشتقة من كلمة (Batterie) الفرنسية ومعناها الضرب أو القرع ، وعليه فيمكننا تسمية البطارية بالعربية (القارعة) ويشترط في كل الخلايا أن يوجد فيها عمود لاينفعل بالحامض وعامود آخر ينفعل به. فمن الأشياء التي لا تنفعل بالحامض النحاس — كما قلنا — والفحم والبلاطين (الذهب الابيض) والجسم المتفاعل المعتاد هو الزنك

وجميع الاجسام تشتمل على نوعين من الكهرباء متميزين معا وهما الزجاجية والراتينجية ويسميان أيضا المرجلة والالية فاذا انضاف النوطان لهذا اذا انجدا

اختلفا وتنافرا، ففي كل خلية يتولد كهرباء سالبة في أعلى الزنك وموجب في أسفله وفي النحاس يتولد موجب في اعلاه وسالب في أسفله فيتحد موجب النحاس مع سالب الزنك في السلك خارج الخلية، ويتحد موجب الزنك مع سالب النحاس داخل الحامض. ولاكن للتسهيل اصطلح العلماء على أن يقولوا إن التيار الكهربائي يسري من العمود غير المتفعل الى العمود المتفعل، ويسمى الاول عندهم بالقطب الموجب والثاني بالقطب السالب

(٣) التأثير، ومن ذلك انه إذا وضع قطب موجب بجوار جسم متعادل (أي فيه النوعان من مزجان كجميع الاجسام) انفصل السالب واتحد مع القطب الموجب وتولدت شرارة كهربائية من اتحاد النوعين، وبقي في الجسم الذي كان متعادلا نوع واحد فقط وهو الموجب

ومثل هذا الاتحاد المولد للشرارة اتحاد كهربائية السحاب المختلفة النوع بعضها مع بعض أو مع كهربائية الارض السالبة فيتولد من اتحادها نار عظيمة (الصاعقة) وصوت مزعج (الرعد) بسبب تماوج الهواء، وضوء شديد (البرق) وتولد الكهرباء على سطح الارض بما يحصل عليه من الاحتكاك والتبخر والتكاثف والاحتراق ونحو النبات

المغناطيس الارضي

دوران هذه التيارات الكهربائية حول الارض يكسبها قوة المغناطيس (١) فيجذب قطباها قطبي قطع المغناطيس الاخرى المغايرين لها (كناмос الكهرباء السابق) فالقطب الشمالي يجذب الجنوبي والجنوبي يجذب الشمالي؛ وذلك هو سبب اتجاه (ابرة الملاحين المغناطيسية) المسماة باللغة العربية «بيت الابرة» وباللغة الفرنسية «بوصله» (Boussole)

وكما ان الكهرباء تولد بالتفاعل الكيماوي كذلك تولد في الاجسام الحية

(١) المغناطيس كلمة يونانية مأخوذة من اسم مغنيسيا Magnesia في ليديا بأسية الصغرى حيث وجدت بكرة أول قطع من الحديد لها هذه القوة ولكنها وجدت فيما بعد كثيرا في الترونج والسويد وبعض بلاد امريكة وغيرها

من نبات وحيوان، فالعضلة العاملة المتحركة في جسم الانسان تكون سلبية بالنسبة للعضلة الساكنة

ويوجد من السمك ما فيه كهربائية عظيمة يحس بها الانسان بمجرد لمسه له كالسمك المسمى (بالزّعاد)

(٤) تسخين قطب مصنوع من معدنين مختلفين كالبرموت والاثيمون يولد فيه كهرباء . فهذه هي الطرائق التي يهمننا معرفتها

النور

النور عرض معروف من أعراض المادة يتولد من حركة أجزائها الاثيرية حركة مخصوصة وهذه الحركة الاثيرية تنبعث من جميع جهات الجسم المضيء في خطوط مستقيمة، ولا يلزم لانتشار النور في الجو سوى هذه المادة الاثيرية بخلاف بعض الاعراض الاخرى كالصوت مثلا فانه يلزم له مادة محسوسة كالهواء لنقله ولذلك يصل النور الينا من الشمس والقمر والنجوم مع العلم بان هذه الاجرام مفصول بعضها عن بعض بمسافات شاسعة خالية من الهواء أو أي جسم آخر سوى الاثير

وسرعة النور في سيره تساوي نحو ٣٠٠٠٠٠٠ كيلومترا في الثانية (١٨٦ الف ميل)

مصادر النور قسمان:

(١) صناعي :-

(١) الاحتراق كاحتراق الزيت والشمع وغيرها

(ب) الكهرباء

(٢) طبيعي كالشمس ، ومن هذا المصدر يتولد النور أيضا بالاحتراق وغيرها فالاجرام السماوية المضيئة بذاتها هي اجرام مشتعلة بالنيران، وأما المضيئة بنورها كالقمر فتعكس عليها الأشعة من نور الشمس كما تنعكس في المرآة ولذلك قال تعالى (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وقد يتولد النور بتحريك ذرات

بعض الاجسام فيتموج بها الاثير فيضيء
والنور الابيض مركب من سبعة ألوان وهي (١) البنفسجي (٢) والنيلي (٣)
والازرق (٤) والاخضر (٥) والاصفر (٦) والبرتقالي (٧) والاحمر
أما السواد فهو عدم النور مطلقا. وكل لون من هذا الالوان السبعة يتولد من
حركة مخصوصة في الاثير أسرعها التي تولد البنفسجي وأبطؤها التي تولد الاحمر
فاذا توالى سقوط هذه الحركات المختلفة على شبكية العين أدرك الانسان نورا
أبيض ، ومن ذلك يفهم أنه اذا أتى بقرص مستدير وقسم الى سبعة أقسام ولون
كل قسم منها بلون من هذه الالوان السبعة وأدير هذا القرص بسرعة شديدة رأينا
لونه أبيض ويسمى هذا القرص في علم الطبيعة (قرص نيوتن)

سنة الله في رؤية الاجسام

رؤية جميع الاجسام تحصل بسقوط أشعة النور عليها ثم انعكاسها عنها الى العين
فيصرها الانسان وان كان هو في مكان مظلم اذ شرط الرؤية أن يكون المرئي في
مكان مضيء لا الرائي، فهو يراها وان كانت في مكان مظلم فلا يراها، ولو كان الابصار
ناشئا عن نور يستط من العين نفسها لراى الانسان الأشياء التي في الأماكن المضيئة
والمظلمة على حد سواء . هذا إذا لم يكن الجسم مما يولد النور بنفسه كالفسفور
وكبريتيد الكالسيوم فانه يجمع أشعة الشمس في أثناء النهار ويحفظها الى الليل،
وكذلك عنصر الراد يوم فانه يولد نورا في الظلام وفي بعض حيوانات البر والبحر نور
ينبعث منها في الظلام ومنها ذباب معروف يسمى « الجباحب »

واذا انعكست جميع التماوجات التي في النور الابيض من الجسم الى العين
رأيت لونه أبيض ، ومن ذلك تفهم حكمة لبس الملابس البيضاء في الصيف فانها
تعكس جميع أشعة النور والحرارة الى الخارج وأما الاجسام السوداء فهي تمتص
جميع الاشعة ولا تعكس منها شيئا

وأما الاجسام الاخرى كالزرقاء مثلا فهي تمتص جميع اوج النور ماعدا التي
تحدث اللون الازرق، وهكذا يقال في باقي الالوان الاخرى
وإذا سقط النور على أي سطح فان زاوية السقوط (وهي الحاصلة من الشعاع

الساقط مع عمود وهمي على السطح العاكس (تساوي زاوية الانعكاس) وهي
الحاصلة من الشعاع المنعكس مع العمود الوهمي المذكور)

وإذا كان الجسم الذي سقط عليه النور في الماء مثلا انبعث منه الشعاع فخرج
من الماء وانكسر ومال بعيدا عن الخط الوهمي المفروض
وإذا كان الجسم المضيء في الهواء انبعثت منه الأشعة ونفذت الى الماء
فينكسر الشعاع أيضا ويميل الى الخط الوهمي المفروض

فهذه سنن إلهية مطردة في انعكاس النور وانكساره، وبتقتضى سنة الانكسار
ترى الاجسام الموضوعة في الماء في مكان أعلى من مكانها الحقيقي ومثل ذلك أيضا
رؤية القضببان كالعصي مثلا موهجة اذا وضعت في الماء

وكذلك ترى أشياء على الارض كأنها معلقة في السماء، فيشاهد في بعض الجهات
أناس وخيل وحمر وغير ذلك ماشية في السماء بين الغيوم، وأصلها أشياء موجودة
على الارض ولانكسار أشعة النور في طبقات الهواء المختلفة الكثافة تشاهد هذه
المنظر وهي كلها من خطأ الحس

ورؤية الاجسام في المرآة تحصل بانعكاس أشعة النور المنبعثة من الجسم عن
المرآة فتصل منها الى العين

ومن السنن الإلهية في هذه المسئلة أن تكون المسافة بين الجسم الحقيقي
والمرآة تساوي تماما المسافة بين المرآة والجسم الموهوم خلفها

انكسار النور في المنشور والعدسات

بسبب انكسار الأشعة في الاجسام المختلفة الكثافة تنكسر الأشعة في المنشور
(الزجاج المثلث السطوح) وتميل الى قاعدته فاذا وضع منشوران قاعدة كل منهما
على الأخرى انكسرت الأشعة أيضا نحو القاعدة، واجتمعت في نقطة معينة. ومثل
المنشورات في جمع الأشعة العدسات فانها تجمع الأشعة أيضا نحو مركزها ولذلك
تستعمل هذه العدسات في جمع أشعة الشمس الاحراق وتستعمل أيضا في جمع أشعة

النور في التصوير كما في الآلات الفتوغرافية (١)

علمنا مما سبق ان النور مركب من سبعة ألوان فاذا انكسر النور الابيض في المنشور تحلل الى ألوانه الاصلية ويكون اللون البنفسجي اقربها الى القاعدة ويليه النيلي فالازرق فالاخضر فالاصفر فالبرتقالي فالاحمر . وأشد الالوان انكسارا البنفسجي وأقلها في ذلك الاحمر فالمنشورات وان كانت تجمع أشعة النور كلها الا أنهم مع ذلك تفرقها الى ألوانها الاصلية ، وبمقتضى هذه السنة تنكسر أشعة نور الشمس في نقط الماء الساقط من السحاب فينشأ من ذلك ما يسمى (قوس قزح) وهو مركب من ألوان النور السبعة

أما اذا مر النور خلال جسم ما وكان هذا الجسم مما يتنص بعض الاشعة فان لون هذا الجسم المدرك لنا هو ما يحصل من الاشعة الباقية . مثل ذلك الزجاج الازرق اذا نفذ فيه النور امتصت (بحيث) جميع الالوان ما عدا اللون الازرق وهكذا يقال في الالوان الاخرى

وأشهر العدسات اثنتان (١) المحدبة من الجانبين (٢) والمقعرة من الجانبين أما العدسة الاولى فيمكن اعتبارها كأنها منشوران اجتمعا وكانت قاعدتهما نحو المركز وأما العدسة الثانية فيمكن اعتبارها كأنها منشوران اجتمعا ورأسهما نحو المركز

ومن ذلك يفهم ان العدسات المحدبة تجمع الاشعة نحو المركز (أي نحو قاعدتي المنشورين)

وأما العدسات المقعرة فانها تفرق الاشعة بعيدا عن المركز (أي تميل فيها الاشعة نحو القاعدتين)

واذا مر نور ابيض من مصباح عادي خلال منشور رأينا هذه الالوان السبعة كما تقدم . واذا كان هذا النور المار في المنشور صادرا من احتراق عنصر واحد رأينا

(١) فتوكلمة يونانية معناها النور وغراف يونانية أيضا معناها الرسم فمعناها « رسم النور » أو التصوير الشمسي

لونا واحدا فقط كتور الصوديوم مثلا فانه أصفر واذا نفذ في المنشور لم يتغير
واذا مرت هذه الالوان السبعة خلال الصوديوم مثلا في حالته الغازية
امتص منها اللون الاصفر وبقيت الالوان الاخرى ومن ذلك يفهم أن العناصر
في حالتها الغازية تمتص من الالوان السبعة اللون الذي تولده هي. وعلى هذه القاعدة
وضع المنظار القرصي (Spectroscope)

فإذا نظرنا بهذا المنظار الى نور الشمس رأينا الالوان السبعة ناقصة ونرى ما ينقصها
من الاجزاء كأنها خطوط سوداء، وهي ناشئة من وجود عدة عناصر في الحالة الغازية
محيطة بجرم الشمس وبسبب نفوذ الاشعة خلال هذه العناصر الغازية فقد بعضها
والسبب في كون هذه العناصر غازية هو شدة حرارة نار الشمس

وبهذا المنظار أمكن العلماء معرفة تركيب الاجرام السماوية وعناصرها، ولم
طريقة أخرى معرفة هذه العناصر وهي تحليل ما يستط منها الى الارض (كالشهب
والنيازك) ولهذا المنظار فائدة أخرى عظيمة في المباحث الطبية الشرعية وغيرها
ومن الاشعة الشمسية نوعان آخران سوى أشعة النور وهما (١) أشعة الحرارة
و (٢) أشعة الفعل الكيماوي وهما غير مدركين بالعين

أما أشعة الحرارة فيوجد أشدها بعد اللون الاحمر وأما الاشعة الكيماوية
فيوجد أشدها بعد اللون البنفسجي

وهذه الاشعة الكيماوية هي التي تحلل املاح الفضة في ألواح الآلة الفوتوغرافية
وتحدث عليها الصور

أما الآلة الفوتوغرافية فهي عبارة عن غرفة مظلمة تدخل الاشعة فيها من فتحة
صغيرة في جدارها الامامي وفي هذه الفتحة عدسة محدبة من الجانبين لجمع الاشعة
حتى تكون الصور المرسومة داخلها على الجدار الخلفي - بلية واضحة، فاذا وضع لوح
من الزجاج مغطى بمواد فيها ملح من أملاح الفضة أمام هذا الجدار الخلفي رسمت الصور
عليه وأحدثت الاشعة تغييرا كيمياويا في المادة الموضوعة على هذا اللوح وبذلك أمكنهم
أخذ صور المرئيات ورسمها بهذه الطريقة

وهذه الآلة الفوتوغرافية تشبه العين الباصرة في تركيبها

العين الباصرة

العين كرة مظلمة في داخلها ، ويصل اليها النور من فتحة صغيرة تسمى انسان العين وهذه الكرة (المقلة) موضوعة في تجويف من الوجه يسمى (الحجاج) ويغطيها في هذا التجويف الجفنان . وحكمة الأهداب أن تمنع التراب وغيره بقدر الامكان وتقلل من ضرر أشعة الشمس الشديدة

وتفصل العين بماء يسمى الدمع تفرزه غدة موضوعة في الجهة العليا الخارجية من الحجاج داخل الجفن الأعلى ويتصرف الدمع بعد غسل العين بقناتين موضوعتين في الجفنين بقرب الأنف متصلتين بكيس صغير في أعلى قهبة الأنف يسمى الكيس الدمعي ومنه يجري الدمع بقناة تصب في أسفل الأنف أما طبقات العين فهي من الامام الى الخلف كما يأتي : —

(١) الملتحمة وهي التي تبطن الجفون وتغطي المقلة من الامام وهي شفافة في جزئها المتوسط لدخول النور

(٢) القرنية وهي الجزء الشفاف المستدير الذي يرى كالسواد أو غيره

(٣) الصلبة وهي في مستوى واحد مع القرنية فكأنهما غشاء واحد كروي

الشكل تقريبا

(٤) القرزية وهي التي تحيط بانسان العين من جميع الجهات

(٥) المشيمية وهي أيضا في مستوى واحد مع القرزية ولونها مادتها واحدة

فيها أوعية كثيرة ومادة ماوثة . وهذه الطبقة هي أعظم ما يجعل العين مظلمة من الداخل

(٦) الشبكية وهي تبطن نحو ثلثي العين من الداخل ، وهي الطبقة العصبية

الحساسة المتصلة بالعصب البصري الواصل الى المخ وعليها ترسم صور المرئيات التي يدرکها الانسان

ولجمع أشعة النور ورسم الصور عليها يوجد عدة أجسام كثيفة شفافة في العين

لكسر أشعة النور وهي بعد القرنية ١ المائبة وأكثرها بين القرنية والقرزية ٢

ويليها البلورية وهي بعد القرزية وشكلها كعدسة مستديرة ومحدبة من الجانبين ٣

ويليها الزجاجية، وهي مادة هلامية (كالنودج) شفافة تملأ باطن العين بعد البلورية ثم ان القرنية قد تتسع وتضيق بألياف عضلية فيها بحسب حاجة العين الى النور وما تقدم يفهم أن أشعة النور تجتمع على الشبكية في العين الطبيعية ولكن من الناس من أعينهم صغيرة أو كبيرة عن الحجم المعتاد فتحتاج العين الصغيرة الى عدسات (نظارات) محدبة، وتحتاج الكبيرة الى عدسات مقعرة ، ولولا ذلك لما اجتمعت الأشعة في العين الصغيرة الا خلف الشبكية (هذا على فرض انه لا يحجبها شيء) وفي العين الكبيرة أمام الشبكية. وما دامت جميع أوساط العين التي يمر فيها النور شفافة فان في إِبصار العين السليمة ضعف فالغالب ان يكون سببه صغر حجم العين أو كبرها فتصلح بالنظارات

الرمد الصديدي والحبيبي

ومن أعظم أسباب عتامة بعض هذه الاوساط (كالقرنية) هو اصابة العين بالرمد الصديدي أو الرمد الحبيبي المنتشر في مصر والاحتراس من هذين الرمدين يجب تنظيف العين نظافة تامة وعدم مسها بأي شيء فيه أقل وسخ .

أما ميكروب الرمد الصديدي فهو ميكروب (السيلان) أيضا ويصل الى العين بالاصابع أو المناديل أو الملابس أو غير ذلك، وهو مرض فتاك بانعين لانه كثيرا ما يسبب قرحا في القرنية توؤل الى ظلمتها حتى لا ينفذ النور منها فتصبح عمياء وتسمى هذه الظلمة بالتنط أو البياضات

وأما الرمد الحبيبي فيمكروبه ينتقل من شخص لاخر كما ينتقل ميكروب الرمد الصديدي فلذا يجب الاحتراس منه بالنظافة والبعد عن الارمد

وأبسط دواء بعد الماء لتنظيف عين كل شخص محلول حامض البوريك المشبع ويجب طرد كل حشرة تقرب من العين كالذباب وغيره فانه من أعظم الاسباب لنقل أنواع الرمد، ويجب اتقاء التراب اذا ثارت الريح بوضع نظارات لوقاية العين منه . ومما يقي الطفل شر الرمد الصديدي أن يفصل عيناه عقب الولادة مباشرة بمحلول السليماني (افي ٥٠٠٠) ويوضع فيها نقط من محلول نترات الفضة (٢ في ١٠٠)

النبذة الثمانية في التشريح ووظائف الأعضاء

وما يلزمها من القواعد الصحية

التشريح نوعان نوع تدرك فيه جميع أعضاء الجسم بالعين المجردة ويسمى بالتشريح العادي ونوع تستعمل فيه الميكروسكوب (المنظار الدقيق) لادراك جميع دقائق الجسم ويسمى هذا النوع بالمستولوجيا (التشريح الدقيق)
فانبدأ الآن بالكلام على النوع الاول
يتركب الجسم الانساني أولا من العظام فهي كالاساس الذي تبني عليه جميع الاجزاء الرخوة والاحشاء ولذلك يسمى مجموع هذه العظام بالهيكل الانساني

العظام

العظام نوعان : (النوع الاول) العظام الصلبة كمظام الاطراف ، وصلابتها كصلابة العاج ، وهي جوفاء تمر في وسطها قناة ممتلئة بمادة كالدهن تسمى (نقي العظام) أو (نقيه) وأما النوع الثاني فيسمى بالاسفنجي ، كفقرات الظهر والضلع ، وهو أيضا مغطى بطبقة رقيقة من العظم الصلب وبداخله تجاويف عديدة صغيرة غير منتظمة تشبه الاسفنج وهذه التجاويف ممتلئة أيضا بنقي يميل الى الحمرية ، وهو أعظم مكان تولد فيه كريات الدم الحمراء خصوصا التي تخرج من نقي الضلع ، أما عظام الهيكل الانساني فهي كثيرة واليك عددها : —

(١) الجمجمة (مجموعة عظام الرأس والوجه) وهي مركبة من ٢٢ عظما منها ١٤

للوجه و٨ للرأس

(٢) — الفقرات — وهي المسماة بالصلب وعند العامة سلسلة الظهر وهي مركبة من ٣٣ قطعة كل منها تسمى فقرة وفقارة : منها سبع ٧ فقرات للعنق و١٢ للظهر و٥ للقطن و٥ للعجز و٤ للعصعص المسمى بعجب الذنب

(٣) الضلع وهي عادة في الذكر ^(١) والاثني ١٢ في كل جانب وهي متصلة

(١) أما خاق حواء من أحد أضلاع آدم فالظاهر أنها خرافة يهودية وان كان

ها مغزى عظيم

من الخلف بالفقرات ، ومن الامام بالقص (عظم الصدر)

(٤) القص مركب من ثلاث قطع . وكيفية اتصال الضلوع به كما يأتي : —
سبع ضلوع متصل كل منها به بغضروف على حدة وتسمى بالضلوع الصادقة ،
أما الثلاث التي بعدها فمتصلة معا بغضاريف تتصل بغضروف الضلع السابعة وأما
الاثنان الباقيتان فهما غير متصلتين من الامام بشيء مطلقا ويسميان بالضلعين
العائميتين ، وهذه الضلوع الخمس الاخيرة تسمى بالضلوع الكاذبة

(٥) عظام الاطراف ، العليا . ويتركب كل طرف من عظم العضد ثم الساعد (وهو
مركب من عظيمين : الكبيرة وهي العظم الخارجي ، والزند وهو العظم الداخلي) ثم
رسغ اليد وهو مركب من ثمانية عظام صغيرة ، ثم عظام المشط وهي خمسة لكل
أصبع عظم يحملها ، ثم عظام الاصابع الخمس وهي ثلاث لكل أصبع ، ماعدا الابهام
فله عظامان

(٦) عظام الاطراف السفلى وكل منها مركب من عظم الفخذ ، ثم الساق وهو
مركب أيضا من عظيمين : الشظية من الخارج والقضبة من الداخل ، ثم عظام رسغ
القدم وهي مركبة من سبعة عظام صغيرة أيضا ، ثم عظام المشط وهي خمس لكل
أصبع واحدة تحملها ثم عظام الاصابع ، وهي ثلاث لكل منها ماعدا اِبهام
القدم فله عظامان فقط

ومن العظام أيضا غير ما تقدم (١) التراقي وهما عظامان كل منهما يسمى ترقوة
موضوعان في أعلى الصدر من الامام

(٢) اللوحان وهما عظامان عرضيان موضوعان بأعلى الصدر من الخلف

(٣) الداغضتان وهما الموضوعتان أمام الركبتين ويسميها بعض اطباء

المحدثين بالرضفتين ولاكن ما اخترناه هنا هو الاصح لفة

(٤) عظاما الحوض وهما اثنان يكونان مع العجز والعصعص تجويفا كالطست
يوجد فيه المستقيم والمثانة في الذكر والرحم والمبيضان وغيرها في الانثى . ويوجد غير
ذلك عظام أخرى صغيرة جدا كما بين بعض عظام الرأس وفي الاذن وعظام صغيرة
توجد بقرب بعض المفاصل تسمى « السمسية » والعظم اللامي للعنق والاسنان

أما الاسنان فهي في الطفل عشرون في كل فك عشر ، ويبتدى ظهورها من الشهر السادس الى الرابع والعشرين ، ولذلك كانت مدة الرضاع الكاملة حولين كاملين ، وفي الكبير اثنتان وثلاثون سنا يبتدى ظهورها من السنة السادسة ويتم في الخامسة والعشرين على الاغلب بظهور أربعة أضراس في آخرها تسمى أضراس العقل لان ظهورها يتم بلوغ الانسان رشده وهي النواجد أو أضراس الحلم

والفرق بين مندوج العظام وغيرها من الاجزاء الاخرى للجسم من الوجهة الكيماوية إنما هو في وجود أملاح عديدة في الماد التي بين خلاياها مثل فوسفات الكالسيوم وكر بونات الكالسيوم وفوسفات المغنيسيوم وهذه الاملاح جميعا يوجد منها كمية كبيرة في العظام ، وهي السبب في يسها فاذا أذيت من العظم ببعض الحوامض صار العظم رخوا طريا

المفاصل

وجميع هذه العظام متصل بعضها ببعض بالمفاصل ، والمفاصل ثلاثة انواع :

(١) مفاصل متحركة حركة تامة كالكتف و(٢) مفاصل غير متحركة كما بين عظام الجمجمة و(٣) مفاصل بين بين أي ان حركاتها متوسطة فلا هي معدومة بالرة ولا هي متحركة حركة كبيرة وذلك كالمفاصل التي بين الفقرات

والفرق بين المفاصل المتحركة حركة كاملة (وهي الاولى) وبين غيرها أنها عبارة عن تجويف محاط بمنسوج ليفي وبعض أربطة أخرى وهي مبطنة بغشاء أملس يفرز مادة مصفرة قليلا تشبه زلال البيض والغرض منها تسهيل الحركات فهي كالزيت للآلات الحديدية (فسبحان الخالق الحكيم)

وجميع العظام مغطاة^(١) بغشاء ماتصق بها التصاقا شديدا وفيه أوعية الدم ومنه تنفذى بحيث اذا أتلف هذا الغشاء أو أزيل بمرض أو غير مرض يموت العظم الذي تحته ، وهذا الغشاء يسمى بالسمحاق . وموت العظم يسمى النخر أو التآكل وهو المسمى عند العامة بالتسويس . والفرق بينهما أن الاول (النخر) تموت فيه قطع

(١) ما عدا أطرافها الغضروفية

كبيرة من العظم بجملتها ، والثاني — التأكل — تموت فيه أجزاء صغيرة
تنفصل عن باقي الجسم شيئاً فشيئاً

العضلات

جميع حركات الجسم تكون بالعضلات ، وهي المسماة باللحم
وبعض هذه العضلات أبيض اللون ، كما في بعض الحيوانات مثل السمك
والارانب ، وبعضها لونه أحمر ، كما في الانسان وغيره من الحيوانات . والسبب في حرمتها
اشتمالها على جزء في منسوجها من حمرة الدم المسماة بالهيموجلوبين ومن غيرها ولذلك
كان اللحم الاحمر أكثر تغذية من اللحم الابيض ولكنه أعسر هضماً
والعضلات تأتي عملها في تحريك الجسم بالانقباض ، وهي ثلاثة أنواع :

(١) العضلات الاختيارية ، وهي الموجودة حول عظام الهيكل كله ، وأكثرها
يوصل بين عظمين فأكثر ، وينتهي غالباً بما يسمى بالأوتار ، وهي منسوج ليفي أبيض
اللون متين جداً يشبه الحبال ويندغم في العظام المتحركة ، فإذا قصرت العضلة أو
انقبضت انثنت العظام بعضها على بعض ، وحركة هذه العضلات هي باختيار الحيوان ،
وهي التي قسمناها الى بيضاء وحمراء ، والبيضاء أرقى شكلاً وأسرع عملاً

(٢) العضلات غير الاختيارية ، وهي التي توجد في جدر الامعاء وأوعية الدم
وغيرها كالحالب (١) وبمختلف أشكالها عن القسم الاول اذا نظرت بالمجهر «الميكروسكوب»
اختلافاً كبيراً ، وحركتها ليست بارادة الحيوان ولكن الاعصاب تأثيراً فيها مادامت
مرتبطة بها فإذا انفصلت عنها استقلت بعملها كالامعاء بعد قطع جميع أعصابها فان
الطعام كاف لتثبيتها

وكل انقباض للعضلات اختيارية كانت أو غير اختيارية لا يحصل الا بمذبه . وأنواع
المنبهات خمسة (١) المواد الكيميائية (٢) الحرارة (٣) الافعال الآلية (الميكانيكية)
كالضرب على العضلات أو القرص (٤) السكر بقاء (٥) التيار العصبي ، فالاربعة
الاولى ممكن حصولها خارج الجسم بعد ذبح الحيوان . أما المنبه العصبي فان كان

(١) مجري البول الواصل من الكلية الى المثانة

منشؤه من المخ كان فعلا اختياريا والا كان غير اختياري
ومصدر التنبيه العصبي سواء أكان من المخ أم من النخاع هو من الخارج أيضا - كما يرى
الآن جمهور الفسيولوجيين - ويرى بعض الناس أن المخ يمكنه أن يبدأ التنبيه من ذاته
وإذا وصل التنبيه الخارجي إلى المراكز العصبية ومنها ارتد إلى الأعضاء أو
المضلات فحركها سمي ذلك « بالفعل المنعكس »

(٣) عضلة القلب، وهذه العضلة تختلف أيضا في شكلها الميكروسكوبي عن
النوعين السابقين، وهي غير خاضعة للتنبيه العصبي إلا من حيث الكثرة أو القلة أو
الضعف أو القوة أو نحو ذلك . وأما انقباضها فيحصل بقوة فيها خاصة بها ليست
ناشئة عن منه خارجي

وعليه فالفرق بين هذه الأنواع الثلاثة يلخص في الكلمات الآتية :-

تنقبض المضلات الاختيارية بعلم المخ وتأثيره؛ وغير الاختيارية بدون علمه،
ولكنها خاضعة للاعصاب مادامت في الجسم ولا بد من تنبيهها بشيء ولو غير عصبي
والأما انقبضت؛ وأما القلب فينقبض بنفسه بدون سبب خارجي، وسواء اتصلت
به أعصاب أم لم تتصل، وإنما يمكن للاعصاب أن تزيد في ضرباته أو تنقص منها
أو نحو ذلك؛ أما منشأ الحركة فلا علاقة لها به ولا يعلمه إلا الله تعالى

الاعصاب

مراكز الاحساس والحركة في الجسم الانساني محصورة في المخ والنخاع وحوله.
فالخ عبارة عن جسم كبير موضوع في الجمجمة، وهو مركب من فصين عظيمين
متصل أحدهما بالآخر من أسفلهما، وفي كل فص من الفصين نجويف ممتلئ بجزء من
سائل، ويسمى هذا النجويف بالبطين، والمخ مغطى بثلاثة أغشية تسمى جميعها
السحايا وكل منها يسمى الام

وجوهر المخ نوعان (النوع الاول السنجابي) وهو المغطى سطحه، وهو مركب
من خلايا عصبية لها وظائف مختلفة. ويقسم سطح المخ إلى عدة أقسام. فنه جزء
للإبصار، وهو في الخلف، وجزء للحركات الاختيارية، وهو في جانبه، وجزء للكلام
وهو في الجهة اليسرى الجانبية، وجزء للسمع وغير ذلك. وكل جانب من المخ متصل

بالجانب المخالف له من الجسم، فحركات العضلات التي في الاطراف اليسرى متصلة
بالجانب الايمن من المخ وبالعكس، ما عدا قوة الكلام فانها في الجانب الايسر في
غالب الأشخاص. أما العُسر وهم الذين يعملون بشمائلهم فيوجد مركز الكلام
عندهم في الجهة اليمنى من المخ

(النوع الثاني الابيض) ومكانه تحت القشرة السنجابية، وهو عبارة عن ألياف
عصبية توصل أجزاء المخ بعضها مع بعض وتوصله بالنخاع

المخيخ : موضعه مؤخر الجمجمة في أسفل المخ، وهو أيضا مركب من فصين صغيرين
ليس بهما تجويف بخلاف فصي المخ، وبينهما جسم كالودودة ير بطهما وهو أهم منهما.
ووظيفته حفظ التوازن في الجسم

النخاع : يتدنى من الجمجمة الى الحافة السفلى للفقرة الاولى القطنية وذلك في
الكحول، أما في الاجنة فانه يملأ القناة الفقرية كلها الى الشهر الثالث. وهو جسم
اسطوانى مغطى أيضا بثلاثة أغشية كاعشية المخ من كل وجه . ويتركب من
جوهرين أيضا أبيض وسنجابي ، ولكن الجوهر الابيض منه في الخارج والجوهر
السنجابي في الداخل ، والابيض عبارة عن ألياف عصبية كما في المخ ، والسنجابي
عبارة عن خلايا عصبية كما في المخ أيضا

والجزء السنجابي مركب من هلالين تحديدهما انسي وقرنا كل منهما الى الامام والخلف
ويجمع بين الهلالين عند جزئهما المحذب ، وفي مجدهما قناة صغيرة دقيقة تمتد
في طول النخاع كله وتتصل في أعلاها بتجاويف المخ (البطينات)

يتصل بالمخ اثناء مزوجا من الاعصاب لها وظائف عديدة: فمنها ما يحرك بعض
العضلات في الوجه وغيره، ومنها ما يحصل به الاحساس، ومنها ما هو خاص بنوع من
الاحساس كالعصب البصري الذي يحصل به ادراك المرئيات، وكعصب السمع وغيرها
ويتصل بالنخاع ٣١ زوجا من الاعصاب: ٨ منها تخرج من بين فقرات
العنق، و١٢ من بين فقرات الظهر وه من بين فقرات القطن ، و٥ من بين فقرات
والعجز ، و١ من المصمص. وهذه الاعصاب يتركب كل فرد منها من قسمين: أمامي
وخلفي ، فالأمامي لحركة العضلات والخلفي للاحساس . أما الخلايا التي يصدر

منها الجزء الامامي فتوجد في القرون الامامية للمادة السنجالية في النخاع. وأما خلايا الجزء الخلفي فتوجد خارج النخاع ويتكون منها عقد صغيرة موضع أكثرها في الثقوب التي بين الفقرات ولكنها خارج سحايا النخاع. وبعد هذه العقد مباشرة يتحد الجزء الامامي المحرك مع الجزء الخلفي الحساس فيتكون منهما عصب واحد فيه الوظيفتان، ثم ينقسم هذا العصب الى قسمين أيضا: قسم امامي للحس والحركة، وقسم خلفي لهما أيضا، فالالياف الخاصة بالحركة في القسمين (التي أصلها من القرون الامامية للنخاع) تنتهي بالعضلات وهي التي تحدث فيها الحركة (أي تسبب انقباضها) والالياف الخاصة بالحس (وهي الآتية من العقد التي خارج النخاع) تنتهي بالجلد وغيره وهي التي يحصل بها الاحساس في الحيوان عند مس أي شيء وجميع هذه الاعصاب ترى في الجسم الانساني عند تشريحه كجبال بيضاء منها الدقيق ومنها الغليظ ، وأغلظها عصب عظيم يوجد داخل الورك ويوزع على الساق كلها ، وهذا العصب اذا أصابه مرض ما حدث عنه ألم شديد في الفخذ يسمى بعرق الذئب

ويوجد مجموعة أخرى من الاعصاب تسمى الاعصاب السمباتوية وهي مركبة من عقد وألياف أيضا وموزعة على جميع الاحشاء وعلى جميع أوعية الدم ، ومتصلة أيضا بالمجموعة الاولى المركبة من المنخ والنخاع ، والاعصاب السمباتوية وظيفة هامة جدا في عمل جميع الاحشاء وحركة عضلات جدر الشرايين في انقباضها وانبساطها الا أنها ليست مستقلة في وظيفتها عن المجموعة الأولى . ومعنى « سمباتيا » المشاركة في الشعور أو الاحساس ، وهي لفظ يوناني، وسميت بذلك لان بها ترتبط الاحشاء بعضها مع بعض ، ومع الأوعية الدموية فكان كلاً منها يشعر بالآخر ، وعليه فيمكننا تسميتها بلغتنا العربية « مجموعة الارتباط العصبي »



التاريخ

جعل مصر سلطنة تحت حماية انكلترة

كان أول عواقب دخول الدولة العثمانية في الحرب الأوربية أن أعلنت انكلترة ازالة سيادتها الرسمية عن مصر وجعلها تحت الحماية البريطانية وتسميتها سلطنة وتسمية الامير حسين كامل باشا أرشد أسرة محمد علي باشا سلطانا عليها

في ١٩ دسمبر الماضي ذهب المستر لمن شيتهم متولي أعمال الوكالة البريطانية والمستر ستورس سكرتيرها الشرقي الى القصر الذي يقيم فيه الأمير حسين كامل باشا وقدم اليه بلاغ الحكومة البريطانية المؤذن بجعل القطر المصري تحت حمايتها ويجعله سلطانا من قبلها لمصر وهذه ترجمته بالعربية كما نشر في الجرائد :

البلاغ البريطاني

يا صاحب السمو ! كفتي جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ان أخبر سموكم بالظروف التي سببت نشوب الحرب بين جلالة وبين سلطان تركية وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

كان في الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح عن بانه ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الاصلاح في تركية ومقتنع بان الحرب التي دخل فيها جلالاته لاتتمس مصالح تركيا في شيء ومرتاح لما صرح به جلالاته وحلفاؤه من ان هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لافي مصر ولا في سواها . وأما الحزب الآخر فشرذمة جنديين افاقين لاضميرهم أرادوا اثاره حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالاته معللين أنفسهم أنهم بذلك يتلافون ما جروه على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية . أما جلالاته وحلفاؤه فمع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا الى آخر لحظة وهم يأملون أن

تغلب النصح الرشيدة على هذا الخبز لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثلته حتى أرغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية وهجوم الاسطول التركي بقيادة ضباط المانيين ثغورا روسية غير محصنة ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق قد انضم انضماماً قطعياً الى أعداء جلالاته منذ أول نشوب الحرب مع المانية

وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديوي السابق على بلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت الى جلالاته ولما كان قد سبق لحكومة جلالاته انها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالاته في بلاد مصر انها أخذت على عاتقها وحدها مسؤولية الدفاع عن القطر المصري في الحرب الحاضرة فقد أصبح من الضروري الآن وضع شكل للحكومة التي ستحكم البلاد بعد تحريرها كما ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التي كانت تدعيها الحكومة العمانية

فحكومة جلالة الملك تعتبر ودیعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي آلت اليها بالصفة المذكورة. وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سني الاصلاح الثلاثين الماضية. ولذا رأيت حكومة جلالاته ان أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسؤولية التي عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية اعلاناً صريحاً وان تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد سير من أمراء العائلة الخديوية طبقاً لنظام ورأيت يقرر فيما بعد

بناء عليه قد كلمتني حكومة جلالة الملك ان أبلغ سموكم انه بالنظر ان سموكم وخبرتم قد رأيتم في سموكم أكثر الامراء من سلالة محمد علي أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب «سلطان مصر» واتي مكاف بان أوكد لسموكم صراحة عند عرضي على سموكم قبول عبء هذا المنصب ان بريطانيا العظمى أخذت على عاتقها وحدها كل المسؤولية في دفع أي تعد على الاراضي التي تحت حكم سموكم مهما كان مصدره. وقد فوضت الي حكومة جلالاته ان أصرح بانها بعد اعلان الحماية

البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين ايما كانوا الحق في أن يكونوا مشمولين
بحماية حكومة جلالة الملك

وبزوال السيادة العثمانية تزول أيضا القيود التي كانت موضوعة بمقتضى
الفرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذي لسموكم في الانعام بالرتب
والنياشين

اما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالاته ان المسؤولية الحديثة
التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعي أن تكون المحادثات منذ الآن
بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالاته في مصر
وقد سبق لحكومة جلالاته أنها صرحت مرارا بان المعاهدات الدولية المعروفة
بالاتيازات الاجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد ولكن
من رأي حكومة جلالاته أن يؤجل النظر في تعديل هذه المعاهدات الى ما بعد انتهاء
الحرب

وفما يختص بادارة البلاد الداخلية علي أن أذكر سموكم ان حكومة جلالاته
طبقا لتقاليد السياسة البريطانية قد دأبت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد
وبواسطتها في ضمان الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وأعمال مصادرة ثروة
البلاد الطبيعية والتدرج في اشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الامة
من الرقي السياسي . وفي عزم حكومة جلالاته المحافظة على هذه التقاليد بل انها
موقنة بان تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديدا صريحا يؤدي الى
سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي

وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم الآن عقائد نفس
رعايا جلالاته على اختلاف مذاهبهم . ولا أرى لزوماً لأن أؤكد لسموكم ان تحرير
حكومة جلالاته لمصر من ربة أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة
لم يكن ناتجا عن أي عداة للخلافة، فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على ان
اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لالعلاقة له البتة بالروابط السياسية التي بين
مصر والاستانة، وان تأييد الهيئات النظامية الاسلامية في مصر والسير بها في سبيل

التقدم هو بالطبع من الامور التي تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام،
وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة، ولسموكم أن تعتمدوا في اجراء ما يلزم لذلك
من الاصلاحات على كل انعطاف وتأييد من جانب الحكومة البريطانية. وعلى
أن أزيد على ما تقدم ان حكومة جلالة الملك تعول بكل اطمئنان على اخلاص
المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالته
المكلف بحفظ الامن في داخل البلاد وبمنع كل عون للعدو. واني انتهز هذه الفرصة
فاقدم لسموكم أجل تهنئاتي

ملن شيتهم

تحريرا في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

(الاحتفال بنصب الامير حسين كامل سلطانا لمصر)

جرى هذا الاحتفال في يوم الاحد ثالث شهر صفر الماضي الموافق ٢٠ ديسمبر
وكانت معداته مهيئة قبل ذلك بأيام أو أسابيع، ورقاع الدعوة اليه قدوزعت في جميع
أرجاء القطر. وهذا مقدمة نص البلاغ الرسمي الصادر من قصر عابدين في ذلك:
«برح صاحب العظمة مولانا السلطان في منتصف الساعة العاشرة في يوم الاحد
٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٤ سراي دولة الامير كمال الدين باشا في موكب فخيم محفوقا
بحراسه ومن ورائه أصحاب السعادة الوزراء تقلهم مركبتان من مركبات المعية السنية
فأطلقت مدافع القلعة واحدا وعشرين مدفعا ايدانا وأدت طلبة المدرسة الحربية
والجند التحية. وكان الشعب يهتف لعظمته طول الطريق هتافا منواصلا. ولما أقبل
عظمته على ميدان عابدين ضج له جماهير المدعوين الموجودين بالصيوان المنسوب
أمام السراي وهم مندوبو المديرية وكبار موظفي الحكومة وحضرات العلماء والرؤساء
الروحانيين وكبار ضباط الجيش الانكليزي والمصري. ولما وصلت المركبة السلطانية
الى باب السراي استقبله كل من أصحاب الدولة امراء العائلة السلطانية وصاحبي

الفضيلة شيخ الاسلام ومفتي اديار المصرية وحضرات رئيس ووكيل الجمعية التشريعية والمستشارين ووكلاء الوزارات ورئيسي محكمة الاستئناف الاهلية والمختلطة والناشرين العموميين لدى المحاكم الاهلية والمختلطة ومحافظ وكبار رجال الية» وتلى ذلك بيان كيفية المقابلات، وما تخللها من الخطب والمحادثات

ترجمة برقيات التهاني بين لندرة ومصر

البرقية الاولى من ملك الانكليز - تهنئة

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة
في الوقت الذي ترتقي فيه عظمتكم السلطانية منصبها السامي أرغب أن أقدم
الى عظمتكم السلطانية عواطف الوداد المنبئة عن أكل اخلاص مع تأكدي
لكم بأنني لا أنفك عن تأييدكم في سبيل المحافظة على كيان مصر وضمان رفاهيتها
في المستقبل وسعادتها. وقد دعيت عظمتكم السلطانية الى بحمل مسؤولية منصبكم
السامي إبان أزمة خطيرة في الحياة الاهلية بمصر. وأني على يقين انه بمعاونة وزرائكم
وبحماية بريطانية العظمى يتسنى لكم التغلب على كل المؤثرات التي براد بها العبث
باستقلال مصر وبرفاحة أهاليها وحريةهم وسعادتهم.

جورج
ملك وامبراطور

البرقية الثانية من سلطان مصر - شكر

أقدم لجلالتكم فائق الامتنان على ما تفضلتم به من شعائر الوداد التي شرفتموني
بها وعلى ما أكرمتموه لي من نفيس التعزية للمحافظة على كيان مصر واستقلالها.
وإذ كنت على علم تام بالمسؤولية التي أخذتها على عاتقي وقد عقدت النية على
تخصيص كل مافي وسعي لتقدم أممي وسعادتها سالكام مع الحماية في ذلك سبيل
(المنار ج ١) (٨) (المجلد الثامن عشر)

الوثام فاني أعتبر من حسن حظي أن يتاح الى الاعتماد في القيام بهذا العبء على
جميل عواطف جلالتمكم وعلى معاونة حكومتها حسين كامل

البرقية الثالثة من لورد كتشنر — تهنئة

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة
أتشرف بتقديم أجل مراسم التبائي والاحترام الى مقام عظمتكم السلطانية
بمناسبة ارتقائكم عرش سلطنة مصر وأسأله تعالى أن يوفق مصر في ظل عظمتكم
السلطانية وبمعاونة ونصائح أصدقائها الى جعل مستقبلها مقرونا بالطمأنينة والسعادة
كتشنر

البرقية الرابعة من سلطان مصر — شكر

الى لورد كتشنر لندن

كان تمهانتكم الودية بمناسبة ارتقائي عرش السلطنة أجمل وقع في فؤادي
فأشكركم شكرا جزيل على ما أبدىتموه من العواطف والاماني نحو بلادي . وان
ما أعلمه من عظيم اهتمامكم بمصر يجعلني على يقين بأنه يتسنى لها الاعتماد عليكم كما
تعتمد على خير أصدقائها حسين كامل

البرقية الخامسة . امنية

من اللورد كتشنر الى رئيس الوزارة حسين رشدي باشا
أبادر بابلاغ عطوفتكم أماني المنبئة من أكل عواطف الاخلاص والوداد
نحو مستقبل النظام الذي انفتح عصره في هذا الصباح وان ثقتي بحكمة عطوفتكم
وبوطنيتكم تجعل لي الامل الوطيد باستمرار مصر في طريق السعادة والنقدم

البرقية السادسة من رئيس الوزارة — شكر واغتياب

أشكر جنابكم على جميل تلغرافكم . وأنا على يقين مثلكم بأن مصر في عهد
نظامها الجديد ستتابع خطاها في طريق النظام والارتقاء
واني لمرتاح الى ما عندي من الامل بامكاني الاعتماد على مودتكم الثمينة أثناء
قيامى باعباء وظيفتي ما

تهاني الشعراء

نظم أشهر شعراء مصر القصائد في التهاني السلطانية . وفي مقدمتهم اسماعيل باشا صبري واحمد شوقي بك ومحمد حافظ بك ابراهيم . وامتازت قصيدة شوقي بأنها لم تكن مدحا وثناء مجردا كغيرها بل تمثيلا لشعوره ووجدانه الخاص من حيث هو ربيب بيت الخديو اسماعيل باشا وغرس نعمته ، ووجدانه العام من حيث هو مسلم مصري ، ويشاركه في هذا جمهور المصريين . فاذا أثبتناها بنصها أثرا تاريخيا لا نخرج عن سنة المنار في عدم نشر المدائح الشخصية . وها هي ذه :

الملك فيكم آل اسماعيل	لازال يتكمو يظل النيل
لطف القضاء فلم يمل لوليكم	ركن ولم يشف الحسود غليلا
هدى أصولكم وتلك فروعكم	جاء الصميم من الصميم بدिला
الملك بين قصوركم في داره	من ذا يريد عن الديار رحيلاً ^(١)
(عابدين) شرف يا ابن رافع ركنه	عزاً على النجم الرفيع وطولا
مادام مغناكم ^(٢) فليس بسائل	أحوى فروعاً أم أقلّ أصولاً
أتم بنو المجد المؤئل والندی	لكم السيادة صبية وكهولا
النيل إن أحصى لكم حسناتكم	ملاً الزمان محاسنا والجيلا
أحيا أبوكم شاطئيه وابنتي	مجدا لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا	وامتد ظلا للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام يانهم	وحى الى البيت الحرام سييلا

حفظ الآله على (الكنانة) عرشها	وأدام منكم للهلال كفيلا
بنيان (عمرو) أمنته عناية	من أن يززع ركنه ويميلا
وتدارك الباري لواء محمد	فرعى له غررا وصان حجولا

(١) قيل انه أشار الى نبي ما اشيع من خير تقيه من مصر
 (٢) أي مادام قصر عابدين مقاما لكم يا آل اسماعيل

في برهة يذر الاسرة نحسها
الله أدركه بكم وبأمة
حلفاؤنا الاحرار الا أنهم
أعلى من الرومان ذكرا في الورى
لما خلا وجه البلاد لسيفهم
وأثوا بكابرها وشيخ ملوكها
تاجان زانهما المشيب بثالث

سبحان من لاعز الا عزه
لاستطيع النفس في ملكوته
الخير فيما اختاره لعباده
يأليت شعري هل يحطم سيفه
سلب البرية سلمها وهناءها
زال الشباب عن الديار وخلفوا
طاحوا فطاح العلم تحت لوأمهم
الله يشهد ما كفرت صنيعه
وهو العليم بأن قلبي موجه
مما أصاب الخلق في أبناءهم
أأخون اسماعيل في أبناءه
ولست نعمته ونعمة بيته
ووجدت آبائي على صدق الهوى
رؤيا (علي) يا (حسين) تأولت
وإذا بُناة المجد راموا خطة
القوم حين دها القضاء عقولهم
هدموا بوادى النيل ركن سيادة

يبقى ولم يك ملكه ليزولا
إلا رضى بقضائه وقبولا
لا يظلم الله العباد قتيلا
للبقي سيفا في الورى مسولا
ورمى النفوس بألف عزائلا
للباقيات الثكل والتميلا
وغدا التفوق والنبوغ قتيلا
في ذا المقام ولا جحدت جميلا
وجعا كداء الثاكلات دخيلا
ودهى الهلال ممالكا وقبيلا
ولقد ولدت بياب اسماعيلا
فلبست جزلا وارنديت جميلا
وكفى بآباء الرجال دليلا
مأصدق الاحلام والتأويلا
جعلوا الزمان محققا ومنيلا
كسروا بأيديهم لمصر غلولا
لهمو كركن العنكبوت ضئيلا

أرقه^(١) سرير أريك والبس تاجه
 عرت أويقات عليه موحشا
 ليست معالي الامر شيئاً غائباً
 كم سستموه في الشيبية مضلها
 وحيتمو زرع البلاد وضرعها
 يا كرم الاعمام حسبك أن ترى
 من عثرة ابن أخيك تبكي رحمة
 ولو استطعت اقالة لغثاره

يا أهل مصر كلوا الامور لربكم
 جرت الامور مع القضاء لغاية
 أخذت عنانا منه غير عنانها
 هل كان ذاك العهد الا موقفا
 يعتز كل ذليل أقوام به
 دفعت بنا فيه الحوادث وانقضت
 وانقض ملعبها وشاهده على
 فادتممو الشحناء فيما بينكم
 كل يؤيد حزبه وفريقه
 حتى انطوت تلك السنون كملعب
 واذا أراد الله أمرا لم تجسد

فالله خير موثلا ووكيلا
 وأقرها من يملك التحويلا
 سببحانه متصرفا ومديلا
 للسلطين والبلاد وييسلا
 وعزيزكم يلقي القياد ذليلا
 الا نتائج بعدها وذويلا
 أن الرواية لم تتم فصولا
 ولبثتمو في المضحكات طويلا
 ويرى وجود الآخرين فضولا
 وفرغتمو من أهلها تمثيلا
 لقضائه ردًا ولا تبديلا

(١) كتبت الكلمة في بعض الجرائد « ارقاً » وهو غلط لانه امر رفي الناقص لارقاً المهموز، ولعل سببه كتابتها في الاصل بالالف فجعلوها همزة. والمقام هنا مقام وصل الفعل بهاء السكت كما فعلنا

آثاره تاريخيه

من مقدمات الحرب المدنية الاوربية

وهي البرقيات التي تبودلت بين العاهلين العظمين

قيصر الألمان وقيصر الروس (١)

١

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٢٨ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ مساءً)

لقد علمت بمزيد القلق خبر الوقوع الذي وقع زحف الجنود النمسية على سرية في امبراطوريتكم . ان التحريض العظيم الذي توالى في سرية منذ سنوات افضى الى جناية فظيعة اغتيل فيها الارشودوق فرنس فردينند ، فالروح الذي حمل السريين على اغتيال ملكهم وقرينته لا يزال سائدا تلك البلاد، ولا ريب في انكم توافقوني اننا - أي أنت وأنا - بسائر الملوك لنا مصلحة مشتركة في الاصرار على معاقبة مرتكبي جناية القتل هذه العقاب الذي يستحقونه

على انني أعلم أيضا انه يصعب جدا عليكم وعلى حكومتكم مقاومة مظاهرات الرأي العام، فانا نذكركم للصداقة القلبية التي بيني وبينكم منذ زمان طويل أبذل كل نفوذي في اقناع النمسة بالاتفاق مع سرية، واني أعتمد على تأييدكم في مساعي لازالة جميع الصعوبات التي يحتمل ان تنشأ صديقكم المخلص وابن عمكم ولهم

٢

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم

قصر برهوف في ٢٩ يوليو ١٩١٤ (الساعة واحدة بعد الظهر)

سرني خبر عودتكم الى ألمانيا واني أطلب مساعدتكم في هذه الآونة الحرجة

(١) نقلت من ملحقات الكتاب الاصفر الفرنسي الرسمي

قد أعلنت حرب معية على أمة ضعيفة وأنا أشاطر روسية سخطها العظيم
واني أرى اني سأعجز قريباً عن دفع الضغط الواقع علي وأضطر الى اتخاذ
تدابير تؤدي الى الحرب

فاجتأبا لنسبة حرب أوربية أرجو منكم باسم صداقتنا القديمة ان تفرغوا كل
جهدكم في منع حليفتكم من الافراط في الخطة التي سارت عليها نقولا

٣

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٢٩ يوليو ١٩١٤ (الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ مساءً)

تلقيت برقيتكم وأنا أشاطركم الرغبة في حفظ السلام
ولكن لأرى ان زحف النمسة على سرية حرب معية كما قلت في تلغرافي
الاول، فقد علمت النمسة بالاختبار انه يستحيل تصديق مواعيد سرية مادامت
محصورة في الكتابة على الورق

وعندي انه ينبغي النظر الى ماتفعله النمسة كأنه سعي للحصول على الضمان
الكافي بان سرية تقوم بمواعيدها ، وقد تأيد اعتقادي بما صرحت به النمسة من
انها لا تبغي الاستيلاء على شيء من أملاك سرية
ولذلك أرى ان روسية تستطيع أن تقف موقف المتفرج فلا تجر أوربة الى
أعظم حرب رآها العالم

وأعتقد أن الاتفاق بين حكومتكم وفينة مستطاع ومرغوب فيه لاسيما وان
حكومتي باذلة الجهد للتوصل الى هذا الاتفاق كما أخبرتكم في تلغرافي السابق
ولا يخفى ان اتخاذ روسية لتدابير حربية تعدها النمسة تهديدا لها يعجل وقوع
النسبة التي نحاول كلانا اجتنابها ويحول دون قيامي بمهمة الوسيط التي قبلتها بلا
تردد لما استعجرت بصدوقي ومعونتي ولهم

٤

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٣٠ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١ صباحاً)

صدرت التعليمات الى سفيري أن يوجه نظر حكومتكم الى الاخطار والعواقب
الوخيمة التي تنشأ عن تعبئة الجيش وهذا الذي قلته لكم في تلغرافي الاخير
ان النمسة عبات جيشها ضد سرية فقط ولم تعبي سوى جانب من جيشها
فاذاعت روسية جيشها ضد النمسة كما يتضح من برقيتكم وبلاغ حكومتكم تعذر
علي القيام بمهمة الوسيط بل استحال وهي المهمة التي نطموها بي بروح المودة وقبلتها
بناء على طلبكم المعجل
فعبء البت في الامر واقع على عاتقكم وأنتم تتحملون عبء تبعه الحرب أو
السلم
ولهلم

٥

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهلم
قصر بتزهوف في ٣٠ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١ والدقيقة ٣٠ بعد الظهر)
أشكركم من صميم الفؤاد على جوابكم السريع واني مرسل تاتيشف اليوم
. براء مزودا بالتعليمات. أما التدابير الحربية التي تتخذ الآن فقد قررنا اننا
خمسة أيام لمقابلة استعداد النمسة
واني أتمنى من صميم الفؤاد ان لا تؤثر هذه التدابير في قيامكم بمهمة الوسيط
وهي المهمة التي اقدرها حق قدرها فاننا نحتاج الى توسطكم بالحزم مع النمسة لملها
على الاتفاق معنا
نقولا

٦

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهلم
٣١ يوليو ١٩١٤
أشكركم من صميم الفؤاد على ما تبذونه من النية التي تدل على وجود بارقة
أمل بان الامور تنتهي على مايرام . اما توقيف استعدادنا الحربي فغير مستطاع
فنيا وقد اضطررنا تعبئة النمسة الى هذا الاستعداد
اننا أبعد الناس عن الرغبة في الحرب وما دامت المفاوضات في موضوع

سرية دائرة مع النمسة فجنودي لا تقدم على عمل ما من أعمال التحرش وأؤكد
لكم ذلك بشرفي
أبي موقن تمام الايقان بنعمة الله واثق بأن توسطكم في فينا يكمل بالنجاح
لخير بلادينا وسلم أوربة
نقولاً

٧

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولاً
٣١ يوليو ١٩١٤ (الساعة ٢ بعد الظهر)
لما استجرتكم بصدائقي وطلبتم معونتي قبلت أن أتوسط بين حكومتكم وحكومة النمسة
وبينا كنت قائماً بهذا العمل عبأتم جيوشكم ضد حليفتي النمسة فأحبطتم
الرجاء بنجاح توسطي ومع ذلك فأنني ظلت متابعا له
وقد تلقيت الساعة علماً من مصدر جدير بالثقة بأنكم شرعتم تتخذون تدابير
جارية عظيمة على حدودي الشرقية، ولما كنت مسؤولاً عن سلامة امبراطوريتي
فأني مضطر ان أتخذ تدابير مماثلة دفاعاً عنها
ولقد بذلت أقصى ما استطاع سعيًا لحفظ السلم فاذا وقعت النكبة الهائلة التي
تهدد عالم المدينة بأسره فان تبعثها لاتقع علي
ولا يزال منع وقوع النكبة في يديكم اذ لا أحد يهدد شرف روسية وقوتها
وكان في طاقة روسية ان تنتظر نتيجة توسطي . ان صدائقي لكم ولا امبراطوريتكم
التي أورثتها جدي على فراش الموت ظلت مقدسة عندي، وقد كنت أميناً لروسية
في محنها ولا سيما في الحرب الاخيرة . فسلم أوربة محفوظ حتى الآن اذا قر قرار
روسية على الكف عن التدابير الحربية التي تهدد بها ألمانيا والنمسة. ولهم

٨

من الامبراطور نقولاً الى الامبراطور ولهم
١ اغسطس ١٩١٤ (الساعة ٢ بعد الظهر)
جاءتني برقيتكم وإني أعلم انكم مضطرون الى التعبئة، ولكنني أطلب منكم
(المئارج ١) (٩) (المجلد الثامن عشر)

الضمان الذي أعطيتكم اياه وهو ان هذه التدابير لا تنذر بوقوع الحرب وأنا نظل متابعين مفاوضاتنا لخير البلادين ومصلحة السلم العام العزيز على قلوبنا ان صداقتنا القديمة العهد والوطيدة الاركان يجب بمساعدة الله أن تفوز بمنع إراقة الدم فانا انتظر جوابكم بملء الثقة .
تقولا

٩

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

برلين في ١ اغسطس ١٩١٤

أشكركم على بركيتكم وقد دلت حكومتكم أمس على الطريق الوحيد لاجتناب الحرب

ومع أي طلبت أن يأتيني الجواب الظهر فلم يأتني حتى الساعة برقية من سفيري تتضمن جواب حكومتكم لذلك اضطرت الى تعبئة جيشي فالطريق الوحيد لمنع وقوع نكبة لا توصف هي ورود جواب صريح جلي من حكومتكم. ولا يسعني أن أهتم بموضوع تلفرافكم قبل أن يأتيني هذا الجواب، واني مضطر أن أطلب بالاختصار أن تصدروا أوامركم الى جنودكم بلا ابطاء بان لا تهجم أقل هجوم على حدودنا
ولهم

فصل الاحصاء من باب التاريخ

(مساحة المملكة العثمانية وعدد سكانها)

أصدرت الحكومة العثمانية في العام الماضي احصاء لاملاكها وعدد سكانها نشرته جريدة «الاهرام» قائلة انها أخذته عن خريطة أركان الحرب العثمانية وهو كما ترى في الجدول الآتي :

اسم الولاية	كيلومتر	نفس
استامبول	٧٠٠٠	١١٣٦٠٠٠
نهادوند كار	٧٣٨٠٠	١٦٢٦٩٠٠

نفس	كيلومتر	اسم الولاية
١٣٩٦٥٠٠	٥٤٠٠٠	آيدين
١٠٨٨٥٠٠	١٠٣٨٠٠	قونية
٤٠٣٤٠٠	٣٧٢٠٠	اطنة
١٩٢٩٠٠	٦٧٥٠٠	انقره
١٠١٨٩٠٠	٤٩٧٠٠	تسطموني
١٠٨٦٥٠٠	٦٢٨٠٠	سيواس
١٠٤٧٧٠٠	٣٠٧٠٠	طرابزون
٥٩٧٠٠٠	٥١٠٠٠	ارضروم
٥٧٥٣٠٠	٣٤٣٠٠	معمورة العزيز
٣٩٨٦٠٠	٢٦٨٠٠	بتليس
٤٧١٥٠٠	٣٥٥٠٠	ديار بكر
٤٣٠٠٠٠	٤٠٢٠٠	وان
٩٩٥٨٠٠	٧٨٦٠٠	حلب
٥٣٣٨٠٠	٣٠٥٠٠	بيروت
٩٥٥٠٧٠٠	٦١٠٧٠٠	سوريا
٨٥٠٠٠٠٠	١٤١٢٠٠	بغداد
٧٠٠٣٠٠	٧٥٢٠٠	الموصل
٣٠٠٠٠٠	٤٢٧٠٠	البصرة
٣٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	الحجاز
٧٥٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	البحرين
٣٢٥٩٠٠	٧١٠٨	جزائر البحر الابيض
٢٢٢٨٠٠	١١٢٠٠	ازميد
١٢٩٤٠٠	٦٨٠٠	بيضا
١٠٠٠٠٠٠	٨٥١٠٠	الزبور

٣٩٩٥٠٠	٦٥ ..	لبنان
٣٣٣٠٠٠	٢١٣ ..	القدس
٥٢٨٠٠	٤٦٨	سيسام
٢٢١٨٠٠	٩٦ ..	قبرص
١٩٣٤٠٠٠	١٧٠١٧٧٧	المجموع

(قالت الازهرام) فعدد الاهالي العثمانيين اذن هو ١٨ مليون و ٨٣٩ الف و ٨٠٠ نفس يخرج منهم اهالي قبرص وهم حسب الاحصاء ٢٢١٨٠٠ و سيسام وهم ٥٢٨٠٠ و لبنان وهم ٣٩٩٥٠٠ و الحجاز وهم ٣٠٠ الف واليمن وهم ٧٥٠ الف و جزر البحر الايض وهم ٣٢٥٩٠٠ لان هذه البلاد اما انها لا تكلف بالتجنيد واما انها غير خاضعة لحكم الدولة كالحجز وعدد اهاليها مليونان ٧٤١ الف فيكون الباقي ١٦٧١٥٧٠٠ فاذا اخرجنا منهم الكرد و اليزيدية و الطوائف التي تدفع البديل والتي تعفى يكون الاهالي الذين يجندون نحو ١٤ مليوناً على الاكثر فاذا حسبنا ان الذين يجندون هم ٦ بالمئة يكون عدد الجيش الممكن جمعه من الامة العثمانية ٨٤٠ الف مقاتل في وقت الحرب اه

احصاء جزيرة العرب والولايات العربية

[المنار] كنا رأينا هذا الاحصاء في الازهرام ثم نقلناه عن جريدة أخرى نقلته عنها ولكن رأينا الجمع غير صحيح فأرسلنا الجدول الى رئيس تحرير الازهرام فصححه فلم يكن الجمع بعد تصحيحه صحيحاً أيضاً بل بلغ عدد النفوس ١٩ مليوناً و ٣٤٠ الف نفس ان الدولة لم تحص سكان بلادها إحصاء دقيقاً الى اليوم ، وهي تعني بهذا الاحصاء أهالي البلاد الحضرية الخاضعين لقوانينها كلها أو بعضها الا ما يستثنى كقبرص. أي ما تيسر لها معرفة عدده منهم ، ولذلك لم تذكر بلاد نجد مع انها تعدها تحت سيادتها . وجعلت أهل اليمن ثلاثة ارباع المليون على أن بعض وزرائها الذين تولوا اليمن كحسين حلمي باشا كانوا يقولون ان أهلها ستة ملايين أو يزيدون .

ورأيت بعض أهل اليمن يعتقدون ان سكان بلادهم وبلاد حضرموت أكثر من سكان القطر المصري

هذا وان سكان الولايات والمتصرفيات العربية وهي ١٢ ولاية ومتصرفية بلغوا بحسب هذا الاحصاء ... ر ٦٩٢ ر ٦ فاذا كان في ديار بكر والموصل وحلب زهاء مئتي الف من غير العرب كالترك والكرد والارمن يكون مجموع العرب الخاضعين للدولة فعلاً نحو من ستة ملايين ونصف أو أقل . وهذا العدد أقل من ثلث مجموع العرب في جزيرتهم وحدها دغ ملحقاتها من العراق وما بين النهرين وسورية وفلسطين . ويمكن أن يعيش في هذه البلاد أكثر من مئة ألف بالف بالسعة ، فن مساحتها أوسع من مساحة الهند الانكليزية التي يعيش فيها أكثر من ثلاث مئة ألف ألف . بل مساحة جزيرة العرب وحدها تقرب من مساحة الهند إذ كل منهما تزيد على ثلاثة ملايين كيلومتر

وقد قدر صاحب (النخبة الازهرية في تخطيط الكرة الارضية) سكان جزيرة العرب وحدها باثني عشر مليون نفس ، وهو انما يعتمد على كتب التقويم الاوربية القديمة التي تعتمد على قاعدة البناء على الاقل ، وحسبك نموذجاً من ذلك انه يقول ان سكان دمشق الشام ستون ألفاً والمشهور انهم أكثر من مئتي الف ، وان سكان طرابلس الشام ١٣ ألفاً وهم أكثر من تسعة وعشرين

ويمكننا ان نقول ان عرب الولايات والمتصرفيات العربية ما عدا اليمن والحجاز لا تقل عن خمسة ملايين ونصف بحسب احصاء الدولة . واذا قيل ان عدد الاعاجم فيها أكثر مما قدرنا بنصف مليون قلنا ان البدو فيها لا يقلون عما نقرضه من زيادة هؤلاء . فاذا أضفنا الى البدو المكتومين من الحضرة زاد عدد العرب في تلك الولايات على ستة ملايين . وقد نشر في عدد الاهرام الذي صدر في ٣ نوفمبر احصاء آخر لحد المحررين فيها (ا.س.ن) عد فيه أهل ولاية بيروت ٧٠٠.٥٠٠ وبغداد ٩٥٠.٠٠٠ والبصرة ٢٥٠.٠٠٠ والقدس ... ٥٥٠.٠٠٠ ولبنان ... ٥٠٠.٠٠٠ وهذه زيادة تبلغ زهاء نصف مليون . فاذا فرضنا بعد ذلك ان سكان الجزيرة ١٢ مليوناً فقط كما يقول صاحب النخبة الازهرية

على سبيل التقريب كان عدد العرب وحدهم في هذه البلاد كلها كعدد سكان المملكة العثمانية من جميع الاجناس كما رأيت في الجدول ويقدر كثير من العارفين عدد العرب في تلك البلاد بعشرين مليوناً ولكنهم يستثنون من ذلك أهل حضرموت ومجد وعُمان

إحصاء شعوب الهند الانكليزية

نشرت الحكومة الانكليزية خلاصة احصاء شعوب الهند في عام ١٩١٤ ويؤخذ من هذا الاحصاء ان عدد أهالي الهند الانكليزية ٣١٥٦٣٩٦ و٣١٥٧٨ وهم ٥ بالمئة من الهنود و ٣٢٢ من رعايا الامارات الهندية ومساحة بلاد الهند تعادل مساحة أوربة كلها ما عدا روسيا ولكن عدد أهالي الهند يتزايد على أهالي أوربة ما عدا روسيا وهو يعادل ثلاثة أضعاف أهالي الولايات المتحدة. ومنذ ٣٩ سنة الى اليوم زاد عدد أهالي الهند ٥٠ مليوناً. أما الذين يدينون بدين الهند الاصليين (?) فعددهم ٢١٧٥٨٦٨٩٢ وعدد المسيحيين ٢٠٤٢٧٨٨٢٠٤ بقاؤون من المسلمين

(المنار) نشرت هذا الإحصاء جريدة الاهرام في أثناء السنة الماضية وتلك عبرتها نقلها بنصها. واذا نحن طرحنا عدد الوثنيين والنصارى من المجموع بقي ٣٠٥٠٣٦٩٠٠ وهو عدد المسلمين. وقد كنا سمعنا من بعض كهراء الهند في أثناء سياحتنا فيها عام ١٣٣٠ (١٩١٣ م) ان عدد المسلمين فيها تسعون مليوناً ونصف. ولكنني لا ازال اسمع الناس يقولون ويكتبون ان عددهم سبعون مليوناً، حتى ان مثل هذا القول ينقل عن بعض رجال السياسة من الانكليز انفسهم. ولما جاء هذا الاحصاء انما لما سمعنا من أهل المعرفة في الهند ترجح عندنا ان هذه الاقوال اما مبنية على إحصاء قديم علق بأذهان اولئك القائلين، واما ان الانكليز منهم يستثنون بعض الامارات المستقلة عند ذكر رعاياهم من مسلمي الهند وغيرهم فقلدهم في أقوالهم

البدع والخرافات وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

خرافات وأوهام في قصور الملوك *

يعتقد القراء أن الخرافات والاهام التي تتخوف منها الطبقة العامة في سورية وغيرها من بلدان الممالك المتمدنة (?) كوجود الجان وظهور الارواح والاشباح لا أثر لها في عقول الطبقة المتمدنة من الشعب الاوربي والحقيقة ان هذه الاهام التي لا يسلم بها من العلماء غير شيعة الروحانيين (مناجاة الارواح) واتباعهم مائة قصور الملوك ولها في كل رأس من رؤوس سكان القصور ثغرة واسعة. وها نحن (أولاء) موردون شيئا عن الاعتقادات الشائعة بالجان والارواح في قصور ملوك أوربة

تعتقد عائلة « هوهنزولرن » المالكة في ألمانيا ان لها جنيتان إحداهما بيضاء والثانية سوداء واليهما تشير الراية الألمانية، بمعنى ان البيضاء هي جنية الشر، والسوداء جنية الخير

ففي عام ١٨٠٦ « على ماتفيد الكتب والاوراق القديمة » ظهرت الجنية البيضاء في احدى نوافذ القصر الملكي، وما كادت تختفي حتى ورد الى الامبراطور نبأ يفيد انكسار الجيش الألماني « في « اورستاد »

وقد ظهرت أيضا عام ١٨٨٤ قبل وقوع تلك الحوادث المشؤومة في ألمانيا -

في حديقة القصر الملكي في برلين
وظهرت أيضا ثلاث مرات في « انتردنلدين » وفي كل مرة كانوا يحاولون اغتيال غليوم الاول

ولمات الامبراطور الشيخ شعبانا من السنين وكان قد بلغ من المجدحظا كبيرا
ظهرت الجنية البيضاء في احد اروقة القصر الملكي، وما كادت تختفي حتى جاءت الانباء مفيدة ما قاساه فردريك الثالث من انواع العذاب وأصناف البلايا والحن
* منقول من جريدة الزمان العربية التي تصدر في بونس ايرس (الأرجنتين)

وبعد ثلاثة أشهر وقعت في القصر الملكي مكشوفة اليدين وأبأت عن موت فردريك الثالث ابن غليوم الأول في « شارنوتبورغ » بعد تولية الحكم بثلاثة أشهر وأما الجنية السوداء فقد ظهرت للإمبراطور الألماني في « برانبرغ » في أيام غليوم الأول وقالت له « ستكون إمبراطورا قبل أن تم اثلاثين ربيعا » وهكذا كان. وفي قصر انكلترا الملكي جنية بيضاء وظيفتها نقل أخبار الموت فقط « ناعية » ففي عام ١٩٠١ عند ما ماتت الملكة فكتوريا الشهيرة أخذت (الجنية) نصيح - بشهادة بعض أشخاص موثوق بصدقهم - في داخل القصر الملكي

ويوجد مثل هذه الأرواح والجنيات في القصور التاريخية القديمة، وكثيرا ما امتنع الملوك والأمراء والأشراف عن سكناها خوفا من تلك الأرواح الخبيثة الهائلة ففي قصر « باري يوماروي » توجد هذه الأرواح بكثرة وطائفا أعلنت المصائب قبل وقوعها. وعدد كبير من سكان هذا القصر أنبأهم هذه الأرواح عن انقضاء آجالهم

وبهذه المناسبة ذكرنا أحداثا تامة التي جرت في القصر المذكور من مضي مئة سنة كان الدكتور « ولتر » طبيب زوجة مدير القصر، وفي أحد الأيام سأل المدير المذكور عن تلك المرأة الجميلة الحسنة الملابس التي تلوح على محياها آثار الحزن، والتي رآها عند دخوله إلى القصر، فبغت الرجل رصاحا لالا. لا أريد أن تموت امرأتي. فمجبب الدكتور ما برأه واستوضحه عن العلاقة بين المرأة وموت زوجة المدير المذكور، فأشابهه على حقيقة هذه السيدة الجميلة، ومع أنه لم يكن يرى في مرض زوجة مدير القصر خيرا على حياتها، فقد دانت في ذلك اليوم هذا ما رأينا أن نقله تفصيلا للقراء. ولا يمكننا في هذه الحوادث وغيرها مما نطالع يوميا عن استحضار الأرواح وأفعال الأرواح ولا تصديقه، لأن بين المعتقدين جماعة من العلماء الإعلام كالمسترسيد وغيره، وبين المسكذيين العلماء الطبيعيين على الإطلاق وغيرهم من المشاهير، ولا تزال جان العلماء والفلاسفة في أميركة ولندن وباريس وغيرها تبحث بحثا دقيقا متواصلا توصلا للحقيقة.

باب المراسلة والمناظرة

الاسلام في انكلترة

فضيلة^(١) صاحب « المنار » الاغر

يسرني جدا أن أبلغ سيادتكم ان مساعي اخواننا المسلمين المبشرين في انكلترا سائرة في طريق النجاح بدرجة فوق المأمول . ولقد تعود معظمنا اغفال الدعوة الى الدين الحنيف بل أهملنا حتى في مقاومة دعاة المسيحية في نفس بلادنا، حتى أي تخيل ان ذكر وجود مبشرين مسلمين في انكلترا كاف وحده لدهشة غير قليل من القراء . ولاشك في أنه يدهشهم (دهشا) أكثر أن يعلموا أن هؤلاء المبشرين على قلة عددهم قد نجحوا في نشر نور الاسلام بين عدد ليس بالضئيل من خيرة السيدات والرجال الانكليز .

يوجد في (ووكنج woking) احدى ضواحي مدينة لندن جامع صغير يمثل المركز الرئيسي للجمالية الاسلامية في بريطانيا العظمى ، ويصدر امام ذلك الجامع مجلة شهرية تدعى « المجلة الاسلامية والهند المسلمة » — ومع أني لست ممن يرتاحون الى هذه المجلة نظرا لخطها في كثير من الاحايين الدين بالسياسة ، فانه لايسعني الا الاعتراف بالخدمة الاسلامية الجليلة التي قامت بها في زمن لا يتجاوز ثلاث سنوات . والفضل كل الفضل يرجع الى حضرة رئيس تحريرها امام الجامع المشار اليه والى اعوانه .

ولقد تلقيت العدد الاخير منها (عدد يناير سنة ١٩١٥) فوجدت فيه الخبر

المفرح الآتي :

(١) حذفنا من مكان النقط لقب « الاستاذ الامام » الذي صار كالعلم لشيخنا رحمه الله تعالى وان كنا جرينا على نشر الرسائل والاسئلة بنصها لاسباب تاريخية وغير تاريخية

« في يوم الأحد الماضي ٢٠ ديسمبر ١٩١٤ عقدت الجمعية الاسلامية البريطانية اجتماعا خطب فيه رئيسها سيف الرحمن اللورد هدلي وقد اعتنقت الاسلام سيدة أخرى وهي السيدة إينور أني سا كسبي ، ومنذ الاسبوع الماضي قد أضفنا الى قائمة الاخوة الاسلامية النامية باستمرار اسماء ثلاثة أشخاص من الانكليز . « وفي (هذا) العدد نفسه كتابان عن اعتناق الدين الاسلامي أحدهما من سيدة انكليزية تدعى أ. بامفورد ، والآخر من أحد افاضل الانكليز وهو المستر إرنست أوتن ، وكلاهما ممتلىء بمبارات تستحق التأمل والدرس وخصوصا من سادتنا المتفرجين الذين ينسون تعاليم دينهم العالية بمجرد امتزاجهم بالافرنج . ونظرا لضيق نطاق « المنار » الاغر ولعدم سعة وقتي اكتفي بترجمة كتاب السيدة المشار اليها . وهذا تعريبه :

« سيدي محرر صحيفة المجلة الاسلامية والهند المسلمة .

لقد صرت في العهد الاخير بفضل مودة صديق مسلم اقرأ بانتظام أهم المؤلفات الاسلامية وأذكر بينها الكتب الشائقة التي وضعها السيد أمير علي وخصوصا نشرته عن حقوق النساء في الاسلام فإنها ذات قيمة كبيرة عندي .

ومما يستحق الذكر من المؤلفات الاخرى الممتعة التي شاقني كثيرا كتاب « الهلال والصليب » تأليف خليل بك خالد ، وكتاب « اسرار مصر والاسلام الخفية » تأليف المستر ليدر ، وكذلك فصل « البطل كسبي » ^(١) من قلم كارليل . فكانت صفوة ونتيجة دراستي الدقيقة هذه أي امتلات اعجابا بمحمد (ص) باعتباره نبيا ومصالحا عظيما وبياناته الديمقراطية السمحة التي يهينني ويرينخي الآن اعتناقها

هذا وأنا اعترف بأن الديانة المسيحية المهذبة ديانة جليسة ، الا اني مع ذلك لا يمكنني بأية حال أن أتجاهل ان الاسلام لا يعلم الناس أسمى مبادئ المسيحية فقط بل هو يمتاز أيضا بدون أدنى شك بمزايا عظيمة لا توجد في المسيحية ،

(١) المراد من هذه العبارة : البطل النبي ، أو البطل بصفة النبي او من حيث هو نبي .

وذلك في مراميه الفلسفية ومبادئه النفسية العالية وفي القواعد الموضوعية لنظام اجتماعي أدق وأصح .

لقد خطر في بالي أن أبعث بهذا الكتاب الى جنابكم عسى أن لا يخلو علمكم وعلم قراء مجتمكم الفراء بذلك من الفائدة .

وختاماً أشرف بالامضاء باسمي الاسلامي

أمانة

(« الآنسة » أ. بامفورلا)

كم كانت تكون هذه النتيجة السارة مضاعفة ياسيدي الاستاذ لو تم مشروع الجامع الكبير النفوي بناؤه في عاصمة الامبراطورية الانكليزية التي تضم تحت رايها الملايين من المسلمين في عدة من أنحاء العالم ، ولست أدري لاي سبب ضعفت هم المسلمين في مصر والهند وغيرها من الاقطار الاسلامية عن مواصلة التبرع لهذا المشروع الجليل حتى يمكن تحقيقه في المستقبل العاجل .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا وجد بين سراتنا من يعضد « دار الدعوة والارشاد » التعضيد اللائق بكلية عظيمة المتصد كذله حتى يتيسر لكم ارسال الدعاء الى هذه البلاد . وبفضل علمهم ومعرفتهم بالانكليزية يرجى لهم حينئذ نجاح كبير هنا ، وخصوصا اذا تيسر لهم انشاء مجلة بالانكليزية تشمل صفوة ترجمة ما يصدر في كل عدد من « المنار » الزاهر .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا هزت الاريحية الدينية أحد امراء أو أغنياء المسلمين فوهب نحو امن خمسمائة جنيه أو أكثر في سبيل نقل « تفسير المنار » الى الانكليزية ، فانه مما يؤسف له جدا أن تنتشر بهذه اللغة المؤلفات العديدة ضد الاسلام ولا ينقل اليها كتاب جليل هو دائرة معارف اسلامية مثل « تفسير المنار » وما هذا بميزيز على امراء المسلمين الذين نراهم من أجل الحرب الحاضرة يجودون بمئات الآف من الجنيهات ، أفلا يوجد بينهم من يجود بجزء من مائة من ذلك في سبيل نشر نور السلم والاسلام ؟

ان من المغالطة أن يقال ان الانكليز مثلا يمنعون امراء الهند من عمل كهذا ، فان انكلترا معروفة بمنحها الحرية الدينية الكاملة لجميع رعاياها ، وهذا ما لا ينكره

نفس أعدائها ، بل كان هذا من جملة أسباب ولاء مسلمي الهند لها ، فلا يعقل ان يتدخل رجال السلاطة من الانكليز في الهند في شأن ديني محض كإهداء أو يمنهوا أميراً هندياً مسلماً من التبرع إذا شاء لما فيه صالح دينه .
وكذلك لا يعقل أن يفعلوا ذلك في مصر أو في غيرها من الممالك الإسلامية التي لا نكثرتا علاقة بها . وعلمنا وخبرتنا الماضية تؤكد ذلك .

أني أوافق فضيلتكم على أن تعلم العربية واجب على كل مسلم ، وأن من الحكمة جعل تعليمها إجبارياً في جميع المدارس والكليات والجامعات الإسلامية في كل قطر ، حتى يتيسر لكل مسلم أن يعرف دينه من منبعه الأصلي ، بغض النظر عن العلم بأداب اللغة العربية الشريفة التي هي لغة القرآن الكريم ، ولكن إذا تأملنا في المسألة من وجهة التبشير فإنا نجد أن من الضروري أن ينقل إلى اللغات الأجنبية خبرة المؤلفات الإسلامية وخصوصاً تفاسير القرآن الجليلة المشهودة بسعة العلم والدقة فيها ، فإن هذا عماد المبشر المسلم في نشر دينه بين الأفرنج . ومن العبث أن يقول المبشر الذي يريد اجتذاب القوم إليه: تعلموا العربية أولاً وبعدها اطالعكم على القرآن وأذ كر لكم أصول الدين الإسلامي ...

أما نقل القرآن الشريف إلى الانكليزية أو غيرها من اللغات الأوروبية فإني أعده جرمًا من حيث أن ذلك يؤدي إلى إخفاء ما في لغة القرآن الشائقة من اعجاز البيان ، فضلاً عن أن الترجمة تظهر بشكل مشوه غريب يجعل الأوربي الذي لا يعرف آداب العربية يعجب من كوننا نعتقد أن القرآن هو كلام الله جل شأنه !!
وإن أي مسلم يطلع على ترجمة القرآن لا يسهه إلا الضحك مع الأسف على الوقت الذي أنفق هباء في هذه الترجمة التي لا تؤدي إلى شيء ، ما من مرامي القرآن العالية الحكمة ...
إني أعتقد أن الرجل المحسن الذي يهب مبلغاً كافياً لترجمة تفسير عصري مثل تفسير « المنار » — ويعلم الله أنني لا أقول هذا مجاملة لكم فإني لست من يخطئ الخصوصيات بالعموميات — الذي هو خلاصة كل علم راجح من دماغي إمامين كبيرين ، إنما يؤدي خدمة إسلامية وإنسانية فوق كل تقدير . ويعلم أن

هذا أمر حيوي مأس كل ذي علم بالمجتمع الاوربي ، وكل من عنده غيره على نشر الدين القويم الداعي الى المساواة والاصلاح واسعى المبادئ الانسانية .
واني اعد من الاعتراضات الغربية أن يقول قائل ان نتيجة التبشير الاسلامي ليست بنتيجة مرضية ، لان كثيرين ممن يعتقدون الاسلام لا يعتقدون بالصلاة او الصوم مثلا ، وهما من فرائض الاسلام ، ويفوت المعارض ان ذلك الاجنبي الذي اعتنق الاسلام قد يبجل العربية ، وربما لا يجد من يعمله تعاليم دينه تفصيليا ، وقد يكون اسلامه مبني على نتيجة مطالعته وبحثه كما هو الغالب ، او قد يكون الباعث له على التهاون في أداء فريضة الصلاة او الصوم هو نفس الباعث للمسلم الاصيل على اغفال ذلك . على ان يباني هذا ليس معناه اني ابرر ذلك التهاون

هذا واني على كل حال اعتقد أن الايمان بمبادئ الاسلام - وان تهاون المؤمن في بعض الفرائض - ليس بخسارة للاسلام^(١) وبعبارة أخرى اننا اذا استطعنا اغراء الاجانب بالاقناع والدليل (وحملهم) على اعتناق الدين الاسلامي ووجدنا منهم ايمانا كليا بمبادئه وسيرا على فرائضه ورأينا منهم بعد ذلك اهمالا في أداء بعض الفرائض كما نرى من كثيرين من المسلمين الاصليين أنفسهم فلسنا مع ذلك الا رابحين فلا ينبغي أن يحمانا هذا على الاستياء المتناهي لدرجة أن يقول قائل ان نتيجة كهنه للتبشير الاسلامي غير مرضية أولا فائدة منها ...!

ان رجال الاصلاح كثيرون وفضيلتكم في مقدمتهم ، وقد بسطت لكم فيما تقدم بعض آراء لا أشك في أنه يشاركني فيها جميع أعضاء الجالية الاسلامية في انكلترا ، ولكن انفاذكم وانفاذ غيركم من المصلحين لها يحتاج الى « المال » ، فهل نعيش نحن المسلمين الى الابد نعال أنفسنا بالنجاح والخير حينما نكتشف بابا جديدا لذلك ثم نفشل لاننا لا نجد مفتاحه وهو غيره وكرم امرائنا وسرراتنا ?? ...

لقد صحت الحكمة القائلة : « ان الله لا يساعد الذين لا يساعدون أنفسهم »
ولو وضعها كل مسلم نصب عينيه وعمل بها لكان لنا من المنعة والعز ما تحسد عليه ،

(١) يريد الكاتب ان ترك المهتمي الى الاسلام لبعض العبادات وان كانت فرائض ليس بخسارة اذا كان صحيح الايمان بعقائد الاسلام واصوله

ولعل كلمتي هذه تصادف آذاناً واعية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما

لندن في ١٥ يناير سنة ١٩١٥ « مسلم غير متفرنج »

[المنار] نشكر للكاتب غيرته على دينه وحسن ظنه بنا ، ونوافقه على آرائه في جملتها ولكن مسألة الايمان والعمل تحتاج الى تفصيل وتمحيص ، وأرى ان مسلمي الهند أرجى لخدمة الاسلام من مسلمي مصر ، وان كان يظن بعض الناس ان الاسلام في مصر أقوى منه في الهند علماً وعملاً . فسلمو الهند يعملون لنشر الدين وخدمته ، ويتعاون العلماء والأغنياء منهم على ذلك على ضعف فيه يرجي ان يقوى مع الزمان . ولم يوجد في مصر غني بذل مالا لخدمة دينية محضة ، ولا وجد عالم تصدى لخدمة دينية محضة جديدة الا شيخنا الاستاذ الامام في تصديه لاصلاح التعليم في الازهر وملحقاته — الى ان قام من قام بتأسيس الدعوة والارشاد . وقد لقي هذا المشروع العظيم في مصر أشد المقاومة . وكانت مصلحة الاوقاف الاسلامية قد نفعته بإعانة قليلة ٥٥٠ جنياً في السنة مع الوعد بمضاعفتها ولكن وزارة الأوقاف الجديدة قد قطعت هذه الاعانة في هذا العام بعد ان منعت نصف ما كان مقرراً للعام الماضي . ويظن كثير من المسلمين ان هذا بايعاز من الانكليز وأنا لا أظن هذا ، بل أنا على رأي القديم في الانكليز وهو أن المسلم يستطيع ان يخدم دينه في بلادهم ومستعمراتهم بحرية قلماً يجد مثلها عند غيرهم . وما آفة الاسلام الا منافقوا أهله وجنباؤهم . وسيوضح مانكته في تاريخ مشروع الدعوة والارشاد كثيراً من هؤلاء المنافقين ، ومنهم الذين لا يزالون يكيدون في الخفاء ليحولوا دون مساعدة القصر له . وسيرى مسلمو العالم وغيرهم في هذا التاريخ الذي هو تاريخ الاصلاح الاسلامي في هذا العصر مقارنة غريبة بين باشوات الاستانة وباشوات مصر

أما اقتراحكم ترجمة تفسير المنار بالانكليزية فيقل في المسلمين من يبذل المال له لأن أكثر أغنياء المسلمين أغنياء أخساء ، وإنما يبذل بعضهم المال في المشروعات العامة لاجل الجاه عند الحكام والامراء ولا يكاد هؤلاء يلتصقون في مثل هذا العمل جاهاً . والافراد العقلاء النبهاء منهم كثرت عليهم طرق البذل في هذا العصر ، ولعل هذا المشروع ينفذ في الهند يوماً ما . واني أكاد أجزم بأن

هذا الاقتراح لو عرض على مثل الامير الجواد الشهير النواب محمد علي راجا محمود آباد ممن يثق هو بقوله في بيان مكانة التفسير لانفذه حالا ، وكيف لا وهو يهب المدارس بالالوف من الجنيهاً . أما أنا فلا أسعى الى هذا الاقتراح لان التفسير لي ولو كان لغيري لسميت

ولا أذهب بك بعيداً فهذا مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية قد تبرع بمئة مجلد من كل جزء من هذا التفسير لتوزع على المساجد في البلاد العربية فاذا اعان الله على آتمام التفسير وانفاذ تبرعه كانت قيمة ما يدفعه زهاء ما اقترحت للترجمة . والله الموفق ويده ملكوت كل شيء

مصاب الهند والعالم الاسلامي

بالشيخ شبلي النعماني

نعمي الينا بريد الهند اشهر علماءها وأبدهم شهرة وصيتا صديقنا الشيخ شبلي النعماني الملقب بشمس العلماء ، صاحب المصنفات النافعة واليد البيضاء في الاصلاح ، ختم الله تعالى حياته السعيدة في خاتمة العام الماضي (٢٨ ذي الحجة) وله من العمر ٥٨ سنة ، على ما يؤخذ من ترجمته في بعض الجرائد ، فان صحح هذا فقد مات في مثل سن الاستاذ الامام التي مات فيها ، الا انه كان لنحافة بدنه وشيبته يظن انه من أبناء السبعين ، ولم يكن يظهر على الاستاذ الامام مثل هذا الكبر وان عاجله الشيب في سن الشباب ، ولعل رائيه كان يظن انه لم يتجاوز الخمسين ، على ان كلا من الشيخين اللذين تساوي في العمر مات وهو شاب في علو الهمة وقوة العزيمة والنشاط في السعي الى الاصلاح .

كان الشيخ شبلي عالماً مستقلاً لا عالماً رسمياً مقداً ، وكان كأكثر العلماء المستقلين ، والحكماء المصلحين ، استاذ نفسه ، وتلميذ همته ، تلقى قليلاً عن الاساتذة ولكنه بجده واجتهاده صار أشهر نوابغ علماء الهند في هذا العصر . نعم ان فيهم من يعدون أوسع منه علماً واطلاعاً في علوم الحديث والفقه والأصول ، ولكن قلما يوجد من

يتأمله أو يقار به في القدرة على تفهم الناس بتعليم هذه العلوم أو التأليف فيها. ولا نعرف له ثم ضربيا في اتقان اللغة العربية وطول الباع وحسن الذوق في فهم منشورها ومنظومها والقدرة على الكتابة في الموضوعات المختلفة فيها. فأكثر علماء الهند وغيرهم من الاعاجم المتأخرين لا يقدرّون على الكتابة العربية الفصيحة الا قليلا. وانما قصارى ما يأتي منهم ان يكتبوا شرحا أو حاشية لبعض الكتب المشهورة أو يؤلفوا رسالة أو كتابا جديدا في بعض العلوم التي يكثرّون مدارسها كالفقه والاصول والمنطق والحديث، بحيث يكون جل ما يكتبونه منقولاً بنصه من الكتب المؤلفة في ذلك، ومن تجاوز ذلك منهم الى منظوم أو منشور كثر غلظه وتكلفه وجاء الغث الذي لا يكاد يفهم. وأما الشيخ شبلي فقد كان من نوادر المجيدين منهم: كان قادرا على الكتابة العربية السليمة من كلفة المعجمة في العلوم والفنون والادب والتاريخ، كما يعلم من تقدمه تاريخ التمدن الاسلامي وغيره

كان رحمه الله تعالى أمة وسطا بين أولى التفرّيط الجامدين على التقاليد القديمة، وبين أهل الافراط من المفتونين بالتقاليد الحديثة، اذ كان صاحب مشاركة صالحة في العلوم الاسلامية تمكنه من التدريس والتأليف فيها بطريقة استقلالية اذا شاء، وصاحب مشاركة في العلوم السكونية من رياضية وطبيعية واجتماعية عرف بها حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسامون فيه، وقد اتقن علم التاريخ اتقانا لعله لا يوجد في العالم الاسلامي كله من يساويه فيه الان. وقد دخل في أعمال الحكومة ثم تركها، واشتغل بالتعليم في مدرسة العلوم الكلية في عليكده على عهد مؤسسها السيد احمد خان الشهير وكان من أصدقائه، واشتغل بأمر الجمعيات العلمية، وساح في الممالك والاقطار، فكان بعلمه وأعماله، وسعة تجاربه واختباره، وبما أوتيّه قبل ذلك من ذكاء الذهن وعلو الهمة ومضاء العزيمة، جديرا بأن يكون من زعماء الاصلاح. وأن يقوم في وجهه من الخصوم من ينزهه بلقب الافساد، ويرميه بالكفر والاحاد. كما هي سنة الله تعالى في العباد. وسيعرف أهل وطنه من قيمته بعد وفاته، ما لم يعرفوه له أو يعترفوا به في حال حياته. وسندكر في الجزء الثاني ما وصل اليه من ترجمته وما يعن لنا من البحث فيها والاعتبار بها، رحمه الله تعالى واحسن عزاء البلاد الهندية والامة الاسلامية عنه

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألبان

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتعرفون
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألبان

قال عليه الصلاة والسلام: من الإسلام سرور وهدى ونور، كثر الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٣ ٢٥ الحوت (٣) ١٢٩٣ هـ ١٦ مارس ١٩١٥

كلام الصوفية في الوقت

من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين . قال :

ومنها الوقت . قال صاحب المنازل (باب الوقت)

﴿ قال الله تعالى (ثم جئت على قدر يا موسى) الوقت اسم لظرف الكون ،

وهو اسم في هذا الباب لثلاثة معان على ثلاث درجات ^(١) : المعنى الاول ^(٢)

حين وجد ^(٣) صادق لا يناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء ، أو ^(٤) لعصمة

جذبها صدق خوف ، أو تلهب شوق جذبه اشتغال محبة ﴿ وجه استشهاده بالآية

ان الله سبحانه قدر مجيء موسى أحوج ما كان الوقت اليه ، فان العرب تقول :

جاء فلان على قدر . اذا جاء وقت الحاجة اليه ، قال جرير :

نال الخلافة اذ كانت على قدر كما أتى ربه موسى على قدر

وقال مجاهد : على موعد . وهذا فيه نظر لأنه لم يسبق بين الله سبحانه وبين

موسى موعد للمجيء حتى يقال انه أتى على ذلك الموعد ، ولكن وجه هذا ان المعنى

جئت على الموعد الذي وعدناه أن ننجزه ، والقدر الذي قدرناه أن يكون في

وقته . وهذا كقوله تعالى (ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون

للأذقان سجدا ، ويقولون : سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لان الله

سبحانه وتعالى وعد بارسال نبي في آخر الزمان يملأ الأرض نورا وهدى ، فلما سمعوا

القرآن علموا ان الله أنجز ذلك الوعد الذي وعد به . واستشهاده بهذه الآية

يدل على محله من العلم ، لأن الشيء إذا وقع في وقته الذي هو أليق الاوقات

بوقوعه فيه كان أحسن وأنفع وأجدر ، كما إذا وقع الغيث في أحوج الأوقات اليه ،

وكما اذا وقع الفرج في وقته الذي يليق به

(١) قال في المتن « وهو على ثلاث درجات » (٢) وقال فيه : الدرجة الاولى

(٣) وفيه « وجد وجه » الخ (٤) سقطت هذه الجملة من نسخة المتن

ومن تأمل أقدار الرب تعالى وجريانها في الخلق علم انها واقعة في ألبق الاوقات بها ، فبعث الله سبحانه موسى أحوج ما كان الناس الى بعثته ، وبعث عيسى كذلك ، وبعث محمدا صلى الله عليه و) عليهم أجمعين أحوج ما كان أهل الارض الى ارساله ، فهكذا وقت العبد مع الله بعمره بانفع الاشياء له أحوج ما كان الى عمارته

قوله « الوقت ظرف السكون » الوقت عبارة عن مقارنة حادث لحادث عند المتكلمين ، فهو نسبة بين حادثين ، فقوله ظرف السكون أي وعاء التكوين فهو الوعاء الزماني الذي يقع فيه التكوين ، كما ان ظرف المكان هو الوعاء المكاني الذي يحصل فيه الجسم ، ولكن الوقت في اصطلاح التوم أخص من ذلك . قال أبو علي الدقاق : الوقت ما أنت فيه ، فان كنت في الدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعرب فوقتك العربي ، وان كنت بالسرور ، فوقتك سرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن . يريد أن الوقت ما كان الغالب على الانسان من حاله ، وقد يريد أن الوقت ما بين الزمانين الماضي والمستقبل ، وهو اصطلاح أكثر الطائفة ، ولهذا يقولون : الصوفي والفقير ابن وقته . يريدون أن همته لاتعمد وظيفة عمارته بما هو أولى الاشياء به وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالب به في الحين والساعة الراهنة ، فهو لا يهتم بماضي وقته وآتية ، بل بوقته الذي هو فيه ، فان الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضعف الحاضر ، وكلما حضر وقت اشتغل عنه بالطرفين فتصير أوقاته كلها فوات .

قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين : سمعتهم يقولون الوقت سيف فان قطعته والا قطعك ، ونفست ان لم تشغلها بالحق والا شغلتك بالباطل

قلت : يالها كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائليها ويقظته ! ويكفي هذا ثناء من الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم

وقد يريدون بالوقت ما هو أخص من هذا كله ، وهو ما يصادفهم في تصريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم . ويقولون : فلان يحكم الوقت . أي مستسلم

لما يأتي من عند الله من غير اختيار ، وهذا يحسن في حال ويحرم في حال وينقض صاحبه في حال ، فيحسن في كل موضع ليس لله على العبد فيه أمر ولا نهي ، بل في موضع جريان الحكم السكوني الذي لا يتعلق به أمر ولا نهي كالفقر والمرض والغربة والجوع واللام وآخر والبرد ونحو ذلك ، ويحرم في الحال التي يجري عليه فيها الأمر والنهي والقيام بحقوق الشرع ، فإن التضييع لذلك والاستسلام والاسترسال مع التقدير السالخ من الدين بالكفاية ، وينقص صاحبه في حال تقتضي قياما بالتوافل وأنواع الخير والطاعة ، وإذا أراد الله بالعبد خيرا أعانه بالوقت وجعل وقته مساعداً له ، وإذا أراد به شراً جعل وقته عليه وناكده وقته فكلماً أراد التأهب للمسير لم يساعده^(١) الوقت ، والاول كلما همت نفسه بالتعود أقامه الوقت وساعده وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق ، وأصحاب العواقب ، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق ، قال :

(فما أصحاب السوابق) فتلو بهم أبداً فيما سبق لهم من الله ، لعلمهم ان الحكم الازلي لا يتغير باكتساب العبد ، ويقولون : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل . ففكرهم في هذا أبداً ، ومع ذلك فهم يجدون في القيام بالأوامر واجتناب النواهي والتقرب إلى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ولا ملتفتين إليها ، يقول قائلهم :
 من ابن أرضيك إلا أن توفقي هيهات هيهات ما التوفيق من قبلي
 ان لم يكن لي في التقدير سابقة فليس ينفع ما قدمت من عملي
 وأما (أصحاب العواقب) فهم متنكرون فيما يختص به أمرهم ، فان الامور بأواخرها والاعمال بخواتيمها . والعاقبة مستورة كما قيل :

لا يعرفك صفا الاوقات فان تحتها^(٢) غوامض الآفات

فكلم من ربيع نورت أشجاره ، وظهرت أزهاره ، وزهت ثماره ، لم يلبث ان

(١) سقط من قوله « وإذا أراد به شراً » الى هنا - فنقلناه من ب

(٢) أصل الأصل « تحتها » فيه يستقيم الوزن ، أو ان كلمة صفاء ممدودة ور بما

كانت العبارة سجدة ، ولكنها كتبت في ب كما يكتب الشعر

أصابته حاجة ساوية فصار كما قال الله عز وجل (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها
وآزنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها - إلى قوله يتفكرون) فكم من يريد
كبابه جواد عزمه [فخر صريع للبدن والفم] وقيل لبعضهم وقد شوهد منه خلاف
ما كان يمهّد عليه : ما الذي أصابك ؟ فقال حجاب وقع ، وأنشد

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسألتك الليالي فاعتزرت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا

[تمجيين من سقي صحتي هي العجب] الناكصون على أعقابهم

أضعاف أضعاف من اقتحم العقبة :

خذ من الألف واحدا واطرح الكل بعده

وأما (أصحاب الوقت) فلم يشغلوا^(١) في السوابق ولا في العواقب ، بل اشتغلوا
بمراجعة الوقت وما يلزمهم من أحكامه ، وقالوا : العارف ابن وقته^(٢) لا ماضي له ولا
مستقبل ، ورأى بعضهم الصديق رضي الله عنه في منامه فقال أوصني ، فقال له :
كن ابن وقتك

وأما (أصحاب الحق) فهم مع صاحب الوقت ، زمان ومالكهما ومدبرهما ،
مأخوذون بشهوده عن مشاهدة الأوقات ، ولا يتفرغون لمراجعة وقت وزمان
كما قيل :

لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذلك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالته ليلى وزعي النجوم كنت محلى

ان العاشقين عن قصر الليل وعن طولها من الله فاعلموا

قال الجنيد : دخلت على السري يوم نزلت له كيف أصبح ، فحدثني يقول :

ما في النهار ولا في الليل لي فرح ولا ليلى أمان الليل أو النهار

ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، يشير إلى أنه غير منظم في الأوقات ،

بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار

(١) قال في ب بالفكر في السوابق ٢ وفيها « المتفرغون لمراجعة وقت وزمان » الخ

فصل

قال صاحب المنازل « الوقت اسم في هذا الباب ثلاث معان : المعنى الاول حين وجد صادق » أي وقت وجد صادق . أي زمن من وجد يتوم بقلبه وهو صادق فيه غير متكلف له ولا متعمل في تحصيله « يكون متعلقه ايناس ضياء فضل » أي رؤية ذلك ، ولايناس الرؤية قال الله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا) وليس هو مجرد الرؤية ، بل رؤية مايناس به القلب ويسكن اليه ، ولا يقال لمن رأى عدوه أو مخوفا « آنسه » ومقصوده ان هذا الوقت وقت وجد صاحبه صادق فيه لرؤية ضياء فضل الله ومنه عليه ، والفضل هو العطاء الذي لا يستحقه المعطى أو يعطى فوق استحقاقه ، فاذا آنس هذا الفضل وطالعه بقلبه أثار ذلك ^(١) فيه وجدا آخر باعثا على محبة صاحب الفضل والشوق الى لثائه ، فان النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها . ودخلت يوما على بعض أصحابنا وقد حصل له وجد أبكاه فسأته عنه فقال : ذكرت ما من الله به على من السنة ومعرفتها والتخلص من شبه التوم وقواعدهم الباطلة وموافقة العقل الصريح والفترة السليمة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسرنى ذلك حتى أبكاني . فهذا الوجد أثاره ايناس فضل الله ومنه قوله « جذبه صفاء رجاء » أي جذب ^(٢) ذلك الوجد أو الايناس أو الفضل رجاء صاف غير مكدر ، والرجاء الصافي هو الذي لا كدر يشوبه ^(٣) بوجه معاوضة منك ، وان عملك هو الذي بعثك على الرجاء ، فصفاء الرجاء يخرج ^(٤) من ذلك بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئ بالنعم من غير استحقاق ، والفضل كله له ومنه . وفي يده أسبابه وغاياته ووسائله وشروطه وصرف موانعه . كل بيد الله لا يستطيع العبد أن ينال منه شيئا بدون توفيقه واذنه ومشيدته

(١) في ب « بذلك » ٢ وفيها « جذبه » (٣) كانت العبارة عندنا ناقصة
فصححت على ب (٤) في ب « يخلصه »

ويُلخص ذلك ان الوقت في هذه الدرجة الاولى عبارة عن وجد صادق سببه رؤية فضل الله على عبده ، لان رجاءه كان صافيا من الاكدار
 قوله « أول عصمة جذبها صدق خوف » الام في قوله أول عصمة معطوف على
 اللام في قوله أول ايناس ضياء فضل . أي وجد لعصمة جذبها صدق خوف ، فاللام
 ليست للتعليل بل هي على حدها في تولك : ذوق لسكنا ، ورؤية لسكنا . فتعلق
 الوجد بعصمة ، وهي منعة وحفظ ظاهر وباطن جذبها صدق خوف من لرب سبحانه ،
 والفرق بين الوجد في هذه الدرجة والتي قبلها ان الوجد في الاولى جذبته صدق
 الرجاء وفي الثانية جذبته صدق الخوف ، وفي الثالثة التي تذكر جذبته صدق الحب ،
 فهو معنى قوله « أو اتلهب شوق جذبته اشتعال محبة » وخدمته التورية في التلهب
 والاشتعال ، والمحبة متى قويت اشتعلت نارها في اقلب فحدث عنها طيب الاشتياق
 الى لقاء الحبيب ، وهذه الثلاثة التي تضمنتها هذه الدرجة وهي الحب والخوف
 والرجاء هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الاولى اما حبه والانفع له ، وهي
 أساس السبوك والسير الى الله ، وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله (أولئك الذين
 يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة - أيهم أقرب . ويرجون رحمة . ويخافون عذابه ،
 ان عذاب ربك كان محذورا) وهذه الثلاثة هي قطب رحى العبودية وعليها دارت
 رحى الاسمال والله أعلم

مكمل

قال (والمعنى الثاني (١) اسم الطريق سالكه بين التلون والتمكن الى
 يتمكن ماهر بسلك الحلال ، وابتعد عن العيب من يشغله في حينه والحال
 بحمله في حينه ، فبالإضافة الى شوقه الى الله ، ويكسر سيرة طوره ، ريبه
 غيره تفرق طوره) هذا معنى هو معنى الثاني من قوله في المنار من معاني الوقت
 عنده ، قوله « اسم الطريق سالك » هو على الاضافة أي طريق عبادة سالك ، قوله

(١) في المتن « الدرجة الثانية » (٢) في ب « يستعمله »

« يسير بين تمكن وتلون » أي ذلك العبد يسير بين تمكن وتلون ، والتمكن هو الانقياد الى أحكام العبودية بالشهود والحال ، والتلون في هذا الموضع خاصة هو الانقياد الى أحكام العبودية بالعلم . فالحال يجمعه بقوته وسلطانه فيعطيه تمكينا ، والعلم يلونه بحسب متعلقاته وأحكامه ، قوله « لكنه الى التمكن ما هو يسلك الحال ويلتفت الى العلم » يعني ان هذا العبد هو سالك الى التمكن مادام يسلك الحال ، ويلتفت الى العلم ^(١) فاما إن سلك العلم والتفت الى الحال لم يكن سالكا الى التمكن ، فالسالكون ضربان : سالكون على الحال ملتفتون الى العلم وهم الى التمكن أقرب ، وسالكون على العلم ملتفتون الى الحال وهم الى التلون أقرب . هذا حاصل كلامه ، وهذه الثلاثة هي المفرقة بين أهل العلم وأهل الحال حتى كأنهم ما غيران وحرابان ، وكل فرقة منهما لا تأنس بالأخرى ولا تعاشرها إلا على الغواص ونوع استكراه ، وهذا من تقصير الفريقين حيث ضعف أحدهما عن السير في العلم وضعف الآخر عن الحال في العلم . فلم يتمكن كل منهما من الجمع بين الحال والعلم . فأخذ هؤلاء العلم وسعته ونوره ورجحوه ، وأخذ هؤلاء الحال وسلطانه وتمكينه ورجحوه ، وصار الصادق الضعيف من الفريقين يسير بأحدهما ملتفتا الى الآخر ، فهذا مطيع الحال ^(٢) وهذا مطيع العلم ، لكن المطيع للحال متى عصي به العلم كان مطيعا محجوبا وان كان له من الحال ما عساه أن يكون ، والمطيع للعلم متى أعرض به عن الحال كان مضيقا منقوصا مشتغلا بالسويداء عن الغاية ، وصاحب التمكن يتصرف علمه في حاله ويحكم عليه فينقاد للحكمة ، ويتصرف بحاله في عند البلاية ، بل يدعو معه ، بل يدعو الى غاية العلم فيجيبه ويلبي دعواته ، فهذه حال كل من هداه الاله ومن استقرأ أحوال الصحابة وجدده كذلك . ان فرق المتأخرون بين الحال والعلم دخل عليهم التخص والحال والله المستعان (يسير بين تمكن وتلون) ويجب من يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرا وإنا ويسئل من يشاء عظمي الله عظيم قدره) فكذلك يجب لمن يشاء علما ولن يشاء حالا ، ويجمع بينهما لمن يشاء بخلي من

(١) استطت هذه الجملة من ن فابتناها من ن

(٢) في ن « الى الحال » وهو غلط

يشاء منهما

قوله « فالعلم يشغله في حين » أي يشغله عن السلوك الى تمكن الحال ، لان العلم متنوع التعلقات فهو يفرق ، والحال يجمع ، فانه يدعو الى الفناء وهناك سلطان الحال ؛ قوله « والحال يحمله في حين » أي يغلب عليه احوال تارة فيصير محمولا بقوة احوال وسلطانه على السلوك فيشتد ^(١) سيره بحكم احوال ، يعني واذا غلبه العلم شغله عن السلوك ، وهذا هو المعهود من طريقة المتأخرين [ان العلم يشغل عن السلوك] ولهذا يعدون السالك من سلك على الحال ملتفتا الى العلم ، وأما على ماقررناه من أن العلم يعين على السلوك ويحمل عليه ويكون صاحبه سالكا به وفيه فلا يشغله العلم عن سلوكه وان أضعف سيره على درب الفناء ، فلاريب ان العلم لا يجمع الفناء ، فالفناء ليس هو غاية السالكين الى الله بل ولا هو لازم من لوازم الطريق وان كان عارضا من عوارضها يعرض لغير السلك — كما تقدم تقرير ذلك — فيينا ان الفناء الكامل الذي هو الغاية المطلوبة للفناء عن محبة ماسوى لله وارادته فيفنى بمحبة الله عن محبة ماسواه ، وبارادته ورجائه والخوف منه والتوكل عليه والابانة اليه عن ارادة ماسواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، وهذا الفناء لا ينافي العلم بحال ، ولا يشغل عن العلم ولا يحول بين العبد وبينه ، بل قد يكون في أغلب الاحوال من أعظم أعوانه ، وهذا أمر غفل عنه أكثر المتأخرين بحيث لم يعرفوه ولم يسلكوه ، ولكن لم يخجل الله الارض من قائم به داع اليه

قوله « فبلاؤه بينهما » أي عذابه وألمه بين داعي الحال وداعي العلم ، فإيمانه يحمله على اجابة داعي العلم ، ووارده يحمله على اجابة داعي الحال ، فيصير كالفرير بين مطالبين ، كل منهما بطالبه بحقه وليس بيده الا ما يتقضي أحدهما ، وقد عرفت ان هذا من الضيق والافع السعة يوفي كلا منهما حقه .

قوله « يذيقه شهوداً طوراً » أي ذلك البلاء الحاصل بين الداعيين يذيقه شهوده طوراً ، وهو الطور الذي يكون الحاكم عليه فيه هو العلم
قوله « ويكسوه عبرة طوراً » الظاهر انه عبرة بالباء الموحدة والعين ، أي اعتبارا

بأفعاله واستدلالا عليه بها ، فانه سبحانه دل على نفسه بأفعاله ، فالعلم يكسو صاحبه اعتبارا واستدلالا على الرب بأفعاله

ويصح أن يكون عبرة بالعين المعجمة ^(١) والياء المشاة من تحت ومعناه ان العلم يكسوه عبرة ^(٢) من حجابته عن مقام صاحب اسأل ، فيعار من ^(٣) احتجابه عن اسأل بالعلم وعن العيان بالاستدلال وعن الشهود الذي هو مقام الاحسان بالايمن الذي هو ايمان بالغيب

قوله « ويريه عبرة تفرق طورا » هذا بالعين المعجمة ليس الا ، أي ويريه العلم عبرة تفرق في أوديته فيفرق بين أحكام انزال وأحكام العلم وهو حال صحو وتميز . وكان الشيخ رحمه الله يشير الى ان صاحب هذا المقام يغار تفرقه ^(٤) من جمعيته على الله . ففسه تفر من الجمية على الله الى تفرق العلم ، فانه لا أشق على النفوس من جمعيتها على الله ، فهي تهرب من الله الى الخال تارة وتلى العمل تارة والى العلم تارة ، هذه نفوس السالكين الصادقين ، وأما من ليس من أهل هذا الشأن فنفسهم تفر من الله الى الشهوات والراحات ، فأشق ما على النفوس جمعيتها على الله وهي تناشد صاحبها أن لا يوصلها اليه وان يشغلها بما دونه ، فان حبس النفس على الله شديد وأشد منه حبسها على أوامره وحبسها عن زاهيه ، فهي دائما ترضيك بالعلم عن العمل وبالعمل عن الخال وبالخال عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر لا يعرفه الا من شد منزر سيره الى الله وعلم ان كل ما سواه فهو قاطع عنه

وقد تضمن كلامه في هذه الدرجة ثلاث درجات - كما أشار اليه - : درجة الخال ، ودرجة العلم ، ودرجة التفرقة بين الخال والعلم ، وهذه الثلاث درجات ^(٥) هي المختصة بالمعنى الثاني من معاني الوقت والله أعلم

(١) في ب زيادة « بالعين المعجمة » (٢) وفيها « عبرة » (٣) وفيها « فيعار »
 حتما احتجابه « الخ (٤) وفيها « تفرقه » (٥) كان الظاهر أن يقال : الثلاث
 الدرجات

فصل

قال **المعنى الثالث** ^(١) قالوا: الوقت الحق . أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق : وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي لكنه اسم ^(٢) في هذا المعنى الثالث حين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا . وهو فوق البرق والوجد ، وهو يفارق ^(٣) مقام الجمع او دام وبقي ، ولا يبلغ وادي الوجود لكنه يلقي ^(٤) مؤنة المعاملة ، ويصفي عين المسامرة ، ويشم روائح الوجود . هذا المعنى الثالث من معاني الوقت أخص مما قبله وأصعب تصورا وحصولا ، فان الاول وقت سلوك يتلون ، وهذا وقت كشف يتمكن ، ولذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قاب صاحبه ، فلا يحس برسم الوقت بل يتلاشى ذكر وقته من قلبه لما قهره من نور الكشف

فقوله « قالوا الوقت هو الحق » يعني ان بعضهم أطلق اسم الحق على الوقت ، ثم فسر مرادهم بذلك وانهم عنوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، ومعنى هذا ان السالك بهذا المعنى الثالث اذا شهد استغراق وقته في وجود الحق يتلاشى عنه وقته بالكليّة ، وتقريب هذا الى الفهم انه اذا شهد استغراق وقته الحاضر في ماهية الزمان فقد استغرق الزمان رسم الوقت الى ما هو جزء يسير جدا من أجزائه ، وانغم فيه كما تنغم القطرة في البحر ، ثم ان الزمان المحدود الطرفين يستغرق رسمه في وجود الدهر وهو ما بين الأزل والابد ، ثم ان الدهر يستغرق رسمه في دوام الرب جل جلاله ، وذلك الدوام هو صفة الرب ، فهناك يضمحل الدهر والزمان والوقت ولا يبقى له نسبة الى دوام الرب جل جلاله البتة ، فاضمحل الزمان والدهر والوقت في الدوام الإلهي كما تضمحل الانوار المخلوقة في نوره ، وكما يضمحل علم الخلق في علمه وقدرهم في قدرته وجمالهم في جماله وكلامهم في كلامه ^(٥) بحيث لا يبقى للمخلوق

(١) وفي المتن « الدرجة الثالثة » (٢) وفيه « لكنه هو اسم » (٣) وفيه وفيه « يشارف » وهو الصواب (٤) وفيها وفيه « يكفي » (٥) لعل الاصل : وكلامهم في كماله

نسبة ما الى صفات الرب جل جلاله

والتقوم اذا أطلق أهل الاستقامة منهم [ما في الوجود الا الله] أو [ما ثم موجود على الحقيقة الا الله] أو [هناك يفتى من لم يكن ويبقى من لم يزل] ونحو ذلك من العبارات ، فهذا مرادهم لاسيما اذا حصل هذا الاستغراق في الشهود كما هو في الوجود ، وتغلب سلطانه على سلطان العلم ، وكان العلم ^(١) مغمورا بوارده ، وفي قوة التمييز ضعف وقد توارى العلم بالشهود وحكم انزال ، فهناك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، وتزل أقدام كثيرة الى الضييض الأدنى ، ولا ريب ان وجود الحق سبحانه ودوامه يستغرق وجود كل ماسواه ووقته وزمانه ، بحيث يصير كأنه لا وجود له ، ومن هنا غلط القائلون بوحدة الوجود وظنوا انه ليس لغيره وجود البتة ، وغرهم كلمات مشتبهات جرت على السنة أهل الاستقامة من الطائفة فجعلوها عمدة الكفرهم وضلالهم ، وظنوا أن السالكين سيرجعون اليهم وتصير طريقة الناس واحدة (ويأبي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

قوله « وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي » يريد ان الحق سابق ^(٢) على الاسم ^(٣) الذي هو الوقت ، أي هو منزعه عن أن يسمى بالوقت فلا ينبغي إطلاقه عليه ، لأن الأوقات حادثة

قوله « لكنه اسم في هذا المعنى الثالث حين تتلشى فيه الرسوم كشفا لاوجودا محضاً » تتلشى الرسوم اضمحلالها وفنائها ، والرسوم عندهم ماسوى الله ، وقد صرح الشيخ انها إنما تتلشى في الكشف لافي الوجود العيني الخارجي ، فان تلاشيها في الوجود خلاف الحس والعيان ، وإنما تتلشى في وجود العبد الكشفي بحيث لا يبقى فيه سعة الاحساس بها لما استغرقت من الكشف ، فهذه عقيدة أهل الاستقامة من القوم

وأما الملاحدة أهل وحدة الوجود فمندهم انها لم تزل متلاشية في عين وجود الحق ، بل وجودها هو نفس وجوده ، وإنما كان الحس يفرق بين الوجودين فلما

(١) في ب « وكان القلب » (٢) وفيها « سبحانه » بدل « سابق » وهو غلط

(٣) وفيها « هذا اسم » الخ

غاب عن حسه بكشفه تبين ان وجودها هو عين وجود الحق ، ولكن الشيخ كأنه عبر بالكشف والوجود عن المقامين اللذين ذكرهما في كتابه ، والكشف هو دون الوجود عنده ، فان الكشف يكون مع بقاء بعض رسوم صاحبه فليس معه استغراق في الفناء ، والوجود لا يكون معه رسم باق ، ولذلك قال « لا وجودا محضا » فان الوجود المحض عنده يقبى الرسوم ، وبكل حال فهو يفهمها (١) من وجود الواجد لا يفهمها في الخارج

وسر المسئلة ان الواصل الى هذا المقام يصير له وجود آخر غير وجوده الطبيعي المشترك بين الموجودات ، ويصير له نشأة أخرى لقلبه وروحه نسبة النشأة الحيوانية اليها كنسبة النشأة في بطن الام الى هذه النشأة المشاهدة في العالم ، وكنسبة هذه النشأة الى النشأة الأخرى

فلاعبد أربع نشآت : نشأة في الرحم حيث لا بصير يدركه ولا يد تناله ، ونشأة في الدنيا ، ونشأة في البرزخ ، ونشأة في المعاد الثاني ، (٢) وكل نشأة أعظم من التي قبلها ، وهذه النشأة للروح والقلب أصلا ، وللبدن تبعاً ، فالروح في هذا العالم نشأتان (احدهما) النشأة الطبيعية لمشاركة (والثانية) نشأة قلبية روحانية بولد لها قلبه وينفصل من مشيمة طبعه ، كما ولد بدنه وانفصل من مشيمة البطن ، ومن لم يصدق بهذا فليضرب عن هذا صفحا وليشتغل بغيره . وفي كتاب الزهد للإمام أحمد ان المسيح عليه السلام قال للحواريين : إنكم ان تلجوا ملكوت السماء حتي تولدوا مرتين . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : هي ولادة الارواح والقلوب من الابدان وخروجها من عالم الطبيعة كما ولدت الابدان من البدن وخرجت منه ، والولادة الأخرى هي الولادة المعروفة والله أعلم

قوله « وهو فوق البرق والوجد » يعني ان هذا الكشف الذي تلاشت فيه الرسوم فوق منزلي البرق والوجد ، فانه أثبت وأدوم ، والوجود فوقه لانه يشعر بالدوام ؛ قوله « وهو يشارف مقام الجمع لو دام » أي نودام هذا الوقت لشارف مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق سبحانه وتعالى شغلا به عن غيره فهو

(١) وفيها « ينشئها » وهو غلط (٢) كلمة الثاني من زيادة ب

١٢٠ المسامرة هي المناجاة. استفتاء ادباء العصر في بيت من الشعر [المنار : ج ٢ م ١٨]

جمع في الشهود . وعند الملاحدة هو جمع في الوجود ، ومقصوده انه لو دام الوقت بهذا المعنى الثالث لشارف حضرة الجمع لكنه لا يدوم .

قوله « ولا يبلغ وادي الوجود » يعني ان الوقت المذكور لا يبلغ السالك فيه وادي الوجود حتى يقطعه ، ووادي الوجود هو حضرة الجمع ، قوله « لكنه يلقي مؤنة المعاملة » يعني ان الوقت المذكور وهو الكشف المشارف لحضرة الجمع يخفف عن العامل اثقال المعاملة مع قيامه بها اتم القيام بحيث تصير هي الحاملة ، فانه كان يعمل على الخبر فصار يعمل على العيان ، هذا مراد الشيخ . وعند الملحد انه يفني عن المعاملات الجسائية ، ويرد صاحبه الى المعاملات القلبية ، وقد تقدم اشباع هذا المعنى قوله « ويصفي عن المسامرة » المسامرة عند القوم هي الخطاب القلبي الروحي بين العبد وزبه ، وقد تقدم ان تسميتها بالمناجاة أولى ، فهذا الكشف يخلص عن المسامرة من ذكر غير الحق سبحانه ومناجاته

قوله « ويثم رائحة الوجود » أي صاحب مقام هذا الوقت الخاص يشم رائحة الوجود وهو حضرة الجمع فانهم يسمونها بالجمع والوجود ، ويعنون بذلك ظهور وجود الحق سبحانه وفناء وجود ماسواه . وقد عرفت ان فناء وجود ماسواه باحد اعتبارين : إما فناؤه من شهود العبد فلا يشهده ، وإما اضمحلاله وتلاشيه بالنسبة الى وجود الرب ، ولاتلفت الى غير هذين المعنيين فهو الحاد وكفروا لله المستعان ؟

استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر

ذهب ذاهب بل كتب كاتب يقول في البيت المشهور الجامع اميوب الخطيب في أول كتاب البيان والتبيين للجاحظ

جديرٌ ببهيرٍ والتفاتٍ وسعلةٍ ومسحةٌ عُشونٍ وفتلٍ الاصابع

: إن ضبط التفتات وما عطف عليه بالجر غلط صوابه الرفع فيها كلها على ان

« التفتات » مبتدأ حذف خبره وما بعده معطوف عليه . فان كان يوجد أحد يميز

فهمه وذوقه للغة هذا الضبط فليفضل ببيان ذلك لنا ؟

عَلَيْهِ السَّلَامُ

دُرَرُ الدِّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

والحق أن الاعصاب كلها تربط أجزاء الجسم بعضها ببعض كما تربط أسلاك
التلغراف بعض الممالك ببعض الآخر

٤

﴿ تذييل لما تقدم ﴾

في الارادة والروح والقوى العقلية

قلنا إن سبب حركة القلب لا يعلمه أحد إلا الله تعالى ، فهي من الخواص
التي وهبها له ، وكذلك وهب مثل هذه الحركة الذاتية للخلايا ذات الاهداب
المبطنة لبعض الاغشية كالشعب الرئوية، وللخلايا المتحركة ككريات الدم البيضاء
وغيرها ، ولكن هناك فرقا بين حركة هذه وتلك ، فان حركة الكريات لانظام
لها بخلاف حركة الاهداب فانها في غاية النظام، وسريعة جدا، وهي في انتظامها تشبه
انتظام ضربات القلب . فكل هذه الخلايا تتحرك حركة ذاتية لا يعلم لها سبب
مطلقا، وإن كان للبيئة تأثير فيها يمثل الزيادة أو النقصان، ولكن نفس الحركة كأنها
بارادة هذه الخلايا احيية . واخفق أنها من أعظم مظاهر إرادتها وحياتها، وهي عامة
في كل الخلايا ، نباتية كانت أو حيوانية ، ولكنها تكون أظهر في بعضها من البعض
الآخر أو تكون كامنة فيه ، وهي أدل على إرادة بعضها من بعضها

وهي كون هذه الحركة بارادة الخلية أنها من عملها الذاتي الذي لا يظهر أن
للبيئة تأثيرا في إيجاده وإنشائه ، فمثلا تشاهد الكريات البيضاء أو بعض الميكروبات
تتحرك في السائل الواحد ثم تسكن ثم تتحرك بدون أي سبب خارجي وأحيانا

تتجه الى جهة ثم تعدل عنها الى غيرها وهكذا ، أي إن عملها يختلف في البيئة الواحدة ، ولا معنى للارادة سوى هذا

وكذلك المخ قد يبدأ العمل ثم يتركه بدون أي سبب خارجي لا في الحال ولا في الماضي بحسب ما نعلم ، بل بمحض الارادة والاختيار ، وان عارض ذلك كثير من الفسيولوجيين

فالحق أن الارادة وحرية العمل هي أكبر خواص الاحياء وهي أعظم ما يميزها عن الجماد ، وأما زعم بعضهم أن الاعمال كلها ليست إلا أفعالا منمكسة فهو لا يمكن اثباته ، وما هذا الزعم إلا أثر من آثار التعاليم المادية في نفوسهم

هذا ولما كانت حياة الجسم كله متوقفة على حياة القلب فلا يبعد أن تكون الروح شيئاً مستقراً فيه ، ولا يبعد أن تكون من عالم الاثير ، ويموت القلب تفصل عنه . ولا نقول ان الخلايا الاخرى حية بغير شي ، كذا ، بل نقول ان حياة القلب أروحه هي أكبرها وأعظمها ، ولذلك قلنا ان روحه هي روح الانسان لأن عليها مدار حياته ، فهي الروح الرئيسة وغيرها تابع لها

واعلم ان القشرة السنجابية للمخ هي مركز الشعور العام والارادة والتعقل وان كان لكل الخلايا الحية مثل هذه الصفات إلا أنها فيها في الحالة الاثرية ، كما أن الانتقباض هو من خواص الخلايا الحية كلها ولكنه في خلايا العضلات أظهر منه في غيرها ، وهكذا يقال في سائر الخواص الاخرى للحياة

وهناك علاقة كبرى بين قوة المخ فيما ذكر وبين حجمه ، واذا قارنا وزنه بوزن الجسم كله وجدنا أن مخ الانسان أكبرها بالنسبة الى جسمه . أما أكبر المنحاج على الاطلاق فهو مخ النيل واخوت

ثم إنك تجد أن مخ الذكي أثقل من مخ البليد والابله ، ومخ الرجل أثقل من مخ المرأة ، وقل مثل ذلك في الراقي في العلم والادب مع المنحط ، الا ما يستثنى من ذلك وكذلك كثرة التلافيف في القشرة السنجابية وتعدد تعاريجها وعمق الميازيب التي بينها كلها أشياء تختلف باختلاف القوى العقلية فهي تكثر في الانسان وتقل أو تعدم في الحيوانات التي هي دونه رقياً . وعند ولادة الطفل يكاد المخ يكون غفلامها

ثم تكثر الى زمن شباب ونسكوبه وبعده تقل تدريجيا حتى تقارب في ارنذل
العمر شكل مخ الاظفار

ويلى مخ الانسان في كثرة التلافيف وتعقدتها مخ بعض أنواع القرود
ففي المخ روح الادراك والشعور وفي القلب روح الحياة ، ولا يبعد أنهما
أجزاء من روح واحدة. وهذه الروح في الاحياء ذات الخلية الواحدة (وتسمى الاولى)
وزعة على جميع أجزائها بالتساوي وكما ارتقمنا في سلم الاحياء وجدنا أنهامبرعة على
الجسم بدرجات متفاوتة كما ترى في الانسان، والله أعلم (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

المجموع الدوري للدم

ليس الدم في أجسام الحيوانات واقفا بل هو دائر فيها والله في ذلك
حكمتان رئيستان ، عليهما مدار حياة حيوان :

(أولهما) توزيع المواد الغذائية وغيرها كالأدوية على جميع أجزاء الجسم
وكذلك توزيع الأوكسجين الذي هو ضروري للاحتراق الداخلي (التفاعل الحيوي)
(وثانيهما) جمع جميع المواد الملوثة عن تمددنا الحيوي الى الألف مختلفة
خراجها من جسم الحيوان لتتخلص منه الكائنات الحية .

كسيدة مخيم في عين كالحجر على قوما
ولاعضاء الخلية جزيئة لدهي قلب وشرائح ولاءعية شعرة تولاورة
القلب فوجيم مع ذلك في موضوع في الصدر بين رئين من
الجزء في رئين من الألف في الألف في الألف في الألف في الألف
مخ الألف في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف
في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف
أديين والأخريين في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف

أما الألف في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف
في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف في الألف

ومن البطين الايمن يخرج شريان كبير يحمل الدم الى الرئتين
وفي جُدُر الأذنين الأيسر أربع فتحات لأربعة أوردة: اثنان منها آتيان من
الرئة اليمنى، واثنان من الرئة اليسرى

ومن البطين الايسر يخرج شريان عظيم يسمى بالافرنجية Aorta
(أورطي) وبالعربية الأبهري وهو أكبر شريان في الجسم يحمل الدم في فروعه
الى جميع أجزاء الجسم

وبين الاذنين الايمن والبطين الايمن فتحة لها صمام (غطاء) يسمح
بمرور الدم من الاولى الى الثانية ولا يسمح بالعكس

وبين الاذنين الايسر والبطين الايسر فتحة لها صمام أيضا ولكنها أصغر من
الفتحة المتقدمة ووظيفتها كوظيفة تلك

وكل من الشريان الرئوي والأبهري له ثلاث صمامات تسمح بمرور الدم من
القلب الى الشريان ولا تسمح بالعكس

وأعظم أمراض القلب هي التي ينشأ عنها تلف هذه الفتحات بحيث تضيق
عن المعتاد أو تسمح برجوع الدم الى عكس المجرى الطبيعي

والقلب ينقبض من أعلى الى أسفل فينقبض أولا الاذنان فيندفع الدم منهما
الى البطينين . ثم ينقبض البطينان فيندفع الدم منهما الى الشريان الرئوي من الجهة
اليمنى للقلب، ويندفع الدم الى الأبهري من الجهة اليسرى للقلب

وإذا اجتمع الدم الفاسد في الاوردة سار الى الاجوف الاعلى والاجوف
الاسفل وانصب في الاذنين الايمن ومنه الى البطين الايمن ومنه الى الشريان

الرئوي فالرئتين لينصلح هناك (بمخرج ثاني أكسيد الفحم منه ودخول
أكسجين فيه من الهواء) ثم يعود الدم من الرئتين في الاوردة الاربعة التي تصب

في الاذنين الايسر ومن الاذنين الايسر يندفع الدم الى البطين الايسر ومنه الى
الأبهري (الأورطي) ومن الأبهري يوزع على جميع أجزاء الجسم كافة فيحمل اليها

دما صالحا. وتنتهي جميع فروع الأبهري بعروق دقيقة جدا يتصل بعضها ببعض كشبكة
وهذه العروق هي المسماة بالشعرية تشبها لها بالشعر وينشأ منها أوردة صغيرة

(وهي العروق التي يتجمع فيها الدم الفاسد بعد مروره على جميع أجزاء الجسم ولونه أسود) وهذه الأوردة الصغيرة يجتمع بعضها ببعض فيتألف منها أوردة أكبر فأكثر حتى تنتهي إلى الأجوف الأعلى والأجوف الأسفل وهما أعظم وريدين في الجسم ومن ذلك يعلم أن الشريان هو العرق الخامل للدم الصالح، والوريد هو العرق الخامل للدم الفاسد، وهذه التسمية صحيحة في الجسم كله ماعدا الشريان الرئوي فإنه يحمل دما فاسداً، وماعدا الأوردة الأربعة الرئوية فإنها تحمل دما صالحاً، ولذا رأى المشرحون تعريفاً آخر أصح، وهو أن الشريان هو كل عرق يحمل الدم الخارج من القلب، والوريد كل عرق يحمل الدم الذاهب إلى القلب بقطع النظر عن صلاحه أو فساده

وهما تقدم يعلم أن الدم في دورته في الجسم كله لا يخرج مطلقاً عن العروق (الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة) إلا إذا أصابها حادث تمزقت بسببه فيخرج إذاً منها وينسكب حولها ويسمى ذلك بالرض أو الكدم^(١) وهو الزرقه التي تشاهد في الجسم عند ضربه أو اصطدامه بجسم صلب ويستثنى من ذلك موضعان ليس فيهما أوعية شعرية فيسير الدم من الشرايين إلى تجاويف فيهما ومنها إلى الأوردة وهما الذكركر والطحال، وانصباب الدم في هذه التجاويف بكثرة في الذكركر تحدث انتصابه

أما الأشياء الصالحة التي في الدم فتخرج مع مائة أدم من خلال جدار الأوعية الشعرية لتغذية جميع خلايا الجسم وأما الكريات الدموية فهي التي تبقى دائماً في داخل العروق إلا في الأحوال الاستثنائية . والمواد المائية الخارجة من الأوعية الشعرية تفعل ذلك بطريقة الاسموز الذي سبق بيانه في علم الطبيعة

عدد ضربات القلب والنبض

الملاحظات قلب الإنسان تبلغ في الدقيقة الواحدة نحو ٧٠ أو ٧٢ مرة في الذكر،
 «١» الرض لغة الدق والكدم العض، وفي اصطلاح أطباء هذا العصر يطلق الأول على العرق تحت الجلد من الأوعية الكبيرة والثاني عليه من الأوعية الصغيرة

وتنمو ٨٠ في الأنثى، وهي في الأجنة والأطفال أكثر منها في غيرهم، وتقل في الشيوخ، وقد تزيد هذه الانقباضات في كثير من الأحوال كما في الخوف الشديد وفي الحيات وغير ذلك، وقد تكون هذه الانقباضات أو ضربات قليلة في بعض الأشخاص بدون مرض، وهي تضعف في بعض الأمراض وخصوصاً قبيل الموت. والدورة الدموية تتم في أقل من نصف دقيقة

وكما انقبض القلب تدفع الدم منه إلى الشرايين فيحدث فيها امتلاء فجائياً وهو يسمى بالنبض وهو الذي يحسه الأطباء فوس الرسع وغيره لمعرفة حالة ضربات القلب، والنبض لا يشعر به عادة في الأوردة لأن قوة الضغط إذا وصلت إلى الأوعية الشعرية التي بين الشرايين والأوردة تكون قد قلت حتى لا يشعر الإنسان في الأوردة بضغط جديد متكرر كما في الشرايين. وعدد مرات النبض في الشرايين تعادل تماماً مرات ضربات القلب وتحدث بعدها مباشرة إلا أنها في الشرايين البعيدة تتأخر فترة قصيرة جداً عن ضربات القلب

الدم

يوجد في جسم الإنسان عادة من وزن جسمه دمه، فيكون التقدير الذي في جسمه تكون المعتمد من ذلك أنثى من الدم. وهو سائل أحمر اللون غليظ يتركب من كريات حمراء من قسمين: الأول كريات، والثاني ماء الدم وهو المسمى البلازمية (Plasma)

الكريات فهي نوعان: كريات حمراء وهي عبارة عن غشاء رقيق ممتلئ بمادة حمراء اللون من مادة من الحديد تسمى «الهيموجلوبين» ويختلف شكل هذه كريات الحمراء باختلاف الحيوانات، ففي ذوات الثدي تكون أقراصاً مستديرة مغطاة بغطاءين ولا تماثل الماء، بعد الجمال فإن كراتها محدبة من الجانبين وهو يفرق الحديد بيننا وبين الحيوانات الأخرى الثديية

أما في الطيور والزواحف والأسماك وذوات الحيات وهي التي تعيش في الهواء والماء^(١)

(١) تسمى باليونانية وغيرها Amphibia ومعنى Amphibi «كلتا» Bios

«حياة» وهي تعيش في البر والبحر

كالضفادع فكرياتها جميعا بيضاوية الشكل محدبة من الجانبين ولها نواة. وحجم هذه الكريات كلها يختلف باختلاف الحيوانات . وأعظم منشأ للكريات الحمراء هو العظام الاسفنجية كما سبق وخصوصا عظام الضلوع وهي أهم مصدر لها وأما الكريات البيضاء فهي خلايا حيوية ولها نواة واحدة أو أكثر وحركة ذاتية بحيث يمكن أن تنتقل من مكان الى مكان بنفسها ، وهي تنشأ من الغدد اللعابية ونحوها كالطحال. وأعظم وظيفة لها أنها تقتل الميكروبات وتأكلها فتتقي الدم منها فإذا أصاب جزءا من الجسم عارض أحدث فيه التهابا ودخل فيه بعض الميكروبات أسرعت هذه الكريات البيضاء اليها فالتقتها وقتلتها فان تغلبت الميكروبات مرض الجسم وان نجحت الكريات في قتلها وقت الجسم من شر هذه الميكروبات، وما يموت منها في أثناء هذا القتال يتجمع في موضع الالتهاب مختلطا بغيره ويسمى بالمدة أو الصديد، فأكثر كريات المدة عبارة عن شهداء هذي الحرب أي كرات بيضاء ميتة أما عدد الكريات الحمراء في الجسم فهو ٥ ملايين كرية في كل مليمتر مكعب من الدم تقريبا، وأما البيضاء فهي من سبعة آلاف الى عشرة . وسيأتي في فصل النفس الكلام على وظيفة الكريات الحمراء

وإذا خرج الدم من المروق تجمد، وتجمده يحصل هكذا :
 يفصل من مائة الدم مادة تسمى الفبرين أو الليفين لأنها كخيوط الليف فتحيط هذه الالياف بالكريات البيضاء والحمراء وتنقبض عليها وتكون الجزء المتجمد الذي يسمى بالعريية المعلقة^(١) (Clot) وما بقي من ماء الدم يسمى المصل وفي الدم مواد زلالية وسكر (جلوكوز) وأملاح عديدة ومواد دهنية وماء وغير ذلك، أما مائة الدم اذا خفت بماء أكثر أو قل زلالتها فتسمى اللف ومما تقدم يعلم أن الدم في دورته يحمل معه جميع المواد المفيدة التي يحتاجها الجسم، وكذلك يأخذ معه من الجسم المواد التالفة التي تخلفت عن الاحتراق الجنائي ليوزعها على الاعضاء المختصة باخراجها من الجسم كالجلد والكليتين . وأهم هذه

« ١ » يسمى أول طور من أطوار الجنين أيضا بالمعلقة لأنه مركب من عدة خلايا « كريات » ناشئة من انقسام البويضة وتكون قطعة جامدة كعلقة الدم

المواد التالفة البولينا وحامض البوليك والكرياتينين وغير ذلك

حكم تحريم شرب الدم في الشرائع الالهية

(أولها) أن الدم عسر الهضم جدا حتى انه اذا انصب جزء منه في المعدة تقاياه الانسان أو يخرج مع البراز بدون هضم على صورة مادة ازجة سوداء والسبب في عسر هضمه هذا هو وجود المادة الحمراء الحديدية التي فيه . وفي أثناء مرور الدم في القناة الهضمية يتحلل ويتعفن وبذلك يضر الجسم أيضا . ومثله عسر هضمه المذكورة هنا مشاهدة كثيرا كلما انصب دم في المعدة بسبب جرح أو غيره

(ثانيا) أن الدم - كما سبق - يحمل كثيرا من المواد المتخلفة عن الجسم وهي فضلات له فلا يصح اعادتها اليه مع أن الطبيعة اقتضت خروجها منه ، نعم قيل أن البولينا نافعة في السل الرئوي ولكن ذلك لم يثبت الى الآن وهي ليست موجودة وحدها بل معها أشياء أخرى ضارة

[ولعله اذا ثبت ان البولينا نافعة يكون ذلك احد أسباب شرب العرب بول الإبل وهو يختلف بعض الاختلاف عن بول الحيوانات آكلة اللحم فهذا ربما كان نافعا في بعض الامراض كما ورد في بعض الاخبار النبوية

وأعظم اختلاف بين هذا البول وبين الابوال الاخرى أنه هو وغيره من أبوال آكلات النباتات قلوي التأثير مشتمل على كثير من الكربونات وهي لاشك نافعة للمعدة وغيرها ، مدرة للبول]

(ثالثها) انه في كثير من الامراض العفنة المعدية يوجد في الدم ميكروبات ضارة جدا وكذا سمومها القتالة فانها تدور في الدم . فان قيل لم لا يطبخ الدم ويؤكل بعد قتل هذه الميكروبات بالغلي ؟ قلت (١) إن الغلي يجمد جميع المواد الزلالية التي في الدم وبذلك تصير أشد عسرا مما كانت (٢) إن من هذه السموم ما لا يتغير بالغلي تغيرا يجعلها صالحة للجسم (٣) إن بعض الميكروبات اذا تجمد ، احوها من المواد الزلالية التي في الدم وقتها من فعل النار لانها موصلة رديئة للحرارة ، وأيضا فان حبيبات (أي بزور) الميكروبات تقاوم درجة الغليان بضع دقائق فاذا لم تمت تمت في جسم آكل الدم وأمراضه

أما حقن دم الحيوان في وريد الانسان ففيه أنه قد ينقل المرض اليه، أو يجمد الدم في عروقه، فان اتقينا هذا وذلك بالطرق العلمية انحلت كريات الدم الحمراء لاختلاف كثافة الدمين ولغير ذلك ونزلت حمرة الدم في البول وذلك ضياع له .
ولذلك لا يحقن الاطباء الآن الدم ويحقنون عادة محلول ملح الطعام. على أن حقن الدم خارج عن موضوع التحريم

الامف والاعوية للمفاوية

اذا خرجت مائة الدم من الاعوية الى أنسجة الجسم عادت الى الدم ثانية بطريق الاعوية للمفاوية وهذه الأوعية عبارة عن قنوات دقيقة شعرية منتشرة في جميع أجزاء الجسم وفيها صمامات عديدة فتحمل جميع مائة الدم التي خرجت منه وتميدها اليه

أما هذه المائة المخففة^(١) والمائة لجميع أجزاء الجسم فهي المسماة (بالمادة للمفاوية) و« لمفا » كلمة لاتينية معناها الماء

وجميع الاعوية للمفاوية التي في الذراع الايمن ونصف الصدر الايمن وما حوى ونصف الرأس والعنق الايمن وأعلى سطح الكبد كلها تجتمع وتصب في قناة واحدة تسمى « القناة للمفاوية اليمنى » وهذه تصب في أحد الاوردة التي في داخل الصدر من أعلى الجانب الايمن

أما الاعوية للمفاوية الباقية فتصب في قناة أخرى عظيمة تسمى « القناة الصدرية » وهي أيضا تصب في أحد الاوردة في أعلى الصدر من الجهة اليسرى ويوجد في طريق جميع هذه الاعوية للمفاوية غدد من مادة مخصوصة تسمى « الغدد للمفاوية » ووظيفتها تكوين كريات بيضاء للدم وتصفية جميع المادة للمفاوية المارة بها من كل ما فيها من الميكروبات وغيرها ، فاذا أصاب أحد أصابع اليد جرح مثلا فسد بسبب وجود ميكروبات فيه أحس الانسان بانتفاخ وألم في إبطه ،

(١) نظرا لسرمرور المواد الزلالية خلال الاغشية بطريق الاسموز - كما سبق بيانه - كانت هذه المائة مخففة لقلة الزلال فيها لذلك السبب

وذلك ناشئ من كبر حجم هذه الغدد وانفعالها انفعالا شديدا لقتل الميكروبات الواصلة اليها ، فان تغلبت عليها والاتحو لت الى خراج بسبب موت كثير من السكريات البيضاء التي فيها من عراكها مع الميكروبات كما سبق وهذه المادة اللمفاوية تندفع نحو القلب بسبب ضغط المواد اللمفاوية المتجمدة خلفها ، و بسبب حركات العضلات ، وأيضا بسبب انقباض بعض هذه الاوعية اللمفاوية على ما فيها وغير ذلك . ويمنع رجوع هذه المادة الى الانسجة ما في هذه الاوعية من الصمامات العديدة

ويوجد في بعض الحيوانات التي تحت رتبة الانسان (وهي الواطئة) كالضفادع . مثلا قلوب لتحريك هذه المادة اللمفاوية كقلب الدم الموجود في الانسان وغيره

دم الحيض

ينشأ دم الحيض من تمزق في أوعية الدم الموجودة في الغشاء المخاطي المبطن للرحم في كل شهر قمرى مرة على الغالب ويختلط هذا الدم في أثناء نزوله بمواد مخاطية وأحماض وغير ذلك من مفرزات الرحم وغيره . ولا يعلم سبب هذا التمزق الشهري الى الآن . ومن ذلك يفهم انه ليس دما صافيا تقيا بل مختلطا بمفرزات الرحم والمبيضين وغيرهما . وتأثيره في ورق عباد الشمس يدل على حموضته وإنما حرم الجماع في زمن الحيض للاسباب الآتية : —

- (١) إن تهيج أعضاء الاثنى بالجماع في هذا الوقت قد يحدث احتقانا فالتهابات رحمة أو مبيضية أو حوضية تضر بصحتها ضرارا بليغا . وربما نشأ عن هذا الالتهاب تلف في المبيضين أو مجاري البيوضة يؤدي الى العقم . وأيضا فان تعريض الاثنى للهواء في هذا الوقت يضر بأعضائها الداخلية وقد يحدث فيها التهابا
 - (٢) إن دخول مواد الحيض في مجرى قضيب الرجل قد يحدث فيه التهابا صديديا في بعض الاحيان ، وهذا الالتهاب يشبه السيلان ، وقد يمتد الى الخصيتين فيؤذيها وربما نشأ عن ذلك أيضا عقم الرجل
- فجملة القول ان الجماع في الحيض قد يحدث عقما في الذكر والاثنى ويؤدي الى

التهاب أعضائهما الذي يفسد صحتهما . وكفى بذلك ضررا . ولذلك تجد أطباء العالم المتشدن الآن يهونون عن الجماع في ذلك الوقت كما نهى القرآن عنه فإنه لاشك أذى للرجل والائتى

النزف والنزيف

النزف معناه خروج الدم من أوعيته (الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة) والنزيف هو الدم المنزوف . والنزف ثلاثة أنواع : —

(١) نزف الى خارج الجسم كأن ينصب الدم على الارض مثلا
 و (٢) نزف في تجاويف الجسم كأن ينصب في البطن
 و (٣) نزف في داخل الانسجة كأن ينصب تحت الجلد أو في العضلات
 وهذا النوع الاخير هو المسمى بالرض أو الكدم كما سبق
 وسبب النزف هو تمزق العروق بسبب ما كحادث يقطع العرق أو مرض
 يفجره كالدرن أو الزهري أو مرض القلب

أما النزيف الذي يكون خارج الجسم أو في تجويف من تجاويفه فالغالب أنه ينتهي بالموت اذا كان غزيرا بشرط أن لا يعوقه عائق يسد العرق الذي يخرج منه الدم ، ففي هذه الحالة لا يموت الشخص وإنما يصاب بدوار شديد واصفرار . وبعد ذلك تعود اليه صحته شيئا فشيئا كما تجدد دم بدل الجزء المفقود

وأما النوع الثالث وهو الذي ينسكب في أنسجة الجسم فهذا في الغالب لا يورث ضررا كبيرا لان كمية الدم تكون عادة قليلة بسبب ممانعة أنسجة الجسم للنزيف ، وقد يحدث في مكان الدم خراج

أما في الحالة الاولى والثانية فاذا فقد دم كثير من الجسم اشتد الدوار والاصفرار كما قلنا، ويصاب الانسان بما يسمى في علم الطب بالهبوط (أو الهمود) فيغشى عليه ويضعف نبضه ، ويصاب الجسم بعرق بارد ، وتبرد الاطراف ، وبعد ذلك يموت الشخص ، وقد يتشنج جسمه قبيل الموت

وأما في النزف داخل الانسجة فيزرق الجلد إذا كان الدم المنسكب قريبا منه ، وبعد بضعة أيام تأخذ هذه الزرقة في التلاشي تدريجيا حتى يعود الجسم كما

كان، وذلك بان يمتص الدم المنسكب شيئاً فشيئاً حتى يعود الى العروق وان كان منحللاً الا أنه يترك مرة أخرى في البنية فن عناصره لم تفقد

المعالجة

إذا قطع عرق انكماش بسبب مرونته وانقبض فيه بسبب الالياف العضلية الموجودة في جداره، فيمتنع بذلك النزف اذا كان العرق المقطوع صغيراً، أما اذا كان عظيماً فلا بد من عمل الانسان لايقاف النزيف والا هلك الشخص ويوجد عدة طرق لايقاف النزيف بعضها مؤقتة وبعضها دائمة

أما المؤقتة فتتحصر في الضغط على المكان الذي يخرج منه الدم، أو ربط العضو ربطاً شديداً، مثال ذلك أنا اذا رأيت رجلاً طعن بسكين في ذراعه وشاهدنا دماً كثيراً ينزف منه وجب علينا في الحال أن نبحث في الجرح عن مكان خروج هذا الدم ونضغط عليه ضغطاً شديداً باصابعنا أو يدينا أو نربط الذراع فوق الجرح ولا يترك الضغط أو الربط حتى يحضر الطبيب لايقاف النزيف بالطرق العلمية، ولا ضرر اذا استمر الضغط بضع ساعات فان العضو لا يموت من الضغط الا اذا امتنع عنه الدم فوق أربع أو ست ساعات

وأما الطرق العلمية لايقاف النزيف فأعظماها، وأهمها ما يأتي :-

- (١) أن يمسك العرق المفتوح بجفت مخصوص لذلك (أي مقبض) (١)
- ويربط العرق بخيط من حرير أو نحوه مطهراً تطهيراً تاماً بالغلي في الماء
- (٢) أن يمسك العرق بالجفت ثم يلوى الجفت عدة مرات حتى ينقطع العرق وبهذه الوسيلة يقف النزيف ما لم يكن الشريان عظيماً فيفضل ربطه
- (٣) أن يمسك العرق إن كان صغيراً بالجفت ويترك عليه بضع دقائق ثم يرفع الجفت فيقف أيضاً النزيف

- (٤) وما يستعمل في الاوعية الشعرية أو الصغيرة جداً هو أن يوضع على مكان النزف قطعة من الثلج أو شيء آخر بارد فتسكش الانسجة والعروق فيبطل النزيف
- (٥) أن يوضع على مكان النزف ماء حميم (شديد الحرارة) أو يكوى بشيء محمي

«١» أرى أن الاحسن تسمية مثل هذا المقبض بالحاسم لانه يقطع الدم

بالنار، وقد كان القدماء يوقفون النزيف في الاعضاء المتوردة بوضعها في الزيت حيناً يفلى، ولكنها طريقة وحشية

(٦) أن يحشي المكان الذي ينبعث منه الدم حشواً جيداً بقطن أو قماش ويربط رباطاً شديداً وهذه الطريقة تستعمل كثيراً في إيقاف النزفة من الاعضاء الغائرة التي لا يمكن ربط عروقها كالرحم مثلاً

(٧) أن يوضع على الجرح مواد قابضة، أما مسحوقة أو محلولة بالماء أو غيره، كالشبه والقرص ومغلي الشاي ومغلي قشر الرمان والعفص وماء الجير وأملاح المعادن كالحديد والنحاس وغير هذا كثير. وهذه الطريقة قل أن تستعمل الآن إلا في الأوعية الصغيرة أو الشعرية

(٨) إذا كان النزف من داخل الاحشاء كالرئة أو المعدة يجب أن يستلقي المريض على ظهره ويمتنع عن كل حركة حتى الكلام ويوضع الثلج على العضو الذي ينزف منه الدم، ثم يستدعى الطبيب في الحال

وأحسن ما يعطيه الطبيب في مثل هذه الأحوال هو مركبات الأفيون والجويدار (وهو مادة فطرية تسليقية تنمو على نوع من الشعير يسمى الشيلم) وكأوريد الكالسيوم وغيرها، وهذه الأدوية توقف النزيف إما باضغاف ضربات القلب، أو بقبض أوعية الدم، أو بجعل الدم أقرب إلى التجمد مما كان

أما النزف في داخل تجاويف الجسم كالبدن مثلاً إذا تمزق عضو فيه فيعرف ذلك بحصول هبوط شديد عتب الإصابة مباشرة أو بعدها بقليل، واصفرار زائد في جميع الجسم وصغر في النبض، ومعنى ذلك أن يشعر الإنسان المتعمر بأن الأوعية الدموية ليست بممتلئة بالدم كالمعتاد، وإذا جس البطن في مكان الإصابة وجد فيه انتفاخاً وألماً وأصمياً يعرفها الطبيب عند القرع. وإذا كانت المعدة أو الأمعاء هي المصابة تقاياً الشخص دماً أو وجد في برازه. وإذا كانت الإصابة في الكلية وما يتبعها بال شخص دماً

فهذه العلامات وأمثالها ندلنا على النزيف الداخلي. فالاسعاف الواجب في مثل هذه الحالة أن يلقي الشخص على الأرض وترفع كل الوسائد من تحت

رأسه وتدفاً أطرافه السفلى ويؤمر بالامتناع عن كل حركة حتى الكلام ولا بأس من وضع شيء بارد على البطن إذا كانت الإصابة فيه

ثم يستدعى الطبيب في الحال . ولا حيلة للطبيب في مثل هذه الحالة إلا عمل عملية عظمى بأسرع ما يمكن وفيها يفتح البطن وتربط الأوعية النازقة وتخطط جميع الجروح وينظف البطن من الدم الذي انسكب فيه

أما علاج النزف تحت الجلد أو في العضلات فيكون بوضع أشياء مبردة على موضع الإصابة فأنها تقبض الأوعية وتعوق النزف أو تمنعه ، وإذا لم توجد هذه الأشياء المبردة فالأحسن ربط العضو فان ذلك أيضا يوقف النزف بسبب الضغط ويجب إراحة العضو المروض كمال الراحة

ومن الخطأ وضع الأشياء الدافئة على المكان المروض والدلك في أول الامر فان ذلك مما يزيد في النزف . ولا بأس من وضع الأشياء الدافئة بعد مضي عدة أيام لمساعدة امتصاص الدم المنسكب

أما علاج البنية بعد إيقاف النزيف فيكون كما يأتي : -

يوضع الشخص بحيث يكون الرأس منخفضاً عن باقي الجسم ، ويدفاً تدفئة تامة وتدلك أطرافه ، ويستحسن أن تلف بلفائف من أسفل إلى أعلى ، والفرض من ذلك كله دفع الدم إلى الدماغ فان أعظم أسباب الإغماء بل الموت هو نقصان توارد الدم إلى الدماغ ، ثم يعطى كميات كبيرة من المرق أو اللبن أو الماء ليشربه وتعطى له أيضا بعض المنعشات وأحسنها الخمر والقهوة والشاي أو محلول التوشادر المخفف (من ١٠ إلى ٢٥ نقطة) أو الأثير (من ١٠ إلى ٣٥ نقطة) ويحتمس من تصاعد الأثير في الهواء فانه اذا وصلت إليه النار أحدث فرقة عظيمة خطرة وكذلك اذا استنشقه شخص بمقدار عظيم تحصل له غيبوبة تامة

وللطبيب في هذه الحالة أن يحقن المصاب تحت الجلد بمادة الاستر كينين (بمقدار مليجرام إلى ثلاثة) أو بسترات القهوين أو البنين (بمقدار ربع أو نصف جرام) ويحقن أيضا بمحلول ملح الطعام بنسبة سبعة جرامات ونصف في كل لتر (أي قدر ملعقتين صغيرتين في رطلين من الماء تقريبا) ويحقن برطلين إلى ثلاثة فاكثر من

هذا المحلول تحت الجلد أو في الشرج أو في الأوردة . والغرض من هذا الحقن ملء أوعية الدم بسائل بدل الدم المنزوف ليستم القلب في عمله وليتغذى الدماغ بما بقي من الدم في الجسم ، ويسمى ذلك المحلول بمحلول الملح الطبيعي أو بالمصل الصناعي ويجب الاحتراس من عمل هذه الأدوية المنعشة والحقن المائلة للعروق قبل إيقاف النزيف بالطرق العملية السابقة والأقان النزف يعود ثانية إذا امتلات العروق بالسوائل واتعش القلب، ويكون في هذه الحالة أشد خطرا على الشخص

ويقسم النزف باعتبار وقت حصوله الى ثلاثة أقسام : —

- (١) ابتدائي وهو الذي يحصل من الإصابة نفسها
- و (٢) انتعاشي وهو الذي يحدث بعد انتعاش الجسم إذا لم تربط الأوعية
- و (٣) ثانوي وهو الذي يحصل بعد مضي ٢٤ ساعة من حصول الإصابة بسبب أن الطرق التي أجريت لإيقاف النزيف لم تكن محكمة أو كانت عفنة أو كان الشخص مصابا بالزهري أو غيره، فيفك الخيط الذي ربط به الشريان أو يسقط ، أو يتقرح الشريان المربوط بسبب عدم تطهير الخيطه أو يحدث غير ذلك أما النزف من الأوردة فإنه في الأطراف يكون صادرا من أسفلها الى أعلاها غالبا ، ولا يتدفق تدفق النزف الشرياني ولون الدمين مختلف فالشرياني أحمر والوريدي يميل الى السواد. ويعالج قبل حضور الطبيب بربط العضو من أسفل الجرح لامن أعلاه ، وباقي العلاج هو كما في النزف الشرياني

الرعاف

الرعاف نزف يحصل من باطن الأنف وأسبابه عديدة تنحصر في نوعين: —

- (١) أسباب عارضية وهي التي تحدث من إصابة الأنف بصدمة أو غيرها نجرحها أو تكسر عظامها

(٢) أسباب مرضية وهي أيضا نوعان :

- (أ) موضعية وهي إصابة الأنف نفسه بمرض كالزهري أو الدرن أو

التهاب غشائها المخاطي التهابا حادا شديدا (وهو المسمى بالزكام)

و (ب) عومية وهي كثيرة منها أمراض الدم كلاسكربوط^(١) والارجوانية (الفرفورة)^(٢) والصفار « الانيميا » وبعض الحيات العفنة (مثل الحى الراجمة) وكامراض القلب والكبد والكلى

وقد يحصل الرعاف في الاطفال والفتيان والفتيات ولا يعلم له سبب سوى رقة أنسجة أجسامهم فكثيرا ما تشاهد بعض البنات في سن البلوغ يحصل لها رعاف كثير ويتكرر ذلك عدة سنين حتى اذا كبرت زال من نفسه

وفي جميع تلك الاحوال السابقة سواء اكانت موضعية أم عامة يحصل النزف بتمزق شريان أو وريد صغير في غشاء الانف المبطن له. ويكثر تمزق عرق صغير يشاهد في الجزء الامامي الأسفل الحاجز بين المنخرين

المعالجة: تختلف باختلاف سبب النزيف — ففي الرعاف العادي للاطفال والشبان يجلس الشخص وترفع ذراعه حتى تكون أعلى من رأسه ويوضع الثلج على قفاه، ويستنشق الماء البارد أو أي محلول قابض كالشيب أو مغلي الشاي باردا وغير ذلك كثير، فإن تعاض الرعاف بعد ذلك بحقن الرعاف بشيء قليل من خلاصة الجويدار تحت الجلد أو يحشى الانف حشوا جيدا بالموصل (الشاش) المغموس في شيء قابض كالدرمتول^(٣) أو الشب وغيره واذا لم يوجد شيء من ذلك وكان النزف من جزء قريب أمكن ايقافه بالضغط على الانف نفسه أو بادخال قطعة من القطن بجفت أو نحوه والضغط بها على العرق النازف

(١) الاسكربوط مرض يحصل من عدم أكل النباتات والخضروات أو أكل الاشياء المتعفنة واعراضه ضعف عام وتقرح في اللثة ونزف من أجزاء كثيرة من الجسم وفي منسوجها

(٢) مرض يشبه الاسكربوط ويختلف عنه بعدم تقرح اللثة وقلة فساد الصحة وبسببه وغير ذلك

(٣) مادة مطهرة قابضة صفراء، وهي تحت عفصيات البزوت. والكلمة يونانية معناها الجلد لنفع هذه المادة في بعض أمراضه

جهاز التنفس

الفرض من التنفس دخول هواء صالح الى الرئتين ليتحد أ كسجينه بالدم فيما
فينصلح بذلك وبخروج بعض أشياء ضارة منه أهمها غاز ثاني أكسيد الفحم
فاذا دار الدم في الجسم حمل إليه هذا الأ كسجين فانه ضروري جدا
للاحتراق اللازم لحياة الجسم
ومجاري الهواء هي الأنف ثم الخلق ثم الخنجرة ثم القصبة الهوائية ثم الشعبتين
ثم الشعب الكبيرة ثم الشعب الصغيرة ثم التجاويف القمية فالخلايا الهوائية
أو الحويصلات الرئوية

وإنما بدأنا بالأنف لانه هو المسلك الطبيعي للتنفس لا الفم ، وذلك لان في
الأنف شعرا ينقي الهواء من بعض قاذوراته وميكروباته، وفيه أيضا أجزاء مخصوصة
ممتلئة بالدم فتسخن الهواء قبل وصوله الى الرئتين، أما إذا كان التنفس من الفم فان
الهواء يكون حاملا لكثير من الميكروبات والقاذورات الضارة بالرئتين وبالجسم
كاه، ولا يسخن الهواء بمروره من الفم كسخنوته اذا مر بالأنف فيكون أبرد فيحدث
سعالا اذا وصل الى الرئتين أو التهابا في الخنجرة أو الشعب الرئوية
ولذلك يجب حتما تعويد الناس عدم التنفس إلا من الأنف خصوصا وقت

نومهم في الليل

أما الخلق أو الخلقوم فهو تجويف متصل بالأنف والفم والخنجرة والمريء (البلعوم)
وموضعه خلف تجويف الفم ويمر به الطعام والشراب وهواء التنفس
وأما الخنجرة فهي جهاز الصوت وموضعها في أسفل الخلقوم وفي الجزء
الامامي من العنق، وهي محاطة بغضاريف تحمل جيلين يسميان «الجيلين الصوتيين»
وهما أقصر في النساء منها في الرجال ، وبينهما فتحة ضيقة لمرور الهواء منها ، وفي
أعلاها قطعة كاللسان تشبه الغطاء تسمى «لسان الزمار» تساعد على منع دخول أي
شيء في الخنجرة أثناء البلع

والجبلان المذكوران هما اللذان يحدثان الصوت بسبب اهتزازهما اذا اندفع الهواء من بينهما، ويتنوع الصوت بمروره في تجويف الحلق والفم والأنف، والكلام عبارة عن تقطيع هذا الصوت المتولد من اهتزازهما، فيتقطع بالشفقتين واللسان وغيرها. وهذا الاهتزاز يحدث تماوجا في الهواء^(١) يتصل الى طبلة الاذن فيسمعه الانسان ونجد في أسفل الحنجرة القصبة الهوائية وهي منفصلة عن المريء انفصالا تاما وتمتد من الفقرة الخامسة العنقية الى نقطة امام الفقرة الثالثة الظهرية وهناك تنقسم الى قسمين لكل رئة قسم، وهما الشعبتان

وكل شعبة منهما تمتد الى الرئة وتنقسم الى عدة أقسام وكل قسم الى أقسام أخرى كالشجرة، الى أن تنتهي بشعب صغيرة جدا وهذه الشعب الصغيرة تنتهي بتجاويف صغيرة قمية الشكل، وهي المسماة بالتجاويف القمية، وفي حيطان هذه التجاويف أبواب للخلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية، ومن هذه الابواب ما يوصل الى خلية واحدة، ومنها ما يوصل الى عدة خلايا مجتمعة معا وهو الاكثر وجميع المجاري التنفسية مبطنة بغشاء مخاطي، لخلاياها السطحية أهداب (ماعداء الحويصلات والتجاويف القمية) تتحرك من أسفل الى أعلا، ووظيفتها طرد ذرات التراب وغيره الى الخارج. ومن التجاويف القمية تتكون فصيصات الرئة

وصف الرئتين

الرئة اليسرى مكونة من جزئين عظيمين يسميان الفصين، واليمنى مكونة من ثلاثة فصوص كبيرة، وهذه الفصوص مركبة من الفصيصات المذكورة وكل رئة مغطاة بغشاء مصلي يسمى «البليورا» كأنه كيس مختم من جميع جهاته انبعاث بدخول الرئة فيه، ولذلك يغطي سطحها بطبقة منه والطبقة الأخرى تغطي الضلوع. والبليورا كاملة يونانية معناها الجنب أما الدم فيصل الى الرئتين بواسطة الشريان الرئوي الذي سبق ذكره وهناك

(١) لا بد لانتقال الصوت من وسط مادي غير الاثير يجري فيه، ولذلك لا يسمع الصوت في الفراغ فلا ينتقل من كوكب الى كوكب كالنور، وهو أسرع سيرا في الجماد منه في السائل وفي السائل منه في الغاز

ينقسم الشريان الى عدة فروع حتى تصير شعرية وهذه الاوعية الشعرية منتشرة في حيطان جميع الحويصلات الرئوية والتجاويف القمية وليست متصلة بالهواء وإنما يصل إليها الاكسجين ويخرج منها غاز ثاني أ أكسيد الفحم وغيرها بطريفة الاندوسموز والأكسوسموز وقد سبق تفصيلهما (في صفحة ٢٤ من هذا الكتاب) *
 فاذا اقتطع ما بين الدم الذي في هذه الأوعية الشعرية والهواء حدث نزف رئوي واعلم أن الرئتين في الصدر كأنهما في صندوق مفلق من جميع جهاته ما عدا فتحة واحدة وهي الخنجرة المتصلة بالفم والأنف . وبيان كيفية حصول التنفس تقول :
 اذا فرض أن هذا الصندوق كان كيسا من جلد أو نحوه وشدت جوانب هذا الكيس حتى اتسع تجويفه دخل الهواء بقوة الضغط الجوي لينفلا هذا التجويف المستعجد ، فاذا حال بينه وبين أمام غرضه شيء آخر تمدد أمام الهواء والا انفجره وهذا هو عين ما يحصل في الصدر فانه يتسع فيدخل الهواء إلى الرئتين فيمددهما في أثناء الزفير (وهو جذب الهواء الى الصدر) فاذا انتهت حركة الزفير عادت الرئة الى حجمها الاصيلي بسبب مرونتها فخرج الهواء منها ويسمى خروجه منها بالشهيق
كيفية تمدد الصدر واتساعه

اعلم أن الضلوع متصلة بالعمود الفقري من الخلف ومتجهة كل منها الى الامام والاسفل فاذا انقبض ماينها من العضلات ارتفعت هي والقص فانسع بذلك تجويف الصدر من جميع جوانبه

وهناك عضلة شهيرة تفصل الصدر عن البطن تسمى « بالحجاب الحاجز » وهي مقعرة من أسفلها ومحدبة من أعلاها كالقبة

فاذا انقبضت هذه العضلة تحول تقعرها الى مسطح ونزات الى البطن فضغطت على الاحشاء كالكد والطحال والمعدة ، وبذلك يتسع الصدر في قطره الرأسى وما تقدم يفهم أن الصدر في التنفس يتسع من جميع جهاته بارتفاع الضلوع وبانخفاض الحجاب الحاجز فيضغط الهواء - كما قلنا - على الرئتين فيتسعان أمامه فتزى من هذا أن الرئتين لا تتسعان بنفسهما بل بحركة الصدر ، فاذا فرض

أن الصدر اخترق من أحد الجانبين مثلا بطل عمل رئة هذه الجهة لدخول الهواء من لخرق . فاذا اخترق الجانبان مات الشخص في الحال بانطباق الرئتين وبطلان التنفس وحركة التنفس هذه وان كانت تابعة للإرادة الا أن لها أعصابا تفعلا بدون ارادة الانسان أو علمه ، ومركز هذه الاعصاب في « البصلة أو النخاع المستطيل » وهي الجزء الذي بين النخاع الشوكي والمخ ويسمى هذا المركز بمرکز الحياة . وتنبعث اليه منبهات من اجزاء كثيرة من الجسم كالجلد والرئتين نفسيهما وغير ذلك ، وتنعكس جميع هذه المنبهات في هذا المركز فتجري في الأعصاب المحركة لعضلات الصدر . ولذلك نرى انه اذا صب الماء البارد على الجسم اشتدت حركة التنفس وكذلك اذا مس الهواء جسم الطفل المولود ابتداءً تنفسه

أما الذي يحمل مركز التنفس على العمل الدائم في الحالة الطبيعية فأمران :-
 (١) حالة الدم، فاذا كثراً كسجنيه استراح المركز من العمل، واذا زاد في الدم غاز ثاني أكسيد الفحم تهيج المركز للعمل . وقيل ان الذي يهيجه هو نقص الاكسجين من الدم . وهذا القول الاخير هو الراجح الآن عند علماء الفسيولوجيا
 (٢) تمدد الرئتين بالهواء يحمل هذا المركز على ايقاف عمله فترتخي العضلات ، وارتخاء العضلات الذي يتبعه هبوط الرئتين يحمل المركز على العمل فتنتقبض عضلات التنفس وهلمجرا

وهذا وما قبله هو السبب في حصول التنفس ولو كان الانسان نائماً أو مخدراً بالكلوروفورم أو غيره
 ومما تقدم يفهم معنى الحديث القائل « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فان كان لا بد فاعلا فثلاث اطعامه وثلاث لشرا به وثلاث لنفسه »

فان امتلاء المعدة يعوق نزول الحجاب الحاجز ويضغط عليه وعلى القلب وبذلك يحصل عسر في التنفس وضيق في الصدر وخفقان في القلب
 أما عدد مرات التنفس في الدقيقة الواحدة فيختلف من ١٤ الى ١٨ مرة في الشبان ، وحركة التنفس تختلف في الاطفال عنها في الرجال وفي النساء، ففي الاطفال

يحصل تنفسهم على الاكثر بنزول الحجاب الحاجز فيضبط على الاحشاء وبذلك يرتفع البطن ويسمى هذا الضرب من التنفس « بالتنفس البطني » أما في الرجال فأكثر حركة التنفس تشاهد في الجزء الأسفل من الصدر مع بروز البطن أيضاً وفي النساء تشاهد الحركة على الاكثر في الجزء العلوي من صدورهن ويختلف أيضاً عددمرات التنفس باختلاف الاعمار وبالراحة والتعب وبالصحة والمرض، فيكون في الصغار وفي الحميات وغيرها أكثر، وكذا بعد التعب الجسماني أو الانفعال النفساني (يتبع)

الحق والقوة^{*}

وبحث فلسفي عنهما بمناسبة الحرب الحاضرة

أو درس ضروري لنا نحن السوريين

خصوصاً والشرقيين عموماً

الجنرال فون برنهاردي قائد مجرب له مكانة سامية في الجيش الألماني كما انه عالم طبيعي شهير له مصنفات شتى في علم الاحياء (بيولوجيا) يرجع اليها ويستقى منها . وقد أصدر هذا الجنرال كتاباً في سنة ١٩١٣ دعاه « المنطق والمبادئ في الحروب » ضمنه آراءه في الحرب ووجوب الالتجاء اليها عاداً ايها فضيلة ، فكان هذا المؤلف موضوع الاحاديث في الاندية العلمية والسياسية في العالم بأسره وزادت اهميته بعد اعلان الحرب الكبرى الحاضرة لان كثيراً من الاعمال الألمانية فيها أتت مصداقاً لما ورد في ذلك الكتاب — كأن أركان حرب ألمانية كلهم هم الذين انشأوه لا فرداً واحداً من قوادهم

ولما كثرت المجالات العلمية والسياسية من البحث في هذا الكتاب وتعاليمه تصدت مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة لتقدمه فنشرت مقالة بليغة مسهبة في عددها الاخير عنوانها « الحق والقوة » أردنا تعريبها والتعليق عليها لاننا نحن الشرقيين صرنا أحوج أم الارض الى تعاليم الجنرال فون برنهاردي وأشدهم افتقاراً الى من (* نقل عن جريدة الافكار التي تصدر في البرازيل (عدد ٢٠٥٩)

يذيعها بينما بعد ان شعبنا من التعاليم الاكبريكية والمبادئ الخيالية التي اذلتنا
وغير عز ، وافقرتنا وغيرنا اغنى ، وأضعفتنا وغيرنا قوي وأفلح .

قالت مجلة القرن التاسع عشر :

اشتهر كتاب الجنرال فون برنهاردي الاخير لانه لم يتضمن ابحاثا سياسية فقد
بل تضمن ايضا ابحاثا فلسفية وعمرانية واجتماعية تشهد له بالجرأة وطول الباع . واتنا
في نقدنا فلسفة الاجتماع ومبادئها الواردة في ذلك الكتاب نحصر كلامنا فيما له
علاقة بالحرب الحاضرة من تلك المبادئ . وايضا كما نحن بصدد الان نشر أولا
أهم تلك التعاليم التي نرى برنهاردي يبشر بها وهي مقتطفات من كتابه الآنف الذكر :

١ - تنازع البقاء

قال ان التنازع لاجل البقاء هو الناموس الاولي الذي لا مفر منه ، لا في
المجتمع الانساني فقط بل في العالم الحيواني بأسره . وبموجب هذا الناموس لا يمكن
حراز النجاح والارتقاء من دون استئصال العضو الضعيف من المجتمع . فالضعيف
اذن يجب ان يهلك ويبقى . بيد ان المجتمع البشري يختلف عن غيره من المجتمعات
الحيوانية في ان الانسان له حياة فردية وحياة عمومية معا وهذه الاخيرة مرتبطة
بالوطن الذي ينتمي الفرد اليه ولذلك كان ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب لا ينطبق
امام الانطباق على الانسان كما ينطبق على الحيوان ، لان الواحد من الحيوان لا ينظر
الا الى مصلحته الخاصة فقط ، أما الفرد البشري المرتبط بمجموع الامة المتسي هو
اليها فعليه نوع من المسؤولية نحو تلك الامة من حيث هي مجموع منتظم . والامة وهي
مجموع أفراد - لاحياة لها ابلالتنازع أيضا ولكنها في هذا الجهاد يجب ان تلجئ
الى نظام موافق او شريعة عادلة تسري على الكل من دون تمييز حتى اذا تعارضت
مصلحة الفرد ومصلحة الامة كان على الفرد ان يضحي بمصلحته الخاصة اذا اقتضت
المصلحة العمومية تضحيتها^(١) أي ان المنفعة الشخصية يجب ان تضحي على مذبح

(١) الافكار: كما عينا مرة ان يطبع خطاب روزفلت، في «الاخلاق» ويوزع
منه مليون نسخة في سورية والاساتنة كذلك نتمنى الآن ان يترجم كتاب برنهاردي
هذا ويوزع على جميع العثمانيين وعموم الشرقيين لان الشرق كله بحاجة ماسة الى
مبادئ هذا الكتاب العملية دون المبادئ النظرية التي كانت علة انحطاطه

المنفعة العمومية عند الحاجة وفي الهيئات الراقية المنظمة

٢ — القوة المحسوسة واجبة لحفظ المجتمع

هذا من النظرة الشخصية الفردية ، أما من النظرة العمومية فالمسألة فيها نظر لان الامة الواحدة في أثناء معاملاتها مع سائر الامم لا يجوز لها ان تسير بموجب المبدأ الآتف الذ كرأي مبدأ تضحية الواحد لاجل الخير العام عند الحاجة الى ذلك، بل يجب على الامة كجموع منظم ان تفسر الحق والعدالة تفسيراً آخر يلائم مصلحتها كما سترى

لا يمكن تنظيم امة مالم يجتمع عدد كبير من افراد تلك الامة تحت لواء المصلحة المشتركة بينهم، ومن العبث اجتماع البشر كلهم في امة واحدة تحت نظام واحد لان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها . وتأليف أم صغيرة ضعيفة غير مستحيل غير ان حالة مثل هذه الامم الصغيرة تستوجب الشفقة لان وجودها يخالف للناموس الطبيعي أي ان ليس لها حق الوجودي ، ودونك البرهان الحسي العملي المعقول : المقدمة المنطقية الاولى : ان البشر مضطرون بحكم نمو عددهم المضطرد الى تأليف جماعات طبقا للناموس التعاون ولكن هذه الجماعات تكون متباينة لا في الكمية فقط بل في الكيفية أيضا

المقدمة المنطقية الثانية : ان اختلاف العناصر وعوامل الاقليم والمناخ وجدت منذ الازل وسوف تبقى بحكم الطبع الى الابد

النتيجة المنطقية الثابتة: لذلك وجب تباين الامم بمددها وأنواعها بسبب تباين الاجناس والالوان والاخلاق والعوامل الطبيعية من جيوغرافية وغيرها من العوامل الخارجية أي انه وجب وجود أم ضعيفة بين أم قوية بحكم الطبع . ولما كان ناموس تنازع البقاء — وهو ناموس طبيعي ثابت — يجبر الامم على حفظ كيانها وعلى تقوية ذلك الكيان على حساب الضعيف من جيرانها^(١) كان من الضروري وجود ذلك التنازع بين الامم الضعيفة والامم القوية . لذلك قلت ان الامم الضعيفة

(١) المنار: يعني ان سنة تنازع البقاء تدفع الامم بما يشبه الاجبار الى حفظ وجودها الاممي وتنميته مما تسلبه من الامم الضعيفة المجاورة لها

تستوجب الشفقة لانه لاحق لها بالوجود — ومن المستحيل دوام وجودها وهي عرضة لخطر الاضمحلال في كل حين بسبب التنازع الطبيعي بينها وبين القوي من جيرانها . ولا بد للقوي من استعمال قوته وهذا الاستعمال هو الحرب بأبسط معانيه . وأقول بعبارة أوضح: ان كل أمة يجب ان تعتمد على القوة، على القوة وحدها، في اثناء معاملاتها العمومية مع سائر الأمم والا كانت أمة ضعيفة عرضة للفناء في كل حين اتشد الفيلسوف التلياني ماشياؤالي مثل هذا التعليم بحجة انه يرمي الى اعتبار القوة غاية الوجود لا واسطته . ولكن غاية الوجود « هي حماية مصالح الفرد وترقيتها حتى يصل الى الدرجة المطلوبة من السعادة والكمال » وهذه لا يمكن الحصول عليها من دون مساعدة الأمة ، والأمة لا يمكن أن تقوم بالحماية والترقية مالم تكن قوية، وقوتها لا تأتي إلا من حصر محبة بنيتها لها وحدها أولاً، والا فاتي لأفهم كيف ان زيدا يحب خير العالم أجمع وهو لا يحب خير أمته ووطنه وجنسه وعائلته أولاً . فالواجب الانساني إذن يقضي على المرء بمحبة جنسه أولاً

إذن أرى أن الناموس المسيحي القائل بالمحبة والاحسان والغيرية هو أشرف ناموس في الكون لكنه وضع لاجل العلاقات الفردية في الأمة الواحدة فقط، ولا يمكن تعميمه على الانسان والانسانية، لان التعميم مخالف للنواميس الطبيعية الثابتة ، والتخصيص أولى، إذ أن الذي لا يحب أخاه القريب، لا يقدر على أن يحب البعيد الغريب وعلى هذا الرسول بواس ذاته فيلسوف الكنيسة المسيحية وواضع أهم تعاليمها

٣ — فلسفة العدالة في المعاهدات والحروب

ليست الحرب مقتصرة على اقتتال الجيوش فقط بل الحرب اصطلاح سياسي يعني وجود أمة تنازع أمة أخرى سواء كان باستخدام السلاح أو باستخدام السياسة . والحروب السياسية تعنى مضايقة فريق لفريق آخر بواسطة المعاهدات التجارية أو المعاملات الاقتصادية من صناعية وتجارية وزراعية وما أشبه . وإذا لم يدع أحد الفريقين للآخر بحرب السياسية يصير الالتجاء الى السلاح أمراً لازماً، غير ان مسؤولية رجال الحكومة في أثناء الحروب السياسية تقضي عليهم بالمحافظة على مصالح الشعب وإيماء ثروته . هذه هي الغاية الاولى لهم . أما

الواسطة فحاضمة لحكم الظروف. فإذا كانت الظروف توجبهم الى اطراح المبادئ النظرية الادبية جانباً فلهم ذلك لانهم بهذا الانحراف يخدمون المصلحة العمومية لا المصلحة الفردية. واذا رأوا الخطر محققاً بالشعب فعليهم مباغته العدو والغدر به قبل أن يتم معداته حتى يقضوا على قواه الهجومية والدفاعية ويأمنوا شرّ تنازعه اياهم منافع البلاد وثمار أراضيها ومعاملها وهذا لا يأتي إلا بانحاء القوة المحسوسة وازديادها. ولذلك كانت القوة مظهراً من مظاهر العدالة لان الحروب عدل وبها وحدها تثبت العدالة على أساس متين. وبرهاناً لذلك أقول:

لنفرض ان أمة إبان ضعفها خضعت بحكم السيف الى جارها القوي وسلمت معه بشروط مكتتبه على ورق سموها معاهدة، ولنفرض أن تلك الأمة الصغيرة صارت قوية على تمامي السنين فرأت أن تلك الشروط التي كانت قد رضيت بها أولاً في أيام ضعفها صارت ثقيلة عليها تضر بمصالح الشعب في أيام قوتها. فالشعب في هذه الحالة الاخيرة صار يرى ذاته مغدوراً مغبوناً. واذا هب الى تمزيق المعاهدة الاولى المحجفة بحقوقه فعمله هذا هو العدل بعينه. ولا يمكن ان ترضى العدالة المجردة بعين شعب كامل وغدره. ليس ذلك فقط بل اننا لا نقدر أن ندعو الأذعان لشروط محجفة عدالة وفضيلة. بل ان العدالة تقضي بتمزيق المعاهدة المضرة الجائرة بواسطة المفاوضات السياسية أولاً التي ادعوها حرباً بطيئة كامنة، فاذا نجحت فيه والا فاستعمال السيف والمدفع يصبح أمراً واجباً — ولا يمكن أن يوجد الحق ويثبت ما لم يكن مؤيداً بالسيف ومدعوماً بالمدفع وقوة الساعد ولذلك كانت الحرب فضيلة. أي ان الحرب أمر ضروري للمجتمع الانساني لانه رمز العدالة ومنشئ الشجاعة والجرأة في الأمة ورفيق الحق والمطالبين به. واذا تركت الحرب تجبن الأمة عن المطالبة بحقوقها فتبقى مغبونة مقهورة ذليلة ومثلها لا يثبت في ميدان تنازع البقاء لان ناموس بقاء الانسب يقضي عليها إن عاجلاً أو آجلاً والانسب هو الاقوى في كل حال

هذه هي زبدة تعاليم الجنرال فون برنهاردي المدونة في كتابه الجديد « المنطق

والمبادئ في الحروب» ودونك مجل الانتقاد العلمي الفلسفي البديع الذي نشرته مجلة القرن التاسع عشر الطائفة الصيت في عددها الاخير قالت :
تعليق مجلة القرن ال ١٩ على الكتاب الالمانى

ليس الجنرال فون برنهاردي وحده القائل هذا القول ولا هو من وضع هذه الفلسفة أي فلسفة القوة والاعتماد عليها وحدها لاجل تثبيت الحق والعدالة . بل انا اذا أمعنا النظر نرى أن معظم علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا بهذا الرأي ونشروا مثل هذه التعاليم من ارنست هكل العالم الطبيعي المعروف زميل شارلس دارون الى نياتش المادي الشهير، وغيرها كثير. وليس من العدل والانصاف ان نقل من أهمية هذه التعاليم لمجرد انها صادرة عن أعدائنا فإن « العلم مشاع بين جميع الامم وليس لوطنه حدود » فلندرس إذا مبادئ الجنرال برنهاردي وتعاليمه بكل نزاهة ولمحصها في بوتقة التحري بقطع النظر عن قائلها

قال ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم : ان الفضيلة هي الوسط بين متضادين . أي ان الشجاعة مثلا هي فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور . فالجبن رذيلة لانه دليل الذل وصغر النفس ، والتهور رذيلة أيضا لانه دليل الحماقة والكبرياء — وكل هذه العيوب الاخلاقية تدل على وجود مرض بعقل المصابين بها وخصوصاً الغرور والكبرياء (١) وقس على ذلك الصدق والكذب والحق والباطل وما أشبه ذلك من المتضادات

(١) الافكار : انفق ونحن قرأ هذه المقالة البديعة ان وصلتنا الصفاء الغراء فوجدنا فيها ما يأتى :— قال أحدهم : المتكبر أجدر الناس بالشفقة لان الكبرياء مرض في العقل ، أي ان صاحب الصفاء يتالم من كثرة ما يرى من المتكبرين حوله . وقد تذكرة خطبة مطبوعة باللغة الانكليزية عندما للدكتور دانيال باس رئيسنا العلامة الكبير قالها امام صف المنهين مرة فراجعناها واذا في احدى صفحاتها ما يأتى :

« وانني أوصيكم بالاعتدال في كل شيء . لان الاعتدال من أهم الاخلاق التي يحتاج اليها الشرق . ومن أعظم المصاعب أمام عملنا نحن المرين والمهذبين في هذه البلاد انا نرى أفراداً بين السوريين هم مهذبون بكل معنى الكلمة تمام التهذيب — وبالاصل gentleman ، وافراداً غيرهم على غاية من التأخر والانحطاط والحلقة لوسطى بينهم تكاد تكون مفقودة. وينا نرى الكرم لحد التبذير في البعض نرى =

وكم ضل أفاضل من الرجال سواء السبيل لانهم اتخذوا التطرف ديدناً لهم فكانوا باهالهم الصدق مثلاً يكذبون، وهم لا يدرون، وبتطرفهم بالتمسك بالحق حسب اعتقادهم يخدمون الباطل وهم لا يقصدون . والحقيقة أن تعاليم الجنرال برنهاردي مطابقة تمام المطابقة لتعاليم ارسطوطاليس كبير الفلاسفة لولا ما بها من تجسيم يبلغ حد الغلو أحياناً فضلاً عن خلوها من رابط متين يربط الحق بالقوة كما سترى

٢

ان الاساس الذي بنى عليه الجنرال برنهاردي كتابه هو التعليم القديم القائل ان « الحق للقوة » والدعامة التي دعم بها ذلك الاساس هي تعليمه القائل بأن كل الآراء المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية تكون آراء مضرّة اذا تجاهلت كون الحق للقوة لانها أي الآراء ليست في هذا التجاهل سوى رياء وتضليل

وبموجب تعاليم برنهاردي يكون الاشتراكيون مرأين ويكون الراديكاليون المتطرفون أكثر رياء وخداعاً، ليس ذلك فقط بل ان كل الفلاسفة الذين يخالفون مذهب دارون القائل ببقاء الانسب بعد التنازع لاجل البقاء قد اضرروا الهيئة الاجتماعية لانهم دلّوها على التواكل والاستسلام وعلموها الخيلة والرياء وأبعدوها عن القوة - وهي الفضيلة المقدسة التي هي أساس كل الفضائل

وللجنرال برنهاردي فضل عظيم في انه شرح هذه التعاليم العملية وحاول تطبيقها على حالة أوروبا السياسية الحاضرة . ولا شك في انه صادق فيما يقول عن القوة وتقديسها - تلك القوة التي صار الشعب الانكليزي (تذكر ان الكاتب عالم انكليزي) يستخف بها وينسبها الى قبائل الزولوس المتوحشة حتى انه أصبح في الآونة الاخيرة يبالغ في تحقيرها وتحقير كل أمة تعتمد عليها. ولكن لما نشبت الحرب الحاضرة أدرك الشعب خطأه وعلم ان من دون الاعتماد على القوة خطر الفزوة

— أيضاً البخل لحد الشح في البعض الآخر . وكذلك بينما نرى الذل والجنين في طبقة نرى الفرور فاشياً والكبرياء لحد الادعاء الممقوت في طبقة ثانية . واذا قدرت هذه المدرسة « أي المدرسة الكلية » على ايجاد حلقة وسطى توجد الاعتدال في مشارب السوربين وأخلاقهم نكون قد عملنا عملاً تهذيبياً عظيماً »

الالمانية وبالتالي خطر فناء انكلترة من العائلة السياسية الكبرى
ولا جدال في ان القوي تغلب يوما على الضعيف جاره واحتفظ بمركزه المتفوق
بالقوة الوحشية وهذا ينطبق على الامم كما على الافراد . ولا جدال أيضا في ان كل
حكومة راقية تضمن لابنائها المتفردين بالقوة أفضل المراكز ولو على حساب المجموع
لان مجموع الامة يستفيد منهم . وكما ان الامم يجب ان تكون قوية جدا حتى تتمكن
من الاعتناء بطفلها الضعيف كذلك يجب على رجلها ان يضمن لها التقوية محافظة
عليها وعلى صغيرها . هذا الشطر الأول من كتاب برنهاردي واظن ان الاندية
العلمية والسياسية عندنا سلمت بصحته فورا

أما الشطر الثاني الذي أقام العلماء وأقدمهم فهو كلام الجنرال الالمانى عن
علاقة الامة الواحدة بغيرها من الامم الاخرى فان ذلك الكلام يقرر ان أفراد
الامة الواحدة يجب عليهم التضامن والشكاف وتبادل الصدق والولاء والعطف
والحبة بعضهم مع بعض فقط حسبما ورد في مثل الزوج والزوجة ومسؤوليتهما
نحو طفلها الضعيف . أما في علاقة الشعب بغيره من الشعوب القريبة فالجنرال
برنهاردي يقول بصراحة ان لارحمة ولا شفقة ، بل ويل للضعيف في تنازع البقاء ،
لان القوة وحدها هي الحكم الاخير في العلاقات العمومية ، وبقاء الانسب يقضي
باتقراض الضعيف ان لم يكن اليوم فغدا

وبجملة أوضح أقول ان أركان حرب ألمانية يقولون بالحق والعدالة والرحمة
بين أبناء العائلة السياسية الواحدة ، ولكن يقولون بمعاملة الغريب على قاعدة بقاء
الانسب - أي على قاعدة الحق للقوة . وعند درس هذا المذهب بنزاهة وانصاف
نرى انه ليس مذهبا جديدا ولا مخالفا لما نراه جاريا في الكون ، سواء اردنا
ذلك أم لم نرده . إذن لا أرى ان الذين خطأوا برنهاردي هم من القوم المصيبين
المنصفين (١)

نعم ان عندنا شرائع تضمن العدالة وتجبر الحكومة على اجرائها حفظا لحقوق

«١» الافكار: ان قائل هذا الكلام هو مستر مالوك من علماء الانكليز اعداء

الالمان الالقاء وكلام الخصم حجة

الضعيف من جاره القوي ، ولكن هذه الشرائع وتلك العدالة تسري على أبناء الأمة الواحدة فقط أما على غيرنا من الأمم والحكومات فمن ينكر اننا لانعاملهم بما يعامل به بعضنا بعضا ، ان نكران هذا الامر هو الرياء بعينه ، وهذا هو مبدأ برنهاردي أيضا ، وهالك نص احدى عباراته حرفيا بهذا الصدد قال :

« لا يوجد في الكون حكومة تجري على غيرها من الحكومات ذات القوانين وذات النوع من العدالة الذي تجريه على افرادها هي . كذلك ليس من الواجب على أي حكومة ان تعني بالفريب وتعطف عليه وتساعده ، ولكن من أوجب الواجب عليها الاعتناء بأولادها وتقوية الضعفاء منهم فقط واجراء العدالة بتمام النزاهة والتدقيق بين المتخاصمين منهم وحدهم . واذا قلنا ان محكمة دولية عمومية يجب ان تنشأ لاجل فض الخلافات بين الدول على مبدأ الحق والعدالة المجردة نعود ونرجع الى القوة الوحشية المحسوسة لاجل تأييدها ، واليك البرهان :

« هب ان خلافاً نشب بين أمتين أو أكثر ورفع أمره الى تلك المحكمة الدولية العمومية العليا (الموهومة) وهذه بموجب الحق والعدالة المجردة أصدرت حكما ضد الأمة القوية المتعدية ورفضت تلك الأمة القوية ان تخضع لحكم المحكمة العادل فإذا علينا ان نفعل ؟ علينا ان نلتجئ الى جيش قوي جدا يرغم تلك الأمة القوية على قبول حكم المحكمة العليا وتنفيذه . والا كانت العدالة والحق والحكم حبرا على ورق من الوجهة العملية . ولما لم يكن تنظيم جيش عمومي ممكننا كان من المستحيل إذن اجراء الحق بين الأمم المتباينة في العدد والقوة اجراء فعليا كما يجري في الأمة الواحدة التي لها من قوة جندها ما يجعل الحق نافذا والعدالة المجردة ممكنة — ولكن بين أفرادها فقط . ومجمل القول ان الناموس الطبيعي المعقول هكذا يأمر أي ان العدالة المجردة يجب ان تجري ولكن بين أبناء الأمة الواحدة فقط لان ذلك ضروري لحفظ كيانها ولتقويتها أما مع الأمم الأخرى فالحق للقوة في كل حال وويل للضعيف والمستضعف (١) »

(١) المنار : حقا انه لم توجد شريعة تأمر بالمساواة والعدل العام غير الاسلام ولكن كانت الدول الاوربية تراعي العدل فيما بينها في الجملة حتى جاءت هذه الفلسفة الجديدة بهذه الحرب العامة التي لا بد ان تعود عليها بالنقض ولو بعد حين

الاستعمار

تنازع ألمانية وانكلترا بسببه

وبعد هذا يوضح الجنرال برنهاردي مسألة الاستعمار بقوله: ان كل أمة قوية لا بد لها يوماً من طلب التوسع في املاكها لان أفرادها المتزايد عددهم يحتاجون أولاً الى المواد الغذائية وثانياً الى المواد الاصلية في الصناعة حاجة تزيد بالنسبة الى عددهم المتكاثراً ، وهذه لا يجدونها الا في الخارج . واذا زادت مصنوعاتهم تراهم يضطرون الى ايجاد أسواق جديدة لاجل تصريفها - أي الى ايجاد مستعمرات، فالمستعمرات إذن من لوازم الأمم الراقية

والاستعمار يتم بطرق ثلاث : (١) المهاجرة واختلاط المهاجرين تدريجاً مع السكان الاصليين والامتزاج بهم امتزاجاً سلمياً حتى يتغلبوا عليهم بفضل تفوقهم على الوطنيين بالقوى البدنية والعقلية والاخلاقية ، (٢) بائشاء مستعمرات منظمة في بلاد أهلها من نصف التمدنين أو من غير التمدنين وامتلاك مثل هذه المستعمرات غير صعب ألبتة ، (٣) بالحرب واغتصاب المستعمرات من أيدي أهلها عنوة إذا كان أولئك الاهلون على جانب من المنعة والتمدن . وهذه الطرق الثلاث تدعى المهاجرة والاستعمار والاغتصاب وهي لا تتم إلا باستعمال القوة في احدى مظاهرها وبمعاملة سكان البلاد الاصليين حسب ناموس تنازع البقاء لاحسب الحق والعدالة .

والحق كل الحق مع الجنرال برنهاردي في هذا التصريح ، لان كل أمة قوية استمكنت بلادها وبلاد غيرها بقوة السيف يوماً لم تعامل الاهلين الاصليين قط بالمساواة والعدالة كما يدعون. وليس في هذه التعاليم شيء جديد كما قلت آنفاً ولكن الذي زادها أهمية هو اشتباك المانيا منفذة هذه المبادئ بحرب كبرى مع غيرها من الأمم ووجود حزب قوي عندنا (أي في انكلترا) شعاره « السلم مهما كلفه الامر » ومذهبه هو أن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . وسها عن بال هذا الحزب المتخث ان الذي لا سيف عنده يكون أول من يسقط بسيف الغير ، وخصوصاً في هذه الايام أيام المنازعات والمناظرات والمسابقات الهائلة

ولا أصدق من كلام الجنرال برنهاردي عن السوسياлисты والراديكاليين (الاشتراكيين والمتطرفين) الذين يزعمون أن الحكومة ليست سوى شركة ضمانة عملها توزع المنافع والمرافق بالسواء - ان هذه الآراء لا يمكن العمل بموجبها أبدا لانها آراء نظرية بحتة وكل أمة تسير بموجبها تضعف فتتحط وتفتى على تهادي الاجيال . والشواهد العديدة التي اقتبسها برنهاردي من دارون وكنت وهكل وفشت وشر وغوث تؤيد هذا المذهب، وجذا لو أنه ذكر اسم كروب ومدافعه أيضاً حتى يصير الاقتباس تاماً، لان كروب واختراعاته لا تقل أهمية عن تعاليم أولئك الفلاسفة

فضائل الحرب - نقد برنهاردي

انني من المعجبين بتصريح برنهاردي القائل ان للحرب فضيلتين هما الشجاعة والعدالة ، فالشجاعة فضيلة لانها رائد الاستقلال ، والعدالة فضيلة لانها رائد الصدق والصدق رفيق القوي دائماً ، ولكن العدالة والصدق يجب أن ينحصرا في الامة الواحدة وافرادها فقط دون غيرهم حسب تعليم برنهاردي، أما في العلاقات مع الغرباء وبين الامم الأخرى فللقوة المركز الاول دائماً ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع

الى هنا انتهى اعجابي بالتعاليم العملية التي دونها الجنرال برنهاردي في كتابه الأخير، ولكن موضوعاً اجتماعياً فلسفياً كهذا لا يخلو من التعقيد والصعوبة لذلك لألوم برنهاردي إذا رأته يناقض نفسه في بعض الاحايين ، ويخلط في تدوين المبادئ، وشرحها في البعض الآخر

فن جملة المتناقضات في تعاليمه عدم شقيقته على الامم الضعيفة حالة كونه لم يضمن لنا طريقة ثابتة بها تبقى الامة القوية قوية الى ماشاء الله - وهذا من أهم الاعتراضات أيضاً على مذهب دارون القائل ببقاء الانسب . ومن جملة مواضع الخلط والخبط في شرح مبادئه عدم جمعه بين العدالة والقوة جمعاً علمياً ترتاح النفس اليه بل أراه أبتى هوّة عميقة بين القوة الوحشية التي عبر عنها بالحرب وبين العدالة المجردة التي لا يجوز لها أن تخضع للقوة

ليس ذلك فقط بل ان الجنرال برنهاردي اعتمد على علم الاحياء (بيولوجيا) في مصنفه الاخير وهو مولع بهذا العلم لكنه تجاهل وجود ناموس التعاون والتضامن في النوع الواحد ونسي أو تناسى ان الانسان مهما تعددت أممه وأجناسه وعناصره وألوانه لم يخرج عن كونه نوعاً واحداً من أنواع الاحياء هو نوع الانسان يتطلب كيانهُ ناموس التعاون والتضامن ولو باحد أشكاله البسيطة

ويحوجني الوقت والمجال لأبين أن العلاقة بين الحق والقوة هي علاقة شديدة موجودة فعلاً وهي مثل الارتباط المتين الموجود بين الحرية والمسؤولية وبين الحق والواجب، فكما أن الحرية توجد المسؤولية والحق يوجد الواجب والعكس بالعكس كذلك أرى أن ناموس « الحق للقوة » الذي ينادي به الجنرال برنهاردي وأركان حرب المانيا عموماً يقتضي وجود علاقة متينة بين الحق والقوة لم يشر اليها برنهاردي ولا عرضاً في سياق كلامه . لذلك نرى ان المانيا في هذه الحرب مغمضة عين الحق في بعض تصرفاتها المخالفة ومجسمة فضيلة القوة الوحشية المحسوسة في سائر اجراءاتها مما جعلها عرضة للنقد العادل

أما ما خلا هذه النقط القليلة القابلة للانتقاد فكلام الجنرال برنهاردي صحيح لاغبار عليه، ويجدر بالحزب السلمي في انكلترا أن يدرسه بمزيد التدقيق والتروي عليه يقلع عن تعاليمه النظرية الضارة ويساعد القائلين منا بوجود تنظيم جيش قوي دائم وتعويد الامة على تربية رجال أشداء أقوياء البدن وعلى غاية من النشاط والبسالة اه

[المنار] نقلنا ما تقدم عن جريدة الافكار البرازيلية بنصه مع تصحيح لفظي قليل والقارئ يرى ان غرض صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من تلخيص ما لخصه من الكتاب الألماني هو إقناع قومه بأن يحذو حذو الألمان في شدة العناية بالقوة الحربية ومنه جعل الخدمة العسكرية اجبارية ، والظاهر ان شر عاقبة لهذه الحرب هو زيادة عناية الامم الاوربية كلها بالاستعداد للحرب وان كان بعض الناس يظنون انها سترجع الى رشدتها بما تقاسي من خسارة الانفس والاموال

بين روسيا والمانيا*)

(وفيه وصية غليوم الاول لحفيده غليوم الثاني)

يدكر قراء « الافكار » ما عر بناه من مدة من تاغراف الامبراطور غليوم الى القيصير تقولا إذ قال له يومئذ انه موسى على فراش موت جده بالمحافظة على صداقة روسيا . وقد قرأنا مؤخرا تلك الوصية المشهورة التي أوصى بها الامبراطور غليوم الاول حفيده امبراطور المانيا الحالي في الساعات الاخيرة من حياته إذ استدعاه وزووده بنصائح ووصاياه وما يفرض عليه عمله والسياسة التي يجب عليه اتباعها إذا تبوأ العرش . وهذا ملخص نص الوصية :

« إذا كتب لك الحق سبحانه وتعالى أن تملك على عرش أجدادك القياصرة فاعتنق اخق والعدل وبشها في الرعية . واعتن بالجيش مزيد العناية . واجهد في اكتساب ميل العامة وحب الشعب الالماني بأسره . واسع في تقرير السلام العسكري والسياسي في داخل المملكة وخارجها مع مراعاة قوانينها وشرائعها . وساعد الضعيف ، واعضد العاجز ، وساو كليهما بالقوي ، حتى لا يكون امتياز ولا حيف ، و(حتى) تكون حرية مطلقة في جميع الاديان والمذاهب . تودد الى الامم الغربية على اخلاف نزعاتها ، وحافظ على اتحاد أوستريا والمجر حليفة جرمانيا الامينة ، لان في هذا الاتحاد موازنة للسياسة الاوربية درابطاً بين الدولتين من قديم التاريخ . ولا تحرم البلاد من فوائد السلم وتماره الطيبة المذاق إذا لم تكن الحرب أمراً واجباً فيما لو تعدت على المانيا دولة ورامت مهاجتها أو مهاجمة حليفها . ولا تستخدم قوة ألمانيا لإثارة حرب عدائية تكون أنت البادئ فيها ، فان المانيا ليست في حاجة الى مجد عسكري جديد ولا الى افتتاح حديث . حاذر الحرب قدر استطاعتك واياك ، ودولة الشمال ، ثابر على اتباع خطة المودة الوطيدة نحو قيصر روسيا اسكندر الثالث ودع المانيا ان تسير على خطة السلام والوفاق الحبي مع روسيا ، وابذل كل نفيس

(*) منقولة عن جريدة الافكار البرازيلية

في سبيل مرضاتها واستاة ردها اليك ، وايد الصلات السامية التي كانت لنا في مدة
المائة سنة الماضية في مملكة روسيا جارتنا . فهذه كانت حاساتي (?) الشخصية التي
تنطبق على مصالح المانيا » انتهى

هذا بعض ما وقفنا عليه من وصايا الامبراطور غليوم الاول الى حفيده
الامبراطور غليوم الثاني الذي بذل جهده في اتباع وتحقيق أماني جده من توثيق
عري الصلات مع جارته والممالك المتحالفة معه حتى تبقى العلائق الودية على سابق
حالتها غير واهية ولا منفضمة

وقد عرف العالم أجمع ما كان لروسيا من الشأن المهم في حرب عام ١٨٦٦
مع النمسا وعام ١٨٧٠ مع فرنسا، والخدمة الجليلة التي قام بها اسكندر الثاني قيصر
روسيا في تسهيل الوحدة الألمانية ، وقد عرف ذلك غليوم الاول كما عرفه وزيره
البرنس بسمارك . ولهذا أوصى حفيده غليوم الثاني بتحسين صلاته مع روسيا . ولا
يزال العالم يذكر تفراف غليوم الاول الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٠ إذ قال
له « أعترف بأن جل الفضل في فوزي ونجاحي عائد اليك » فضلا عما كان من
أعمال بسمارك في حياة غليوم الاول وفرديك الثالث في تسهيل التقرب الى روسيا
بالرغم من التحالف الثلاثي ومن مبادئ أوستريا وسياستها البلقانية . وقد كان بسمارك
لا يطيب له عيش الا يوم يأمن نفوذ روسيا . والامبراطور غليوم الثاني ذاته بعد
قبضه على صولجان الامبراطورية زار القيصر الروسي قبل أن يزور حليفته النمسا
وايطاليا ، كما زار جده غليوم الاول قيصر روسيا يوم تبوأ عرش أجداده ، وعمل على
تأييد التحالف الشمالي واهتم في زيادة التقرب من روسيا لتحسين صلات الدولتين ،
إذ لم يشأ ان يتعد عنها لما بين الاسرتين المالكيتين في روسيا والمانيا من صلة
القربي ، فضلا عن ضرورة الاحترام للوصية السابقة الذكر

ولكن دلكاسه الداهية وزير خارجية فرنسا حالاً مشهور بمداوته للمانيا
فمين منذ سنة ونصف سفيراً لدولته في بطرسبرج واستطاع بدهائه الغريب أن
يفهم روسيا أن النمسا ليست بالعدوة الراهية لو لم تكن تعضدها المانيا وان خير
طريقة لكسر شوكة النمسا هي اضعاف المانيا ، وساعدته الظروف والحكمة

السياسية، فابان لروسيا مطامع المانيا وما صنعته مع روسيا في معاهدة برلين وغيرها. وقد نجح دلکاسه في سياسته نجاحاً باهراً إذ أضاف الى الحقد الكامن في قلوب الشعب حقد الحكومة الروسية، فتراخت العلاقات بين الحكومتين وسعى القيصر للتخلص من ربة نفوذ امبراطور المانيا عليه، وخصصت حكومته عشرة مليارات ليرة لنظارة الحربية لسنة ١٩١٣ واشترت بتسعة وعشرين مليوناً من الليرات أوتوموبيلات حربية، وأضفت عددا عظيماً الى جيشها الهائل، وجعلت الخدمة العسكرية في بعض الفرق أربع سنوات، وارادت تغيير المعاهدة التجارية بينها وبين المانيا، وضربت رسماً باهظاً على القمح الوارد من المانيا الى فنلندا، وأطلقت سراح الصحافة فاثارت على حكومة برلين عواطف السلافيين، ومكنت الحقد بين الشعبين. وكان المسيو دلکاسه العامل في كل ذلك الذي وصل الى هذه النتيجة

وكانت الامة الروسية قد رأت خيلاء الامة الالمانية فهاها أمرها لاسيما وهي تنظر اليها نظرة جار يود ضرر الآخر تجارة وصناعة وسياسة. أضف اليه الحقد المتولد في قلوب السلافيين ضد الالمانيين وتصرف بسمارك نحو روسيا في معاهدة برلين كما قلنا بعد ان كان حليفها سنة ١٨٧٨ وقلنا ترى الآن في روسيا من يجب المانيا حتى من أولئك الذين يجري في عروقهم الدم الالمانى أو النمساوي كالبولونيين في بوزين وفرسوفيا والتشك في برات والصرب والكروات في اهرام وبلغراد حتى في طيات قلوب البلغارين في صوفيا. وهذا الحقد المنفجر في جميع جوارح السلافيين أرغم حكومة بطرسبرج على الانتصار للصريين وشهر الحرب على النمسا. وقد أرادت حكومة القيصر أولاً ان تتخذ من السلافيين حقدهم لرشق نباله في صدور النمساويين فقط، وذلك لان المانيا قد لعبت دوراً مهماً في بلاط روسيا لوجود عدد عظيم من الدوقات الالمانيات في القصر الامبراطوري - ككاريا بافلوفا قرينة الفرانديك فالديمير والبزابت فيودوروفنا شقيقة القيصر وورثيسة دير كبير الراهبات ودوقيات أولديبرغ وليستنبرغ والامبراطورة الكسندرا - وعدد عظيم من القواد والضباط وولاة الامور الالمانية الاصل الذين يشتغلون بجميع قوام لزيادة متانة العلاقات بين روسيا ومانيا، عدا عن العلاقات الوطيدة الشخصية

بين القيصر والامبراطور ولان . حرباً عواناً تقع بين المانيا وروسيا لاتفيد الثانية كثيراً

أما حقد حكومة القيصر على النمسا فكان ولا يزال هائلاً جداً لان فيها الأقل من ١٦ مليوناً من السلافيين تابعين لحسة عشر مليوناً من الجرمانيين . لذلك ليس من الصعب على حكومة بطرسبورج الضرب على وتر نصرتهم الجنسية فضلاً عن ان النمسا مازالت تعرقل سياسة روسيا في البلقان ، وكانت الحرب بينها بين روسيا أمراً طبيعياً لا مفر منه اه

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

﴿ بقلم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ﴾

مترجمة من جريدة (عليكده إنستيتيوت غازت) بقلم عبد الرزق من تلاميذ

دار الدعوة والارشاد

انتهت السنة الثمانية والثلاثون الهجرية على حادثة فجائية ستذكر في تاريخنا الى زمن بعيد : أذيع خبر وفاة الشيخ شمس العلماء شبلي النعماني في صبيحة ٢٨ ذي الحجة أي في الوقت الذي تنير فيه الشمس العالم ، ولكن وآسفاه غربت فيه شمس العلم وأظلم العالم العلمي .

(ثم بين الكاتب مجد المسلمين القدماء وكثرة وجود العلماء والتابعين فيهم الذين كانوا يخلفون السلف ، والمحطاط المسلمين الآن وفقدان الرجال الذين يحلون محل موتاهم . وقال)

ان في سيرة الشيخ عبرا ودروسا للطبقتين - طبقة النابتة الحديثة وطبقة العلماء ، فلو كتب تاريخه لكان نافعاً للمسلمين . وتوخيا للقائدة نلمح الى تاريخه فنقول :

الشيخ شبلي النعماني من بلدة أعظم كدة الشهيرة وهو من أسرة كبيرة وابن رجل عظيم . لا أعلم سنة ولادته ولكنني قرأت ما كتب في الجرائد من انه ولد سنة ١٨٥٧ أي سنة الثورة . وكان من أسباب تقدمه العلمي ذهنه الثاقب وطبعه السليم وحرص والده على تثقيفه وتربيته ، ووجود أستاذ كامل له كمحمد الفاروق الذي كان ماهراً في العلوم العربية والاداب الهندية . أخذ الشيخ شبلي علم الحديث عن العلامة أحمد علي الشهير ، وبعد فراغه من التحصيل دخل خدمة

الحكومة ولكنه لم يلبث أن تركها من تلقاء نفسه . ثم قرر معلما للغة العربية في كلية علي كره فاتخذ له بيتا بجوار السيد أحمد خان رئيس الكلية . وكان السيد يبحث في العلوم المختلفة فاقتبس منه ومن المعلم أرنلد الاستاذ في الكلية معلومات في الفلسفة والعلوم الحديثة ، وهو الذي علم الاستاذ المذكور عليه كثيرا من العلوم الاسلامية واللغة العربية ، لهذا كان في تأليف كتاب « الدعوة الاسلامية » Preaching Of Islam الاستاذ أرنلد يد كبيرة للشيخ .

وخرج من الكلية سنة ١٨٩٨ بعد أن توفي السيد أحمد وذهب الى حيدرآباد وهناك كانت قد أسست الجمعية العلمية المسماة « السلسلة الأصفمية » فتوظف فيها براتب ٢٠٠ روبية في الشهر (والآن قد زيد فيها مائة فصارت ٣٠٠ روبية) وألف بضعة كتب باسمها ثم رتب مشروع كلية حيدرآباد .

ولما رجع من حيدرآباد طلبه محسن الملك رئيس الكلية لها ولكنه لم يقبل ورجح ندوة العلماء عليها ، وأقام في مدينة الكهنؤ فكان فيها عضوا كبيرا عاملا . وفهم مقاصدها حق الفهم وأراد أن يشرها فنظم شؤونها وأصدر مجلة كبيرة باسمها كانت من أبرر المجلات الهندية وأرقاها . وهي لا تزال نورا في اللغة الهندية . ولكنه لما انتخب رئيسا للجمعية بعد اعتزال رئيسها الشيخ محمد علي لم يقدر على استخدام الاعضاء كلهم كما استخدمهم سلفه ، لانه اشتهر بحرية الرأي والاجتهاد في كل شيء ، فخالفه العلماء وظنوا به الظنون ، حتى قال بعضهم أنه دهري ويريد افساد الجمعية . فلم ينجح في عمله هذا كما ينبغي ، ولكنه استطاع تنفيذ كثير من مقاصدها .

وساح في البلاد الاسلامية في زمن اقامته في الكلية للاستعانة على تأليف تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمطالعة الكتب التي لا توجد في الهند فكان الكتاب من أحسن الكتب التاريخية على طريقة حديثة وسيكون نورا الى الابد . وبعد رجوعه من السفر ذهب الى رستميد مرض هناك مرضا شديدا ذهب بصحته الجيدة فلم تعد الى الموت .

ومن الحوادث المؤلمة في حياته اصابة رجله بالرصاص . وسبب ذلك انه كان جالسا في حرمه والبندقية في يد زوجته ابته فسقطت على الارض فاصابت ساقيه . وآخر حياته مملوءة بمخائفة العلماء له في الندوة ولكنه مع هذا كله مازال مشغولا بتأليف تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم . وأرسل الي خطابا قبل وفاته يقليل وصف فيه تأثير موت أخيه في نفسه ثم قال : أريد تأسيس دار للمصنفين ودار لتكامل العلوم أدرس فيها بنفسي التفسير والحديث ويدررس فيها غيري من العلماء

الآخرون لعلي أنجح في هذا بعد العجز عن العمل في الندوة التي أضعت وقتي فيها . ولكن جاءت المنية قبل تحقق رجائه . جزاء الله خير الجزاء لأعماله النافعة للمسلمين

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

بقلم عبد الرزاق أحد طلبة دار الدعوة والارشاد
كان الشيخ شبلي النعماني من أكبر علماء الهند قدرا وأوسعهم علما وأشدهم
غيرة على الدين والأمة . خدم المسلمين زمنا طويلا بدون تعب ولا نصب ولا
مبالاة بمحوادث الدهر . ومن مزاياه الكثيرة انه كان نابغا في علوم عديدة . مجتهدا
في الدين والعلوم العقلية . ماهرا في تاريخ الشرق والغرب . أدبيا بارعا في اللغة العربية
والفارسية ، ينشد الشعر بالفارسية مثل أعظم شعراء العجم . وهو يعد من أئمة اللغة
الهندية وأفصح كتابها . له كتب كثيرة جدا في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين
الفارسية والهندية وفي علوم شتى . وآخر كتاب كان يعني بتأليفه هو « سيرة النبي صلى
الله عليه وسلم » ولم يكتم يتم جزءا منه حتى عاجلته منيته وهو ابن خمس وستين
سنة تقريبا . هذا الكتاب ليس مثل سائر الكتب التاريخية بل أراد رحمه الله
أن يكتب باستقصاء لا يفاد بصغيرة ولا كبيرة من آثار النبي وأقوال المتخرسين(?) إلا
أحصاها وبمحت فيها بحثا تاريخيا فلسفيا ليس من ورائه بحث . وكان من اهتمامه
بالكتاب المذكور أنه قبل الاشتغال فيه أعلن في الجرائد الهندية انه يحتاج الي
خمسين ألف روية (٣٣٢٥ جنيا) ليسافر الى الممالك الاسلامية والافرنجية
ويطالع في مكاتبها الكتب المؤلفة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتساءل عن
يساعده بذلك ؟ فأجابت طلبه « أميرة بهوپال » التي اشتهرت بالأعمال الخيرية والعلمية ،
غير انها لم تأذنه بالسفر لكبر سنه وما أصابه من العرج بل وعدت بان تطلب له
جميع الكتب المحتاج اليها وتعطي ٢٠٠ روية شهريا لترجمي الكتب الافرنجية منها
(لان الشيخ لم يكن عالما بلغات الغرب) فاشتغل الشيخ بالكتاب ثلاث سنوات
وأكمل منه جزء واحد كما ذكر آتقا .

وكان ينتهز الفرص لينفع المسلمين . ومن ما آره أنه نجح في مسألة الوقف على
الاولاد عند الحكومة فاجازته بعد ان كانت أبطلته .

ربما يظن ظان أن هذا الشيخ الجليل كان من متخرجي المدارس العالية ومن
أصحاب الشهادات العليا . وليس الأمر كذلك . فانه لم يتعلم في مدرسة ما قط بل
كان يتلقن بعض العلوم المتروكة القديمة في بيوت بعض العلماء . ولم يكن يعلم شيئا

من أحوال العالم المدني ولكن علامات الذكاء كانت تنطق على سماه بعظيم مستقبله. ولما كمل دروسه غير المنظمة انتظم في سلك المعلمين في كلية على ككرة الشهيرة وهناك ظهر له أنه يوجد عالم غير عالمه وعلوم غير الفقه والكلام والفلسفة اليونانية فأخذ يطالع العلوم حتى عد من أكبر علماء الهند. وفي هذا الاثناء ساح في البلاد الإسلامية كلها ليحرف داء المسلمين ودواهم. وبعد رجوعه الى وطنه ابتدأ دوره الذهبي، لانه ترك الوظيفة ولم يعمل شيئاً بعد إلا لأصلاح المسلمين. ولهذا الغرض أخذ على عاتقه مشروع ندوة العلماء، وهي لم تكن شيئاً يذكر قبله وبهيمته العالية ترقى في مدة قصيرة حتى سمع صوتهما في العالم المدني ونخرج فيها العلماء والمربون. وكانت له أمانى كثيرة حالت، منيته دونها اذ وافته بعد ان مرض نصف شهر فسقطت بذلك حلقة كبيرة من سلسلة المصلحين، وانطلقاً صباح الهند، فليحزن على فقده المصلحون والهنود المسلمون، انا لله وانا اليه راجعون

(المنار) فقدنا الاستاذ النعماني في عهد هذه الحرب التي حرمتنا رؤيته ما عدا جريدة عليكده من جرائد الهند فلم تقف على شيء من تأيينها وترجمتها له. والشيخ حبيب الرحمن الذي كتب تلك النبذة الوجيزة في جريدة عليكده من أهل العلم والدين، وحزب المصلحين المعتدلين، ولكنه أوجز واختصر حتى انه لم يذكر لنا مضافات الشيخ: وأهل أهل مصر وغيرها من البلاد العربية لا يعرفون منها الا رده الوجيز على كتاب تاريخ التمدن الاسلامي، وما هو الا عجالة جعلها نموذجاً لبيان ما أنكره من ذلك الكتاب ولم يرد به الاستقصاء، وكنت رأيت له رسالة في الجزية نشرت بعضها في المجلد الاول من المنار وهي تدل على اجتهاده في التاريخ وعلوم الدين. ومن سوء حظ المسلمين أن يقوم حزب الجود في وجوه هؤلاء الأفراد من المصلحين كالشيخ النعماني ومحولوا بينهم وبين خدمتهم لمثلهم وأمتهم. ويضعف أنصار الاصلاح عن احباط أعمالهم، ومما يذكر بالاعجاب في ترجمته أنه لم يوجد في أمراء الهند وعظماؤها رجل عرف قيمة هذا الاستاذ الكبير المصلح كما عرفته أميرة بهوبال فضلى نساء تلك الاقطار وأقياها وسننشر في الجزء التالي كلمة وجيزة من صلة المودة بيننا وبين الفقيه وكتابا منه يعلم منه شيء من صلته العلمية الدينية بصاحبة بهوبال أدام الله النفع بها.

السر محمد سلطان آغا خان

زار مصر في أوائل هذه السنة السر محمد سلطان آغا خان زعيم طائفة الاسماعيلية أقدم طوائف الباطنية بل إمامهم ومعبودهم. جاءها عائداً من لندرة عاصمة انكلترا

حيث يقيم معظم سنته - الى وطنه بجي أول ثغور الهند حيث يقيم مدة فصل الشتاء عادة . وقد نزل ضيفا على الجنرال غرانفيل مكسويل القائد العام للجيش البريطاني بمصر فلقى من الحفاوة والاكرام من الحكومة المصرية وكبراء الانكليز ما يليق بمقامه ومكانه من ثقة الدولة البريطانية به وإخلاصه في خدمته لها

وقد اجتمعت به في دار (مستر ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية الانكليزية) وتحدثنا أكثر من ساعة في الشؤون المصرية وأحوال المسلمين في مصر وفي غيرها من الاقطار . وكان أكثر الحديث أسئلة منه وأجوبة مني ، وكنت أحب أن أسأله عن أمور فلم يتسع الوقت لذلك ، وتحدثنا بمعنى اجتماع آخر فلم يتيسر ولعل من أسباب ذلك كثرة تنقله في البلاد المصرية وعدم لبثه في القاهرة بعد ذلك الا قليلا

وقد كان أول حديثه الشكوى من قلة عناية المسلمين بالعلم وسألني عن سبب ذلك فشرحت له رأي فيه ، وبما ذكرته له في ذلك أن العلم لا يرتقي وترتقي الامم به الا بالعمل ، ولا سيما العلوم الطبيعية والآلية (الميكانيكية) التي يشعر عقلاء المسلمين بشدة حاجاتهم اليها ، وتوقف مجاراتهم للافرنج عليها ، وان أسبابا سياسية واجتماعية حالت دون السير في هذه العلوم على الطريقة العملية التي تتوقف على إيجاد المعامل ودور الصناعة في البلاد ، وان الحكومات هي ذات الشأن الأول في إيجاد ذلك وأكثر حكام المسلمين ليسوا منهم . وأما الحكومات الاسلامية المستقلة فقد كانت الدولة العثمانية والامارة المصرية - وهما أقربهن الى الحضارة - شرعتا في اقتباس العلوم والفنون الأوروبية منذ مئة سنة أو أكثر ، أي قبل شروع اليابان في ذلك ، ولكن حال استمرارها على الطريقة العملية مثلا ساعة في الوقت لشرحه فزال المعامل ودور الصناعة التي شرع فيها محمد علي باشا كما اضمحل ما أنشئ من ذلك في الاستانة مع كون الحاجة اليها أشد والقدرة عليها أتم ، واكتفى الترك والمصريون باقتباس المبادي الناقصة من هذه العلوم والفنون ، وانما يتوسع قليل منهم بما هم أقل حاجة اليه من غيره كالفوانين وتاريخ الامم الأوروبية ولغاتها ، مع جهلهم بشريعتهم وتاريخ ملتهم وآدابها ، ولأجل هذا كان ضررا أكثر المتعلمين أكبر من نفعه . ولما كان الطب لا يكون الا عمليا كان هو أضعف ما اقتبسناه من العلم الحديث ، ففي مصر والبلاد العثمانية كثير من الاطباء الذين يخدمون البلاد أجل خدمة . وكذلك الهندسة فانها قد أفادت بقدر الحاجة اليها في الاعمال كالري وسكك الحديد فالمهندسون المصريون لا يقصرون عن الأوربيين الذين يعملون معهم في هذه البلاد

أما حديثنا عن حالة مصر ومسألة الحماية الانكليزية الجديدة فلا يجوز نشره الآن

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأوحيتهم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و« مناراه كمنار الطريق »

مصر ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٣ ٢٣ الحبل (١) ١٢٩٣ هـ ١٤ ش ١٤ إبريل ١٩١٥

فَتَاوَى الْمُنَابِتِ

افتتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة. وينبغي للسائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(صدق به وصدق له)

(س ١) من صاحب الامضاء مدير مجلة الأديان في بنجاب بالهند

سيدي العزيز!

كتبت في أحد أعداد المنار (كما سمعت) أن هناك فرقا بين قولنا «صدق له»

« وصدق به » وقلت أن الاخير يفيد معنى التحقق والامضاء ، والاول يفيد معنى

الإيماء (أي تحقق مضمون الشيء) وما استعمله القرآن بالنسبة الى التوراة

والانجيل هو التعبير الاول . وهذا التفسير هو الجدير بالاعتبار ويحل الاشكال الذي

بين المسلمين والنصارى في مسألة شهادة القرآن لكتبهم . واني أعد لكم فضلا كبيرا

علي اذا أقمتم لي الدليل على صحة هذا الفرق بين العبارتين حتى يتيسر للانسان ان يقتبسه كلما قام جدال بيننا وبينهم في هذه المسألة وأملني ان تبادروا بالجواب

عبدكم (?) المخلص

شرالي

مدير مجلة الاديان

(ج) إن ما أشرتتم اليه من التفرقة بين صدق به وصدق له وقع في رسالة الدكتور محمد توفيق صدقي لا في كلام المنار. وما ينشر في المنار لغيرنا لا يصح أن نطالب بالدليل عليه بل نستل عن رأينا فيه. والذي يؤخذ من استعمال القرآن لكلمة التصديق وما اشتق منها ومن استعمال العرب هو ان «صدق» فعل يتعدى بنفسه كما قال تعالى (٣٧:٣٧ بل جاء بالحق وصدق المرسلين) وأن التصديق يكون بالقول كقولك: صدق فلان فيما أخبر به. ويكون بالفعل، ومثاله أن تقول: ان فلانا سيفعل كذا، او يقول كيت وكيت - فيفعل ذلك الفعل او يقول ذلك القول، فهذا يسمى تصديقا لما قلته عنه، سواء أراد به ذلك أم لا، كل جائز في اللغة مستعمل فيها. فتصديق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم للمرسلين عليهم السلام ولكتبهم يصح فيه الوجهان - يصح أن يراد به إخباره بصدقهم فيما بلغوه عن الله تعالى، وان يراد به ان بعثته وصفاته وأفعاله دلت على صدقهم في البشارة به، وبكل من القولين قال أهل التفسير المأثور والمعقول، والقرائن ترجح أحدهما على الآخر في المواضع المختلفة ولم يرد صدق متعديا باللام فيما نعلم. اما مثل قوله تعالى (٢: ٤١ وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم) وقوله (٢: ٩١ وهو الحق مصدقا لما معهم) فاللام فيه للتقوية لا للتعدية، وهو بمعنى قوله (٦: ٩٢ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) ومعنى ذلك أنه دال على صدق تلك الكتب فيما بشرت به من بعثة النبي (ص) او ناطق بصدق أولئك المرسلين فيما جاؤا به عن الله تعالى. فان أريد بالتصديق القولي منه فهو لا ينافي ما أثبتته في آيات أخرى من تحريف القوم لبعض تلك الكتب الصادقة ونسيانهم حظامنها. ومثاله ان يقول قائل لقوم ان فلانا المؤرخ صادق وان ما كتبه لكم من تاريخكم أو تاريخ كذا صحيح، ولكنكم نسيتم بعض ما جاءكم

به فلم تحفظوه ، وحرقتكم بعض كلمة فلم تبيينوه ولم تستبينوه . هذا هو التحقيق في تفسير الآيات الواردة في هذه المسألة . وقد فصلنا القول فيها في مواضعها من التفسير وأيدناه بالدليل

وأما قولهم : صدق بكذا أو بفلان ، — فهو ليس من التصديق الذي معناه مجرد إثبات الصدق بالقول أو الفعل ، فان التصديق بمعنى إثبات الصدق يتعلق بالأقوال لا بالأشخاص والأشياء ، فاذا اسند الى الأشخاص فأما يسند اليهم باعتبار مضاف محذوف ، « فمعنى صدق المرسلين » صدق أقوالهم . فاذا عدي التصديق بالباء كان متضمنا لمعنى الايمان فكان تصديق اعتقاد محله القلب ، فالتصديق بالنبي هو الايمان بنبوته لا قولك بلسانك إنه صادق ؛ ولا ففلك فعلا يدل على صدق كلامه . وأما تصديقه فيشمل هذا وذاك . والمصدق باللسان قد يكون غير مصدق بالقلب . وحقيقة معنى تضمين فعل معنى آخر هو أن تضم معناه الى معنى الفعل الاصيل بتعديته الى ما يتعدى اليه لكي يدل على معناه أولا وبالذات . وتبقى دلالته على معناه الاصيل مرادة ولو على سبيل الزوم والا كمال . كقوله تعالى (ولأن تأكلوا أموالهم الى أموالكم) أي لا تأكلوها بضمها الى أموالكم لتكون ربما لكم ككسبكم . وهذا لا ينافي الأكل منها بمخالطة اليتيم وإشراكه مع الوصي في المعيشة مع اتقاء الوصي قصد الربح منه ، كما أنه لا ينافي ضمها الى أمواله لحفظها معها لليتيم لالنفسه وقد استعمل التصديق في القرآن متعديا بالباء في أربعة مواضع — ١ — قوله تعالى حكاية لبشارة الملائكة لذكريا (٣ : ٣٩) ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله) — ٢ — قوله تعالى (٣٩ : ٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) — ٣ — قوله (٦٦ : ١٢) وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي السيدة مريم عليها السلام — ٤ — قوله (٩٢ : ٥) وصدق بالحسنى) فكل موضع من هذه المواضع يراد بالتصديق فيه الايمان المستلزم للتصديق اللساني . والحسنى صفة محذوف قيل هو كلمة التوحيد ، واختار شيخنا انه الشريعة والملة

والايمان يتعدى بنفسه بالباء واذا تعدى باللام كان متضمنا لمعنى الاتباع كما لا يخفى على من استقرأ استعماله في الكتاب العزيز وكلام فصحاء العرب والله أعلم

أول الخلق وكونه نور النبي (ص) (تأخر كثيرا)

(س ٢) من صاحب الامضاء في الجامع الازهر
فضيلة الاستاذ! بعد تقديم اللائق بمقامكم أعرض على حضرتكم مسألة
طالما تكررت على مسامعنا ولم نفتح لها معنى وسألت عنها بعض مشايخي بالازهر
فأجابوا بأنها من مواقف العقول فأرجو من فضيلتكم الشرح عنها
سمعنا أن الاشياء خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم ، وأنه موجود قبل
الكائنات. فما معنى النور الذي خلقت منه الكائنات، وكيف يقبل القسمة مع أنه
من الكيفيات؟ وكيف يكون النبي أولا وآخرا؟ أجيوا لازلتم للدين منارا
كاتبه احمد مصطفى النقي

(ج) ما يذكر في الموالد وبعض الكتب من كون أول الخلق نور النبي (ص)
لا يصح منه شيء، فما ينبت عليه من الاشكال ساقط يصدق عليه ما قلناه في الامر الثاني
من جواب السؤال عن عدد صفات الله تعالى وعلمه بها (في ص ٧٣٩ م ١٧) .
وتجدون البحث في مسألتكم مفصلا في (ص ٨٦٥ - ٨٦٩) من مجلد المنار الثامن

﴿ كتاب الجفر . وحديث الاستعاذة من الحور بعد الكور ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في جهة أبي كبير « الشرقية »
حضرة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فترجو اولا التكرم بافادتنا عن كتاب الجفر
المنسوب للامام علي كرم الله وجهه هل هو صحيح أو باطل وما هي أدلة المتبينين
وما هي أدلة النافين وما هو رأيكم الخاص

ثانيا ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من الحور بعد الكور »
هذا وتنازلوا بقبول فائق احترامي
ابو هاشم علي قريبط

«ج» أما كتاب الجفر فلا يعرف له سند الى امير المؤمنين ولبس على النافي
دليل وانما يطلب الدليل من مدعي الشيء ولا دليل لمدعي هذا الجفر

واما معنى الحديث فقد قال ابن الاثير في النهاية : « نعوذ بالله من الحور بعد
الكور » اي من التقصمان بعد الزيادة، وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل
من الرجوع عن الجماعة بعد ان كنا منهم. وأصله من تقص العمامة بعد لفها . اه
وفي لسان العرب : يقال كار عمامته على راسه اذا لفها ، وحرار عمامته اذا تقصها .

حرب المدينة الاوربية

والمقارنة بينها وبين المدينة الاسلامية ، والفتوحات العربية

لقد أرتنا هذه الحرب من ضروب العبر ، ما لم يكن يخطر قبلها على قلب بشر ، وهتكت لنا من أستار الرياء ، ما أرانا كثيرا من حقائق الاشياء ، التي لم يكن يلمحها الا أفراد الحكماء ، فظهر للذكي والبليد ، والغوي والرشيد ، ان هذه لمدينة المادية ، مدينة قوة وحشية ، وشهوات بهيمية ، كانت تخدع الابصار وتقن البصائر بما يدعيه أهلها في زمن السلم من حب الحق والتحلي بلباس الفضائل ، واقامة ميزان العدل ، وثل عروش أئمة الجور والظلم ، جبا في سعادة الناس ، ورغبة في المساواة بين الافراد والاجناس

وقد كان من مقدمات هذه الحرب بين الدول الكبرى حربان في البلقان ، اقرت فيهما البلقانيون من ضروب القسوة وفضائع العدوان ، وتقتيل الشيوخ والولدان ، وهتك الاعراض ونهب الاموال ، ما لم يعرف التاريخ أقبح منه منظرا ، ولا أسوأ عاقبة وأثرا ، ولم يكن يخطر في بال أحد أن هذه الموبقات يمكن ان يقع مثلها من دولة من الدول الكبرى ، دول العلم والفنون والمدينة الرائعة في هذا العصر الذي يفضلونه على جميع العصور ، ويسمونه عصر الحضارة والنور ، نعم ان أنواره المادية يكاد شعاعها يذهب بالابصار ، ويمكن ان يفضل بها الليل على النهار ، ولكن يمثل لك في هذا الضوء عالم المدينة ، هيكلا من هياكل الوثنية ، قد نصب في محرابه تمثال القوة الحربية ، واضعا إحدى قدميه على الحق والاخرى على الفضيلة ، رافعا يمينه راية القهر والسلطة ، وبشمالها راية الشهوة واللذة ، والناس ما بين راح له وساجد ، ومحرق للبخور ومقدم للذبايح

قلما كان أحد من الناس يظن ان دول العلم والحضارة تقترف مثل ذلك الظلم والعدوان ، وتجترح تلك السيئات التي اجترحتها شعوب البلقان ، فجاءت هذه الحرب مكذبة لظن الخير فيها ، وأحقت من القضاء بالقسوة والفضاعة عليها شر ما أحقت على من قبلها ، اذ كانت أقدر على التشكيل والتدمير من البلقانيين الذين

م حالة عليها ، بقدر ما آتاه العلم من أسبابها وآلاتها ، فقد جعلت العلم الجدير بأن يكون مصدر العدل والرحمة والسعادة ، مصدرا للظلم والقسوة والشقاوة ، فهذه دولة ألمانية المتأثرة بسعة العلوم واتقان الفنون ، قد امتازت بما اخترعته من آلات التخريب وأسباب المنون ، وينقل لنا عنها محاربوها ما تشعرون منه الجلود ، ويتصدع من هولاء الحجر الجمود ، من مدافع تدرك الحصون والمعقل ، وغواصات تنسف البوارج والبواخر ، وغازات سامة يتكون منها دخان أخضر ، يقتفي آثاره الموت الأحمر ، فهو مصداق قول الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب اليم)

وضعوا للحرب قوانين لتخفيف نكباتها ومصائبها مستمدة محاسنها من الشريعة الاسلامية شريعة العدل والرحمة ، ولكن ثبت انهم مارعوها حق رعايتها ، وانما يعملون بها في بعض الامور الظاهرة المشتركة بين كل من المتقاتلين كعاملية الاسرى ، ومن آمن منهم ان يعاقب بمثل عاقب به لعجز خصمه أو لا مكانه إخفاء جنايته ، لم يلتزم أحكام قوانين الحرب وحقوق الدول ولا معاهداتها احترامالها ، أو جبا في الحق والعدل اللذين توضع القوانين والعهود لاجلها .

فأين حرب هذه الامم والدول التي خدع الناس كلهم حتى المسلمون بها ، وصاروا يباهون بفضائلها ، وارتقائها في معارج المدنية الانسانية بعلومها وفنونها ، — من حرب الصحابة الذين كان أكثرهم أميين ؟ تلك الحرب التي لم يعرف التاريخ البشري مثلها في رعاية الحق والعدل والورع ، واستعمال الرأفة والرحمة في السر والعلن ، بل شهد فيلسوف التاريخ والاجتماع (غوستاف لوبون) للعرب كلهم بذلك فقال : ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب . فبذلك العصر النوراني فليفاخر المفاخرون ، لا بعصر الوحشية المنظمة التي جاء بها القرن العشرون

هل نقل ناقل أو قال قائل ان أحدا من الصحابة عليهم الرضوان أو ممن حارب معهم من التابعين انتهك عرضا ، أو قتل شيخا أو امرأة أو غلاما ، أو سلب لأحد من أعدائه مالا ، أو هدم كنيسة أو ديراء أو قتل راهبا أو قسيسا ؟ أو مثل يقتيل ،

أو أجهز على جريح ؟ كيف وقد كان الرسول (ص) يوصيهم بمثل قوله « انطلقوا باسم الله وبالله (ص) ولا تقتلوا شيخا فانيا^(١) ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم ، (واحسنوا ان الله يحب المحسنين) » رواه أبو داود من حديث انس بن مالك - وروى احمد من حديث ابن عباس قال كان رسول الله (ص) اذا بمث جيوشه قال « اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا^(٢) ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع »

ومن وصايا الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) المقتبسة من مشكاة النبوة مارواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد ان ابا بكر بمث جيوشا الى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان - وكان يزيد أمير ربع من تلك الارباع - فقال اني موصيك بعشر خلال : لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرماء ولا تقطع شجرا شمراء ولا تخرب عامراء ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لما كله ، ولا تعقرن محلا ولا تحرقه ، ولا تغلل ولا تحنن^(٣)

نعم قد كان يقع قليل من الشذوذ يقابل بالانكاره الا اذا دفع اليه الاضطرار ، والنادر لا حكم له . روى الشيخان وأصحاب السنن ما عدا النسائي وغيرهم عن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي (ص) فهي رسول الله (ص) عن قتل النساء والصبيان .

وروى احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن رياح بن ربيع انه خرج مع رسول الله (ص) في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمر رياح وأصحاب رسول الله (ص) على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون اليها

(١) المراد بالشيخ الغاني من لا يقاتل وقد كان الناس كلهم مقاتلة الا هؤلاء

الذين نهى الحديث عنهم والقاعدة الاسلامية العامة انه لا يقاتل الا من يقاتل

(٢) الغلول الحياثة والغنائم . والتمثيل تشويه الأعضاء بنحو قلع العين وجدع الانف وصلم الاذن . وقد حرم الاسلام بالتمثيل بالقتلى فضلا عن الاحياء ، وقد ثبت وقوع التمثيل في حرب المدينة الاوربية وفي الحرب البلقانية قبلها

(٣) أخبن الرجل خبا في خبنة ثوبه أو سراويله شيئا . والخبنة بالضم طية الثوب وثنيته . وفي نسخ الموطأ المطبوعة وأكثر الكتب التي نقلت عنه : ولا تحنن بالجيم

حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته فأفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله (ص) وقال « ما كانت هذه لتقاتل — وقال لأحدهم — الحق خالدًا قتل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا » (٢) وروى أبو داود في مراسيله عن عكرمة ان النبي (ص) مر بامرأة مقتولة يوم حنين فقال « من قتل هذه » ؟ فأخبره رجل انه كان غنمها فلما رأت الهزيمة أهوت الى قائم سيفه لتقتله به فقتلها قبل ان تقتله . ولا أتدكر قتل امرأة في مغازي النبي (ص) غير هاتين الا تلك المرأة اليهودية التي أمرها زوجها ان تلقي الرمح على بعض المسلمين في غزوة بني النضير ليقتلوها فلا تمش بعده اذ كان موطنًا نفسه على ان يقاتل حتى يقتل ففعلت

وقد كان رفق النبي (ص) بالنساء أعظم من ذلك فقد روى ابن اسحق ان بلالاً مر بصفية وابنة عم لها على قتلى يهود بعد سقوط حصن بني أبي الحقيق فلما رأت المرأة القتلى صكت وجهها وصاحت وحشت التراب على وجهها فقال النبي (ص) لبلال « أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟

ومن ضروب العبرة في حرب المدينة الاوربية كثرة ما يتقاضونه من البلاد التي يفتحونها من الغرامات ، وما يفرضونه عليها من الأتاوات ، وقد كان المسلمون الاولون يكلفون أهل البلاد ضيافة ثلاثة أيام ، لضرورة الحاجة الى القوات وعدم تيسر أسبابه بالطرق النظامية المتبعة في هذه الايام ، وأما الجزية والخراج اللذان يفرضونهما على أهل البلاد فهما أقل مما تفرضه كل حكومة من حكومات الارض على أبناء جنسها في بلادها ، دع ما تفرضه الحكومات الاوربية في مستعمراتها فهو يستغرق معظم غلات أرضها ، فلا يبقى لأكثر أهلها منها الا ما يسد الرمق ، ويستعين به على مداومة العمل ، وقد قرأنا في الصحف ما فرضه الألمان على أهل بلجيكة من الغرامات وما حملوه من الأثقال ، بعد ما حل بهم ما حل من الخزي والتكال ، فاذا هو مما تعجز عن حملة الجبال لا الجمال ، ولا غرو فان كل حظ أهل هذه المدينة المادية

(١) العسيف الاجبر

من الحياة والدافع لها الى القتال ، إنما هو الاستكثار من جمع الاموال ، والتمتع باللذة والعظمة والسلطة والجاه ، ولو ظفر البلجيكيون بالالمان ، لأنزلوا بهم انخزي والهوان ، وعاملوهم كما عاملوا أهل الكونغو منذ أعوام ، فأين هذا من عفة المسلمين ولا سيما الصحابة الكرام .

روى البلاذري في فتوح البلدان عن سعيد بن عبد العزيز قال : بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ المسلمين اقبالهم عليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم . فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : كولايتكم وعدلكم أحب البنا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان تغلب ونجهد . فأغلقوا الابواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا ان ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه ، والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة (يعني الروم أي الرومانيين) وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلبين وأدوا الخراج . اهـ

وفي رواية احفظها ولا أتدكر موضعها الآن أن الصحابة لما ردوا ما كانوا أخذوا من الجزية قالوا انا كنا أخذناها جزاء حمايتكم والدفاع عنكم وقد عجزنا الآن عن ذلك ، فحلف الاهالي ان أبناء دينهم ما كانوا ليرجعوا مالا أخذوه الخراج فهل عهد من فاتح في الاولين والآخريين ان يرد الخراج الى أهل البلاد التي يفتحها ، بناء على ان الخراج لا يباح أخذه الا لأجل حفظ البلاد والدفع عنها ، وان العجز عن ذلك وان كان في سبيل الدفاع عن تلك البلاد يوجب رد الاموال الى أصحابها ؟ لا لا ، ان هذا العدل والورع لم يعرفه البشر الا من الصحابة رضي الله عنهم ، فان كان من وليهم من خلفاء العرب وامرائهم دونهم ، فهم يفضلون سائر الامم في رفقهم وقناعتهم

كان بنو أمية أحرض العرب على نعيم الملك وسعة العيش ، فخرجوا في كثير من أمر السلطة والتصرف في بيت المال عن السنة المتبعة وسيرة الخلفاء الراشدين

وانما استقام عليها منهم عمر بن عبد العزيز . أما سيرتهم في الغزو والقضاء بين الناس وادارة البلاد فكانوا يتحرون فيها العدل والرحمة ، وكذلك كانت سيرة العباسيين في الشرق ، والامويين في الغرب (أي الاندلس) ومن شذ عن ذلك لغير سبب حفظ الملك كان مذموما وعرضة للعقاب ، وقد تضاعفت ثروة الممالك واستبحر عمرانها بعد أن انتزعوها من الروم والفرس . بما كانوا يسوسونها به من الرحمة والعدل ، ولم يفتن لهذا بعض الكتاب الذي انبرى في هذه الايام الى ذم ولاية العرب بكونهم لم يكن لهم هم الإيجابية الخراج ، وقوله في أفراد منهم انهم لم يفعلوا شيئا للبلاد ، أو لم يقل فلان المؤرخ انهم فعلوا شيئا — وهو يعلم علما ضروريا ان عدم القول لا يستلزم عدم الفعل ، وان ماسكت عنه زيد يجوز ان لا يسكت عنه عمرو ، ويعلم علما تقليا أن مزية الفاتحين الاولين من العرب هي العدل والرحمة لا الصناعة التي امتاز بها مؤسسو الاهرام وأمثالهم ، وكانت ولا تزال شاهدة على استبدادهم وظلمهم كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو اليه قلة دخل بيت المال بمصر بكثرة دخول الناس في الاسلام ، ويستأذنه في ضرب جزية على المسلمين . فكتب اليه عمر هذه الكلمة العالية « ان محمدا (ص) بُعث هاديا ، ولم يبعث جايا »

وكتب اليه عدي بن أرطاة : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين فان قبلي أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما لست أرجو استخراجهم (وفي رواية : لست أقدر على استخراجهم) من أيديهم الا أن أمسهم بشيء من العذاب . فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك فعل « فأجابه بقوله :

« أما بعد فالعجب كل العجب من استئذائك إياي في عذاب بشره ، كأنني لك جننة من عذاب الله . وكان رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذها بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشيء فخذها بما أقر به ، ومن أنكرفاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله . وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم ، أحب الي من ألقى الله بدمائهم . والسلام »

وروي عن يحيى النساني أنه قال : لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقا ونقبا ، فكتبت الي عمر أعلمه حال البلد وأسأله :

أخذ الناس بالظنة ، وأضربهم على التهمة ، أم أخذهم بالينة ، وما جرت عليه السنة ؟ فكتب الي أن خذ الناس بالينة وما جرت عليه السنة ، فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . قال يحيى ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا وتبعا .

ومن ضرب العبرة في هذه الحرب ما تراه في كلام كثير من الكتاب من بنائها على قاعدة من قواعد المدنية الحديثة قررها الالمان وتوسعوا في فلسفتها وألفوا فيها الكتب ، وواقفهم عليها من واقفهم بالقول والفعل أو بالفعل دون القول - وهي قاعدة « الحق للقوة » - وقد نشرنا في الجزء الذي قبل هذا مقالا في شأن الكتاب الذي ألفه أحد قواد الالمان وعلمائهم (الجنرال فون برنهاردي) في ذلك وسماه (المنطق والمبادئ في الحروب) وفي نقد مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية له ، ومنه تعلم أنهم جعلوا الأثرة وتفضيل الاقوياء على الضعفاء حتى في الحقوق المدنية مما تقتضيه الفضيلة والحكمة بل زعموا أنه من أصول الديانة المسيحية وأحكامها ، وان مساواة الشعب الغالب للشعب المغلوب لا يجوز في نظر العلم والفلسفة ولا في حكم الدين ندع لعلماء اللاهوت ورجال الكنيسة حكمهم فيما عراه الجنرال الالمانى وغيره الى الديانة المسيحية مع اعتقادنا ان من آداب دين المسيح عليه السلام المبالغة في الايثار (الذي يعبر عنه القوم بانكار الذات) وهو ضد الأثرة التي يدعيها هذا الفيلسوف الالمانى وغيره ، فهو ينافي طلب السلطة وانتراع ملك الناس وملكهم بالقوة ، لاجل التمتع بالجاء واللذة ، لان من قواعد الانجيل ان يعطي المؤمن ماله لغيره ، فكيف يتفق هذا مع انتراعه من غيره ما يملكه ؟ وأما الاسلام فهو وسط بين هذه المدنية المادية ، وبين زهد المسيحية ، فهو دين سيادة وسلطة مدنية ، وفضيلة أدبية روحية ، فالايثار فيه فضيلة مندوبة ، وهو في المسيحية فريضة مطلوبة ، قال الله تعالى في وصف المؤمنين (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) . وأما قاعدة الاسلام في الاحكام فهي العدل والمساواة في الحقوق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والقريب والبعيد ، والحبيب والبغض ، قال تعالى (٥ : ٨) ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تمدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) والآيات في هذا

المعنى كثيرة أوردنا طائفة منها في الرد على الكاتب الأمريكي الذي زعم - فيما كتبه بمناسبة إلغاء الدولة العثمانية الامتيازات الاجنبية - ان الشريعة الاسلامية جاءت بعدم المساواة بين المسلم وغيره ، وبيننا هنالك انه لا تعرف شريعة في الارض قررت هذه المساواة غير الشريعة الاسلامية . وقد جرى على ذلك الخلفاء الراشدون على وجه الكمال ، وكان هو الاصل والقاعدة عند الامويين والعباسيين في القضاء . وانما وقع التذوذ والخروج عنه في بعض الاحكام السياسية والعسكرية واقعة مساواة عمر بن الخطاب بين علي صهر الرسول وابن عمه وبين رجل من عامة اليهود ، وغلط عمر في تسمية اليهودي وتكنية علي ، واستياء علي منه لتفضيله اياه على خصمه بالتكنية ، واعترافه هو بأن ذلك خطأ - واقعة مشهورة معروفة . وقد جرى لعمر بن عبد العزيز ما يقرب منها :

قال الحكم بن عمر الرعيبي : شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم اهل دير اسحق عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصاؤك بين يدي . ولكن وكل بخصومتك من شئت والا فخائي ^(١) القوم بين يدي ، فوكل مولى له بخصومته ففضى عمر عليه بالناعورة . ذكره الحافظ ابن الجوزي في سيرته

قلت ان هذه الواقعة تشبه واقعة علي مع اليهود . وأعني بالتشبيه المساواة في التكرام والاحترام بين الرفيع وان كان بيت النبوة أو الملك وبين سائر الناس حتى من غير المسلمين ، فعلي كان سيد آل بيت الرسول وعمادهم ، ومسلمة كان من بيت الملك فهو ابن عبد الملك بن مروان ، وناهيك بما كان لبني عبد الملك من العز والسلطان .

أما المساواة في الحقوق نفسها فكانت هي الاصل الذي يجري عليه كل الحكام الا من شذ لاسباب عارضة أو لفساد في خلق الشخص ووقائعها في عهد عمر بن عبد العزيز لا تحصى . وقد كان أول مظلمة رفعت اليه يوم توليته مظلمة

«١٦» اي اجلس بازائهم جاثيا على ركبتيك مثلهم اذلا تميز في الخصومة بين ابناء الخلفاء والامراء وبين دهاء الناس كاهل الدير وغيرهم

ذمي من أهل حمص ادعى ان العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبه أرضه ، قال عمر : يا عباس ماتقول ؟ قال أقطعنيها — أي الارض — أمير المؤمنين الوليد بن الملك وكتب لي بها سجلا . فقال : ماتقول يا ذمي ؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق ان يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، اردد عليه يا عباس ضيعته . فردها عليه

وقد كان أهل بيت الملك من بني أمية تأثروا بضيعات ومزارع كثيرة من بيت المال ، وكان لبعض الناس في بعضا حق أو مقال ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها ، وكان أول ما بدأ به رد ما كان له ولولده من ذلك

وروى انه استشار مولاه مزاحما في ذلك فقال : يا مزاحم ان هؤلاء القوم اعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطونا اياها وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار الي ليس علي فيه دون الله محاسب . فقال له مزاحم يا أمير المؤمنين هل تدري كم ولدك ؟ اتهم كذا وكذا . قال فدرفت عيناه فجعل يستدمع ويقول . أكلهم الى الله تعالى . ثم ذهب مزاحم وذ ك ذلك لعبد الملك بن عمر عسى ان يكف أباه عن ذلك . فقال له عبد الملك : بئس وزير الدين أنت يا مزاحم . ثم وثب فانطلق الى بيت أبيه عمر فاستأذن عليه فقال له الأذن : ان أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال استأذن لي . قال : أما ترحمونه ليس له من الليل والنهار الا هذه الواقعة . قال عبد الملك : استأذن لي لا أم لك . فسمع عمر الكلام فقال : من هذا ؟ قال هذا عبد الملك . قال ائذن له . فدخل عليه وقد اضطجع للقائلة فقال : ما حاجتك يا بني في هذه الساعة . قال : حديث حدثني مزاحم . قال فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال وقع رأيي على انفاذه . قال فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني . نعم يا بني ، أصلي الظهر ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : ومن لك بالظهر يا أمير المؤمنين ! ومن لك ان بقيت الى الظهر ان تسلم لك نيتك الى الظهر ! فقال قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة . فقال عبد الملك تأمر مناديك ينادي : الصلاة جامعة . فيجتمع الناس (قال اسماعيل بن أبي حكيم الراوي لهذه الواقعة وهو من رجال صحيح مسلم) فنادى المنادي : الصلاة

جامعة. فخرجت فأثبتت المسجد فجاء عمر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطوناها ،
وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار اليّ ليس عليّ فيه دون الله محاسب . ألا
واني قدر دنتها وبدأت نفسي واهل بيتي . اقرأ يا مزاحم .

قال الراوي : وقد جيء بسفط قبل ذلك - او قال جونة - فيها تلك الكتب .
فقرأ مزاحم كتابا منها فلما فرغ من قراءته ناوله عمر - وهو قاعد على المنبر ويده
جلم (أي مقص) فجعل يقصه بالجلم ، واستأنف مزاحم كتابا آخر فجعل يقرؤه فلما فرغ
منه دفعه الى عمر فقصه ، ثم استأنف كتابا آخره ، فما زال حتى نودي بصلاة الظهر
هذه هي أحكام الاسلام فمن خالفها كان خارجا عن هديه ، استعملوا القوة ، في
اقامة العدل مع الرحمة ، وبذلك ساد من ساد من خلفائهم ودولهم ، فقاعدتهم
« القوة للحق » وقاعدة المدنية الحديثة « الحق للقوة » واما المتأخرون منا فهم
مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وما رأيت أصدق في وصف
القوم ووصفهم من قول شاعر بني العنبر أول شعراء الحماسة :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي	بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن	عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا
قوم اذ الشر ابدى ناجديه لهم	طاروا اليه زركات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم	في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوي عدد	ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة	ومن اساءة أهل السوء احسانا
كان ربك لم يخلق لخشيته	سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا	شئوا الإغارة فرسانا وركبانا

ومن ضر وب العبرة في هذه الحرب ما نراه في أخبارها من الكذب والتناقض
والتعارض والتهاوتر والتمويه والتدليس وسوء التحريف وفساد التأويل ، يشترك في

ذلك أصحاب الشركات البرقية ، والجرائد السياسية ، حتى سرى الى المجالات التاريخية والعلمية ، بل لم يعد أحد من الناس يثق كل الثقة بالناشر والبلاغات الرسمية لانهم يرون كل خصم يكذب خصمه في أخباره الرسمية . ولو سئل أصحاب الجرائد في كل قطر من الاقطار عن سبب ما ينكر عليهم مما ذكر — لا جابوا: ان سببه الاول تضيق حكوماتنا علينا ، وإلزامها إيانا عرض كل ما نكتبه على رقباها الذين سلبوا حرية الكتابة منا ، مع اجتهادنا في جعل ما نكتبه موافقا لمصلحتها ، وتجنبنا من تلقاء أنفسنا كل ما نرى ان نشره يخالف سياستها .

هذا عذر عارض ، والمشهور بين الناس ان الجرائد لا تتحرى الصدق فيما تنشره لاني أيام السلم وعهد الحرية ، ولا في أيام الحرب وعهد المراقبة ، وانها تعتمد الكذب والتمويه اذا كان لها في ذلك منفعة . والحق انها تواريخ فيها الصادق والكاذب ؛ والحق والباطل ، تجمع بين الدرة والبعرة ، وتأتي بالذرة واذن الجرّة ؛ وانني لا أشهد لجريدة من الجرائد التي أعرفها في الشرق انها تمثل حال البلاد التي تصدر فيها والامة التي تتكلم عنها تمثيلا صحيحا كما يعرفه المختبر للبلاد وللامة . ولو كانت هذه الجرائد في عصر رجال الجرح والتعديل من المحدثين ، لجعلوا أصحابها في عداد الوضاعين ، ولم يرتقوا بهم الى درجة الضعفاء أو المدلسين . كيف وقد ضعف بعضهم القاضي الواقدي وبعضهم قال انه كذاب وانه كان يضع الحديث . وهو من اكبر الحفاظ واشهر المؤلفين ، كتب عنه سليمان الشاذكوني كتابا ثم اتاه فسأله عما كتبه عنه قبل ان يخرج به ، فاذا هو لم يغير حرفا منه

لم تُعنّ أمة من أمم العلم بمثل ما عني به المسلمون من ضبط الرواية في القرون الاولى . فان كانوا دونوا في تواريخهم كل ما قيل ما صح منه وما لم يصح لاجل الجمع والاحصاء ، فالعمدة عندهم على الاسانيد ، فما كان محل الشبهة منها أمكن تمحيص الرواية فيه بالبحث عن رجال سنده . فاذا انفرد بعض الرواة او المؤرخين بطن في العلويين أو الامويين أو العرب — مثلا — يمكننا بالنظر في السند أن نعرف هل فيه أحد المتعصبين غير الثقات من النواصب أو الروافض أو الشعوبية فنتهمه بوضعه أم لا؟ وتحرير هذه المسألة لا يمكن الا بمقال طويل ، وعلى الله قصد السبيل .

مَدِينَةُ
دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْأَشْشَانِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٥

الفرق بين الهواء الداخل الى الرئتين والخارج منها

الهواء الداخل الى الرئتين تركيبه عين تركيب هواء الجو أعني هكذا: —

أكسجين	٢٠.٩٦ في المائة (١)
نيتروجين	» » ٧٩
غاز حامض الكربونيك (وهو غاز ثاني أكسيد الفحم)	» » ٠.٠٤
بخار الماء	كميته مختلفة

وحرارة هذا الهواء تختلف باختلاف الجهات والأوقات وغير ذلك

أما الهواء الخارج من الرئتين فتركيبه كما يأتي: —

أكسجين	١٦.٠٣ في المائة
نيتروجين	» » ٧٩
غاز ثاني أكسيد الفحم	» » ٤.٩٤
بخار الماء	الهواء مشبع به
الحرارة	كحرارة الجسم

فيفهم من ذلك أن النيتروجين لا تتغير كميته لعدم حاجة الجسم اليه من طريق التنفس فيذوب في الدم كما يذوب في الماء ولا عمل له في الجسم مطلقاً. وفائدة النيتروجين في الهواء تخفيف مقدار الأكسجين فيه، فإنا إذا استنشقتنا أكسجين

(١) هذه المقادير بالحجم لا بالوزن

خالصاً احترق جسمنا بسرعة كبيرة ونحف واحتجنا الى مقادير عظيمة من الطعام لتعويض هذا النقص الكبير فلذا اقتضت الحكمة الالهية تخفيفه بالنتروجين نعم ان النتروجين ضروري لتركيب جميع الخلايا الحية ولكنه يصل الى الجسم في الطعام وفي الشراب (كاللبن) لا بطريق التنفس - كما قلنا -
 أما الاكسجين الداخل مع الهواء فكميته أكثر من كمية الخارج معه ، لانه يتحد مع هيموجلوبين الكريات الحمراء ويدور مع الدم فاذا وصل الى أنسجة الجسم جذبته اليها واتحدت به وهذا ما يسمى « بالاحتراق الداخلي » أو « التنفس الداخلي » اللازم حياة الجسم

وإذا اتحد الاكسجين مع أجزاء الجسم تولدت مواد أخرى بقاؤها ضار بالجسم ، فتدور مع الدم لتفرزها الاعضاء المختصة بذلك كالكليةتين والجلد في البول والعرق

ومن هذه المواد الناشئة من الاحتراق الداخلي غاز ثاني أكسيد الفحم والماء وهذا هو السبب في زيادة غاز ثاني أكسيد الفحم والماء في الهواء الخارج من الرئتين وقد وجد علماء الفسيولوجيا أن الهواء الخارج من الصدر يشتمل أيضا على بعض مواد نيتروجينية عضوية ولكنهم لم يكتبوها الى الان ماهيتها ولا تركيبها وهي السبب في رداءة رائحة هواء الغرف المسكونة، وإذا تنفسها الانسان مرة أخرى أضرت بصحته ضررا بليغا يفوق ضرر استنشاق القليل من غاز ثاني أكسيد الفحم ، فان هذا الغاز لا يفسد تركيب أي جزء من أجزاء الجسم ، ولكنه اذا ملأ الجو مات الانسان اختناقاً لعدم وجود الاكسجين فيه

المواد المختلطة بالهواء

وهو حد في الاهوية المفسدة غير ذلك أيضا مواد أخرى غازية ضارة بالانسان ضررا بليغا ومن أهمها الهيدروجين المكهرب وهو الذي يتولد من المراحيض وغيرها ، وهذا الغاز يفسد الدم ويضر بالجسم أيضا

وكذلك أول أكسيد الفحم فانه سام جدا ، وهو يتولد من الاحتراق الناقص للفحم ويوجد في الهواء أيضا ميكروبات وذرات مختلفة من التراب والمعادن والفحم

وعبر ذلك، فالميكروبات تحدث أمراضا عديدة في اجسام الانساني، وتلك الذرات تحدث أيضا نزلات شعبية والتهابات رئوية مزمنة

لهذا كله يجب أن يكون الهواء المستنشق نقيا من كل ما تقدم فلا يكبر فيه أكسيدا الفحم الناشئان من أنفاس الحيوانات والنباتات ليلا ومن اشتعال النيران، ويجب أن يكون هواء الامكنة المسكونة بعيدا عن المراحض، دائم التجدد، معرضا للشمس فانها تقتل كثيرا من ميكروباته، بعيدا عن الأتربة والمصانع التي تثير غبارا من المعادن وغيرها
سنة الله في الاكسجين والسكربون

ولا يتوهم القارئ مما سبق أن كمية الاكسجين في الهواء آخذة في النقص شيئا فشيئا بسبب التنفس وبسبب النيران، فإن الله تعالى وضع لذلك سنة حكيمة بها يبقى الأكسجين في الهواء الى ماشاء الله، وذلك بأن جعل الورق الاخضر لجميع النبات يحلل (بتأثير أشعة الشمس فيه) غاز ثاني أكسيد الفحم فيمتص منه الفحم ويخرج الأكسجين. وهذا الفحم بأحاده مع عناصر أخرى تتركب منه أخشابها وما فيها من صمغ وسكر وزيت وغير ذلك. فكأن الفحم الخارج من الانسان وغيره من الحيوانات ضروري للاشجار فاذا أكل الانسان شيئا من هذه الأشجار عاد الى جسمه ثم يحترق فيه فيخرج في الهواء فيعود الى الشجرة، وهكذا كالدائرة

وبحركة الرياح (وهي ناشئة من اختلاف درجة حرارة الهواء) وبتماوج ذراته وانتشارها توجد حركة دائمة في هواء الارض فتبعثر الاكسجين وتشره في جميع الجهات، ولولا ذلك لماتت الحيوانات التي في البقاع الخالية من الاشجار ومن الخطأ العظيم تغطية الوجه أثناء النوم وكذلك غلق منافذ الغرفات مع وجود أشخاص فيها أو مصابيح وغيرها فان ذلك قد يقتل الانسان
أما ثاني أكسيد الفحم المتكون من الاحتراق الداخلي فانه يوجد في الدم لاذنبا فيه بل متحد مع عنصر الصوديوم بصورة كربونات الصوديوم أو بيكر بونات الصوديوم، فاذا وصل هذان الملحان الى الرئتين خرج من البيكر بونات ثاني أكسيد الفحم

بطريق الاكسوسموز، ومما يساعده في خروجه الخلايا البطنة للحويصلات الرئوية ففزره. وسبب حصول الاكسوسموز هو نقصان كمية ثاني أكسيد الفحم في الهواء، كما أن السبب في دخول الاكسجين من الهواء في الدم هو أيضا قلة الاكسجين في الدم عنها في الهواء. وقبل دخول الاكسجين للدم يذوب في الرطوبة التي تغطي جدران الحويصلات الرئوية ومنها يدخل للدم. ويجب أن لا يتوهم القارئ أن كل الهواء الذي في الحويصلات الرئوية يخرج منها أثناء الشيق، فالواقع أنه يخرج جزء منه ويبقى جزء آخره وبطريقة الانتشار يسرع أكسجين الهواء الى الداخل لكثرته وغاز ثاني أكسيد الفحم الى الخارج لكثرته أيضا — كما سبق بيانه —

ثقل غازات الهواء

من تأمل في تركيب الهواء والفرق بين درجات ثقل غازاته وجد أن النيتروجين من أخفها، وغاز ثاني أكسيد الفحم من أثقلها، فلذا يتكاثر هذا الغاز الاخير بقرب سطح الارض وفي الحفر وكما ارتفع الانسان نقصت كمية هذا الغاز وزادت كمية النيتروجين، ولذا كثيرا ما سمعنا بموت أشخاص هبطوا الى اماكن منخفضة كالأبار وغيرها

أما الأكسجين فلكونه أثقل من النيتروجين يكثر في الهواء المجاور للأرض ويقل في جو السماء، يشعر بذلك من توقل [صعد] في جبل عال أو حلق في الجو بطيارة وأعظم علو أمكن للانسان أن يصل اليه في القباب الطائرة أو الماطيد أو الجبال هو ٨٨٣٨ مترا. أما الصعود بعد ذلك فيؤدي الى هلاك الانسان إما بنقص الأكسجين أو لانفكالك غازات الدم منه فتحدث أعراض خطيرة. ويتعسر التنفس أو يتعذر بسبب نقص كمية الأكسجين نقصا عظيما فلا يحدث الاكسوسموز. زد على ذلك أنه اذا عاش الانسان بضع دقائق في ذلك المكان المرتفع حصل له نزف من الأنف أو الرئتين أو غيرها لثقل ضغط الهواء الجوي على جسم الانسان. وتعلم أن الصعود الى نحو ٥٠٠ مترا لا يوافق جمهور الناس حتى المعتادين لذلك من سكان الجبال

أما ارتفاع هواء الجو فلا يقل عن ٣٠٠ كيلومترا

التنفس الصناعي

إذا بطل تنفس الإنسان بسبب ما كاستنشاق الكلور وفورم أو الفرق في الماء أو استنشاق غازات الاحتراق أو غير ذلك مما يبطل التنفس أمكن إعادة الحياة إلى المصاب بطريقة « التنفس الصناعي » واستعمال المنعشات ونحوها بشرط أن لا تكون المدة قد طالت ، وأن لا تكون أنسجة الجسم قد بدأ فيها أقل شيء من الفساد

أما طريقة التنفس الصناعي فهي أن تزيل كل ما أمكنك إزالته مما قد يوجد في مجاري التنفس كالماء في الفريق مثلا بان تقلب المصاب على وجهه وترفع رجله إلى أعلاه ثم تضعه على مكان عال لتتمكن منه وتخفض رأسه وتخرج لسانه بشده بمقبض (جفت) أو نحوه ثم تمسك بمضديه وتجذبها إلى أعلاه رأسه ثم تخفضها إلى جنبه وتضغط بهما على صدره، ويستحسن أن يساعدك شخص آخر في ذلك الوقت بان يضغط على بطنه أيضا ليرتفع الحجاب الحاجز فيحصل الشيق بسبب ذلك، أما الزفير فان الذي يحدثه هو جذب الذراعين المذكور هنا. ويتكرر هذا العمل في الدقيقة الواحدة نحو خمس عشرة مرة، ولا يصح اليأس من عودة الحياة الا بعد مضي نحو ساعة على الأقل. وفي أثناء هذا العمل توضع خرق مبتلة بالماء الحار على القلب أو يثبت الحجاب الحاجز بالضرب بمثل المنشفة على قسم المعدة وينشق المصاب (كبسول الأميل نيتريت) ويحقن بالاستركنين أو الأثير أو غيرهما تحت الجلد ويحقن بجزء من الخمر أو الكحول في الشرج الى غير ذلك. فاذا فعلت جميع هذه الاشياء باستمرار عادت الحياة غالبا خصوصا اذا كانت ضربات القلب موجودة. ومن أحسن المستنشقات في ذلك الوقت غاز الاكسجين إن وجد

جهاز الهضممقدمة في الغدة

قبل البدء في الكلام على هذا الجهاز ينبغي أن نبدأ بتعريف كلمة « الغدة » لشدة الاحتياج إليها فيما سيأتي

تطلق هذه الكلمة على ثلاثة أنواع من أجزاء الجسم :-
 (١) الغدة اللمفاوية وهي عبارة عن شيء كعقدة مركبة من عدة كريات تشبه كريات الدم البيضاء ، يمسك بعضها بجانب بعض مادة تسمى بالمنسوج الضام ، ووظيفتها تنقية المواد اللمفاوية من الميكروبات وغيرها ولذلك نجد كثيرا منها موضوعا في طريق الأوعية اللمفاوية بحيث تصب فيها ثم تخرج منها - كما سبق -
 (٢) غدة الافراز وهي التي تخرج مواد كثيرة من الجسم بعضها له منفعة خاصة والبعض الآخر لا نفع له وإنما تخرجه لضرر بقائه في الجسم . مثال الاول اللعاب والابن ومثال الثاني البول والعرق ، وقد يكون الشيء المخرج له نفع في الجسم ويضر بقاؤه فيه كالثرة وهي المادة الصفراء التي يفرزها الكبد وتتركب الغدد الافرازية من غشاء مجهري [ميكروسكوبي] يوجد على سطحه خلايا الافراز وتكون طبقة واحدة في الغالب ، وتوجد عدة طبقات منها في مكان شهير بالجسم وهو الخصية ، وعلى الجانب الاخر من هذا الغشاء المذكور توجد أوعية الدم ومنها تخرج المواد بطريق الاكوسموز فتصرف فيها الخلايا وتخرج منها مواد كيمياوية عجيبة التركيب
 أما أشكال هذه الغدد فمنها الكيسي وذلك بأن ينبعج الغشاء الى جهة الأوعية الدموية فيتكون كيس صغير مبطن بالخلايا وله فوهة يخرج منها الافراز ومنها الأنبوبي وهي التي يكون لها تجويف كالأنبوبة لا كالكيس ، ومنها الأنبوبي المتفرع ، ومنها عنقودي الشكل ، ومنها المتوي
 ويلاحظ أن في هذا النوع من الغدد قناة في داخل الغدة الافرازية وفيها تجري مفرزاتها كالابن والعرق وغيرها
 أما الضرب الاول من الغدد فلا قناة لها
 وأما الضرب الثالث فهو أيضا لا قناة له وهو يشمل عدة أعضاء في الجسم كالطحال (وهو نوع من الغدد اللمفاوية) والغدة الدرقية والغدة السعترية في صدور الاطفال ، وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه في فصل خاص والذي يهمنا في الكلام على الهضم هو الضرب الثاني

تشرح الجهاز الهضمي ووظيفته

يبتدى هذا الجهاز بالفم ثم المري ثم المعدة ثم الامعاء الصغيرة فالكبيرة وينتهي بالدبر. ويصب فيه عدة افرازات من غدد متنوعة لهضم الطعام ولغير ذلك، وتمر فيه الاغذية والاشربة في مدة تختلف من يوم الى يوم ونصف وقد تكون أقل من ذلك بكثير كاحوال الاسهال وقد تكون أكثر من ذلك في أحوال الامساك

أما الفم ففيه اللسان والاسنان وغدد اللعاب وفي نهايته توجد اللوزتان ووظيفة اللسان هي تحريك الطعام ليمتزج باللعاب وليمكن مضغه وبلعه، ومن وظائفه أيضا الكلام كما سبق، وادراك طعوم الاشياء وليمه مدار معرفة ما ينفع الانسان وما يضره من المأكولات والمشروبات. وادراك الطعوم الالذبة يحرك شهوة الطعام فيجيد هضمها

أما الاسنان فهي عادة نوعان: الاسنان اللبنية أو المؤقتة، والاسنان الدائمة، وقد يبيت للشيوخ أسنان مرة ثالثة ولكنها مسألة نادرة الحصول أما الاسنان اللبنية فهي ٢٠ والاسنان الاخرى ٣٢ منها ١٦ في الفك الأعلى و١٦ في الفك الأسفل

وعلى الاسنان مدار جودة هضم الطعام لانها تهشمه وتسحقه الى قطع صغيرة لتتمكن الأعصرة الهاضمة من الوصول الى جميع أجزائه، فمن ازدرد طعامه بالامضغ أضر بجهاز الهضم خصوصا وبالجسم عموما، فيجب إطالة المضغ وإتقانه. ويجب علينا أيضا المحافظة على الاسنان وإلا أصابها العطب وقتدناها فنخسر جزءا عظيما من أجزاء جهاز الهضم. وأعظم شيء للمحافظة عليها هو تنظيفها جيدا وعدم استعمال شيء بارد على شيء ساخن في الفم أو بالعكس فان ذلك من أعظم ما يفسدها وأشهر أمراض الاسنان نوعان: -

(١) النوع الاول ان يصيبها الخفر (التسويس) وهو عبارة عن تفتت جزء من عظم السن وانكشاف لبه والتهاب هذا اللب فيحصل بسبب ذلك ألم شديد يحرم الانسان لذة النوم والطعام وتموت السن افساد أوعية الدم المغذية لها التي في داخل اللب، والميكروب المسبب لذلك يسمى (Leptothrix Buccalis) أي

«الشعرة الدقيقة الفمية» ويوجد في هذا المرض أيضا الاميبا^(١) الفمية [Amoeba] وعلاجه يكون باعدام العصب الذي في داخل اللب بمادة كاوية كحامض الفنيك أو الكريوزوت، وذلك يطهر اللب ويسكن الألم. والاولى أن يعدم اللب بأ كسيد الزنكوز - كما هي العادة - ثم يحشا التجويف بالذهب أو بمواد أخرى يعرفها أطباء الاسنان كالحزف، وهو أحسن من غيره.

(٢) النوع الثاني داء ريج (Rigg) وهو مرض كثير الانتشار بين الناس يبدأ بالتهاب حول جذر السن في سمحاق العظم فتكون مواد صديدية ويضغطها على جذر السن يرتفع شيئا فشيئا حتى تسقط، وهذا الداء هو سبب سقوط أسنان كثير من الناس، وسببه دخول ميكروب خاص الى جذر السن من أي قرح صغير في اللثة وهذا الميكروب يسمى (الاستربتوكوك^(٢) اللعابي) [Streptococcus] وهو يوجد عادة في أفواه جميع الناس، إلا أنه في بعض أحوال مخصوصة كضعف البنية بسبب متا - يتمكن من ايداء الانسان فيدخل الى جذور الاسنان وهناك يفعل فعلته الشنعاء.

ولا علاج ناجما لهذا الداء سوى الحقن بميكروب المرض^(٣) المأخوذ من نفس المريض كما سيأتي توضيحه والا فالמידارة الى قلع ما يصاب به من الاسنان والاستعاضة عنها بأسنان صناعية واستعمال المطهرات المتنوعة والنظافة التامة للفم مع تقوية البنية بالاغذية الجيدة والهواء النقي وغير ذلك. ومما يسكن الألم في هذا المرض استعمال مضمضة من الخل، وهي فائدة شائعة بين العامة.

وأحسن طريقة لتنظافة الاسنان هي استعمال السواك خصوصا بعد كل طعام. وهو يؤخذ من شجرة الاراك، وفيه مواد عطرية مطهرة بعض التطهير للفم ومعترة

(١) اسم يوناني معناه « المتغير » يطلق على حيويين دقيق ذوخلية واحدة، وهو دائم المتغير لشكله، وله حركة ذاتية.

(٢) أي البزور السلسلية لوجودها بهيئة سلاسل حينما يراها الانسان بالمجهر. والكلمة يونانية

(٣) ذلك يشبه ان يكون مصداقا لقول الشاعر « وداوني بالتي كانت هي الداء »

له وتساعد على المهضم أيضا وهو يشد اللثة لقبض فيه . ويسمي الاراك بعض الافرنج (شجرة محمد) لحث الشريعة الاسلامية على استعمال السواك كما هو معلوم ، ولا يعني عنه الا استعمال المسفرة (الفرشة) مع بعض أدوية عطرية مطهرة قابضة ، ويجب عليها بعد كل استعمال والا تكاثرت فيها الميكروبات الضارة بالاسنان ، وكذلك يجب تجديد طرف السواك بعد كل استيائك

أسماء الأسنان ووقت ظهورها

أما أسماؤها فهي : — ثنيتان في الوسط وبجانبيهما رباعيتان ثم نابان ثم ضاحكتان ثم ست أرحاء ، ثلاث في كل جانب ، ثم ناجدان ، واحد في اليمين وآخر في اليسار وهما آخر الاضراس . وذلك في كل من الفكين الأعلى والأسفل

وقت ظهور الأسنان

الاسنان اللبنية تظهر في الطفل من الشهر السادس الى الرابع والعشرين على هذا الترتيب : —

الثنيتان السفليتان	٦ - ٩	أشهر
الثنيتان العلويتان والرباعيتان العلويتان	٨ - ١٠	أشهر
الرباعيتان السفليتان والضواحك	١٥ - ٢١	شهرًا
الإنياب	١٦ - ٢٥	شهرًا
الأرحاء	٢٠ - ٢٤	شهرًا

وليس للطفل سوى أربع أرحاء في فمه ، وأسنانه كلها عشرون فقط وهذه المدد تقريبية فانها تختلف كثيرا بحسب بنية الاطفال واختلاف أمزجتهم وغير ذلك ، فمنهم من يولد وفيه اثنايا ظاهرة ، ومنهم من يتأخر ظهور أسنانه الى نهاية السنة الثانية أو الى عدة سنين بعدها

وفي وقت ظهور الاسنان تصاب الاطفال عادة ببعض اعراض مرضية كالاسهال والقىء والحصى فالضعف . وتسمى كملات اسنان الطفل العشرون يمكث بها الى السنة السادسة أو السابعة ثم يظهر خرمس (رحي) خلفها في السنة السادسة أو السابعة وتسقط

(المنار ج ٣) (٢٦) (المجلد الثامن عشر)

بأقي الأسنان واحدة بعد الأخرى ويظهر مكانها غيرها على هذا الترتيب : —

في السنة	السادسة :	الأرحاء الثانية
»	»	السابعة : الثنايا
»	»	الثامنة : الرباعيات
»	»	التاسعة : الضواحك
»	»	العاشر : الأرحاء الأولى
»	»	١١ — ١٢ : الأنياب
»	»	١٢ — ١٣ : الأرحاء الثالثة
»	»	١٧ — ٢٥ : التواجذ

فترى من هذا أن الأسنان التي تظهر في السنة ١٢ أو ١٣ يمكث الشاب بها إلى السنة ١٧ فيظهر ضرس العقل أو الحلم وهو التاجذ إما في هذه السنة أو فيما بعدها إلى ٢٥ أو ٣٠ وفي النادر أن يتأخر عن ذلك

أما أسنان الشيوخ — ان ظهرت — فيكون ظهورها بين السنة ٦٣ و ٨١

وجوب أكل الانسان اللحم والنبات

بالتأمل في أسنان الحيوانات المختلفة نرى ان آكلة اللحوم اسنانها حادة جدا ، أما أسنان الحيوانات الآكلة للنباتات ونحوها فهي كليلية ، وأسنان الانسان متوسطة في حدتها بين الطرفين . وكذلك اذا نظرنا في مقياس أمعاء الحيوانات المختلفة نجد أن أمعاء آكلة اللحوم قصيرة وآكلة الخضروات ونحوها طويلة وأمعاء الانسان وسط بينهما ، وذلك يدلنا على أن الانسان بطبيعته يجب أن يأكل اللحم والخضروات جميعا ، وفي ذلك اعظم دليل على خطأ مذهب النباتيين فانه مخالف للطبيعة البشرية ، هذا وقد وجد ان الفيران البيضاء وهي التي لا يؤثر فيها ميكروب الحجر الحبيثة تتأثر به اذا غذيت بالنباتات فقط . فلا يبعد أن يكون الانسان كذلك بمعنى أنه يصير عرضة لبعض الامراض إذا اقتصر على الخضروات (راجع صفحة

١٧٩ من كتاب Manual Of Bacteriology تأليف Hewlett)

اللغاب

يتواجد اللغاب من عدد مخصصة وهي ثلاث: الغدة النكفية وموضعها تحت
الاذن ولماها، وتسمى أيضا الاذنية، ولها قناة تمتد منها الى الفم تسمى قناة
ستنسون (Stenson) وفتحها بقرب الرحي الثالثة للفك الاعلا

والغدة الثانية تحت الفك الأسفل ولها قناة تسمى قناة هوارتون (Wharton)
تصب بجانب قيد اللسان، وفتحها مرتفعة قليلا كحلمة صغيرة
والغدة الثالثة تسمى « الغدة التي تحت اللسان » لأنها تحت الغشاء المخاطي
المكون منه قيده، ولها عدة قنوات بعضها يفتح في الفم مباشرة وهو الأ كثر والبعض
الأخر تتكون منه قناة أكبر تصب في قناة هوارتون المذكورة

واللغاب مركب من ماء وزلال وأملاح متعددة ومادة مخصوصة تسمى
« العاين » وهي أهم ما فيه. « والعاين »^(١) من الحماثر التي سيأتي توضيحها في الفصل
التالي. وفي لغاب الانسان أيضا آثار من مادة سامة جدا لا تعرف فائدتها الآن،
وربما كانت مما يقتل الميكروبات. ووظيفة اللغاب أن يرطب الطعام حتى يسهل مضغه
وإزدراده ويذيب بعض مواده ليترك طعامها وهو ضروري للنطق الفصيح ويهضم
المواد النشوية التي في الطعام فيحولها الى سكر يسمى الملتوز (أوسكر الشعير)^(٢)
ويستمر تأثير اللغاب في المواد النشوية حتى بعد وصولها الى المعدة بنحو ربع أو
نصف ساعة حتى يفسد عصير المعدة الحمضي مادة العاين فيبطل تأثيرها في النشا.
والعاين لا يهضم النشا غير المنطبوخ لانه لا يؤثر في مادة « السللوز » المحيطة
بذراته، وهي مادة الخشب أيضا

(١) في اصطلاح علم الكيمياء كثيرا ما يتركب اسم المادة الفعالة في الشيء
بإضافة (ين) إليه فمثلا (البنين) هو اسم المادة الفعالة في البن أو القهوة ولذلك
يسمى أيضا (القهوين) وهكذا. فالعاين مادة اللغاب الفعالة في الهضم وقد جارينا
هنا الأقرن في هذا الاصطلاح كما جاريناهم في غيره مما سبق بيانه لسبقهم لنا في
العلم والاختراع والاكتشاف

(٢) سمي بذلك لانه يتولد في الشعير النابت (Malt) وغيره لتغيرات كيميائية
محصل في نشائه اذا ابتل بالماء

اللوزتان

اما اللوزتان فهما غدتان لمفاويتان موضعهما على جانبي الخلق في منتهى الفم يخرج منهما كريات بيضاء تمتزج باللعاب أو تسير في الدم . وفائدتهما قتل بعض الميكروبات بهذه الكريات البيضاء وقتل ما يقف عليهما من الميكروبات أيضا أو يدخل فيهما ، فهما كحصنين يقتلان ما اقرب منهما ويبعثان بجنودهما في اللعاب لقتل بعض الاعداء التي تحمل في أجزاء الفم المتنوعة . وهذان الجسمان كثيرا ما يحصل فيهما التهاب تحدث عنه الحمى ويمرض الجسم بسببها ، وعلة حصول هذا الالتهاب ضعف البنية ودخول ميكروبات كثيرة فيهما فيزداد حجمهما وتكثر كرياتهما ليتغلبا على هذه الميكروبات ، فان نجحا حفظا الجسم من خطر عظيم - وان كان الانسان يمرض بضعة ايام اثناء هذه الحرب - وان غالبا تكون فيهما خراجات أو أفلت بعض الميكروبات منهما الى الدم فتنشأ عن ذلك أمراض متنوعة كالروماتزم (الرثية) وآفات القلب وغير ذلك . ويقل التهابهما في الأقوياء لأن كرياتهم البيضاء تكون قوية فتقتل الميكروبات بسهولة بدون حاجة الى إثارة حرب عامة

كلمة في الخماير

يحصل تخمر الأشياء بسبب وجود ميكروبات مخصوصة ، ومن أشهر أنواع هذه الميكروبات ما يحول السكر الى غول (كحول) ^(١) وغاز ثاني اكسيد الفحم ، ولهذا التخمر سميت الخمر خمر في أحد الأقوال . وهو السبب في فورانها وحرارة طعمها ومن الميكروبات ما يحول بعض أنواع السكر (سكر اللبن) الى حامض اللبنيك ، وهو السبب في حموضة اللبن فاذا امكنا منع الميكروبات من الوصول

(١) يسمى الكحول بالفرنسية (Alcohol) وهو روح الخمر أو المادة الفعالة فيها وهي سبب جميع شرورها ومضارها ، ويقول الافرنج لهم أخذوا هذه الكلمة عن اللغة العربية ، فالظاهر أنها مأخوذة من كلمة « غول » الواردة في وصف خمر الجنة في قوله تعالى (لافيهها غول) وهو ما يعتال العقول ويفسد الصحة (ولا هم عنها ينزفون) أي لا يسكرون منها لعدم وجود تلك المادة الضارة في خمر الآخرة وعليه فسنستعمل في كتابنا هذا كلمة (غول) بدل كلمة كحول أو (Alcohol) والمراد بها ما يسمونه (السبرتو) (Spirit)

إلى الأشياء أو قتلها فيها بطل كل تخمر أو تعفن ، فإذا أردنا حفظ اللبن مثلا من أن يخبث ووجب أن نغليه غليا جيدا ونضعه في زجاجات معقمة (مطهرة) بحيث لا يصل إليه أي ميكروب ، فيبقى سليما من الفساد طول الدهر ، وهذه الطريقة مستعملة في جلب الألبان الينا من البلاد الأجنبية كسويسرة وغيرها

ومن هذا يتضح أن السبب في الفساد والتعفن هو هذه الميكروبات ، وتسمى بالخائثر أما فعل هذه الميكروبات فهو بافراز مواد مخصوصة لها تأثير كيميائي في الأجسام ، وهذه المواد المفترزة يسمونها أيضا بالخائثر . وعلى ذلك فالخائثر نوعان : الميكروبات نفسها ومفرازاتها ، وكما أن إفراز هذه الميكروبات سمي بالخائثر كذلك يسمى بعض افرازات الجسم بالخائثر أيضا لأنها تؤثر في الاجسام تأثيرا كيمياويا فتحدث فيها تغييرا بالتركيب والانحلال كتأثير إفراز الميكروبات ، وذلك مثل اللعابن الذي سبق ذكره في الاعاب . وسيأتي ذكر غيره في بحث مفرازات (عصارات) المعدة والامعاء . وهذه الخائثر كلها تقريبا مواد آزوتية ، إما زلالية أو قورية من الزلالية — بحسب ما نعلم الآن — ما عدا الييبين فيقال انه لا يتروجين فيه

ومن الغرائب ان افراز الميكروبات إذا كثرت يقتل نفس الميكروبات التي تولده كما في الخمر مثلا فان غولها يقتل ميكروباؤها وغيرها ، وإذا غلي الشيء الذي فيه هذه الخائثر بنوعها ماتت الميكروبات وفسدت الخائثر فيبطل عملها . ومن الخائثر المشهورة مادة تستخرج من غشاء المعدة الرابعة للحيوانات المجترة كالعجول تسمى بالأثفحة ، وفائدتها تحويل اللبن الى جبن

والميكروبات هي نباتات مجهرية ، بعضها يحتاج لأوكسجين مطلق ^(١) يعيش فيه ، والبعض الآخر يعيش بغير اوكسجين مطلق

بقية الكلام على جهاز الهضم
يندفع الطعام بعد الفم الى الملقوم ، وهو تجويف يفتح فيه تجويفا الأنف والفم ثم الخنجرة ، وفي أسفله المريء
وفي جدران الملقوم غدد امفاوية تشبه في منسوجها اللوزتين ، ووظيفتها

(١) أي غير متحد بشيء يتقيد به

كوظيفتهما أي أنها تقتل الميكروبات كما سبق
أما المريء فهو أنبوبة لحمية تمتد من الحاقوم الى المعدة وطولها من ٩ الى ١٠
بوصات ، ويدخل في تركيب جدرانه ألياف عضلية تكون في نحو ثلثه الأعلى اختيارية
وفي الباقي غير اختيارية ، وهو مبطن بغشاء مخاطي كالمعتمد ، وفي المريء يمر الطعام
إلى المعدة

وأما المعدة فهي ككيس كهرلي الشكل تحت الحجاب الحاجز في البطن ،
ولها فتحتان : الأولى منهما متصلة بالمريء وتسمى « بانفؤاد » لقربها من القلب ،
والفتحة الثانية تسمى « بالبواب » والمعدة مركبة من ألياف عضلية ومبطنة بغشاء مخاطي
وسطحها الخارجي مغطى بغشاء مصلي وهو جزء من البريتون (١)

وفي الغشاء المخاطي عدة غدد لأفراز العصير المعدي . وتتحرك المعدة حركة
غير اختيارية بما فيها من الألياف العضلية وهذه الحركة تشبه مخض اللبن ويراد بها
مزج الطعام بالعصير المعدي حتى ينهضهم الهضم الأول

أما العصير المعدي فأهم ما فيه من المواد هو حامض الهيدروكلوريك (٢)
(بنسبة ٢ في الألف) ومادة يسميها الأفرنج (Pepsin) ونسبها بالعربية
« المماضوم » وهي خميرة تفرزها الغدد المعدية ، ويقال إنها خالية من النيتروجين
— كما سبق — وعلى ذلك فهي ليست من المواد الزلائية . ووظيفتها تحويل
المواد الزلائية الى مادة أخرى تسمى بالأفرنجية (Peptone) (أي المماضوم) وذلك
بضم عناصر الماء الى ذرات المواد الزلائية ثم انقسامها فتحدث هذه المادة البيبتونية ،
وهي سهلة الذوبان سهلة الامتصاص لكون ذراتها أصغر من ذرات الزلال

وأما الطعام فإنه يمكث في المعدة نحو أربع ساعات فيها يحصل هذا الهضم
المدكور في المواد الزلائية، ويتحول سكر القصب الى مادة أخرى سكرية ، وتقتل
جميع الميكروبات تقريبا بما في هذا العصير المعدي من الحامض فيصير الطعام
طاهرا لكيلا يضر بالجسم ، فإذا حدث للمعدة ما يقلل إفراز هذا الحامض أو يمنعها

(١) هو الغشاء المغشي للأحشاء البطنية، ومنه جزء كاندليل يسمى بالترب، ويمكننا
أن نسمي البريتون بالعربية (الغشاء المحيط) (٢) مركب من هيدوجين وكورين

أمكن دخول ميكروبات أو ديدان الى الامعاء ، أو الى الجسم نفسه هذا كله هو وظيفة المعدة ، ولا تأثير لها في المواد النشوية ولا في المواد الدهنية الا باسالتها وبهضم ما أحاط بها من الغلف الزلالية . والعصارة المعدية لا تنفرز الا وقت الطعام

وأول انفتاح للبواب يحصل بعد نحو ٢٠ دقيقة من نزول الطعام في المعدة فيمر الى الامعاء جزء مما في المعدة ، ثم ينغلق البواب ، ثم يتتابع هذا الفتح والانغلاق في البواب وتأخذ مدة انغلاقه في القصر ومدة انفتاحه في الطول حتى يمر الطعام الذي في المعدة شيئاً فشيئاً الى الامعاء بحيث يمر كله في نهاية الساعة الرابعة تقريباً

وبعد المعدة توجد الامعاء الصغيرة أو الدقيقة ثم الامعاء الكبيرة أو الغليظة أما الامعاء الصغيرة فطولها نحو من ٢٠ قدماً ، وتقسم الى ثلاثة أقسام :
(١) الاثنا عشري ، وطوله ١٢ أصبماً أو ١٠ بوصات وفيه يحصل الهضم الاعظم للطعام كما سيأتي تفصيله (٢) الصائم ، سمي بذلك لوجوده فارغاً بعد الوفاة عند تشریح الجثة ، يبلغ طوله خمسي الامعاء الصغيرة الباقية بعد الاثني عشري (٣) اللفائف ، وهي الثلاثة الأخماس الباقية من الامعاء الصغيرة

وأما الامعاء الكبرى فتبتدى من أخفرة الحرقفية اليمنى بما يسمى (بالاعور) وفي أسفله مصير صغير كاللدودة يسمى بالزائدة الدودية ، وفيها يحصل مرض مشهور هو التهابها الذي قد يكون سبباً في وفاة الشخص ان لم يتداركه الاطباء بالعلاج الفعال . وهذه الزائدة هي أحد الاعضاء الاثرية الشهيرة في جسم الانسان التي لما ينته الناس الى حل لغناها أحسن مما ذهب اليه دارون^(١) وقيل ان لها افرازاً

(١) هو العلامة الانكليزي (تشارلس دارون) عاش بين سنة ١٨٠٩ و ١٨٨٢ ميلادية . وقد ذهب الى أن الأنواع الحية ليست ثابتة ، ولم يخلق كل منها مستقلاً عن غيره بل نشأ بعضها عن بعض بالتغير التدريجي البطيء مع طول الزمان لعوامل طبيعية بينها يانا شافيا . وقد توسع العلماء في هذا المذهب حتى طبقوه على كل شيء في هذا الوجود فصار يشمل الجماد والامور المعنوية كالأفكار واللغات =

يحدث لنا فتُطرَد المواد البرازية وترتفع في القولون مضادة للجذب الارضي في الحيوانات المنتصبة القامة (القرد والانسان) ولذلك لا توجد في الحيوانات الأخرى، واذا استئصلت حدث امساك متعاص مستديم يؤدي الى ضعف الجسم ومرضه كما دلت عليه تجاربهم على ما قالوا

وبعد الاعور يوجد القولون ^(١) وهو أربعة أقسام القولون الصاعد والقولون

المستعرض والقولون النازل والتعريج السيني

ثم المستقيم الذي ينتهي بالشرح وهو فتحة الدبر

وطول الامعاء الكبيرة يختلف من ٥ الى ٦ اقدام

والامعاء مركبة من الطبقات الآتية (١) طبقة مصلية وهي من البريتون

الذي سبق ذكره (٢) طبقة عضلية مركبة من طبقتين : مستطيلة وحاقية ، فالمستطيلة

في الخارج والحلقية في الداخل (٣) الغشاء المخاطي ويفصله عن الطبقة العضلية (٤)

طبقة رابعة فيها تنفرغ أوعية عديدة دموية ولفاوية وأعصاب دقيقة . وفي الطبقة

المخاطية غدد كثيرة لافراز المصير المعوي ، منها نوع في الاثني عشري يسمى

بغدد (بروتر) ^(٢) ونوع آخر في الامعاء كلها يسمى بغدد (ليركهن) وهي من

الشكل الأنبوبي البسيط . ويوجد غير ذلك في الغشاء المخاطي وتحتة منسوج

لفاوي ، بعضه يتكون منه غدد صغيرة تسمى (بالغدد المنعزلة أو الوحيدة) والبعض

الآخر يتجمع على شكل بيضاوي يحدث بقعا في طول جدران المصران تسمى يقع

باير (Peyer) ^(٣) وهي توجد بكثرة في اللفائف

وفي هذه الغدد اللفاوية بنوعها يحصل التهاب بسبب ميكروب مخصوص فتحدث

== والمعتقدات والشرائع وغير ذلك . فمحصل هذا المذهب أن الكون بما فيه لم يخلق

دفعه واحدة بل خلق أطوارا طبقا لسنة التدرج والترقي . فالمذهب في الجلة صحيح

لاشك فيه ، ويكفي في إثباته قوله تعالى (وقد خلقكم أطوارا) وانما النزاع في بعض

تفاصيله ، وسنعود الى بيان ذلك في فرصة أخرى ان شاء الله تعالى

(١) القولون اسم هذه الامعاء الغليظة باليونانية ، والكلمة من تعريب المتقدمين

(٢) نسبة لعالم ألماني يدعى « فون برون »

(٣) مشرح سويسري عاش بين سنة ١٦٥٣ و ١٧١٢

عنه الحمى المعروفة بالتيفودية أو الحمى المعوية وهذه البقع المنسوبة لباير لا توجد في الامعاء الغليظة وإنما توجد فيها الغدد المنزلة فقط — وهي التي تكثر جدا في الأعرور والزائدة الدودية —

وبالتهاب هذه الغدد التي في الامعاء الغليظة مع الأغشية المخاطية وتقرحها يحصل المرض المسمى بالدوسنتاريا (الزحار) سمي بذلك في العربية لانه يحدث منه زحير شديد متكرر، ومن أعراضه أيضا المفض الشديد والحمى والاسهال مع نزول مواد مخاطية دموية صديدية متكررة بمقادير صغيرة في كل دفعة وفي الغشاء المخاطي للامعاء الصغيرة ما يسمى بالخمامل وهو كالأهداب لهذا الغشاء، وهو أعظم آلات امتصاص المواد الغذائية. وفيه أيضا غير ذلك ما يسمى بالصمامات الهلالية لكركنج (Kerkring) وهي عبارة عن ارتفاعات تتكون من ثنيات الغشاء المخاطي على نفسه، وفائدتها ان تعوق سير الطعام حتى يهضم وأن تكبر سطح الغشاء المخاطي للامعاء ليكثر افرازه وامتصاصه للمواد المهضومة، ولذلك يتبدى وجودها بعد البواب بأصبعين أو ثلاثة وتكثر شيئا فشيئا خصوصا في الاثني عشري والصائم وكذلك تكبر تدريجا، ثم تأخذ في القلة والصغر حتى تنتهي في منتصف الفائف. ولا وجود لها هي والخلل في الامعاء الكبيرة لقلة الامتصاص وعدم الهضم فيها

والحكمة في وجود الغدد اللمفاوية المذكورة آنفا هي حفظ الجسم من دخول الميكروبات فيه ولذلك تكثر في الفائف وفي الامعاء الغليظة حيث يكثر التعفن والفساد لخلو هذه الاجزاء من العصارات المطهرة، بخلاف المعدة فان عصيرها مطهر كما سبق، والصفراء في الاثني عشري من وظائفها أيضا تقليل تعفن الطعام

ويصب في الامعاء الصغيرة قناتان عظيمتان: إحداهما من عضو يسمى باليونانية (البنكرياس) ويمكننا أن نسميه بالعربية (الغدة الجسدية) والاخرى هي قناة الكبد تحمل المرة (الصفراء) الى الأمعاء، وهاتان القناتان تجتمعان معا عند نهايتهما وتصبان بفتحة واحدة غالبا في الجزء النازل من الاثني عشري في الجهة الانسية منه

أما البنكرياس (الغدة الجسدية) فهي أهم غدة في الجهاز الهضمي كله ، طولها نحو ٦ الى ٨ بوصات ، وموضعها خلف المعدة ووضعها مستعرض بالنسبة للجسم امام الفقرة القطنية الاولى . وتفرز عصيرا فيه خِثائر أربع هامة جدا كل منها يهضم جزءا مخصوصا من الطعام (إحداها) الهاضوم الزلالي^(١) لهضم جميع المواد الزلالية كاللحم والبيض فيحولها الى المادة المسماة (بيتون) وهو أقوى من هاضوم المعدة المسمى بيسين بكثير (الثانية) الهاضوم النشوي وهو الذي يحول المواد النشوية الى سكر الشعير وهو أيضا أقوى بكثير من [اللعابين] حتى انه يؤثر في النشاء غير المطبوخ . ولا يوجد هذا الهاضوم في أمعاء الاطفال الرضع قبل الشهر السادس ولذلك كان من الخطر عليهم أن يطعموا أي مادة نشوية كالبطاطس والخبز ؛ فان ذلك يفسد جهازهم الهضمي ويضعف صحتهم فيصابون كثيرا بالاسهال وغيره وبداء الكساح (Rickets) (الثالثة) الهاضوم الشحمي ووظيفته أن يحدث مستحلبا مع المواد الشحمية أو الدهنية ويحلها أيضا الى جلسرين^(٢) وحوامض شحمية ، وكلاهما سهل الامتصاص . وقد يتحد بعض هذه الحوامض مع البوتاسيوم أو الصوديوم فيتكون من ذلك الصابون ، والصابون أيضا سهل الامتصاص ؛ فاذا امتصت هذه الاشياء عادت الى شحم كما كانت (الرابعة) خبيرة تشبه الأنفحة وظيفتها تحويل اللبن الى جبن ، وهذه أقل الخِثائر المذكورة تأثيرا في الهضم

والعصير البنكرياسي قلوي التأثير بخلاف العصير المعدي فانه حمضي أما الكبد فهي أكبر عضو في الجسم ، وموضعها الجهة اليمنى من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة . ولها وظائف عديدة فهي تفرز المرّة (الصفراء) وتخزن فيها أكثر المواد السكرية وبعض الزلالية بعد ان تتحول الى النشاء الحيواني (جليكوجين) لحين الحاجة اليها فتحولها ثانية الى سكر يخرج منها مع الدم ليحترق في الجسم خصوصا في عضلاته ، وهذه الوظيفة هي من أكبر وظائفها ، وتكون أيضا حامض البولييك والبولينا لتفرزهما الكلى ولولا ذلك لتراكت بعض المواد الضارة بالجسم

(١) اذا أطلقنا هذه الكلمة أردنا بها الهاضوم المعدي المسمى باليونانية بيسين

(٢) كلمة يونانية معناها حلو

ومن وظائفها أيضا أنها تصفي المواد التي انهضمت في الأمعاء وتنقيها من
الميكروبات ومن بعض السموم وذلك أثناء مرورها فيها ولذلك اقتضت
الحكمة الإلهية أن تجتمع جميع الأوردة الآتية من القناة الهضمية ويتكوّن منها
وريد واحد هو الوريد الذي يسمى (الباب^(١)) الذي يجتمع فيه ما انهضم من
الزلال والسكر وبعض الشحم فيصل إلى الكبد وهناك تفرز منه الصفراء وينقى
أما المرة (الصفراء) فهي إفراز ضار بقاؤه بالجسم ، فلذا تنصب في الأمعاء
لتخرج مع البراز وهي السبب في تلون البراز باللون المعهود ، وجزء من الصفراء
لا يخرج مع البراز وإنما يمتص ثانية في الجسم فتفرزه الكلى وهو السبب في تلون
البول باللون المعروف . وفي الأجنة تتجمع الصفراء في أمعائهم حتى إذا ولدوا نزل البراز
من أمعائهم أسود اللون ويسمى (بالعقي)

ولا يتوهن القارئ مما ذكر أن الصفراء لا فائدة لها في الهضم بل هي أكبر
مابين العصير البنكرياسي على هضم جميع المواد المذكورة سابقا وخصوصا المواد
الدهنية ، والصفراء تقلل التعفن والفساد كما قلنا ، وهي أيضا منبهة للحركة الدودية
للأمعاء ، ولذلك يعرض لمن احتبست فيه الصفراء - بأن انسدت - مجاريها ما يسمى
(بالترقان) فيصفر جميع جسمه ويحصل له امساك متكرر ويرى في برازه شحم
غير مهضوم وتكون له رائحة كريهة جدا

أما مجاري الصفراء فهي في مبدئها مجهرية (ميكروسكوبية) وتفتدى من
داخل الخلايا الكبدية وتجري فيما بينها وتتجمع هذه القنوات بعضها مع بعض حتى
تكبر شيئا فشيئا إلى أن تنتهي بقناتين عظيمتين : أحدهما تخرج من الفص الأيمن
الكبد ، والاخرى من الفص الأيسر لها وتجتمعان معا فيحدث منهما قناة واحدة .
وفي أسفل الكبد كيس صغير يسمى بالحويصلة الصفراوية (المرارة) لها قناة
أيضا تتحد مع قناة الكبد وتكون منهما القناة الكبرى المسماة (بالقناة المشتركة)
التي قلنا أنها تنصب في الاثني عشري . وفائدة هذه الحويصلة أن تكون مستودعا

(١) سمي بذلك لأنه يحمل الأغذية والاشربة بعد الهضم إلى الكبد ومنها
إلى الجسم ، فكانت له باب لدخول الطعام والشراب إلى البدن

للمرة في وقت عدم الحاجة اليها
 وإذا انسدت القناة الكبدية وحدها حصل اليرقان وكذلك اذا انسدت
 القناة الكبرى ، أما اذا انسدت قناة الحويصلة فقط كبرت هذه بسبب افراز مواد
 مخاطية من باطنها وحدث كيس تحت الكبد ، و بانسداد هذه القنوات السالفة الذ كر
 بمخيمات كبدية تكون غالبا في الحويصلة يحصل المغص الكبدي
 وإذا انعكست حركة الامعاء بحيث تعود الصفراء الى المعدة من البواب حصل

القيء الصفراوي ، وهو مر الطعم
 أما لون المرة فسببه اشتغالها على مواد ملوثة لا تختلف عن هيموجلوبين الدم إلا
 بعدم وجود الحديد فيها ، وذلك لان الكبد من المواضع التي تباد فيها
 الكريات الحمراء القديمة فتأخذ الكبد منها الهيموجلوبين وتفصل منه الحديد
 وتلقي بالباقي في افرازه وهو السبب في تلون المرة باللون المعروف . أما الحديد فان
 الكبد تركبه مع غيره من العناصر ويخرج منها في الدم فاذا وصل الى تقو العظام
 امتزج بكريات (خلايا) هناك فتنشأ منها الكريات الحمراء
 ولوجود مادة الحديد في خلايا الكبد كانت الكبد من أحسن المآكل المغذية

المجددة ، للدم غير أنها أعسر هضما من الاحوم البيضاء
 اما جميع المواد النشوية والسكرية المهضومة فانها تمتص في الدم بعد أن تتحول
 الى سكر العنب ، فاذا وصلت الى الكبد حجز منها مؤقتا ما زاد عن حاجة الجسم
 بصورة النشاء الحيواني المذكور (الجليكوجين) وهذا النشاء يتحول شيئا فشيئا
 كلما احتاج الجسم اليه الى سكر العنب مرة أخرى ويسير في الأوردة الكبدية
 ويدور مع الدم فيغذي أنسجة الجسم وعضلاته وفيها يحترق فيتحول الى ثاني
 أكسيد الفحم وإلى الماء -- كما سبق --

واعلم ان الطعام الذي تم هضمه في المعدة وسار منها الى الاثني عشري
 يسمى (الكيموس) وهي كلمة يونانية معناها العصير

أما الأمعاء فانها تفرز عصيرا آخر أهم وظيفة له تحويل سكر القصب وسكر
 الشعير الى سكر العنب ، ولها أيضا بعض التأثير في المواد النشوية فتحوها الى سكر

ومما تقدم يفهم أن أجزاء الطعام الاصلية تتحول قبل امتصاصها كما يأتي — :

(١) الماء والاملاح لا تتحول الى شيء وتمتص كما هي
(٢) المواد الزلالية ^(١) تحوّلها عصارات المعدة والبنكرياس الى بيتون
ولكنها عند امتصاصها تحوّلها خلايا الغشاء المخاطي للأمعاء الى مواد زلالية أخرى
مثل التي في الدم

(٣) المواد الشحمية والدهنية يتمص جزء منها كما هو ، وأكثرها ينحل بالعصير
البنكرياسي الى جلسرين وحوامض شحمية — كما تقدم — وكل من هذه
الحوامض والجلسرين سهل الامتصاص ، ولكن في اثناء مرورها خلال الغشاء
المخاطي للأمعاء تحوّلها خلاياها الى شحم أو دهن كما كانت من قبل انحلالها ، وبعض
الحوامض يتحد مع صوديوم المرّة فيتكون صابون وهو سهل الامتصاص ويساعد
أيضا على امتصاص الشحم كما هو ، فالشحم يهضمه عصير البنكرياس مع المرة بعد
أن يحولاه الى (مستحلب) وذلك مما يعين أيضا على هذا الهضم والامتصاص
(٤) أما المواد النشوية فانها تتحول باللعاب والعصير البنكرياسي الى سكر
الشعير ، ثم يتحول هذا السكر وسكر القصب — ان وجد — بواسطة العصير
المعوي الى سكر العنب ، وهذا السكر سهل الامتصاص ويبقى في الدم كما هو غير
أنه يخزن الزائد منه مؤقتا في الكبد على صورة الجليكوجين — كما قلنا — أما سكر
البن فيتحول اثناء امتصاصه الى سكر العنب أيضا ، ولا تأثير للعصارات الهاضمة فيه

امتصاص الاغذية

أما الامتصاص فانه يحصل في القناة الهضمية من أولها الى آخرها أي من
انفم الى المستقيم ، ولكن الامتصاص في الفم قليل جدا كثير في المعدة والأمعاء خصوصا
في الصائم من الأمعاء الصغيرة

ولما كان بعض المواد الزلالية يمكن امتصاص القليل منها وإن لم تهضم ^(٢)

(١) تسمى أيضا الاولية (Proteids) لان لها المنزلة الأولى بين الاغذية ،
والنيروجين من لوازم تركيبها (٢) المراد بالهضم هنا التغير الكيماوي المخصوص
الذي يحصل في الاغذية قبل امتصاصها

وكذلك الشحم والزيوت فلذا يستعمل الأطباء في بعض الأمراض الحتمن الشرجية المغذية للمرضى وان كان أكثر هذه الحقن يهضم هضمًا صناعيًا قبل حقنه لتسهيل امتصاصه لعدم وجود عصارات هاضمة في المستقيم أما الماء والاملاح والمواد السكرية والزلاية فكلها تمتص من الامعاء بواسطة فروع الوريد الباب ليحملها الى الكبد— كما سبق— مع بعض أجزاء من الدهن قليلة جدا، ولكن أكثر المواد الدهنية تمتصها أوعية لمفاوية مخصوصة موجودة في الامعاء، وهذه الأوعية تسمى (بالأوعية اللمفية) لان هذه المواد الدهنية التي تجري فيها تشبه اللبن وتسمى (بالكيلوس) وهي كلمة يونانية أيضا معناها العصير؛ وهذه الأوعية اللمفاوية تصب في غدد لمفاوية منشورة في طريقها لتفتيتها من الميكروبات ونحوها، وكل من الأوعية وهذه الغدد موجود بين طبقتي المساريقا (Mesentery) ^(١) وهي عبارة عن غشاء من البريتون يعلق الامعاء الصغيرة بالظهر ويحيط بها

والغدد اللمفاوية التي بين طبقتي المساريقا يحصل فيها التهاب فضخامة عند تفرح الامعاء في الحمى التيفودية وغيرها واعلم أن الزلال المهضوم المسمى (بيتون) اذا دخل الدم من غير أن تحوله الخلايا المخاطية الى زلال كزلال الدم كان سما زعاقا فلذا كان تحويله قبل امتصاصه واجبا

ومن المعلوم أن سم الثعابين ونحوها هو مواد زلاية تقرب من البيتون فلذا كان أكله مغذيا لا ضرر فيه لان خلايا الغشاء المخاطي تكفل بتحويله إلى ما يصلح للجسم قبل امتصاصه، أما اذا حقن في الدم أو تحت الجلد بدون هذا التحويل كان خطرا على الحياة

وفي الامعاء ميكروبات عديدة، وهذه الميكروبات تحدث تغيرا وتحليلا في الاغذية فوق الذي تحدثه العصارات الهاضمة فينشأ عن ذلك غازات وغيرها، بعضها يضر امتصاصه وبعضها لا ضرر فيه، وهذه الغازات هي التي تحدث القراقر (١) كلمة يونانية معناها (وسط الامعاء) لان هذا الغشاء متصل بوسط الامعاء

في البطن وخروج الأرياح ، ويكثر تكون هذه الغازات بأكل المواد النباتية . وقد تؤثر العصارات الهاضمة في بعض المواد المأكولة فتخرج منها مواد سامة للجسم اذا امتصت في الدم ، ولكن هذه الميكروبات تحللها الى أجسام أخرى وبذلك تبطل ضررها ، فوجودها في الامعاء ضروري ، ومن الخطأ محاولة قتلها بالأدوية المطهرة أما البراز فهو فضلات جميع الاغذية والاشربة التي لم تمتص ، ومفرزات الجهاز الهضمي ، وغير ذلك

والسبب في حصول الاسهال أحد ثلاثة أمور (١) إما اضطراب حركة الامعاء حتى تكون أسرع من الحالة الطبيعية فيمر فيها الطعام والشراب بسرعة زائدة قبل ان يجف بالامتصاص (٢) وإما زيادة العصارات الهاضمة وخصوصا افرازات الامعاء بسبب مرضها كالتها بها (٣) وإما قلة امتصاص خلايا الغشاء المخاطي للاطعمة والاشربة لمرض ما فيها . وهذه الاسباب في الغالب تكون مجتمعة في الاسهال العادي وقد تحصل بالمسهلات ، ولذلك كان الاسهال الزائد عن الحد ضارا جدا لانه ينهك القوى

والسبب في الامساك عكس ما تقدم ، وضرره يكون بامتصاص بعض المواد الضارة في الدم وبضفطه على بعض الاعضاء كالأوردة أو الاعصاب فيعوق وظيفتها وقد تنشأ عنه البواسير والصداع والضعف وآلام عصبية في الفخذ الايسر لضغط المواد البرازية في التعرّيج السيني والمستقيم على الاعصاب . أما مدة مرور الطعام في الامعاء فهي عادة من ٢٤ — ٣٦ ساعة ، منها نحو ١٢ ساعة الامعاء الدقيقة

(فصل في الاطعمة والاشربة وغيرها)

المواد الضرورية للجسم سبق ذكرها مرارا وهي باختصار : المواد الزلائية (الأولية) والسكرية والنشوية (السكر بوهيدراتية) والدهنية والماء والاملاح وعنده المواد يأخذها الانسان اما من الحيوانات أو من النباتات ، والحيوانات المأكولة تأخذها أيضا من النباتات ، فصدرغذاء الانسان كله هو النباتات. وهذه المواد كلها توجد في أنواع مختلفة من الاطعمة أهمها : —

(١) اللبّن

هو غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد السابقة وعلى الدهن المعروف (السمن والزبدة والقشدة) ويستخرج منه الجبن وهو جل المواد الزلالية والدهنية مع بعض أملاح تضاف إليه من الخارج

وإذا تعرض اللبّن للهواء زمنًا مآ هبطت إليه بعض ميكروبات مخصوصة تحول سكره الى حامض اللبنيك وهذا يُرسب الزلال الذي في اللبّن فيحافظ ويكون كاللبّن المعروف في مصر (باللبّن الزبادي) المسمى بالعربية (اللبّن الخائر والرائب) وقد توضع في اللبّن خميرة فيها بعض ميكروبات أخرى فتحول سكره الى غول فينشأ نوع من الخمر بسبب ذلك يعرف في بلاد التار بالكفير أو الكوميس وكل من الكفير^(١) أو الكوميس^(٢) سهل الهضم مغذ للانسان منبه للدورة الدموية بما فيه من الغول بمقادير قليلة ونافع في السل الرئوي - كما يقال - ولكن الاكثر والادمان عليه له بعض الاثر السيء الذي للخمر عامة

أما اللبّن الخائر فهو أيضا سهل الهضم لقلّة مائه ووجود الحامض فيه ، مغذ للانسان ولكن اذا طالت مدة تخمره تولدت فيه مواد سمية ضارة، وهذا النوع نافع في الحميات لقلّة افراز المعدة للحمض أثناء الحميات وهو مفيد أيضا في نزلات المثانة واللبّن قد يختلط بميكروبات أخرى محدثة للاعراض بعضها يصل اليه من الانسان كميكروب الحمى التيفودية، والبعض الآخر قد يصل اليه من غيره كميكروب الحمى المالطية في لبن بعض المعز وكالدقيريا فانها تصيب البقر والضأن . وكثير من البقر يصاب بالدرن فيكون اللبّن سببا في الدرّن الانساني وان لم توجد فيه ميكروبات الدرّن نفسها اذ يكفي وجود سمومها فيه فان ذلك يضعف البنية ويهيئها لقبول ميكروب الدرّن. فلذا يجب أخذ اللبّن من الحيوانات السليمة في أوان نظيفة جدا وبأيد كذلك . ولثقة بطهارته من جميع الميكروبات يجب غليه قبل تعاطيه مدة خمس دقائق على الاقل

(١) يصنع من لبن البقر والمعز والغنم (٢) يصنع من لبن الفرس

وإذا منعنا وصول سائر الميكروبات الى اللبن أمكننا حفظه دهرا بدون فساد كما سبق
وللانفعال النفساني الشديد تأثير في افراز اللبن حتى إنه قد يسم الصغار
ومن السهل أخذ زبدة اللبن أو القشدة بالآلة المبعدة عن المركز المسماة
باللاتينية [Centrifuge] فإذا أديرت بسرعة أبعدت جميع المواد التي في اللبن
عن المركز لثقلها ماعدا زبدة اللبن فانها تأتي نحو المركز لخفتها ، وبسبب خفتها أيضا
تصعد الى سطح اللبن اذا سخن بالنار كما هو معلوم

وإذا أخذت زبدة اللبن صار ثقله النوعي أزيد من المعتاد فاذا أضيف إليه

جزء من الماء عاد ثقله الى المعتاد (وهو في لبن البقر ٢٨ ١٠ الى ١٠٣٤)

ومن طرق غش اللبن أن يضاف عليه الماء مع النشاء لإكثار كميته ولكن

النشاء يمكن معرفته بطريقة كيمياوية سهلة جدا وذلك بوضع جزء من صبغة اليود
عليه فيتلون في الحال باللون الازرق اذا كان فيه نشاء

ويصنع من زيوت النباتات وشحم الحيوانات زبدة كاذبة تسمى باللاتينية

وغيرها المرغرين (ومعناها حرفيا مادة اللؤلؤ سميت بذلك للمعانها) يستعملها

التجار كثيرا بقصد الغش وهي في الحقيقة لا ضرر فيها الا أنها أرخص ثمنا

ومن أكثر الالبان تغذية لبن الجاموس والعنز، وأسهلها هضم لبن المرأة والأتان

(أنثى الحبر) وأكثرها سكر ابن المرأة ويقرب منه في ذلك لبن الأتان

(جدول تركيب الالبان المختلفة)

نوع اللبن	المواد الزلالية	الدهن	السكر	الاملاح	الماء
لبن المرأة	٢٩ ٣٩	٣٦ ٨١	٦٦٢٠	٠٠٣٠	٨٧٦٤٠
« البقرة	٣٦ ٥٥	٣٦ ٦٩	٤٦٨٨	٠٠٧١	٨٧٦١٧
« الفرس	٢٦ ٠٠	١٦٢٠	٥٦٦٥	٠٠٣٦	٩٠٦٧٩
« الأتان	٢٦ ٢٥	١٦٦٥	٦٦٠٠	٠٠٥٠	٨٩٦٦٠
« العنز	٤٦ ٣٠	٤٦٧٨	٤٦٤٦	٠٠٧٥	٨٥٦٧١
« الجاموسة	٦٦ ١١	٢٦٤٥	٤٦١٧	٠٠٨٧	٨١٦٤٠

(٢) البيض

وهو يؤخذ من أنواع مختلفة من الطيور ، وأكبره بيض النعام ، وهو أيضا غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد اللازمة للجسم ، ولذلك تكون منه أجنة الطيور فتخرج منه كاملة الاعضاء والاجزاء . وطبقاته مؤلفة كما يأتي : —

القَيْض (القشرة) مركبة من مواد جيرية أهمها كربونات الكالسيوم ، وبها ثقوب عديدة لازمة لدخول الهواء الى البيضة وخروجه منها لتنفس جنين الطير ، فإذا سدت جميع هذه الثقوب اختنق ما في داخلها ومات . وسدها أيضا بمثل الشمع أو الصمغ يحفظ البيضة من الفساد ، فانه يمنع دخول الميكروبات اليها . ويولي هذه القشرة طبقة أخرى رخوة ، ثم يياض البيض (الغِرْقِي) وهو يتركب من مواد زلالية مع قليل من الدهن والملح ، ووظيفته تغذية جنين الطير ، وهو محيطة بالبح (الصفار) من جميع الجهات ، أما (المح) فهو عبارة عن خلية حية كبقية الخلايا الحيوانية ولها نواة يتبدى فيها تكون الجنين بانقسامها وتغذيها بما حولها من المواد المغذية . والملح يتركب أكثره من مواد دهنية وأملاح مع قليل من الزلال المسمى جلوبيولين ، ولا يحصل هذا الانقسام في النواة الا اذا كانت ملقحة بالحيوان المنوي للذكر ، ومدة التفريخ للدجاج ٢١ يوما أي ثلاثة أسابيع

والبيض مغذ جدا سهل الهضم الا اذا طبخ طبخا شديدا فان ذلك يجمد مواده ويجعلها عسرة الهضم ، واذا شرب منه جزء بدون طبخ أو مع طبخ قليل أفاد الجسم وغذاه ، غير أن الافراط فيه مما يتعب السكلى ، وقد ينزل جزء من زلاله في البول ولمعرفة البيض الجيد من البيض الفاسد تذاب أوقيتان من ملح الطعام في نصف لتر ماء فاذا غرقت البيضة في هذا السائل دل ذلك على جودتها ، والا كانت فاسدة مشتملة على غازات ناشئة من الفساد هي السبب في خفتها

(٣) العسل

هو في الاصل ما يجمعه النحل من رحيق الازهار ، ثم يحوله في معدها الى هذه المادة المخصوصة ثم تلقيه من أفواهها في خلاياها مصداقا لقوله تعالى (يخرج من

بطونها شراب مختلف ألوانه) وفائدة العسل للنحل تغذية صغارها (١) به
والعسل يشمل أنواعا من السكر أهمها سكر العنب مع مواد عطرية، وفيه أيضا
جزء من الأبور (وهو المادة التي تسميها الأفرنج (Pollen) وهي عبارة عن عنصر
الذكر في الأزهار الذي تلقح الأنثى به، والابور مادة بروتو بلازمية حية أي
مشملة على زلال وغيره، ولذا كان العسل مشتملا على كثير من العناصر الضرورية
للحيوانات. أما شحمه فلا يهضم ولا يكتسب منه الجسم شيئا

والعسل مغذ جدا سهل الهضم للغاية بل إن سكر العنب الذي فيه لا يحتاج
إلى العصارات الهاضمة فإنه يمتص بدونها. والعسل ملين مقو للجسم، وبسبب سهولة
هضمه وتقويته للجسم واحداً له اللين كان نافعا في كثير من الأمراض فيجعل الجسم
قوي المقاومة لأنواع كثيرة من الميكروبات، وقد تغلب عليها بسبب ذلك، فهو
نافع في سائر الأمراض التي تنهك القوى كالسل والسرطان والاليميا والبلغم وفي
الحميات وغير ذلك حتى قال بعضهم إنه نافع في البول السكري، ولكن ذلك لم
يثبت الآن عند الجمهور

وهو يحرز شهوة الطعام أيضا ويكثر من إفراز المعدة ومن اللعاب فيرطب
الحلق، ولذا كان نافعا في التهاب اللوزتين والحلقوم وفي السعال. كل ذلك يؤيد قوله
تعالى (فيه شفاء للناس) وقد يجوز اعطاؤه أيضا في أحوال الاضطرابات المعدية
المعوية لانه سهل الهضم جدا مساعد عليه - كما قلنا - فلذا ينفع المصابين بعسر
الهضم، ويجوز اعطاؤه في أول الأمر للمصابين بالذرب كما يعطى زيت الخروع بقصد
تنظيف القناة الهضمية من المواد التي تحدث تهيجها، ويحسن اعطاؤه ملينا للاطفال
بدل زيت الخروع فإنه ملين لذيد الطعم تشبيه أنفسهم. ومن ذلك تعلم حكمة وصف
رسول الله (ص) العسل لمن أصيب باطلاق بطنه بقصد تنظيف القناة الهضمية وتغذية
المريض به لسهولة هضمه، ويشبه ذلك وصف الأطباء غذاء اللبن في الذرب مع
أنه يسهل كثيرا من الناس

(١) تسمى صغار النحل اللوث (بالضم) والطررد (بالفتح) والرصع بالتحريك

والديسم (بوزن جعفر)

ومن أحسن الاغذية النافعة للحميات العسل مع اللبن ، فان العسل يحترق في الجسم ويوفر احتراق اجزائه الاخرى بسبب الحمى. وذلك مما يعين الجسم على التغلب عليها. هذا وإن عسل النحل الذي يجمعه من أزهار سامة يحدث أعراض التسمم لمن يطعمه ، وكذلك الحال في ألبان الانعام التي تأكل نباتات سامة ، فيجب الاحتراس من ذلك ما أمكن ما

الحنين الى الاوطان

كتاب مختصر من احسن كتب الادب طلاوة ، واشدها حلاوة ، وارشقتها عبارة واجودها اختيارا للآتي الكلام المثورة والمنظومة ، واطبعها للملكة البيان في نفس الطالب ، وذوق البلاغة من الشاعر والكاتب . وحسبك انه لامام أئمة الادب ابي عثمان الجاحظ ، الذي نوه الزمخشري بمكانته العليا من البيان ، في خطبتي كتابيه اساس البلاغة والكشاف . وهالك هذا النموذج من اوله . قال بعد البسملة

إن لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وِصف من الادب -
 سببا يدعو الى تأليف ما كان فيه مشتتاً ، ومعنى يحدو^(١) على جمع ما كان
 متفرقاً ، ومتى أغفل حملة الادب وأهل المعرفة تمييز الاخبار ، واستنباط
 الآثار ، وضم كل جوهر نفيس الى شكله ، وتأليف كل نادر من الحكمة
 الى مثله ، بطلت الحكمة ، وضاع العلم ، وأميت الأدب ، ودرس
 مستور كل نادر . ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ، ونقرهم آثار
 الاوائل في الصخر ، - لبطل أول العلم وضاع آخره ، ولذلك قيل :
 لا يزال الناس بخير ما بقي الأول يتعلم منه الآخر
 وان السبب على جمع تتف من أخبار العرب في حنينها الى أوطانها ،

(١) يحدو - حده على الامر بعينه اليه

وشوقها الى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها، توقد النار في أكبادها،
 أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع^(١) الى
 الاوطان، فسمعت يذكر أنه اغترب من بلد الى آخر أمهد من وطنه،
 وأمر من مكانه، وأخصب من جنابه؛ ولم يزل عظيم الشأن، جليل
 السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم
 أتجادها^(٢) وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس باباه إلا
 راغب اليه أو راهب منه، فكان اذا ذكر التربة والوطن حن اليه حنين
 الأبل الى أعطانها،^(٣) وكان كما قال الشاعر:

إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبة للهامم^(٤)
 حينئذ الى أرض بها اخضر شاربي وحلت بها عني عقود التمام^(٥)
 وألطف قوم بالفتى أهل أرضه وأرعاهم للمرء حق التقادم
 وكما الآخر:

يقر بعيني أن أرى من مكانه ذرا عقدات الأبرق المتقاود^(٦)

١ النزاع الى الشيء الاشتياق اليه

٢ الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه

٣ الاعطان أوطان الأبل ومباركها عند الماء، واحدا عطن

٤ الهامم الهموم

٥ التمام جمع تيمة، وهي خرزات كانت العرب تعاقها على أولادها يتقون
 بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام، ذكره في النهاية لابن الاثير

٦ ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها، وقال في معجم

البدان: قال ابن الاعرابي الأبرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة، وكل شيء

خلط من لونين فقد برق. والمتقاود المستوي، قال في أساس البلاغة: تقاود المكان

استوى، قال:

الا ليت شعري هل أرى من مكانه ذرا عقدات الأبرق المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به سليمان وقد مل السرى كل واخذ^(١)
وألصق أحشائي ببرد ترابه وان كان مخلوطا بسم الاساود^(٢)
فقلت : لئن قلت ذلك لقد قالت المعجم : من علامة الرشد أن
تكون النفس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها تواق^(٣) وقالت
الهند : حرمة بلدك عليك ، كحرمة أبويك ، لأن غذاءك منهما وأنت
جنين — وعذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلداً رشحك غذاؤه ، وارع
حمى أكنك فناؤه . وأولى البلدان بصبابتك اليه بلد رضعت مائه ،
وطعمت غذاؤه ، وكان يقال : أرض الرجل ظئره^(٤) ، وداره مهده ،
والغريب النائي عن بلده ، المنتهي عن أهله ، كالثور الناذ^(٥) عن
وطنه ، الذي هو لكل رام قنيصه . وقال آخر : الكريم يحن الى
جنابه ، كما يحن الاسد الى غابه ، وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحل
رضاعه ، كالعير^(٦) الناشط^(٧) عن بلده ، الذي هو لكل سبع قنيصة ،
ولكل رام دريئة^(٨) ، وقال آخر : تربة الصبا تفرس في القلب حرمة
وحلاوة ، كما تفرس الولادة في القلب رقةً وحفاوة^(٩) ؛ وقال آخر : أحق

١ السرى سير عامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » ويقال

جمل واخذ ووخذ اذا كان واسع الخطو ، وقد وخذ يخذو وخذاً ووخذانا

٢ الاساود جمع أسود وهو العظيم من الحيات

٣ تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق

٤ الظئر المرأة التي حضنت ولد غيرها

٥ ند البعر ندا (بتشديد الدال) نفر وذهب على وجهه شاردا

٦ العير الحمار الوحشي والاهلي أيضا

٧ قال في أساس البلاغة : ثور ناشط - خارج من أرض الى أرض

٨ الدر بيئة حلاقة يتعلم عليها الطعن

٩ الحفاوة المبالغة في الاكرام

البلدان بزاعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه؛ وقال آخر: اذا كان الطائر
يجن الى أوكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه؛ وقالت الحكماء:
الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من
الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرشدة^(١)
وطهارة الرشدة من كرم المحتد^(٢)؛ وقال آخر: ميلك الى مولدك، من
كرم محتدك؛ وقال آخر: عسرك في دارك، أعزلك من يسرك في
غربتك، وأنشد

لقرب الدار في الإقتار خير من العيش الموسع في اغتراب^(٣)
وقال آخر: الغريب كالغرس الذي زايل أرضه، وفقد شربه، فهو
ذاو^(٤) لا يثمر، وذابل لا ينضج. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل
معبودة يحب الوطن — ولذلك قال بقراط: يداوى كل عليل بمقايير
أرضه، فان الطبيعة تتطلع لهوائها، وتزرع الى غذائها؛ وقال أفلاطون:
غذاء الطبيعة من أجمع أدويتها؛ وقال جالينوس: يروح العليل بنسيم
أرضه — كما تروح الارض الجذبة ببلل القطر

والتقول في حب الناس الوطن، وافتخارهم بالمحال قد سبق، فوجدنا
الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس: لو قنع
الناس بأرزاقهم، قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق؛ وترى الاعراب
تجن الى البلاد الجذب والحل القفر والحجر الصلد؛ وتستوخم^(٥) الريف

١ الرشدة محبة النسب وهي بكسر الراء، والفتح لغة

٢ المحتد الاصل، يقال هو كريم المحتد وهم كرام المحتد

٣ الاقمار مصدر أقر الرجل اذا اقترع؛ ذاو — ذابل

٤ استوخم البلد، وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضا اذا لم يصلح للسكن

حتى قال بعضهم

أبجلين في الجالين أم تصبري على ضيق عيش والكريم صبور^(١)
فبالمصر برغوث وحى وحصبة وموم وطاعون وكل شرور^(٢)
وبالبيد جوع لا يزال كأنه ركام بأطراف الإكام تمور^(٣)
وترى الحضري يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب - فاذا
وقع ببلاد أريف من بلاده، وجناب أخصب من جنابه، واستفاد غنى حن
الى وطنه ومستقره .

ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه .
ولكن توخينا تدوين أحسن ما سنع من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق
ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قول الله عز وجل حين ذكر
الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أن
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فسوى بين
قتل أنفسهم، وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالى (وما لنا ألا نقاتل في
سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال الا ول : عمر الله البلدان
محب الاوطان ، وكان يقال لولا حب الناس الاوطان نجرت البلدان ،
وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نفتنا عن الاوطان ، وقطمتنا
عن الاخوان ، وقالت الحكماء أكرم الخليل أجزعها من السوط ،

١ الجلاء الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها
٢ الموم هو البرسام مع الحمى
٣ الركام السحاب المتراكم بمضيه فوق بعض - والاكمة تل ، وقيل شرفة
كالراية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ، والجمع اكم وجمع
الاكم اكام مثل جبل وجبال - ومما الشئ تحرك بسرعة

واكيس الصبيان أبيضهم للكتاب ، وأكرم الصفايا أشدّها ولها الى
أولادها ، وأكرم الأبل أشدّها حيننا الى أوطانها، وأكرم المهاري
أشدّها ملازمة لأمتها ، وخير الناس ألفهم للناس

وقال آخر من أمارات العاقل بره لآخوانه ، وحنينه الى أوطانه ،
ومداراته لاهل زمانه. واعتل أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي ؟
فقال حسل^(١) فلاة وحسو^(٢) قلات^(٣) ، وسئل أخرفقال : مخضاً^(٤)
رؤيا ، وضبا مشويا ، وسئل أخرفقال : ضبا عيننا أعور ، وقالت العرب
حماك أحى لك ، وأهلك أحفى بك ، وقيل الغربة كربة ، والقلة ذلة. وقال
لا ترغبوا إخوتي في غربة أبداً إن الغريب ذليل حينما كانا
وقال آخر : لا تنهض عن وكرك فتفصك الغربة ، وتضيمك
الوحدة ، وقال آخر لا تجف أرضا بها قوابلك^(٥) — ولا تشك بلدا فيه
قبائك ، وقال أصحاب القيافة^(٦) في الاسترواح : اذا أحست النفس
بمولدها فتحت مسامها فعرفت النسيم. وقال آخر يحن اللبيب الى وطنه ،
كما يحن النجيب^(٧) الى عطنه ، وقال كما أن لحاضنتك حق لبنها — كذلك
لأرضك حق وطنها ، وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين ركامها
ورضيع غمامها ، فحضنتني أحساؤها ، وأرضعتني أحساؤها^(٨) ، وشبهت

١ الحسل ولد الضب حين يخرج من بيضه ٢ حسا زيد المرق يحسوه حسوا
شربه شيطا بهدشيء وحسا الطائر الماء تناوله بمنقاره ٣ القلات جمع قلت بالفتح وهي
الثقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ٤ الخض والخيض ماخض من اللبن وأخذ زبده
٥ القوابل جمع قابلة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة
٦ القائف الذي يتبع الأثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع
القافة ويسمى فعله بالقيافة ٧ النجيب من الأبل القوي الخفيف السريع
٨ الأحساء جمع حسي وهي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء

الحكماء الغريب باليتيم اللطيم^(١) الذي نكل^(٢) أبويه - فلا أم ترامه^(٣)
ولا أب يحدب عليه^(٤)؛ وقالت أعرابية اذا كنت في غير أهلك فلا
تنس نصيبك من الذل؛ قال الشاعر

لمرى لرهط المرء خير بقية عليه وان عالوا به كل مركب
اذا كنت في قوم عداء لست منهم فكل ما علفت من خيث وطيب^(٥)

وفي المثل أوضح من مرآة الغريبة - وذلك أن المرأة اذا كانت هديا
في غير أهلها تنفقد من وجهها وهيئتها ما لا تتفقده وهي في قومها
وأقاربها - فتكون مرآتها مجلوة تعهد بها أمر نفسها وقال ذو الرمة
لها أذن حشر وذفرى أسيلة وخذ كمرآة الغريبة أسجح^(٦)

١ اللطيم الذي يموت أبواه ٢ النكل فقدان المرأة ولدها ٣ رعت الناقة الولد
عظفت عليه ٤ يحدب عليه يمطف عليه ٥ قال ابن السكيت قوم عدا غرباء وانشد
البيت قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضاً مذهب سيبويه وم اسم
للجمع. وقال ابن السيد في الاقتصاب هذا البيت لزرافة بن سبيع الاسدي فيما ذكر
يقرب وذ كر الجاحظ أنه نخلد بن فضلة الجحواني من بني أسد - والعدى
الغرباء والعدى أيضاً الاعداء - والاكل والعلق ههنا مثلان مضروبان للمواقفة
وتترك المخالفة وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور غيرهم -
وتدم على مفارقة قومه - ولذلك قال قبل هذا البيت

لمرى لقوم المرء خير بقية عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلت من دودان نصرا وأرضها فما ظفرت كني ولا طاب مشربي

ثم أفاض في شرح البيت

٦ الحشر ما لطف من الأذن - والذفرى من الحيوان العظم الشاخص خلف
الاذن - والاسيل من الخدود الطويل المسترسل. وسجح الخد كفرح سهل ولان
وظال في اعتدال. وقل لجه وقال في اساس البلاغة وجه اسجح مستوي الصورة
ورجل اسجح الخدين وقد سجح قال ذو الرمة وقد انشد البيت

سفر النساء واختلاطن بالرجال

وفرضى الآداب بمصر

في هذه الايام التي ثبت فيها عن نساء فرنسة كلهن ، حتى غايات باريس منهن ، انهن لبسن ثياب الحداد ، بعد رفولهن في تلك الأزياء ، التي تقلدهن فيها سائر النساء ، في جميع الارحاء ، وظهرن بمظهر الراهبات الناسكات ، وهن أولئك الفاتنات ، الكاسيات العازيات ، المائلات المييلات ، اللواتي قتن قلوب الرجال ، حتى صاروا يشدون اليهن الرجال ، بل يطبرون اليهن على مرأكب النار ، في سباسب الارض وأجواز البحار ، وتركن المراقص والملاهي والحانات ، الى ساحات القتال والمستشفيات ، وإلى دور الصناعة ، وأعمال الزراعة ، ليخففن عن أمتهن أفعال هذه الحرب الضروس ، في هذا العصر العبوس

= في هذه الايام التي مس الناس فيها الضر ، وهدد الأمم والدول العسر ، فكسدت غلات الزراعة ، وقطعت معامل الصناعة ، ووقفت حركة التجارة ، وقل الدرهم والدينار ، وغلت أثمان الأشياء ، وخاف العقلاء ان يعقب هذه الحرب قحط ومجاعات ، تلوها قتن وأوبئة وثورات ، وشعر المبدرون من أهل السعة والثروة ، بوجود الاقتصاد في النقطة خوفا من سوء العاقبة

= في هذه الايام التي تدك فيها الحصون والمعازل ، وتدمر المعابد والمنازل ، وتتل العروش ، وتذهب باستقلال الشعوب ، وتندر أقوى الدول بأسا ، وأشدهن بطشا ، ذلا بعد عزة ، وضعفا بعد قوة ، وفقرا بعدا ثروة ، وعبودية بعد حرية

= في هذه الايام — وقد زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أفعالها ، وقال الانسان ماها ، وما عسى ان يكون ما لها — انبرى نفر من الشبان والشواب ، من المتفرنجين والمتفرنجات في هذه البلاد ، يتبارون في تجميع المقالات ، وإقامة الحجج والبيانات ، المؤلفة من مقدمات الشبه والخيلات ، على وجوب سفر النساء المصريات ، واختلاطن بالرجال في الملاهي والمجتمعات ، وفي عامة الاحوال والاقوات . ايشاركن

الرجال في حريتهم ، ويساهمهم في التمتع بمحاسن (الطبيعة) ويقتبس منهم الآداب والافكار الجديدة ، ولذلك يسون مطلبهم هذا « تحرير المرأة » فرادهم ان المرأة في رق أهلها ثم زوجها ، وانه ينبغي ان تفعل ما تشاء ولا يصح لاحد أن يحجر عليها ، ولا أن يصددها عما تحب وتهوى

يتوم هؤلاء المساكين ان الفوضى الأدبية التي يرتعون فيها هي الحرية التي ينوه بمدحها الافرنج ، والتي بها وصلوا الى ما وصلوا اليه من العلم والصناعة ، وما أنتجا من الملك والسيادة ، ولم يقلوا أن هذه الفوضى هي التي حلت روابطهم القومية ، وأضعفت مقوماتهم ومشخصاتهم الجنسية، وجرفت ثروتهم الى البلاد الاجنبية ، وجعلتهم غير أهل للاستقلال في إدارة بلادهم، فضلا عن مد نفوذهم وبسط سلطانهم على غيرهم ، ولم يستفيدوا منها الا الغرور بأنفسهم ، وكثرة الدعاوي العريضة بألستهم .
النساء المسلمات غير مسترقات في مصر ولا في غيرها ، ولا محرومات من التمتع بمحاسن الوجود وطيبات الدنيا ، فأما نساء الفلاحين فأمرهن معروف وانهن يشاركن الرجال في كل شيء ، ولا يعنين طلاب « تحرير المرأة » فيما يقولونه عن النساء المصريات . وأما نساء الموسرين في المدن اللواتي تتوجه اليهن أنظار هؤلاء المحررين ، فهن أكثر تمتعا بزينة الدنيا ونعيمها من الرجال ، الا في أمر واحد فقط وهو حرية المجاهرة بالفسق ، ومعاشرة الرجال ومخادتهم في الجهر ، فالفاسقة منهن لا تفسق الا وراء الستر ، أو في المواخير المعروفة ببيوت السر ، ولا تخرج مع خدن لها للتنزه الا مستخفية ، إلا ان تكون مغمولة أو مهتكة .

وأما البرقع فهو زينة اختارته لنفسها ، وزينة تجذب الانظار اليها ، لأنه يظهر المحاسن ، ويخفي المعايب ، وقد اعترف بذلك قاسم امين . وسبقه اليه الشيخ احمد فارس الكاتب الاجتماعي الشهير ، وقد نظم في البرقع هذين البيتين :
لا يحسب الغرُّ البراقع للنسا منعاهن عن التماذي في الهوى
ان السفينة انما تجري اذا وضع الشراع لها على حكم الهوا
على ان البراقع كانت في عهد زيارته لمصر ساترة لمعظم الوجه ، فكيف لو رأى براقع هذه الايام التي قلت فيها من مقال سابق « تلاعبها الانفاس ، وتحترقها أشعة

عيون الناس ؟

واني لأعجب من المدافعين عن الحجاب كيف يمدون هذه البراقع البيضاء الشقافة من محصلاته أو متماته ، وما هي الامن هاتكاته أو مزيلاته ، الا ان يكون مرادهم رد كل مايجي به خصومهم من العبث بعادات الامة لاجل التفرنج وزيادة التبتك . كما اني أعجب من اهتمام الآخربن بإزالتها دون غيرها من زينة النساء المدنيات وهي لا تمنع علما ولا عملا ولا صلاحا ولا فسادا ، الا ان يكون مرادهم ترك كل وطني احتقار الة ، واستبدال الشخصيات الافرنجية بالمشخصات الوطنية تعظيما لقدرها ، أو توها أن تشبها بالأفرنج في مشخصاتهم — وهو سهل علينا — يقوم مقام جعل مقوماتنا كقوماتهم — وهو ما عز علينا — فيكون لنا شرف التلهي بقشور مدنيهم وقد انحطت همنا عن اللحاق بهم في لبابها وحقائقها .

أولم يكفهم اننا شرعنا نقدم في هذه الظواهر القشرية — قزيًا حكمانا بأزيائهم ، وتبعهم الناس بالتدرج المعتاد في مثل ذلك ، ثم قلدناهم في الاثاث والرياش والماعون وفي كثير من العادات ، وهل كان ذلك كله الا سببا لحرف ثروتنا ، وانزعاجهم إياها منا ، وبعد ان قضي على صناعتنا ، ولم تحل صناعتهم محلها ، دع تأثيره في اضعاف ديننا وآدابنا التي هي مقومات أمتنا ، فخرجنا عن كوننا أمة متماسكة بما بينها من الروابط كتماسك البناء المتين ، وصرنا كالاتقاض التي لا مالك لها ، يأخذها الممرور فيشيدون بها دورا جديدة لهم

لماذا لانعتبر بحال الامة الانكليزية التي نالت أعظم سيادة في الارض بأخلاقها وصفاتها وعاداتها ، كالثبات والتروي والمحافظة على مقومات الامة ومخصصاتها حتى المفضولة منها ، وعدم اقتباس شي من عادات غيرها وآدابه وان كان أحسن مما عندها ، الا ان يكون بالتدرج البطيء ، في الزمن الطويل

وجملة القول ان زي النساء المدنيات بمصر هو زي زينة تجذب أنظار الرجال اليهن قلما يوجد زي يفني بهذا الغرض مثله وهو ليس من الحجاب في شيء ، ولعله أبعد الأزياء عن آداب الاسلام وصيائمه ، فلباس البدويات والقرويات السافرات الوجوه اقرب الى أدب الاسلام وصيائمه منه ، ولكن الدعوة الى إزالته

بدعوى قبحه — لأنه من الحجاب الضار المذموم بزعم هؤلاء الدعاة وبروح التفرنج التقليدي الذي يدفعهم اليه — دعوة ضارة مضممة لمزاج الأمة صادعة لبنائها الاجتماعي، وإنما تحسن الدعوة الى تغييره بدعوى مخالفته للأداب الدينية، وشرف الصيانة الاسلامية، والى استبداله بزى آخر يجمع بين الجمال والكمال، ولا يقصد به تقليد أحد من الشعوب والاجيال.

ان المقلد لا ينفك مرتكسا في الضعف يخبط في ليل دجوجي

وأما المطلب الثاني من مطالب أعداء الحجاب — وهو اختلاط النساء بالرجال فهو الجهد الذي يؤبه له ويهتم به، وحسبك من بيان ضرر الدعوة اليه بروح التفرنج، وأسلوب ذم الحجاب المنسوب الى الشرع، ما قلناه آنفا في ضرر الدعوة الى تغيير الزي، وتأمل في الموضوع نفسه لتدرك ما فيه من الضرر أو النفع

لعل عدد نساء الموسرين في المدن لا يبلغ مشار $\frac{1}{100}$ عدد نساء الفقراء اللواتي يعين في الاسواق والطرقات أو يخدمن في البيوت ونساء القرى والبادية، وهؤلاء هن اللواتي يوصفن بالحجاب، والجهد كله في سيلهن

هذا العدد القليل من النساء يخالط الرجال الاجانب كل يوم في الاسواق والشوارع والمتنزهات، وكذا في بعض البيوت. فالتساء المدينيات يشترين بأنفسهن من الرجال كل ما يجتمعن اليه من الثياب والحلي والاعطار وأدوات الزينة حتى ما يستحيا من ذكره. وتزى الكثيرات منهن في ضواحي المدن ومتنزهاتها يركبن مع الرجال في المركبات، أو يمشينهم في الطرقات، ومنهن السافرة عن وجهها. والمحاصرة لحدنها، واذا سمعت أخبار بيوت السر من وقائع الشحنة (البوليس) أو المختبرين تعلم ان هذه البيوت النجسة كثيرة جدا، وان أخذاتها من النساء (المحجبات)، وعشاقهن من الافندية والبكوات والباشوات، يعدون بالألوف لا بالمئات، دع ذكر الذين يذهبون بنسأهم الى أوربة فيلبس مدة سفرهن ملابس الافرنجيات كما يفعل رجالهن، ويجتمعن معهم أو منفردات عنهم بالرجال في المطاعم والملاهي والملاعب والمراقص، ودع ذكر الذين يدخلون أصدقاتهم من الرجال على

نساتهم في بيوتهم، ويأمرؤنهم بمجالستهم رموا كبتهم وهن حاسرات عن رؤسهن، مبديات لنحورهن، لاسافرات عن وجوههن فقط. بل أقول لك همساء ما أخجل ان أجربه جهرا: ان المحادثة دائمة بين التلاميذ والتلميذات

كل هذا كثير شائع في مصر فما الذي بقي ممنوعا من اختلاط النساء بالرجال، حتى قام بعض الشبان والشواب ينشدونه ويجاهدون في سبيله في هذه الايام، التي صدعت بناء الانسانية أعظم صدع، وحصرت هم الشعوب كله في الخوف على استقلالها في الشرق والغرب؟

انما بقي شيان اثنان (أحدهما) ان العرف يحظر على الرجل الاجنبي ان يدخلوا بامرأة أجنبية من هؤلاء المدنيات (كما يحظر الشرع الخلوۃ بكل أجنبية بغير عذر شرعي) أو يطلب الافراد بها بزيارة أو غير زيارة. فمخالفة هذا لا تزال تعد قبيحة في العرف فلا تقع من غير المهتكين الا خفية.

(ثانيهما) ان هؤلاء النساء لا يجالسن الرجال في مجالسهم الخاصة في البيوت ولا العامة في المجامع والملاهي، الا من شذ

أما اباحة خلوۃ المرأة بالرجل اباحة مطلقة بغير نكير فلا يكاد يدكرها محاربو الحجاب في مقالهم اذ لا يجدون شبهة يزينونها بها، وانما يكثرون اللفظ في مجالسة النساء للرجال في المجالس الخاصة والمجامع العامة زاعمين ان ذلك يرقى عقول النساء ويزيد في علومهن وآدابهن، وهذه أظهر شبهاتهم في هذا الباب، وقد اشرعنا لها طريقا لا ينكره عرف ولا شرع فيما كتبناه في المجلد الثاني من المنار تقريفا لكتاب تحرير المرأة، وهو أنه يمكن تحصيل هذه الفائدة بمجالسة النساء في البيوت لمحارمهن من الرجال كالاخوة والاعمام والاقوال، وأولاد الاخوة والاقوات، وبقضاء الأزواج أوقات فراغهم مع نساتهم في البيوت، فلماذا يترك هذا مدعو الحرس على فائدة الاختلاط ان كانوا صادقين؟

وأما المجامع العامة قلما يوجد في مصر منها ما يفيد النساء فائدة تستحق كل هذا الجهاد. فالمجامع العامة الدائمة هي المعروفة بالقهاوي والحانات، وغير الدائمة منها هي المآتم والاعراس، وقد وجد في البلاد قليل من الاندية الخاصة، وأحاديث

الناس فيها كاحاديثهم في الملاهي العامة من كل وجه، ولكن تلقى فيها أحيانا بعض الخطب والمحاضرات التي لا يفهم بعضها الا القارئات ، وهذه المحاضرات تنشر غالبا في الصحف فيمكن لمن يستفدن منها أن يقرأنها فيها ، ولا فائدة للنساء في مجامع الرجال سواها ، ولكنها لا تخلو من مفاسد:

غشيان النساء لهذه المجامع من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن واغواهن إياهن ، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء في الغالب . أما أهل الفضائل والآداب الصحيحة فقليل مام ، وأكثرم — ولا كثرة فيهم — لا يجب هذا الاختلاط ولا يعيل اليه . فان وجد فيهم من يرغب فيه للإصلاح الخالص من شوائب الهوى فمن ذا الذي يعرف هؤلاء الافراد وهم أندر من الكبريت الاحمر؟ وكيف السبيل الى جمعهم في أندية خاصة يختلف النساء اليها دون غيرها لاجل ترقية أفكارهن وآدابهن ???

الى متى نفش أنفسنا ، وتعامي عن فساد الاخلاق والآداب الغالب على نابئتنا ، الذي لم يزد مع تربية التفرنج الا تفاقم واستشراء ؟ أنبذل هذه الصبابة الباقية لنسائنا من ارث فضائل سلفنا الى هؤلاء السفهاء ، ونسني هذا اصلاحا للبيوت باصلاح النساء ؟

اذا كان « خير الناس أنفعهم للناس » كما ثبت في النقل والعقل فالفلاحون في هذه البلاد خير من هؤلاء المتفرنجين الذين تلقفوا قليلا من اصطلاحات مبادي الفنون، لم يستعدوا بها لعمل ما للامة ، الا ان يكونوا خدما واجراء للحكومة ، التي يعدون اللهج بدمها من شعائر الوطنية الصادقة، فن تستغني الحكومة عن استخدامه منهم بمسون و يصبحون كلا على الامة وعالة على العاملين فيها كالفلاحين ، يأكلون ثمرات أعمالهم، ويفسدون ما بقي من فضائلهم وآدابهم ، ويحسبون انهم من الأئمة المصلحين فيهم ، (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

ألا ان النساء في حاجة الى العلم والادب والاصلاح، وليس الرجال أقل حاجة منهن الى ذلك . ففساد أخلاق الرجال هو الذي أفسد النساء وأضاع ثروة الامة وحل روابطها الاجتماعية، ولم يندبها بها روابط خيرا منها ولا مثلها

ألا ان هذا الاصلاح الصحيح انما هو اصلاح النفس، بتربية الاخلاق والاداب الدينية أولا، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة الى ان يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الاطفال وإدارة البيوت — وأما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الامة دينا وعقلا وأدبا بتأليف الجمعيات الخيرية والعملية، فان لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون فان الامة تظل مذنبدة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها اصلاح (وما يتذكر الا أولو الالباب)

الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركنا من أركان نهضة الاصلاح الاسلامي في الهند

ورجال هذا الاصلاح في كل الاقطار الاسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى اليها أمر جمهور المسلمين بعد فتك الفرق الدينية والسياسي بهم، وانتشار البدع والخرافات فيهم، وإضاعة جل ما ترك سلفهم من العلم والمجد التليد، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المتفرجين الذين أصابوا حظا من اللغات الاجنبية، وتلقفوا قليلا من العلوم والفنون الاوربية، فأحدث لهم ذلك غرورا بأنفسهم، واحتقارا لأمر أمتهم، فطلقوا يمرقون منها بزلزال عقائدهم وأفكارهم، وتغيير عاداتهم وأزيائهم، فوهت فيهم جميع مقوماتها، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقدونها، على ان منهم من يحسبون انه يمكن جعل أمتهم كلها، مثلهم أو مثلها.

المباينة بين الجامدين والمتفرجين عظيمة، كل منهم يحتقر الآخر ويكرهه، ويمسده علة اضعف الامة والمخطاها. أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق، وينفرون وينفرون منهم ومن هذه العلوم والفنون، ويهدونهم آلات الاجانب التي يحلون بها عناصر الامة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الارض في تسمية ثروتهم،

وإعلاء كلمتهم ، واستعمار البلاد وجعلها تحت سلطتهم — وهؤلاء يرمون أولئك بالتعصب والجهل والخرافات والهمجية ، التي يجب نسفها لإقامة بناء الحضارة والمدنية . ولحق ان كلا منهما مخطيء في شيء ومصيب في شيء آخر ، وله مزايا حسنة ورزايا ضارة ، وان الامة لو سارت على رأي كل منهما وحده لم تكن عاقبتها الا الانحلال والهلاك .

وأما حزب الاصلاح ، فهو وحده محل الرجاء ، لانه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ، ويعرف منافعه ومضاره ، ويريد ان يكون مقعد الارتباط والاتصال بينهما بارجاع كل منهما عن خطئه ، والسير بالامة في طريق تحفظ به مقوماتها ومشخصاتها وتعيد الموروث النافع منها الى جدته ، وتتدرج في استبدال النافع بالضر منه ، وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم الامة قائمة في هذا العصر بدونه ، وليس هذا المقام مقام شرح الاصلاح ولا بيان أحوال الاحزاب الثلاثة ، وانما ذكرنا هذا لبيان مرادنا من قولنا ان فقيد الاسلام في الهند كان ركنا من الاصلاح الاسلامي ولم يكن طلاب الاصلاح الا أفراداً من الناشئين في بيوت حزب الجواد أو حزب التفرنج ، هدام الله تعالى باستعداد في فطرتهم ، وتوفيق في سيرتهم ، الى معرفة الطريقة المثلى لصلاح أمتهم . وكان المقول ان يكون رجال العلم الديني أقدر على أهل الجواد منهم على التفرنجيين ، ولكن كثر ما كان الأمر على غير ذلك . وسببه أن كبراء الجامدين من الشيوخ هم أشد حسداً وبنفساً للمصلح الديني من غيره ، فهم يكيدون له ، ويضعون من العوائير له ما لا يضعون لغيره . — فلماذا لم يتم للشيخ شبلي ما كان يريد من الاصلاح في ندوة العلماء ، وكان أدنى الناس الى مساعدته المتدينون من كبراء الدنيا كأميرة بهوبال . وقد أخبرني رحمه الله تعالى أن الامير الجواد ، الذي تفاخر به الهند أمراء المسلمين في جميع البلاد ، النواب محمد علي وراجا محمود آباد ، عرض عليه مبلغاً كبيراً من المال يدفعه سنوياً لمدرسة ندوة العلماء بشرط جعلها للمسلمين كافة كدرسة عليكره لا خاصة بأهل السنة . وهذا باب عظيم من أبواب الاصلاح ما كان ليشايه عليه المتعصبون من أعضاء الندوة ، فلذلك اعتذر للأمير بأن هذا عمل ما حان وقته

وأما الاميرة المحسنة التقية صاحبة بهوبال ، التي جعلها الله تعالى بعد المصالح العظيم السيد صديق حسن خان ، نصيرة العلم وخادمة الاسلام ، فقد كانت ظهيرة الشيخ في جميع ما يخدم به الدين والعلم من الاعمال . واننا ننشر هنا نص كتاب جاءنا منه ، يشير الى ما كان من صلتها وصلتنا به ، وهو :

الى حضرة السيد المحترم
مع الله المسلمين بطول بقائه

بعد التحية والسلام

اني لم أزل أقرأ في الجرائد ما تبذلون من السعي في تأسيس دار العلم والارشاد ، وهذه هي بغيتنا التي كنا نشدها نحن أهل الندوة ، فجعل الله سعيكم مشكورا ، وتزوج عملكم بالنجاح . طالما تاقت نفسي الى زيارة مصر للقائكم ، ولكن هيات فاني قد قطعت إحدى رجلي لرصاصة أصابتهافبقيت جليسا^(١) للبيت غير قادر على تحمل أعباء الرحلة والسفر . والامر الذي دعاني الآن الى ارسال النسيقة ان الاميرة سلطان جهان (بيكم) صاحبة ايالة بوفال^(٢) خرجت راحلة الى لندرة للحضور في حفلة تتويج الملك جورج ، وهي تريد زيارة البلاد الاسلامية وتصل في مصر في شهر رمضان وهي من عطاء بلادنا أعطت مائة ألف روية^(٣) لتكميل كلية عليكده ، وعينت ثلاث مائة روية جواية شهرية لندوتنا ، وكم لها من أمثال ذلك

ولها شدة عناية بتربية عائلتها ، ولذلك أرادت أن تجلب إحدى الملمات المسلمات من مصر المحروسة ، وقد كتبت الي أن أكون مساعدا لها في انجاح هذا الامر . فالمرجومن حضرتكم انها لما تصل الى القاهرة^(١) وتستدعي من حضرتكم الاستشارة والاستعانة فافعلوا ما يليق بكم من اكرام مثل هذا الضيف الكريم العديم المثل والفضل لكم^(٢)

شيلي نعماني

لكهنؤ

ندوة

في ٧ مايو سنة ١٩١١

- ١ - يحتمل ان تكون الكلمة « جلسا » بالحاء المهملة المكسورة اذ يقال : فلان جلس بيته ، أي ملازمه . وأصل المجلس ما يفرش تحت سرح الدابة أو رجل البعير وعلى الارض في البيت وقد يفرش غيره فوقه
- ٢ - هكذا يكتب الهنود اسم هذه الايالة ، والمشهور عندنا ما كان يكتب في مصنفات السيد حسن صديق خان وهو هكذا « بهوبال »

هذا وان الفريد رحمة الله تعالى قد اشترك بالمنار من أول العهد لظهوره وكان مواظبا على قراءته معجبا به. وقد كان له من حسن الظن بصاحب المنار ما حمله على دعوتنا لرئاسة مؤتمر ندوة العلمي السنوي رجاء زيادة إقبال مسلمي الهند على هذا المؤتمر وما يتبع ذلك من تعضيد الندوة ومساعدتها. وهذا نص كتابه الاول في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الفاضل الاستاذ مولانا رشيد رضا أطال الله بقاءه
لا يخفى على أمثالكم ان اغارات جرجي زيدان على أعراض العرب في كتابه تاريخ المدن الاسلامي أكثر من ان تحصى، وان كل ما دسه وموه به لا أصل له أصلا، وحين اطلت على ذلك كاد قلبي ان يتميز من الغيظ غير اني صبرت وأمنت النظر فيما به نظر. ولما عيل عني الصبر ونأى، قت على ساق وألفت رسالة أ كشف فيها دسائسه، وهي الآن تطبع وأريد إرسال ما قرغ من طبعه منها اليكم لكي تدرجوه في جريدتكم - وكذلك الى الفراغ منها بأسرها

وما انهيه اليكم ان ندوة العلماء في كل عام تعقد محفلا عاما يحضر فيه الخاص والعام والامراء والنواب وأهل الحل والعقد ويكون انعقاده عامنا هذا في أول ابريل سنة ١٩١٣ فنحن معشر المعتمدين والاراكين نهوى ونود من صميم قلوبنا ان يكون صدر (٣) هذا المحفل العظيم وواسطة عقده العظيم حضرتكم الشريفة، فان تشرقونا بالقدوم علينا في الهند تهرع أهل البلاد الشاسعة الى هذا المحفل الاسلامي على كل ضامر من كل فج عميق لمقدمكم المبارك ان شاء الله تعالى، ويحصل بعون

١- كذا في الاصل ومهما اتقن علماء الاعاجم العربية فانهم يظنون يغلطون في تعريف الاعلام وتنكيرها

٢- لقصر مدة إقامة الامير بمصر لم يتيسر لنا اختيار معلمة يمكن أن تراها ونختبرها ثم لم يتيسر ذلك بعد سفرها أيضا وقد عرضنا ذلك على الآسة نبوية موسى فطلبت ان يكون راتبها الشهري مئة جنيه مع شروط أخرى، وانه ليوجد في الهند معلقات انكليزيات لا يزيد راتب احدها عن بضعة جنيهات

٣- يعنون بكلمة صدر ما نعرض نحن عنه بكلمة رئيس وبهذا المعنى يستعملونها في لغتهم الأوردية

[المارح ١٨٣] دعوة رئيس الندوة صاحب المنار الى رئاسة مؤتمرها العام ٢٢٧

الله لكم ما أنتم بصدد الاجتهاد فيه من اظهار مقاصد مجلس التعليم والارشاد، ويعظم بذلك محفل ندوتنا ويقدر قدره. وفي طي رقيمي هذا أرسل اليكم خطبة والي الهند وعميدها، فيظهر لكم منها ان الدولة البريطانية لها عناية تامة بندوة العلماء ولولا ذلك لم تمن لها في كل شهر خمسمائة روية من خزائنها، فان عزم جنابكم على تشريفا بما اوترخاه فلا عليه ان يلاقي سفير الدولة البريطانية في مصر المحمية وينهي اليه خطبة والي الهند وعميدها في حق ندوة العلماء، وعريضتها عند قدوم الملك المعظم مع ملكته المعظمة قاعدة الهند دهلي، لكي يكون على علم ويستحسن قدومكم علينا، وان أمكن منكم طلب الاجازة بذلك مرقومة فيها فنعم ذلك. ودمتم أفندم، شبلي نعماني
٥ جنوري (يناير) سنة ١٩١٣ ندوة العلماء - لكةنو

جاءنا هذا الكتاب ونحن نستعد لفتح مدرسة (دار الدعوة والارشاد) فكان المانع من اجابة هذا الدعوى أرجح من المقتضي اذ كان لابد من السفر بعد فتح المدرسة بشهر أو أقل - وأنا ناظر موظف لها، والروح المدير في تأسيسها والقيام بها، - ولكن أعضاء مجلس جماعة الدعوة والارشاد رأوا ان رحلتي الى الهند خير لمشروعنا لان إظهاره في مثل ذلك المؤتمر العظيم فقرروا في جلسة رسمية إجازتي واعانتي على ذلك اقترح الشيخ رحمه الله تعالى علي أن اسافر بإجازة من عميد الدولة الانكليزية هنا وأرسل الي خطبة حاكم الهند العام الذي ذكر ندوة العلماء بخير لأتوسل بها الى هذه الاجازة، فكان هذا من بعد نظره وغور فهمه للسياسة، وكان مراده أن تكون هذه الاجازة كتابية فلم يتيسر ذلك، فلقى الشيخ من انكار والي لكةنو عليه دعوتي الى رئاسة مؤتمر الندوة ما لقي، وأمكنه ارضاءه بما كان أعده لذلك من الحجج، ومنها ما كتبه لورد كرومر في تأييد شيخنا الاستاذ الامام من مدح حبه، وخطبة للدكتور مرجليوث الاستاذ الشهير في مدرسة اكسفورد ذكر فيها رأي صاحب المنار في الجامعة الاسلامية بكلام مرضي وثناء حسن

ونحمد الله ان حقق ظن الشيخ رئيس الندوة وأعضائها الكرام فينا، اذ كان الاتقبال على المؤتمر في ذلك العام مما لم يسبق له نظير من قبل. ورحم الله الشيخ شبلي وأحسن عزاء المسلمين عنه

تقرير المطبوعات الجديدة^{*}

خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع

يقدم فقيه العلم والعمل والجد المرحوم علي ابو الفتوح باشا وكيل نظارة المعارف العمومية المصرية، طبعه باذن المؤلف نجيب القندي مترجم صاحب مطبعة المعارف بمصر في سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م على ورق جيد طبعا نظيفا بحجم ٣٦٠

الكتاب مجموعة مقالات كانت متفرقة في الجرائد والمجلات العربية وغير العربية فجمعت في حياة كاتبها ومر عليها فأصلح فيها ما أراد، وزاد في بيان المراد. وهو يطلب من ناشره ومن مكتبة المنار بمصر

جلة مسائل الكتاب مما اشتغل به مؤلفه علما وعملا فجاءت وافية واضحة مفيدة ونحن نقول طائفة عنه من مقالة [الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية] قال :

« يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة، ويتوهمون أن الاحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الاصول الاسلامية، وأنها بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أتت بها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد !

«ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا في الرفاهة وتقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأواً قلما يجاريهم فيه أحد، الا ان صعوبة كتب التأخرين وكيفية تأليفها، والتواء أساليبها، وتعميد عباراتها، قد أوصد الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء من غير المنقطعين لدراستها

«ولذلك فإني أشير على من يسلك هذا الطريق ان يقصد المؤلفات القديمة لانها أسهل مورداً وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتزورها عن المشاغبات اللفظية، وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لغيرها بدون ملل ولا حساب للوقت

(*) كتب تقارير هذا الجزء شقيقنا السيد صالح عيسى رضا وقد تأخر نشره على انه هو قد نشر فيها عهد اليه من كتابة التقارير حتى اجتمع لدينا كتب كثيرة من مطبوعات السنين الاخيرة

«أذكر هنا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للإمام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٧ هجرية . وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والأحكام ما يجدر بأمرأ المسلمين اتباعه والعمل به
«عبرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة عمدت الى نظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون ولا سيما المشتغلين منهم بالقوانين الافرنكية ان المتقدم لم يترك شيئاً للتأخر . ولعلمهم يتكبرون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانهما لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهم حق الفهم ودُرسا بعقل وبعين
«وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكبر احتراماً في النفوس وأشد موافقة لاخلاق وعادات من وضعت لهم»
ثم أتى بوجوه قانونية وبنود واقعت فيها القوانين الوضعية الفقه الاسلامي»

كتاب الانساب للسعاني

تأليف أبي سيرد عبد الكريم السعاني ، نقله الاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في جامعة اكسفورد بالفوتوغرافية عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني وطبع سنة ١٩١٢ على ورق من أجود الورق على نفقة (نيكولاس جيب) وصفحاته تزيد على ١٦٥٠ صفحة بالقطع الكبير
وضع السعاني كتابه هذا في القرن السادس الهجري ، فكان عمدة المؤرخين والمحدثين . وقد ذكر في مقدمته فضل علم الانساب وجاء بالآيات والاحاديث في ذلك وعقد فصلاً للبحث على هذا العلم ، وقد زاد الاستاذ مرغوليوث هذا المعنى ايضاحاً اذ وضع للكتاب مقدمة وجيزة باللغة الانكليزية بين فيها المراد بعلم الانساب واشتهار بعض الاعلام من المحدثين بانسابهم كالبخاري والترمذي والنسائي مما دعا الى تعريف الرجال بانسابهم .

وقد ساعد المستر السن الاستاذ مرغوليوث فوضع في هوامش الكتاب دوائر صغيرة قبالة كل سطر بتدري في ترجمة أحد المترجمين فأفاد ، ولولا ذلك لما أغنى كتابة كثير الاسماء المترجمة بخط مخمخ لان ذلك لم يلتزم في جميع صفحات الكتاب اذ لم يكن من نسخ ناسخ واحد ، بل يظهر انه تعاقب عليه عدة نساخ وخطه دقيق ملزوم

بعضه الى بعض ، وينقص بعض كلمة النقط فتتمنى ، لو يطبع ثانية بالحروف المطبعية بعد مقابلة هذه النسخة بغيرها من النسخ الواضحة الصحيحة كالنسخة التي رآها صاحب المنار في لكتنهور بالهند فتم فائدته ، فنحن أحوج الى هذا الكتاب ممن تولوا طبعه وأحق بإحياء مآثر أسلافنا ، وإنا نشكر للاستاذ مرغوليوث هذه الهدية النفيسة كما نشكر لجمعية [تذكارجب] احياءها هذا الكتاب وغيره من آثار العرب

شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام)

طبع هذا الكتاب بمطبعة هندية بمصر سنة ١٣٢٩ ، وكتب في طرته ماتقدم ، واه مطبوع بارادة « إمبراطور ألمانيا وملك بروسية وملك ورنبرج »
تأليف الشيخ الامام الحافظ المحدث الفقيه أبو ذر محمد بن مسعود الحشني .
استخرجه وصححه بولس برونله . وأبو ذر هذا اسمه مصعب بن محمد كما في القاموس ، وهو من علماء الاندلس أخذ عنه الشريشي شارح مقامات الحريري . وكتابه هذا أمالي أملاها في شرح غريب السيرة . وجعله عشرين جزءا وكان ينبغي ان تسمى فصولا لا أجزاء . وقد طبع طبعا جيدا في جزئين من قطع أصفر من المنار ، وجعلت أرقام صفحتها متصلة فيحسن ان يجعل مجلدا واحدا فيكون مؤلفا من ٤٦٦ ص ومن الكتاب عشرة قروش ويطلب من مكتبة ديمر بمصر

رجال الملققات العشر

تأليف الشيخ مصطفى الفلايبي استاذ اللغة العربية في مدرستي المكتب السلطاني والسكية الثمانية في بيروت وطبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ على ورق جيد طبعا نظيفا وصفحاته ٣٦٠ : المقطع الوسط و٤٠٤ و١٢ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر .
الكتاب مصدر بمقدمتين أولاهما في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام والثانية في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي الى اليوم وصفحات المقدمة الاولى ١٦ صفحة والثانية ٣٠ صفحة ثم الكلام على رجال الملققات بالتفصيل ويتضمن سيره الشاعر وموته والكلام على شعره وملقته وسبب نظمها ونخبة من شعره . وقد ضمنت من الفوائد اللغوية والتاريخية والادبية مالا يوجد في غيره . وقد جمعه لتلاميذ السنة الرابعة والخامسة في المكاتب السلطانية والسادسة والسابعة في المكاتب الاعدادية أو ما يضاها في هذه السنين في المدارس الاهلية
(الحنين الى الاوطان) نشرت نبذة منه في هذا الجزء وستقرظ فيها بليه ان شاء الله

وهي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعجم

١٣١٥

فيشر عادي الدين يستعملون القول فيقولون أوجه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوتى و« مناراه كمنار الطريق »

مصر ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٣٣ - ٢٣ الثور (٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ مايو ١٩١٥

اللغة العربية

أقدم اللغات الشرقية وأم المدينة المصرية والبابلية

كنا نستدل على عراقة العرب في المدينة بما روى لنا التاريخ القديم من استعمارهم
لمصر في عهد دولة الرعاة (المكسوس) وغيرهم ، واستعمارهم قبل ذلك للعراقين ه
وما كان لنا في ذلك الا علم اجمالي ، ثم جاءنا علماء العاديات (الآثار القديمة)
بالاكتشافات والتحقيقات التي خرجنا بها من حيز العلم الاجمالي الى حيز العلم
التفصيلي ، وكان أعظم ما اكتشفوه في حفائر العراق شريعة حمورابي (ملكي
صادق) الموصوف في المهددين القديم والجديد بأنه ملك البر وملك السلام وكاهن

الله العلي ، ومن أخبار سفر التكوين انه بارك على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله ، وان ابراهيم أعطاه العشور . وقد بين هؤلاء العلماء ان شريعة حورابي كانت عريية ، وهي أقدم شريعة من الشرائع التي عرفها التاريخ ، وقد زعم بعض علماء الألمان ان التوراة مقبسة منها (راجع المجلد السادس من المنار)

وقد نشرنا في المجلد الخامس عشر (سنة ١٣٣٠) خطابا طويلا في اللغة العريية لجبر افندي ضومط استاذ العلوم العريية في القسم العالي من المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت ألقاه في الاحتفال السنوي لسنة ١٩١١م أتحفنا به ، وموضوعه [بحث تاريخي فلسفي في مواطن العريية المضرية ونسبتها الى اخواتها من اللغات السامية] وبما جاء فيه ان العلامة رونسن المؤرخ الاثري يرجح ان المدينة المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءتها من العراق وبلاد العرب (المنار ص ١١٦ م ١٥) وأن الباحثين اتفقوا على ان لغة الاشوريين وقدماء البابليين واحدة ، وان الآثار البابلية تثبت ان الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أهل البلاد الاصلين ، وإنما جاءوها من مكان آخر وتغلبوا على أهلها الذين كان لهم مدينة عظيمة إذ كانوا غزاة فاتحين ثم ترجوا الكثير من آداب أهل البلاد بلغتهم السامية ، والظاهر انهم كانوا من جزيرة العرب (المنار ص ١١٧ م ١٥)

ثم بين ان اللغة العريية هي أم اللغات السامية وسيدتها ، وان أرومتها الاولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان . وانه انشعب منها فرع الى بلاد بابل بالعراق فاقسم الى شعبتين بدوية وحضرية ، وان بعض العاقلة والعاديين من قدماء العرب هاجروا الى سورية — بعضهم هاجر من العراق لما اضطهدهم المناردة ، وبعضهم هاجر من جزيرة العرب بقصد التجارة والاستعمار — كما هاجر غيرهم من اخواتهم الى شطوط افريقية فكان منهم الامهرية والحبشة — (قال جبر افندي ضومط) ومن هؤلاء المهاجرين كان العبرانيون وأمم الشام من الكنعانيين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية والفينيقية والعريية (أي المضرية) شعبتين من الفرع العادي ، والجرية والحبشية من الفرع القحطاني (المنار ص ١٩٩ م ١٥)

أقول فطلي ما تقدم يكون كل من مدينة العراق وسورية ومصر عربي الاصل

ثم تولد من ذلك الأصل فروع استقلت واختلفت باختلاف الدول والملل ، حتى جاء الاسلام فأرجع تلك الفروع كلها - ما قرب منها عن أصله وما بعد - الى الفرع المصري ، فكانت له عمد الى أفراد عشيرة كانوا متفرقين متباعدين بحسب كل منه انه اجنبي عن الآخر فجمع بينهم فعادوا الى الوشيج الجامع فكانوا أسرة واحدة . لكن علامة الآثار والمعاديات المصرية وامام اللغة الهيروغليفية في مصرنا الآن أحمد بك كمال أمين دار الآثار المصرية اظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان ، فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه الوقام الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب - إما موافقة تامة وإما موافقة بضمرب من التحريف أو القلب والإبدال المعهود مثله في اللغتين . ومن المعلوم ان المدينة العربية القديمة كانت في العاديين والقحطانيين سكان حضرموت واليمن ، وهم الذين استعمروا مصر والعراق وسورية . وقد ضاع أكثر لغتهم ، واعلمها لو دونت كاللغة المصرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر الى اليوم ، حتى فيما نراه يخالف منها المصرية بتحريف أو قلب أو إبدال وكان المشهور عن احمد بك كمال أنه يرى أن العربية أصل للغة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفي ومن لوازم هذا ان أصحاب تلك المدينة كانوا من العرب . ثم إنه رأى نصا يدل ظاهره على أن العرب أنفسهم أو بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصدق ، وبنى عليه محاضرة ألقاها في مدرسة المعلمين الناصرية في العام الماضي . وذلك النص ما وجد منقوشا في الدير البحري (مكان بجبة الأقصر) في زمن الدواة الثامنة عشرة (كان زمنها من سنة ١٦٠٠ - ١٣٨٠ ق م) وهي أرقى دول مصر ، وفيه ان المصريين الاولين اشتهروا باسم الاعناء ، ولم يبين النص أصلهم ، ولا من أين جاؤا ، ولكنهم استعمروا الجهة الجنوبية من مصر وأسسوا المدن بأسمائهم . وفيه ان بعضهم هاجر الى القبروان وتونس والجزائر . وبعضهم الى أواسط أفريقية والصومال ، وبعضهم قطع البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين ، وأطلق على كل عنو من (المنار: ج ٤) (٣٤) (المجلد الثامن عشر)

أولئك الاعناء المهاجرين اسم مركب تركيباً إضافياً فصار يقال أعناء كذا واعناء كذا. ولفظ « أعناء » عربي معناه الاخلاط من الناس يكونون من قبائل شتى. أما نحن فنرى أن ذلك النص ربما كان عن عقيدة تقليدية وهمية بأن مصر الموطن الاول للبشر، والاصل الذي تفرغت منه الشعوب والامم، وينقل مثل هذا عن قدماء الهنود والصينيين. فهذه تقاليد متعارضة ليس لنا عليها دليل عقلي ولا نقلي للترجيح بينها، فنجري فيها على قاعدة تعارضت فتساقطت. على أن أولئك الاعناء المجهول أصلهم يجوز أن يكونوا من العرب، وأن يكون من هاجر الى جزيرة العرب منهم هاد الى بلاده، وبهذا يجمع بين هذا القول وقول العلامة رونسن الذي رجح كون المدينة المصرية الاولى قد جاءت من بلاد العرب والعراق. والامر المتيقن عندنا الآن هو ان لفتنا العربية الشريفة هي لغة قدماء المصريين ومظهر مدينتهم، ونتيجته ان قدماء المصريين من العرب أو العرب منهم فهم أمة واحدة، وكذلك السوريون والعراقيون كما تقدم

وقد رغبتنا الى احمد كمال بك أن يتحفنا بفصول ملخصة من قاموسه الذي أشرنا اليه ففضل بالاجابة وجعل الفصل الاول في بعض الحبوب والنبات وهذانصه

مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^{*}

١

(في بعض الحبوب والنبات والاشجار والثمار المصرية)
وفيه استطراد الى كلمات أخرى

بُر
البر القمح الواحدة بُرّة

قُح
هو اسم عندهم للقمح والخبز ويميز بينهما برسم النبات عند

(* راجع ما ذكرناه عن اللغة المصرية في المقتطف المطبوع في مارس سنة ١٩١٤ وفي تقويم الشرق للدكتور هنري مدور المطبوع سنة ١٣١٥ وذلك في صحيفة ٣٥٠ الى ٣٥٨ وقد رمزنا هنا بحرف (ع) للعربية وحرف (ق) للقبطية

نهاية الكلمة في الاول والخبر في الثاني (١)

وجد الكثير منه في المقابر المصرية حفظ بالمتاحف واختبرت حبوبه في الزراعة فلم ينجح، وقد اختبر الكياويون بعض هذه الحبوب فوجدوها مدهونة بطلاء حافظ لها على مرور الدهر ووجد (شوينفورت) قمحا أصغر في الحجم من قمحنا المعروف وهو يشبه القمح البحري وكان يستعمل في الطب والغذاء

حِنت حنطة هي البر- ج. حنط

(بُد) بَض يياض : وكلمة البيضاء تطلق في العربية على القمح

فُهو الفوم هو الحنطة وقد ذكر في القرآن الكريم

جَل (والجيم تقلب غينا) غلة- ج غلال

شِرت ق سِريت : سلت - هو الشعير أو ضرب منه ، والشين

تقلب سينا بالمصرية فيقولون شلم بمعنى سلم ، واللام تقلب راء وبالعكس

الشعير عندهم صنفان أبيض وأحمر ويصنع منه الخبز والجمعة ومن خبزه ما هو محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة، ووجدت حبوبه في مقبرة كاهون بالفيوم من عصر العائلة الثانية عشرة لكن حبه أصغر من شعيرنا الآن وكانوا يتخذون من

سوقه مزامير

تُرأ ذرة

بُول فول - لان الباء تقلب فاء كفيوم أصلها يوم أي اليم ،

وكفأى أصله عندهم بأى

قال هيرودوت في كتابه الثاني ان المصريين لم يزرعوا الفول في أرضهم فاذا خرج فيها لم يأكلوه لانها ولا ناضجا وان قسوسهم لا يستطيعون النظر اليه لانهم يرون انه نجس ، ومع ذلك فقد ورد عنهم انهم كانوا يحفظونه ويحفظونه بدليل قولهم (قول هاف) أي جاف، لان فاء الكلمة متلوبة عن الجيم. فلا بد وان يكون قول هيرودوت هذا غير صحيح اذ الفول كان ولا يزال من الاغذية المصرية الى هذا اليوم

(١) اصطلاح أهل اللغة المصرية القديمة على ان يرسموا في آخر كل كلمة

الصورة الدالة على معناها أو المؤيدة له

عرشان ق. أرشان: بلسن واحده بلسته. "باس". بلس: عدس

سمن كون

سنوت سنوت وهو الثمار أو الكمون

رعان حرمان، إرما - الرمان. ق. أرمان. ع ريمون

وبالبربرية - أرمون

شجر دخل مصر في عصر العائلة الثامنة عشرة وقت انتشار الحرب العظيمة مع أهل آسيا في عهد الملك أحمس وقد وجد مع اسمه مرسوما في صورة البستان التي زين بها (أنا) جدر حجرة قبره بطيبة وهو الذي توفي أيام (تحتمس) الأول الذي كان أول فرعون تجول في بلاد الشام وأخضعها لحكمه وعليه رعا كان هذا الملك أول من جلب لبلاده هذا الشجر فغرس في البساتين. وهذا لا ينافي معرفة المصريين لاسمه من قبل. وما وجد في المقابر منه أصغر حجما من نوعه المعروف الآن فهو شبيه برمان طور سيناء وكان يستعمل قشره لقتل الدود واستعمله القبط للحكة وصنع منه المصريون شرابا في عصر الرمسيين

دُبْحُو، ضبْحِي: تفاح - ق. جبج

وهو الشجر المعروف بحسن فاكهته ويكثر اسمه في القرابين التي يذكر فيها الرمان والزيتون والتين وتدل النصوص على ان وجوده في ارض مصر كان في عصر العائلة التاسعة عشرة

قُرَا لوز: وكذا في العبرية والحبشية ونونها قلب لاما كما في نقب

ولقب فالاول مصري والثاني عربي

بَهرِي لا يزال يعرف في بعض الجهات بالبنور وصحته برني اسم للنخلة وللتمر. ويقال تمر برني ولا تكاد الاضافة تكون في البرني لان

البرني هو التمر وقد ذكر في قول الشاعر -

باتوا يعيشون القطيعاء ضيفهم^(١) وعندهم البرني في جلال دُسم

(١) المنار: رواية لسان العرب: جارم - بدل ضيفهم. والقطيعاء نوع من =

أعم عَمَّ عَمَّ ج عمومة، أعم، أعمام، أعمه - نخل طوال. والالف تنوب عن العين في كثير من الكلمات
عَوْنَت عوانة: نخلة طويلة

حُن حُون أهان ج أهنة وأهْن: عرجون التمر مافوق الشماريح والهناء عذق النخل (فالهاء فيها بدل من الحاء لقرب مخرجيهما)

طَارُوي جمار النخل - الجيم والطاء يتناوبان في المصرية كقوتهم: طَرًا بمعنى كلاً. وهاتان الكلمتان مصريتان عربيتان
سِر: سلاء ج سلاءة، وأسل الواحدة أسلة: شوك النخل (الراء بدل

اللام) ق سوره سوري

زيتون ق جويث جيت. ع. زيت:

زيت زيت وكان يستعمل للاضاءة خصوصاً في المعابد

وجد الكثير من أكاليل الزيتون على رهوس الموتى التي لا يتجاوز تاريخها العائلة المتمة للعشرين وعليه يظن ان الزيتون لم يفرس في ديار مصر قبل العائلة الثامنة عشرة لكن وجد مذكورا في نصوص هرم الملك (تيتي) فهو معروف من عهد بناء الاهرام أو قبل ذلك

كِرْمَا كِنَم: كرم ج كُرُوم وبالعبرية كرم

كَامُو: كرام - صاحب الكرم والممتني به وأصله كارموفسقطت منه

عين الكلمة لان الراء والنون واللام تسقط في كثير من الكلمات.

ق جمى جمه

= التمر يظهر من مقابله بالبرني الذي هو أجود التمرانه رديء وقيل هو البسر قبل ان يدرك. والجمال ج جملة - كفاة وقلل. وهي قمة التمر، ودسم ج أدسم ودسماء صفة لها ولعله باعتبار تمرها

كارج كاريو : أ كارج أكرة وأ كآرون اي حرثات من أكر

الارض اكر او اكره حفرها. وجاء في المصرية والعربية ايضا :

مَن مان الارض شقها للزراعة . والاسم منه :

مَن أمآن : مزارع. ويقال ايضا :

سَق شق الارض اي فلحها والسكة الحرث. ق إسكاي. إسغاي

بَاث باث (المكان) يبوته بوثا حفره

بَاي فأى فأوأ وفأيا : فلق (والباء تنوب عن الفاء نحو بدح

وفدح بمعنى ضرب)

قَنَا. كَنَا : قناة ج قناء، وهو الرمح وصاحبه قناء بالتشديد . عود

القنا قصب الذريرة

ويقال له باليونانية (كانا) وبالعبرية (قناح) ويذكر في التذاكر الطبية مع انه

لا ينبت بديار مصر ولو اعتمدنا على انه هو المذكور في النصوص المصرية بقصب

فنيثيا لساخ لنا ان نقول انه كان يستحضر من آسيا في عهد الفراعنة وقد اطلق

عليه العرب والعبريون والمصريون القدماء اسم قنا

نَزَا : اللوز في العربية والحبشية

سِر : زير، أي كتان. وفي القبطية : سال. سول وله اسماء أخرى

وهذا النوع المسمى بالنباتية (لينوم هيميله) وجدت بذوره في مقابر العائلة

الثانية عشرة والعائلة المتمة للعشرين ويذكر كثيرا في تذاكر الطب واتخذوا منه

الغزل والنسيج والثياب الخ

سِسْمِن : سوسن وسوسن وسوسان - نبات طيب الرائحة

الواحدة سوسنة والجمع سواسن . ق . شوشن . واللاتيني : سوزينوم

ومنه اسم العلم سوزان، وبالبربرية سوشانه وهو اللوطس الابيض المعروف عند

المصريين القدماء ولا يزال ينبت في المستنقعات وعلى شواطئ القنوات الى يومنا هذا

عنب . بالعربية والعبرية .

حَرَّ حلق حليلي حريرة حريري: حَنُونٌ نور كل شجرة ونبت

وقد حن الشجر والعنب اذا نور (لان النون عندهم تنوب عن الراء)
وكذلك يقال عندنا في اللغة العامية المصرية الآن وفي المصرية القديمة نقب

بدل لقب بالعربية الفصيحة وفي المصرية فنن يقابلها في العربية نقل ، أي بصق .
والقلب والابدال لهما أصول في هاتين اللغتين يقتضي مراعاتها لتظهر المقابلة . ومنها :

حلل هَلَل يهَلل تهليلًا ، وقد جاء في نقش بمدينة (أبو) الواقعة

في الجهة الغربية من لوقصر مانصه [وكان المحاربون مثل السبع يهللون

في بُهرة الاصواء ^(١) (أي وسط الجبال)] هذه العبارة نقلت بنصها ليعلم

وجه الشبه بين اللغتين . ويقال في المصرية والعربية إبهارّ النهار أو الليل

أي اتصف ، وبهرّ: فاق ، وبهارّ: صنم

حَرَّ حُرُّ حية دقيقة مثل الجان أو ولد الحية كما في القاموس

بدّا كما بطيخ

نبا طبار — اكبر التين ^(٢) بسقوط الراء وتقدم مثله في كلمة كامو

تون تين

وجد كثير من التين في المقابر القديمة العهد وحفظ بالمتاحف ولا يزال يرى
مرسوما فوق مواثد مع العنب والقثاء والرمان

كونت جنة : تين قول بعض المفسرين في تفسير : (وطفقا يخلصان

عليها من ورق الجنة) أي ورق التين أكنت : جنة ج جنات

(١) المنار : الاصواء جمع صوى بالضم ، وصوى جمع صوة (كقوة وقوى)
والصوة ما غلظ وارتفع من الارض فلم يبلغ أن يكون جبلا ، فيظهر أن المصريين

أطلقوه على الجبال أو على غير الشامخ منها ، على ان رسم الشامخ وغيره متشابه ،
والرسم هو المفسر للغة في كتابتهم . وللصوة أيضا الاعلام التي يهتدى بها المسافرون

وجماعة السباع (٢) في القاموس أن الطبار (بوزن الرمان) شجر يشبه التين

أسى . أسى نبات معروف . قال ابو حنيفة الدينوري ينبت
بأرض العرب وبالسهل والجبل ونخضرتة دائمة

وهو نبت مصري ترى أغصانه في أيدي الراقصات المرسومة على جدران
المقابر ووجد من آثاره شيء في قبور تل بسطة بالزقازيق وفي مقابر هواة بالفيوم وقد
حفظ في متحف الليد شيء منه

اسى بوللى أس بري بصر بصل (الراء تنوب
كثيرا عن اللام ومنه رأأ ويقابلها في العربية رأأ ولاأ بمعنى لمع)
أسل أسلة : الاثل شجر ذكر في القرآن واحده اثلة ج اثلات
وأثول ، وهو نوع من الطرفاء والتمر ويقال له بالقبطية : اسى واسه

اعلمنا هيرودوت وبليني ان الاثل كان ينبت في مصر ووجد منه (أنجر) بقايا
في طوبة عثر عليها في قرية الكاب بصعيد مصر ووجد شوينفورت فروعا منه
في تابوت من العائلة المتممة للعشرين وكثيرا ما تذكر النصوص هذه الشجرة
لانها كانت مقدسة عندهم

حمتى كماء زلم الزلم : وهو حب العزيز
ببسباس بسباسة وهي الشمار
بكاء قال ابو العباس النباتي هو شجر معروف عند العرب

بمكة شبيه باليسام

يسر إيصار أئصر حشيش وبالحبشية اثر .
شنت سنط سنط شنيذ سنط ق شنت شنته : شجر مصري

قديم يذكر في نصوص الالهرام

وجد من زهره اكايل على مدينة الملك احمس الاول وامنوفيس الاول
كلاهما من العائلة الثامنة عشرة وكانت تصنع من خشبه السفن والتوايت والثايل
وإثات البيوت الخ
أحمد كمال
الامين بالمتحف الوطني
(للمقارنة بقية)

مَدِينَةُ
دَارُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٦

(٤) اللحم

يؤخذ هذا الصنف من الطعام من الأنعام والطيور والحيوانات البحرية ،
والمعاد أكلة من الحيوانات البرية هي التي لا تأكل اللحم لحكمة ستظهر في الكلام
على الديدان المعوية فيما يأتي ان شاء الله

واللحم نوعان: اللحم الأبيض ، واللحم الأحمر . فمثال الأول لحم الأرانب ، ومثال
الثاني لحم الضأن . والأبيض أسهل هضما من الأحمر ولكن الأحمر أكثر تغذية
لاشتماله على جزء من مادة الهيموجلوبين فتكثر الدم . واللحم يشمل على جميع
الاجزاء الضرورية للجسم تقريبا ، ففيه الماء والزرال ونحوه من المواد الأزوتية
كالجلاتين والزينين [xanthin]^(١) وغيرها أيضا الدهن والمواد
السكر بوهيدراتية (الجليكوجين وسكر العنب والإينوسيت Inosite^(٢)) وفيه
أيضا أملاح عديدة منها فسفات البوتاسيوم وملح الطعام وغيرها ؛ وكل هذه المواد
تختلف مقاديرها باختلاف الحيوانات المتنوعة وهي توجد بكثرة عظيمة في لحم الدجاج
فبها أكثرها تغذية ، وفي اللحم أيضا حامض السار كولاكتيك [Sarcolactic]^(٣)

(١) معناها الأصفر باليونانية لان هذه المادة صفراء

(٢) سكر اللحم والكلمة يونانية أيضا ، ومعناها الحرفي (العضلة)

(٣) لفظ مركب من كلمتين (Sarco) يونانية معناها اللحم و (Lactis)

لاتينية معناها اللبن ، اي حامض اللبن المتولد في اللحم

إذا كان جديدا فلذا ينفع في الاسكربوط . ويوجد في الخنزير الشحم بكثرة تفوق سائر أنواع اللحوم الاخرى فلذا كان أعسر اللحوم هضمًا لأن الشحم فيه يحيط بأليافه العضلية فيحول دون وصول العصارات الهاضمة اليها فيتعب المعدة والامعاء، وقد يحدث منه القيء أو الاسهال، وربما هيأ الزائدة الدودية للالتهاب ولذلك تكثر أصابتها به في بلاد الافرنج فان فساد الهضم من أسباب هذا المرض

وكثيرا ما تكون الحيوانات مصابة بأراض متعددة مثل الدرن^(١) والجحرة الخبيثة وأنواع كثيرة من الديدان سند كرها تفصيلا فيما يأتي، فلذا يجب أن يكون الحيوان المأكول سليما من كل مرض. ويجب أيضا طبخ اللحم جيدا حتى تقتل فيه الميكروبات وأكياس الديدان بقدر الامكان. وأضر ديدان تنشأ من أكل اللحوم هي الديدان التي تنشأ من أكل الخنزير، وهذه حكمة أخرى في تحريمها. ولا يتوهن القارئ ان الطبخ يزيل جميع أضرار اللحوم المريضة فانه اذا قتلت الميكروبات بسبب شدة الحرارة بقيت سمومها وكلما اشتد الطبخ للتأكد من قتلها زاد تجمد المواد الزلالية وعسر هضمها، على أن الطبخ قد لا يقتل بعض ميكروبات الدرن التي تكون في باطن اللحم لأنه موصل ردي للحرارة

أما لحوم الحيوانات البحرية فن أسهل اللحوم هضمًا وقد لوحظ أن الناس الذين يأكلونها بكثرة أقوىاء البنية أصحاء، إلا أنه قد يصاب بعضهم بالجذام فلذا ظن بعض الاطباء أن الاقتصار على أكل السمك أو الاكثار من أكل الفاسد المتعفن منه كالفسيخ مما يهيج الجسم لقبول هذا المرض الخبيث، ولكن ذلك لم يثبت الى الآن

ومن أنواع الحيوانات البحرية الحيوانات ذوات الاصداف كالبلطينوس وهي سهلة الهضم جدا، غير ان ميكروب الحمى التيفودية قد يوجد فيها ومن أنواعها أيضا السرطان البحري ونحوه وهي لكثرة أكلها المواد القذرة تضر آكلها بذلك وبشدة عسر هضمها . وأجود أنواع السمك هو الذي يصطاد حيا من المياه الجارية النظيفة . والسمك سريع الفساد فلذا يجب أن لا يترك زمنا

(١) الدرن كثير الحصول للبقر والخنزير، قليل جدا في الضأن، ونادر في الغنم

طويلا بل يؤكل غضا غريضا. ويعرف السمك الغريض (الطازره) ييبس لحمه ،
وباتصاب ذيله . والسمك الفاسد المتعفن هو من أضر المأكولات فانه يتولد فيه
من الفساد بعض مواد سمية آزوتية تسمى Ptomaines^(١) وهي شديدة الخطر
حتى ان كثيرا من الناس قتلوا بسبب أكلهم السردين والفسبيخ، ومن لم يميت منهم
قد يصاب بالدوار والصداع والاسهال أو القيء وغير ذلك
أما البطارخ (وتسمى الصمغ مرق وهي عبارة عن بيض السمك) فهي أقل فسادا
من لحمه ، وهي مغذية محرصة لشهوة الطعام ويشترط أن لا يكثر الانسان من
أكلها في المرة الواحدة ، وقيل أن أكلها يمسك البطن و يمنع الاسهال
والأسماك ذوات الحرشف هي غالبا ألد طعاما وأسهل هضمًا من التي لا حرشف
لها لكثرة دهنها وقذارة المياه التي تعيش فيها، ولذلك حرمت التوراة أكل ما ليس
له حرشف. (راجع سفر اللاويين ١١ : ٩ - ١٢) ومن أسماك الانهار ما يكون
سببا في إصابة الانسان بدودة شريطية كما سيأتي تفصيله
ويقال ان أكل الأطعمة الحيوانية الفاسدة مدة طويلة يسبب الاسكربوط
وهو رأي راجح جدا الآن ، وذلك مثل أكل القديد (البسطرما)

(جدول تركيب أشهر اللحوم)

المواد	الثور	المجمل	الخنزير	الحصان	الدجاج	نوع من السمك
ماء	٧٦٥٧	٧٥٥٦	٧٢٥٦	٧٤٥٣	٧٠٥٨	٧٩٥٣
زلال وجلاتين	٢٠٥٠	١٩١٤	١٩٥٥	٢١٥٦	٢٢٥٧	١٨٥٣
شحم	١٥٥	٢٥٩	٦٥٢	٢٥٥	٤٥١	٥٥٧
مواد كربوهيدراتية	٥٥٦	٥٥٨	٥٥٦	٥٥٦	١٥٣	٥٥٩
أملاح	١٥٢	١٥٣	١٥١	١٥٠	١٥١	٥٥٨

(٥) الاطعمة النباتية

هذه الاطعمة منها ما يؤكل كل بلا طبخ كالجرجير والفجل وغيرهما، ومنها ما يؤكل

(١) معناها (مواد الجيفة) وهي لفظ يوناني

مطبوخا كالبقول وغيرها . وهي في جملتها تشمل كثيرا من الزلال والدهن والمواد الكربوهيدراتية والحوامض النباتية وأملاح عديدة، وفيها مادة يتعسر هضمها تسمى (السلولوز^(١)) وهي التي يتكون منها جدران خلاياها وأخشابها وغير ذلك من أليافها أما زلالها فيوجد بكثرة في البقول كالقمح والبقول والعدس والحمص . ويسمى الزلال الذي يستخرج من القمح باللاتينية - الجلوتين (مادة غروية) ، وهو لا يوجد فيه بشكله المعروف الا بعد أن يضاف اليه الماء فيتحد مع ما فيه من المواد الزلالية ويتولد هذا الصنف المخصوص من الزلال ، وهو سهل الهضم ، ولذلك كان من الأغذية النافعة المفيدة

وأما الدهن فهو يوجد بكثرة في بعض الثمار كالزيتون واللوز وغير ذلك الا أنه يقل وجوده في بعض البقول كالقمح مثلا

والزيوت نوعان : ثابتة ، وطيارة . فالثابتة هي كالشحم في تركيبها ، ويحصل الانسان عليها بعصر الحبوب بألات مخصوصة ، وسميت ثابتة لانها لا تتطاير أما الزيوت الطيارة فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والاكسجين الا أن مقادير هذه العناصر وأوضاعها مغايرة كل المغايرة لتركيب الزيوت الثابتة ، ومن أمثلة هذا الصنف من الزيوت زيت القرنفل ونحوه من الزيوت العطرية ونظرا لكونها سهلة التطاير تُتَّحَصَل بالتقطير . فاذا غلي اليانسون مثلا في ماء صمد منه الزيت في بخاره ويمكن الحصول عليه بالانبيق . أما الماء الذي غلي فيه فلا يبقى فيه من هذا الزيت الا النادر جدا أولا يبقى فيه شيء

الزيوت الثابتة مغذية ملينة وتحترق في الجسم فتولد فيه حرارة عظيمة جدا ، ولذلك يحسن أكلها في البلاد الباردة

والزيوت الطيارة منمشة منبهة للأعضاء كلها فتقوي الهضم ودورة الدم وتدر البول وتنفض البلغم من الصدر وتزيد في قوة الحركة الدودية للأمعاء وبذلك تخرج أرياحها وتزيل آلامها ، وهي مطهرة أيضا قاتلة للميكروبات فتطهر الشعب

(١) كلمة اصلها لاتيني معناه (خلية صغيرة) سميت هذه المادة بذلك لتركب جدران الخلايا النباتية منها

والامعاء والبول

أما الاملاح التي في النباتات فهي مقادير كبيرة من فسفات البوتاسيوم وفيها أيضا فسفات الحديد وهو كثير الوجود في البقول خصوصا في القمح ، فيكثر دم آكله، ويقل في الاطعمة النباتية ملح الطعام فلذا يحتاج اليه النباتيون كثيرا فيأخذونه من الخارج . وفي الخُضَر والفواكه أملاح عضوية وحوامض مثل حامض الطرطريك (الدرديك) وهو موجود بكثرة في عصير العنب متحدا مع البوتاسيوم، وحامض الليمونيك الموجود بكثرة في الليمون والبرتقال (واليوسف افندي) والكريز وغير ذلك، وحامض التفاحيك موجود بكثرة في التفاح والكثيرى (الاجاص) وحامض الاكساليك^(١) يوجد في الحمض والكرنب والطماطم والراوند، وغير ذلك من الحوامض ، وهي تتحول في الدم الى كربونات قلووية فتدر البول وتذيب حامض البوليك الذي ينشأ من احتراق المواد الزلاية احتراقا ناقصا فينشأ منه النقرس (داء مخصوص في المفاصل) والحصى الكلووية والمثانية . فهذه الحوامض النباتية تساعد على ازالة حامض البوليك الضار بالجسم

والامتناع عن أكل الخضر زمنا طويلا يؤدي الى ضعف بالجسم وتقرح بالثة وحدوث أنزفة متعددة في أنسجة الجسم وخارجه ، وهذه الاعراض كلها هي المسماة (بداء الاسكربوط) ولا دواء له الا الخُضَر والاعذية غير المتعفة

ومما تقدم يعلم ان الاقتصار على أكل اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية قد يضر بالجسم وخصوصا اذا أكلها الانسان ولم يروض جسمه بالحركات أو الاحمال البدنية المتعبة فان ذلك يقلل احتراق المواد الزلاية الاحتراق الواجب الذي تتحول به الى (بولينا) ليتيسر للكل أن يخرجها من الجسم بسهولة ذوبانها، بل يكون الاحتراق ناقصا فيتولد من المواد الزلاية حامض البوليك الذي يحدث مرض النقرس والحصى كما سبق . وهذا المرض كثير الحصول للمتفرجين بسبب إسرافهم في المآكل الزلاية كاللحوم وغيرها وإقلالهم من الحركات الجثمانية ولذلك يسمى داء الملوك . . وللوقاية منه يجب القصد في أكل المواد الزلاية ، والمواظبة على الرياضة

(١) اكسس (Oxys) باليونانية معناها حامض و (Oxalis) اسم الحمض فيها

البدنية، والا كثار من أكل النباتات من خضر وفواكه وغيرها حتى تذيب هذا الحامض الضار (أي حامض البوليك) وتخرجه من الجسم وأكل المواد النباتية بلا طبخ قد تنشأ عنه أمراض كثيرة كالحمى التيفودية والدوسنتاريا وبعض الديدان المعوية كالديدان الخيطية الذي يوجد بكثرة في المستقيم عند بعض الناس . والسبب في تلك الأمراض هو وجود بعض الميكروبات وبويضات الديدان في الطين والماء الذي يسقى به الزرع، فتعلق هذه بالنباتات وبذلك تصل الى الانسان اذا أكلها بدون تطهير، ولذلك يجب غسلها غسلا جيدا متكررا فان ذلك يزيل كثيرا من مضارها ولكن الأولى تطهيرها بالغلي لمن أراد أن يصون نفسه صيانة تامة من هذه الأمراض . ويجب في زمن انتشار بعض الأوبئة كالهيبضة (الكوليرا) والحمى التيفودية أن تغلى جميع هذه المأكولات غليا جيدا أو يترك أكلها حتى ينتهي الوباء

ولما كانت الحوامض كالليمون والخل قاتلة لبعض الميكروبات المرضية كان وضعها على النباتات الخضراء كالخس مثلا أو الفجل هو من أحسن الوسائل التي تقي الجسم شر هذه الميكروبات . أما تأثيرها في بويضات الديدان فهو غير واف بالفرض، والراجح أنها لا تقي الانسان منها مطلقا

الكلام في الحبوب وأغذيتها وغير ذلك

(١) القمح، فيه نشاء كثير، وزلال، ودهن قليل جدا، والمادة المسماة سلولوز وأملح أهمها فسفات الحديد كما سبق وماء، أما السلولوز فيوجد أكثره في غلاف حبوب القمح وهو الذي يفصل بالطحن والنخل ويسمى بالنخالة، وأكلها يهيج حركة الأمعاء ويحدث لنا فلذا كان نافعا من هذه الوجهة

الطبقة التي تلي غلاف القمح تشتمل على الجزء الأعظم من الزلال ولونها أسمر. وأما باطن الحبة ففيه الجزء الأعظم من النشاء

والخبز يصنع بمعجن الدقيق بالماء— كما هو معلوم— فيتحول زلال الدقيق الى المادة المسماة جلوتين واذا أريد الحصول عليها يوضع المعجن في قطعة من الموصل (الشاش) ثم يفرك عدة مرات في الماء فيخرج النشاء الذي في المعجن من ثقب الشاش وتبقى

مادة الجلوتين في داخل الشاش، وهذه يصنع منها خبز أو فطير للمصابين بالبول السكري أما الخميرة فهي مركبة من خلايا نباتية، وفائدتها أحداث الغول (الكحول) وثاني أكسيد الفحم، وهو المقصود بالذات لأنه يحدث الفقاع في المعجن فيجعله اسفنجيا وبذلك يسهل هضمه بعد خبزها. وبالخبز يزول ما في المعجن من الكحول والغاز وتقتل خلايا الخميرة

(ب) الشعير، وتركيبه يقارب تركيب القمح الا أن زلاله لا يتكون منه الجلوتين بإضافة الماء اليه وإنما يبقى ذائبا في الماء، ويصنع من الشعير (ماء الشعير) وهو مفيد قليلا نافع للمرضى والاطفال، وإذا وضع على لبن الجاموس أو البقر منع تجبنه في معد الاطفال تجبنا كبيرا بل تكون قطع جينية صغيرة متفرقة يسهل هضمها. ولا يصح اعطاء هذا اللبن للاطفال الا اذا خفف بماء الشعير. وكيفية صناعة هذا الماء ان ينقى ٥٥ جراما من الشعير اللؤلؤي^(١) في ٧٥٠ جراما من الماء مدة ٢٠ دقيقة في اناء مغلي ثم يصفى الماء، وهذا الماء هو المسمى بماء الشعير

(ج) القرطم (الشوفان) وهو يشبه الشعير في زلاله وفيه دهن كثير
(د) الارز وفيه نشاء كثير وزلال قليل جدا ودهن أقل من الزلال وسلولوز أقل منها كلها وملح قليل جدا فكأنه لا يشتمل الا على النشاء، وإذا طبخ جيدا كان سهل الهضم جدا بسبب قلة السلولوز فيه

(هـ) الذرة، هي مثل القرطم في تركيبه بالنسبة لاشتمالها على دهن كثير وزلال كزلاله، وتنقصها كذلك مادة الجلوتين اللزجة فتمتت خبزها، وينمو في العتيق منها فطر مخصوص يفسدها. فاذا أكلها الناس فقد يحدث لهم المرض المسمى (باللغرا) وهي كلمة يونانية وإيطالية أيضا معناها «الجلد الوحشي» (Pellis جلد و Agria وحشي) وقال بعضهم إنه قد ينشأ حتى من أكل الذرة السليمة اذا كان الشخص معدما رديء التغذية

وظن آخرون سنة ١٩١٠ أن له ميكروبا ينتقل ببعض أنواع الذباب (السكيت)

(١) شعير از بل قشرة ثم كسرت حبوبه الى قطع مستديرة مساه، يوجد عند
كثير من البقالين

[Sandflies] وقيل إن سببه كسبب الاسكربوط أعني أنه ينشأ من عدم اعطاء الجسم حقه من المواد الضرورية لتغذيته، فالاسباب أحد ثلاثة: (١) إما الذرة الفاسدة (٢) وإما نقص بعض المواد الضرورية للجسم (٣) وإما ميكروب مخصوص ينتقل بلسع السكيت

وهذا المرض كثير الانتشار في مصر، وأعراضه: آلام بالمعدة واسهال متعاص وفساد في المهضم وضعف في الجسم وقهر في الدم وطفح يظهر كثيرا في الايدي والاقدام والمرافق والركب والعنق والصدر، ويسمى هذا الطفح عند الفلاحين (باتشف) ويكون الجلد فيه خشنا متشققا أسمر اللون أو أسوده، ثم يتقشر ويضمحل. ومن أضر أعراض هذا المرض ضعف يصيب المجموع العصبي كله فيصاب الانسان بالضعف العقلي والماليخوليا^(١) (أي جنون الكآبة والحزن) وأعراض أخرى من الجنون كالليل للامتحار. وهذا الداء من أعظم أسباب الجنون في مصر وكذلك شرب الحشيش. وأعراضه تزول في آخر الصيف عادة ثم تظهر في الربيع، ويتكرر ذلك كل سنة، وبعد ٣ أو ٤ سنوات تشتد الأعراض ويزيد الضعف الى أن يموت المريض. ومدة المرض غالبا سنوات وفي الحالات الخفيفة ١٠ الى ١٥ سنة والاطفال قليلو الاصابة به وهو يكثر بين سن الثلاثين والخمسين

وعلاج هذا الداء ان يمنع الذرة بتاتا عن المصاب، ثم تعالج الاعراض التي عنده مثل الاسهال فيعالج بالفذاء اللبني والمواد القابضة المعروفة في الطب، فاذا زال الاسهال يسطى المريض الاغذية الجيدة السهلة المهضم والادوية المقوية كالحديد والزرنيخ خصوصا، وتراعى جميع الوسائل الصحية. وهذا الداء ان لم يتدارك في أول الامر استفحل واستحال شفاؤه وأدى الى الموت لا محالة وقد يموت الشخص منه ولا يصاب بالجنون

والذرة التي تحدث هذا المرض هي الذرة الشامية وجوبها كبيرة - كما هو معلوم - وأما الذرة الرفيعة المستديرة فلم يعرف أنها تحدثه

(١) معناها الحرفي في اليونانية (المررة السوداء) لتوههم انها تختلط بالدم فتحدث هذا الجنون، ومثل هذه المررة لا وجود لها. وكلمة ماليخوليا من تعريب المتقدمين

وتمتاز حبيبات نشاء القمح عن حبيبات نشاء الذرة بتكويرها أكبرها أما حبيبات الذرة فهي كثيرة السطوح ، وبهذا يمكن بالمجهر تمييز دقيق القمح عن دقيق الذرة (و) الحمص والبقول والعدس ، هذه المواد فيها زلال أكثر مما في اللحم وفيها نشاء كثير أيضا ودهن قليل ، وفيها أيضا مادة السلولوز ، فهي من أعظم ماعند النباتين من المواد المغذية ، أما زلالها فيوجد فيها متحدا على الاكثر مع الكبريت والفسفور ، وهو غير الجلوتين الذي بالقمح ، ولولا أنها عسرة الهضم لكان للنباتين وجه وجيه في تأييد مذهبهم (راجع أيضا صفحة ٧١ من هذا الكتاب)

(ز) البطاطس ، فيها نشاء كثير وزلال قليل ودهن قليل جدا وبعض أملاح وسلولوز ، وفيها أيضا مقدار من حامض الليمونيك إما خالصا أو متحدا مع البوتاسيوم والصوديوم والكلسيوم ، ولذلك فهي مغذية جدا نافعة في الاسكريبوط

(جدول تركيب بعض الاغذية النباتية السابقة)

المواد	القمح الشعير	القرطم	الأرز	العدس	الحمص	البطاطس
الماء	١٣٦٨	١٣٦٤	١٣٦١	١٣٦٥	١٤٦٨	٧٦٥٠
المواد الزلالية	١١٦١	١٥٦٤	٧٦٩	٣٤٦٨	٢٣٦٧	٢٥٠
الدهن	٢٥٢	٥٦٢	٥٦٩	٢٥٩	١٦٦	٥٥٢
النشاء	٤٦٩	٥٧٦٨	٧٦٥٥	٥٤٦٨	٤٩٦٣	٢٠٥٦
السلولوز	٥٦٣	١١٦٢	٠٦٦	٣٥٦	٧٥٥	٥٥٧
الاملاح	٢٦٧	٣٦٠	١٥٠	٢٥٤	٣٥١	١٥٠

(ح) الفواكه ، يكثر فيها الماء وأنواع مختلفة من الحوامض والاملاح والسكر والسلولوز وغير ذلك كالصمغ في التين مثلا ، وفي بعضها نشاء كثير كالطلع (الموز) فهي مغذية مدرة للبول مغذية لحامض البوليك مانعة للاسكريبوط والنفوس وبعض الحصات البولية ، وطبخ بعضها مما يسهل هضمها كالفتح والخوخ ، وهو قاتل لما فيها من الميكروبات وغيرها ، وفي البلح والموز - فوق ذلك - مواد زلالية ،

فهما من الاغذية الكاملة

وأكل الفواكه عقب الطعام يعين على الهضم لانها تكثر عصارة الفم والمعدة بلذيد طعمها

* تركيب البلح

ماء	١٢٠٠٠	مادة صمغية	١٢٠٠٠
سكر (من نوع سكر القصب)	٥٠٠٠٠	سلولوز	٢٠٠٠٠
مواد زلالية	٦٠٠٠		

* تركيب الموز

ماء صاف	٧٣		
مواد أخرى متنوعة	٢٧		
أما هذه المواد الأخرى ففيها ما يأتي بالنسبة للمائة : —			
ماء	١٣٠٠٠	مواد زلالية	٤٠٢٥
نشاء	٦٧٠٥٠	أملاح	٣٠٥٠
صمغ	٤٠٥٠	سكر	٢٠٠٠
سلولوز	٤٠٧٥	زيت ودهن	٠٠٥٥

(تنبيه) اعلم ان الدهن والزلال المأخوذ من عالم الحيوان أسهل هضما بكثير مما يؤخذ من عالم النبات . والعبرة في جميع الاغذية هي بما يمتصه الجسم من الاشياء المأكولة ، لا بمقدار ما في الطعام الذي يزرده الانسان من المواد المغذية ، فانها قد تكون عسرة الهضم

(٦) الماء

مركب من الهيدروجين والاكسجين — كما سبق — بنسبة اثنين من الاول الى واحد من الثاني حجاء وهو ضروري جدا لجميع الاجسام الحية فان ٦٤ في (* امدنا بهذا التركيب محمد شوقي بك بكير النباتي الشهير في مصر فشكر له

المائة من جسم الانسان ماء ، وهو أيضا ضروري لجميع افرازات الجسم وليسولة الدم وتغسل ما في الجسم من الاوساخ واخرجه في مثل العرق والبول ، وتبخره اذا خرج في العرق لتلطف حرارة الجسم

والماء عسر الهضم قليلا في المعدة بمعنى أنه يمتص منها ببطء ، ولكنه يمتص بسرعة زائدة من الامعاء ، ولذا كان الاكثار منه مع الطعام أو عقبه بقليل محدثا لعسر الهضم بسبب تخفيفه للعصير المعدي ، ولكن المقادير المعتدلة منه أثناء الاكل تزيد في افراز هذا العصير ، واذا شرب الماء بمقادير كبيرة في وقت خلو المعدة من الطعام أدرّ البول وغسل كثيرا من أوساخ الجسم وزاد في سمنه بترسيب مواد شحمية فيه وكل التغيرات الحيوية في الجسم فينقص مقدار حامض البولييك المنفرز في البول وبذلك يقلل تكون الحصوات الكلوية ويفسل الصغير منها ، وكذلك يقلل تكون الحصوات الصفراوية في مرارة الكبد وقنواته

والماء يعش الخلايا الحية فيزيد في قوة مقاومة الجسم للميكروبات المختلفة . ومن فوائده أيضا انه اذا شرب منه قليل عند القيام من النوم صباحا أحدث لنا عند المصابين بقبض الامعاء

والماء فوائد أخرى كثيرة في استعماله في الفصل والاستحمام سنكلم عليها - ان شاء الله تعالى - عند الكلام على النظافة

وبالاختصار انه من أكبر ضروريات الحياة بحيث ان الامتناع عن شربه أياما قليلة قاتل لاحالة ، والمزوج منه بالاشربة السكرية وغيرها كالشاي والرق قد يفني عن الصرف

هذا ويجب الاحتراس من شرب الماء البارد عقب التعب الجسماني الشديد كأن يشرب الانسان بعد العدو ونحوه من الاعمال والرياضات المتعبة فان ذلك قد يقتل الشخص بالسكتة القلبية . وشرب الماء الحار مسكن للقيء مساعد للهضم ولكن الماء الفاتر هو من اشهر المقيئات وأبسطها

ويجب خلو الماء من جراثيم الامراض خصوصا وقت فراغ المعدة من الطعام لعدم وجود العصارة الحمضية المطهرة حينئذ

(٧) الاملاح (ومن أهمها ملح الطعام وهو كلوريد الصوديوم)

هذه الاملاح ضرورية للجسم أيضا لانها تدخل في تركيب جميع أجزاء الجسم وسوائله ويتكون منها حامض الهيدروكلوريك الضروري للهضم المعدي ، وتذيب المواد الزلالية الموجودة في الدم وغيره من سوائل الجسم، ولولاها لرسب كثير من الزلال في الاوعية الدموية والمفاوية فتبطل الدورة . وقلة تعاطي ملح الطعام تحدث ضعفا شديدا وتورما وقهرا في الدم وموتا ، وهذه الاعراض كانت تشاهد كثيرا في بلاد فرنسة حينما كان الناس يمتنعون عن تعاطي الملح بسبب وضع ضرائب عليه . والقادير الكبيرة من ملح الطعام مثل ملء الملعقة من أحسن المقيثات فيفيد في الاسعاف لسهولة الحصول عليه في أوقات التسمم ، وهو أيضا يحدث اسهالا اذا اخذ بكثرة . وحقن محلوله في المستقيم يزيل الديدان الخيطية منه ، ويحقن أيضا تحت الجلد وفي الاوردة بنسبة ٧٥٥ جرامات الى كل لتر ماء معقم عند حصول النزف - كما سبق - وفي تسمم الدم وفي الغيوبة الديايطيسية أي الناشئة من البول السكري . والغرض من حقنه أن يخفف من تأثير السم في الجسم ويزيل بعضه بإدرار البول والا كثار من ملح الطعام قد يحدث تورما في الجسم أيضا ، خصوصا في التهاب الكلوي الحاد ، لتعسر خروج هذا الملح مع البول في هذا المرض ، فيتراكم في أنسجة الجسم ويجتذب اليه الماء الذي يتخلف فيها ويحدث الورم (oedema) أما الاملاح الاخرى كفسفات الكلسيوم ومركبات الحديد فهي ضرورية لتكون العظام وتولد الكريات الحمراء وغير ذلك . وأملاح الجير موجودة بكثرة في اللبن والبيض والخضر وهي مما ينمي عظام الاطفال ولذلك كان أكل هذه المواد المذكورة واجبا على المراضع لكيلا تصاب أولادهن بداء الكساح

(٨) التوابل والافاوية والمتبها

يوجد غير ما تقدم مواد أخرى كثيرة يستعملها الانسان في طعامه وشرابه والغرض منها تنبيه الهضم أو الجهاز العصبي وغيره ، ومن هذه المواد الفلفل والبصل والثوم^(١)

(١) في الثوم زيت طيار فيه كبريت وهذا الزيت هو السبب في كراهة رائحته كما أنه هو السبب في كراهة رائحة الخلتيت

وأشاي وغير ذلك
 أما المواد العطرية والبهارات فالشيء الفعال فيها زيوت طيارة تنبه الاعصاب
 والمضلات وتكثر العصارات الهاضمة، ولكن الغلو في تعاطيها مما يؤدي الى تعب
 المعدة وفساد الهضم

(١) الخـل—حامض مخفف معروف، يستخرج اما بالتقطير الجاف للخشب، أو
 بتأكسد الخبز بواسطة بعض الميكروبات فانبأ اذا عرضت للهواء مدة طويلة استحالت
 الى خل وبطل تأثيرها المعروف . وعناصر الخـل (وهي الكربون والهيدروجين
 والاكسجين) توجد في الخشب بحالة أخرى ، فاذا حلل الخشب بالنار في إناء مغلق
 حدث منه الخـل . وهو نافع في داء الاسكربوط الا أنه أقل فائدة في ذلك من
 عصير الليمون ، ومن فوائده أيضا أنه يساعد الهضم ويدرب البول فهو كباقي الحوامض
 النباتية المذكورة آنفا

وحامض الخليك في الخـل (بنسبة ٣—٦ في المئة) مختلط ببعض مواد أخرى
 (ب) القهوة — معروفة ، وتسمى حبوبها بعد تحميصها ودقها « البُن » وهو
 الذي يوضع في الماء المغلي ويشرب . وفي القهوة مادة آروتية وقهوين ودهن
 وسكر وحامض التنيك (الدبغ) وسلولوز وأملاح . أما القهوين فهو أهم
 ما فيها وفائدته تنبيه المخ فيقلل النوم ، وهو أيضا يقوي العضلات وضربات
 القلب ويدرب البول، فلذا يستعمله الناس لازالة النعاس ولتنبيه المخ للاعمال العقلية وفي
 بعض أمراض القلب . والقليل من القهوة أيضا يحدث في بعض الاشخاص لينسا
 ولكن الاكثار من تعاطيها يحدث عسرا في الهضم وينهك القوى العصبية، فيحدث
 أرقا وخفقانا وتقطعا في ضربات القلب، فلذا يجب عدم الافراط في شربها. وأحسن
 وقت لاستعمالها أن يشربها الانسان اذا أحس بالنعاس بعد أن يستوفي الجسم
 الراحة التي يحتاجها من النوم وغيره . وشرب القليل منها عقب الطعام يساعد على
 الهضم ، خصوصا بما فيها من الحرارة . وحامض التنيك الذي فيها من أشد المواد
 القابضة فاذا أخذت القهوة بمقدار زائد أحدثت قبضا بدل اللين المذكور
 والقهوة بما فيها من حامض التنيك والقهوين من أحسن ما يستعمل ترياقا للتسمم

بالأفيون، ويصح حقنها بمقادير كبيرة في المستقيم عند المسموم به إذا كان في حالة الغيبوبة (ج) الشاي - مثل القهوة في التركيب تقريبا، وفائدته كفائدها ويصح

استعماله مع اللبن في الاسهال والدوسنطاريا فإنه يحدث قبضا وطريقة صنعه هو أن يغلى الماء قليلا جيدا ثم يجعل على ورق الشاي بضع دقائق فيخرج منه بقية مشتمل على المواد النافعة في الشاي ويقل بذلك نزول حامض التنيك في النقيع بخلاف ما إذا غلي في الماء، ونظرا لكونه أشد صفاء من القهوة جاز استعماله أكثر منها في الاسهال ونحوه لعدم وجود راسب فيه تؤذي الأمعاء. وحكم الاكثار منه أو الادمان عليه كحكم القهوة الا أنه يحدث التمدد في الاسنان (د) الكافور - حبوب شجرة مخصوصة تثبت كثيرا في جزائر الهند الغربية.

ويدخل في تركيبها الماء والزلال والثيوبرومين^(١) والدهن والنشاء وبعض أملاح وصنع وسلولوز. وليس في الكافور (تين) ولذلك لا يحصل منها القبض الذي يحصل من القهوة والشاي

والثيوبرومين مادة تشبه القهوين والشاين في تركيبها وتأثيرها غير أنها تؤثر في المجموع العضلي أكثر من تأثيرها في المجموع العصبي، ولذلك يشعر الانسان بقوة في جسمه وعضلاته بعد تعاطي الكافور، وهو أيضا مدر للبول، ونظرا لإشتمال الكافور على كثير من الدهن (نحو ٥٠ في المائة) تعد من الاغذية النافعة، وفيها أيضا نشاء كثير. ومن الكافور تصنع (الشوكولاتا) وذلك بإزالة جزء من دهنها ثم يضاف عليها السكر وبعض مواد أخرى عطرية وغيرها فلذا كانت (الشوكولاتا) مغذية منبهة.

وكلمتا «كافور» و«شوكولاتا» مكسيكيتان

ودهن الكافور أو زبدته يستعمل طيبا في صناعة الاقماع الشرجية التي تلبس لإزالة بعض الآلام والامراض التي في الشرج، والسبب في اختيار هذه الزبدة هو أنها تذوب بحرارة الجسم الطبيعية

(هـ) المياه الغازية - مثل ماء الصودا والغازوزة - أهم ما فيها الماء مع

(١) لفظ يوناني معناه الحرفي (إله الطعام)

غاز ثاني اكسيد الفحم. وشربها منه للهضم مسكن لآلام المعدة وللقيء، ويجب أن تعمل من ماء نظيف لكيلا تنقل الى الانسان ميكروبات الامراض. على أننا نعلم أن ثاني اكسيد الفحم مع الضغط الشديد يقتل كثيرا من الميكروبات التي في الماء.

(و) الخمور - يستعملها الناس أيضا للتثنية والانعاش، وقد سبق الكلام عليها فلا حاجة للتكرار. وأما قول كلمة في كيفية صناعتها فهي نوعان: أحدهما أنها تعمل بتخمير بعض أنواع السكر المستخرج من الفواكه وغيرها كالشعير المستعمل في الجعة (البيرة) والنوع الآخر يستخرج بالتقطير بعد التخمير. فمن أمثلة النوع الاول الخمر التي يسمونها الآن النبيذ^(١) والبيرة، ومن أمثلة النوع الثاني الكونياك والوسكي. وأهم ما في النوعين هو الفول (الكحول) ولكن فيها مواد أخرى بعضها ينشأ من التخمير والبعض الآخر أصله مما في الفواكه وغيرها

ومن الخطأ الشائع اعتقاد أن شرب البيرة نافع فقد قرر الاطباء أنها ضارة بباقي أنواع الخمور، زد على ذلك أنها تهيب الجسم أكثر من بعض الأنواع الأخرى لمرض النقرس والروماتزم والسمن الرائد وشربها بكثرة يفسد الهضم. ويضاف عليها حشيشة الدينار وهي مما يخذل الاعصاب فتحدث تقلا في الدماغ وميلا للنوم الكثير وفيها مواد أخرى تنشأ أيضا أثناء التخمير وهي ضارة بالجسم ضررا بليغا (ز) الدخان - يسمى بالطباق أو التبغ (Tobacco) وبالتن، وهو ورق

شجرة معروفة. أعظم مادة مؤثرة فيه تسمى النيكوتين (Nicotine) نسبة لرجل يسمى «نيكوت» (Nicot) وهو الذي جلبها لفرنسة في سنة ١٥٦٠ ومادة النيكوتين من أشد السموم فعلا وأقواها تأثيرا وسرعة، وهي تكثر اللعاب وقد تحدث اسهالا وقيئا وهودا (هبوطا)، والاكثر من التدخين قد يحدث التهابا في الحلق وإقهاء (فقد شهوة الطعام) وتقطعا في ضربات القلب وخفقانا ونزلة حنجرية والتهابا في

(١) النبيذ من الشراب هو تبيع التمر والزبيب ونحوهما وهو اذا طال العهد على ثقبه يخمثر فيصير مسكرا. ولهذا اختلف الفقهاء في حل شربه. وأما الخمر التي تسمى في عرف هذا العصر نبيذا فهي المحرمة بالاجماع. وقد اشبع المنار الكلام في ذلك من عهد قزيب

العصب البصري يؤدي الى ضعف في النظر وضور في هذا العصب، وكثيرا ما يعجز الشخص المكثّر منه عن تمييز الاحمر من الاخضر

ولا فائدة فيه الا أنه منبه للمخ مرجح للعقل عند كثير من الناس

هذا وقد زعم بعض المؤلفين أن الدخان لا يؤثر في النظر الا اذا كان الشخص من المدمنين للخمر أيضا. والحق أن كلا منهما كاف بمفرده لاحداث هذا التأثير في النظر فتجد أن المدمن للتدخين أو لشرب الخمر (وخصوصا من يواظب على شرب مقادير صغيرة يوميا ومتكررة بحيث لا يسكر منها) اذا بلغ عمره ٣٥ — ٥٠ سنة لا يقدر على القراءة أو الكتابة ونحوهما، ويضعف نظره للاشياء كلها خصوصا في النور الشديد، ويعجز عن تمييز الالوان — كما سبق — وهذه الاعراض بتندى عنده بسرعة الا أن حصولها كلها لا يتم الا تدريجيا بعد مضي عدة أسابيع أو أشهر من مبدئها، وهي كثيرة الحصول للاشخاص الذين يجمعون بين ادمان الخمر والدخان وان كان كلا منهما وحده كاف لاحداثها — كما قلنا — أما الذين يسكرون أحيانا وفي الفترات لا يدخنون ولا يشربون خمرًا فهم أقل تعرضا لتلك الاعراض

واذا لم يستفحل الداء ولم يزمن، فجرد الامتناع عن الخمر والدخان كاف لتحسين الحال أو الشفاء، ومما يساعد على ذلك استعمال يودورالبوتاسيوم، وحقن الاستركنين في الصدغ أو تعاطيه من الباطن، والحجامة الجافة والرطوبة، والحمام الساخن للاقدام، ومراعاة القوانين الصحية كافة خصوصا ما به اصلاح المعدة، والاستغراق في النوم. ولا بد من المواظبة على ذلك زمنا طويلا مع عدم العودة الى شرب الدخان أو الخمر مطلقا وفي مبدأ هذا المرض ربما لا يشاهد تغيير ما في قاع العين — اذا امتحن —

ثم توجد فيه أشياء يراها الاخصائيون بمنظار العين (Ophthalmoscope)

والتغير الذي يحصل في هذا المرض هو كالذي يحصل في الكبد والمخ مثلا لمدمن الخمر فتضمحل الاليف العصبية بسبب الضغط عليها بالمواد الاتهابية وبما زاد في المنسوخ الضام الذي بينها ثم ينقبض عليها ويفسدها

طبخ الطعام

الطبخ نافع لاسباب عديدة (منها) أنه يقتل الميكروبات والديدان ونحوها فيقي الجسم من أمراضها (ومنها) انه في الماء ككل النباتية يشقق طبقات السلولوز التي تحيط بنشائها، وبذلك يسهل هضمها (ومنها) أنه في اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية يذيب بعض المواد المتحصصة المسرة الهضم جدا، على أنه يجمد المواد الزلالية التي فيها أيضا إلا أن هذا أخف وطأة من المضار الأخرى التي تنشأ من أكل اللحم نيئا (ومنها) أنه يفرق الألياف العضلية للحم لتكون تقايع من البخار بينها، وبذلك يسهل هضمها، ويتجمد المواد الزلالية يسهل مضمها. وسخونة الطعام نافعة للهضم، منغشة للجسم

وإذا أريد الحصول على مرق من اللحم منذ قطع اللحم إلى قطع صغيرة ووضع في الماء البارد ثم سخن بالتدريج شيئا فشيئا إلى أن يغلي؛ أما إذا أريد الاحتفاظ بالمواد الغذائية وبقاؤها في اللحم دون المرق فيغلى الماء غليا شديدا ثم يوضع فيه اللحم أثناء الغليان، فإن ذلك يجمد المواد الزلالية في الحال ويكون طبقة تحيط باللحم تمنع نزول المواد الغذائية في الماء، ولذلك كان المرق المصنوع بهذه الطريقة قليل النفع

اوقات الطعام وقوانينه

سبق ان الطعام يمكث في المعدة أربع ساعات في الغالب. ويختلف هذا الوقت باختلاف قدر الطعام ونوعه، والصحة والمرض، والراحة والتعب، ونوع الهواء المستنشق وغير ذلك. ولذا تعود الناس أن يأكلوا مرة كل ٥ أو ٦ ساعات، وهي طريقة حسنة لا اعتراض عليها، ولكن يجب أن يراعى الانسان - فوق ذلك - في مسألة الأكل عدة أمور (١) أن لا يأكل إلا إذا جاع، وبمباراة أخرى أن لا يدخل طعاما على طعام فإن ذلك يفسد الهضم (٢) أن لا يأكل الانسان عقب تعب شديد (٣) أن لا يجهد نفسه بعد الطعام في عمل جثافي أو عقلي فإن ذلك يصرف الدم عن المعدة إلى الأعضاء العاملة فيتمطل الهضم. وعليه فمن الخطأ المذاكرة أو الجري أو الجماع عقب الأكل مباشرة. وأضرها الجماع فإن الصدمة العصبية التي تحدث

للجسم منه قد تقتل الشخص بالسكتة القلبية لاسيما اذا كان القلب مريضاً والتعب الذي يعقبه مفسد للهضم . ويلحق بذلك أيضا الاستحمام عقب الاكل فانه ضار أيضا بسبب توجه الدم الى الجلد اذا كان الماء ساخناً ، أما اذا كان بارداً فان حركة المعدة والقلب تضطرب بسبب البرودة ، ثم يذهب الدم عن المعدة حينما تتمدد أوعية الجلد بسبب رد الفعل المعتاد عقب الاستحمام بالماء البارد فتعيب هي والقلب . وكذلك لا تحسن المذاكرة عقب الطعام الا بعد ساعة على الأقل (٤) ان لا ينام الانسان عقب الطعام مباشرة فان النوم يضعف حركة جميع أعضاء الجسم ومنها المعدة فيتعطل الهضم ويضيق النفس . نعم ان الراحة عقب الطعام نافعة ولكن الاستغراق في النوم هو الضار ، ومن المستحسن جدا أن يتعود الانسان تناول الفطور في الصباح مع قليل من القهوة أو الشاي ، فان ذلك يقوي الجسم والهضم حتى انه شوهد في البلاد التي فيها حمى الملاريا (النافض) قلة اصابة الاشخاص المتعودين فعل ذلك في الصباح وحسن بنيتهم (٥) أن لا يشرب ماءً شديداً البرودة على طعام شديد السخونة

اما الاكثار من الطعام زيادة عن المعتاد فيحدث ضعفا في المعدة وتمتدا فيها ، وفسادا في الامعاء ، واحتقاناً في الكبد ، ويعيب الكلى ، ويحدث داء النقرس ، واذا كان الطعام الزائد شحماً أو سكرًا أو نشاءً فقد يحدث سينا زائداً وأحلالاً في العضلات أو بولاً سكرياً من كثرة النشاء والسكر

والامتناع عن أكل الدهن والشحم البتة يضعف الصحة
أما الامتناع عن المواد السكرية بوهيدراتية (النشاء والسكر ونحوهما) فيضطر البنية الى احراق ما فيها من الشحم فيتولد من ذلك حوامض شحمية ومركبات عضوية من قبيل حامض الزبديك (Butyric) وهذه الحوامض تقلل قووية الدم . فان كان الشخص مصاباً بالبول السكري (الديابيطس) ^(١) فقد يحدث له الغيبوبة التي تكون سبباً في موته لذلك يرى أعلم الاطباء الآن أن الامتناع المطلق عن أكل تلك المواد في هذا المرض — كما كان متبعاً من قبل — خطر جداً ، ولذلك قلنا ان غسل النحل

(١) كلمة بوتانية معربة معناها يقرب من معنى كلمة البوال أي كثرة البول

نافع في هذا المرض لانه يغني عن تلك المواد الكربوهيدراتية ، وهو من أسهلها هضمًا ، والقليل منه يكفي (راجع صفحة ٨٨ من هذا الكتاب)

وإذا أريد تقليل سمن شخص مصاب بالتشمع العام وجب عليه الامتناع عن المواد الدهنية والسكر بوهيدراتية بقدر الامكان ، والاكثر من تعاطي المواد الزلالية فانها تزيد احتراق أنسجة الجسم . وهذه الطريقة تسمى طريقة بنتنج Banting^(١) أما قلة الطعام فانها تحدث ضعفًا في الجسم وتقلل قوة مقاومته للميكروبات ، فان من المعلوم أن السكريات البيضاء تزيد عقب الاكل فتكون قوة الجسم على مقاومة الميكروبات أكبر ، فاذا قلت هذه السكريات بالصوم ضعف الجسم وربما صار عرضة لبعض الامراض . نعم ان الصوم عن الطعام نافع في أمراض المعدة والامعاء والكبد والكلى وحصواتهما والنقرس والروماتزم (الرثية) والحميات وأمراض القلب وغير ذلك ، الا أن الغلوفيه له هذا الضرر الذي ذكرناه ، ولذلك نص الشارع صلى الله عليه وسلم على وجوب الاعتدال في كل شيء ونهى عن صوم الدهر وعن الوصال في الصيام واستحب السحور وتأخيرته وتعجيل الفطر وقد قال (ص) لمن نهاه عن كثرة الصيام والقيام (ان لبدنك عليك حقا)

ومما يخفف ضرر الصوم عند المسلمين أن يباح لهم أن يتعاطوا كل ما أرادوا ليلًا فلذلك كان الضرر الناشئ من الضمف في أثناء النهار قليلًا أو معدومًا وبجانبه نفع يفوق كثيرًا هذا الضرر وذلك هو إراحة الجهاز الهضمي والكبد والجهاز البولي واحراق ما في الجسم من الزيادة الضارة وغير ذلك مما ذكرناه ، ولكن يجب الاحتراس من ملء المعدة عقب الافطار مباشرة فان الجسم تكون قواه في ذلك الوقت ضعيفة وكذلك المعدة . فالواجب طيبًا أن يأكل الانسان أو يشرب شيئًا قليلًا ثم يعود الى إتمام الاكل بعد صلاة المغرب كما كان يفعل رسول الله (ص)

ولما كان الصوم نافعًا من الوجهة الدينية والاخلاقية اغتفر الشارع ذلك الضرر القليل أو المشكوك فيه في جانب نفعه العظيم

(١) كان تجارا من اهالي لندن ، أوصى الجمهور بهذه الطريقة سنة ١٨٦٣ وعاش

ومما يحو ذلك الضرر الابتعاد عن ملاقة المرضى وكل ما لمسه أثناء النهار،
وصرف الوقت في النوم بقدر الامكان، ولذلك يستحب عندنا في الشريعة الاسلامية
النوم للصائم فانه فضلا عن فائده الطيبة بإراحتة الجسم وتوفير قواه بقي الانسان من
اللعو والرفث ولذلك ورد في بعض الآثار (نوم الصائم عبادة)

الجهاز البولي ووظيفته

لا يختلف هذا الجهاز في الذكور والاناث الا في الاحليل (مخرج البول)
وهو في كل منهما مركب مما يأتي : -

(١) الكليتان وهما عضوان مخصوصان لافراز البول موضعهما في القسم القطني
من البطن خلف البريتون على جانبي العمود الفقري ويمتدان من الققرة الاخيرة الظهرية
الى الثالثة القطنية، واليمنى منها منخفضة قليلا عن اليسرى بسبب وجود الكبد في
هذه الجهة ، وطول كل منهما نحو أربع بوصات، وعرضها نحو بوصتين ونصف
والكلية عبارة عن منسوج مخصوص مركب من أنابيب كثيرة العدد لإفراز
البول من الدم ، والدم يأتي اليها بشريان عظيم متصل بالاورطى (الابهر) مباشرة ،
ويتفرع هذا الشريان في الكلية الى عدة فروع يخرج منها فروع دقيقة جدا
تنتهي بعمل أشكال كروية تسمى كريات مالپيغي ^(١) (Malpighi) يحيط بها
مبدأ أنابيب الكلوى، وكل أنبوبة بمد تعرجها عدة تعرجات تصب في أنابيب
أخرى مستقيمة ، وهذه الانابيب تفتح في قم حلقات صغيرة (عددها من ٨
الى ١٨) توجد في بطن الكلية حول تجويف مخصوص يسمى « الحويض الكلوي »
وهو مبدأ للحالب

(٢) أما الحالب فهو عبارة عن أنبوبة تمتد من الكلية الى المثانة وتحمل البول
اليها ويفتح في قاع المثانة بانحراف، أعنى أنه يسير قليلا في جدارها بين غشائها
المخاطي والطبقة العضلية، وذلك لمنع رجوع البول فيه بانطباقه على نفسه بسبب ضغط
البول عليه حينما تمتلأ المثانة به. وكل من الحالبين مركب من منسوج ليفي ومنسوج

(١) مشرح إيطالي عاش في بولونيا (Bologna) بين سنة ١٦٢٨ و ١٦٩٤

عضلي وغشاء مخاطي، والغرض من المنسوج العضلي أن يدفع البول نحو المثانة (٣) أما المثانة فهي كيس يسم نحو نصف لتر من البول في امتلائه العادي، وموضعه في الحوض خلف العظم العائني وفي أسفل الجدار الامامي للبطن، والمثانة مركبة من عدة طبقات أهمها الطبقة العضلية والطبقة المخاطية، وفائدة الطبقة العضلية هي قذف البول الى الخارج، وهذه الطبقة العضلية مركبة من ثلاث طبقات: خارجية، وداخلية (والياهما تمتد من الامام الى الخلف غالبا) ووسطى، وأليافها حلقيه تحيط بالمثانة، وعند فتحة المثانة في الاحليل تتجمع من هذه الطبقة الوسطى الياف كثيرة تسمى « العضلة العاصرة للمثانة » وهي التي تمنع البول من السلس

(٤) أما الاحليل فهو اسم لمجرى البول في كل من الذكر والانثى، وهو - طبعا - أطول في الذكر منه في الانثى. أما فتحة في الانثى فهي فوق فتحة المهبل الذي هو عبارة عن مكان الجماع ومخرج دم الحيض والجنين

أما كمية البول فهي في اليوم نحو ١٥٠٠ سنتمرا مكعبا. وهذه الكمية تختلف أيضا باختلاف مقدار الشرب وحرارة الجو وقوة القلب وبعض المواد المأكولة، فإذا اشتدت حرارة الجو مثلا كثر افراز العرق وبذلك يقل البول، وإذا شرب الانسان مقدارا عظيما من الماء أو تعاطى بعض المواد المدرة للبول فإن هذه الكمية تزداد والبول حمضي التأثير في ورق عباد الشمس، هذا في الحيوانات. أما في النباتات فإنه قلوي التأثير. وإذا ترك البول في اناء مدة من الزمن تحولت (البولينا) التي فيه بفعل الميكروبات الى كربونات النوشادر وصار البول قلوي التأثير، وهذا هو سبب رائحة النوشادر فيه

والثقل النوعي للبول يختلف من ١٠١٥ الى ١٠٢٥ وفي البول السكري يزداد هذا الثقل النوعي كثيرا

والبول مشتمل على مواد كثيرة أهمها الماء والاملاح وبعض المركبات العضوية الاخرى كالبولينا

أما جل الماء والاملاح فتفرز بواسطة كريات ماليني، وأما باقي المواد الاخرى فتفرزها أنابيب الكلبي المتفرجة أثناء سير الدم في الاوعية الشعرية التي حولها

والبول الطبيعي خال من السكر ومن الزلال تقريبا فلا يوجد فيه شيء منها يذكر (١) إلا في أحوال مرضية ، والسكر الذي يوجد حينئذ فيه هو سكر الفرب ولا يوجد فيه سكر البن الا في المراضع . وأم سبب لوجود الزلال فيه هو التهاب الكلى المسى داء بریت (Bright) (٢) الذي يفسد خلاياها خصوصا خلايا كريات ماليني . وأم ما يحدث هذا الداء التعرض للبرد الشديد خصوصا عقب الافراط في السكر أو الجماع ، أو الاصابة بالحميات العفنة كالقرمزية . وهذا الداء من أضر ما يحدث للجسم ، وهو سبب في موت كثير من الناس . وهناك مرض آخر منتشر في الجهاز البولي في مصر يسمى «داء بهارس» متكلم عليه عند الكلام على الديدان وإذا أراد الانسان التبول صدر من النخاع الشوكي تيار عصبي الى المثانة فاقبضت ، والى عضلات البطن فاقبضت أيضا ، وفي أثناء انقباضها ترتخي العضلة العاصرة لعنق المثانة فيخرج البول الا اذا عاقه عائق كحصاة تكونت في المثانة وقد تتكون الحصيات في انايب الكلى نفسها وتكون حينئذ صغيرة جدا كحبات الرمل ، أما الحصيات الكلوية التامة فتكون غالبا في اعلى الحالب أي في الحويض الكلوي وهي السبب في حصول الآلام القطنية عند المصابين بها ، فاذا نزل جزء منها في الحالب اشتد العصف بالمصاب الى درجة مفرجة ، ولا يزول غالبا الا اذا عادت الحصاة الى الحويض أو نزلت في المثانة ، أما إذا وقعت في الحالب وسدته تراكم البول خلفها وضغط على منسوج الكلية فأثقله واذا طال مدته استعملت الكلية الى كيس عظيم . وأم هذه الحصيات هي حصيات حامض البوليك الذي يكثر بتعاطي المواد الزلالية مع قلة الحركة الجنسية — كما قلنا — ولا علاج للحصاة بعد تكونها الا بالعمليات الجراحية ما لم تكن صغيرة وتخرج بنفسها مع البول . وأحسن المخترعات الحديثة لمعرفة مكانها وشكلها وحجمها هو أشعة

(١) في البول الطبيعي ١ في ١٠٠٠٠ من السكر ، وأثر من الزلال ، وكلاهما

يعتبر ادراكه بالطرق الكيماوية المعتادة

(٢) هو ريتشارد بریت (Richard Bright) الانكليزي عاش بين سنة

١٧٨٩ و ١٨٥٨ ميلادية

روتجن (Röntgen) فأما تظهر ما في الجسم من الاجسام الصلبة كالخصيات والعظام والاشياء الغريبة كارضاص - وسيأتي الكلام عليها -
والخلاصة ان وظيفة الكلية هي إفراز المواد المتخلفة من الاحتراق الداخلي للجسم لان بقاء هذه الفضلات فيه ضار به جداً ، واذا بطلت هذه الوظيفة بسبب فساد الكليتين نشأ عن ذلك الموت لتسم الجسم بالمواد البولية ، ولذلك يسمى هذا التسم بالتسم البولي (Uraemia) وبعبارة أصح « تسم الدم بالبول »

الجهاز التناسلي ووظيفته

هذا الجهاز - وان اختلف في الظاهر في الذكر والانثى - هو واحد في منشئه وتركيبه ، ولذلك قال ابن سينا^(١) في قانونه ان آلة التوليد في الاناث « كأنها مقلوب آلة الذكران » وهو تعبير يقرب المسئلة الى الفهم وان لم يكن حقيقيا على اطلاقه

اعضاء الذكر

القضيب والصفن المشتمل على الخصيتين والقناة الناقلة والحويصلات المنوية والبروستاتا وغيرها مما سيأتي
أما القضيب فهو مركب من ثلاثة اجسام اسطوانية الشكل : اثنان منها في اعلاها ، والثالث في أسفلها . ومنسوج هذه الاجسام الثلاثة يشتعل على تجاويف عديدة اذا احتبس فيها الدم بسبب ضغط المضلات على الاوردة حصل الانتصاب والجسم الاسطوانى الاسفل هو الذي فيه الاحليل (أي مجرى البول)
ومركز الانتصاب في (الاتفاخ القطني للتنخاع الشوكي) الذي يقابل القرتين أو الثلاثة الاخيرة من الفقار الظهرية

والحشفة متصلة بالقسم الاسفل من تلك الاجسام الاسطوانية ، وينطوي الحشفة

(١) هو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا الفيلسوف العربي الشهير ، ولد بقرب بخارى سنة ٩٨٠ ميلادية وتوفي سنة ١٠٣٧ م (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) وله مؤلفات عديدة جاوزت المئة ، وكان كتابه في الطب المسمى (القانون) معولا عليه حتى في أوروبا عدة قرون ، وترجم الى عدة لغات ، وطبع بالمرية في رومة سنة ١٥٩٣ م

جلدة تسمى القلفة ، وهي التي تقطع في الختان وفائدة الختان منع تراكم الافرازات تحت القلفة وكذلك تسهيل معالجة ما ينشأ في الحفشة من الادواء، ومن فوائدها أيضا تعريض الحشفة نفسها لشدة الاحساس فتقوى الشهوة ويكون الالتذاذ بالجماع اكمل. وفي بعض الاشخاص قد تكون فتحة القلفة ضيقة فيتعسر خروج البول ويتسبب من ذلك كثرة الزحير فيصاب الشخص بمثل سقوط المستقيم أو الفتق الشري أو الأُرْبِي وغير ذلك وضيق الفتحة هذا هو من أكبر الأسباب لهذه الامراض خصوصا في الاطفال ولا دواء له الا الختان، وتراكم الافرازات قد يؤدي الى جلد عميرة والتهاب الحشفة والصاقها بالقلفة ، ويهيئها لقبول الامراض الزهرية بل والسرطانية في الشيوخ . ولذلك كان الختان عند فقهاء المسلمين سنة مؤكدة وعند بعضهم واجبا ، ولكنه عند اليهود فرض لا هوادة فيه

الصَّفَن: وهو الجلدة المعروفة التي تشبه الكيس وفيها الخصيتان. أما الخصيتان فهما غدتان كبيرتان كحجم البيضة مختصتان بإفراز الحيوانات المنوية . أما تركيبهما فهو كما يأتي: يحيط بالخصية غشاء سميك يخرج منه عدة جدران تقسم الخصية الى عدة أقسام ، وفي هذه الاقسام توجد أنابيب طويلة ورفيعة جدا يبلغ عددها نحو ٨٤٠ (وقيل ٣٠٠) وطول كل منها نحو من قدمين وربع وقطرها صغير جدا وهي ملتفة على نفسها ومبطنة من داخلها بخلايا مخصوصة تتحول بالتدريج الى الحيوانات المنوية أما هذه الحيوانات المنوية فكل منها عبارة عن خلية واحدة، لها رأس وجسم وذنب ، ورأسها هو نواة الخلية، ولها حركة سريعة جدا ، واذا رآها الانسان بالميكروسكوب ظنها ديدانا دقيقة أو علقا ، وتعيش مدة بعد خروجها من الانسان ، وشكلها يختلف باختلاف الحيوانات المتنوعة وأقرب الاشكال شها بحيويين الانسان حيويين مني القرد. واذا انفصلت هذه الحيوانات من خلايا الانابيب سارت فيها وهذه الانابيب تتجمع شيئا فشيئا الى ان تكون منها قناة واحدة تسمى «بالقناة الناقلة» والدم الوارد الى الخصيتين يأتيهما بشريانين رفيعين طويلين يخرجان من الأبرم الممتد من القلب خلف الترائب الى نهاية الصلب تقريبا (والصلب هو السلسلة الفقرية

[المنار: ج ٤ م ١٨] خروج المني من بين الصلب والترائب. الودي والملذي ٢٩٧

كما سبق) وهذا الدم يغذي الخصية فتقسم خلاياها بعد ان تغذى به وينشأ من اقسامها هذه الحيوانات المنوية . وعلى ذلك فأصل المني أو دمه يخرج كما قال تعالى (من بين الصلب والترائب) (١)

أما هذه القناة الناقلة التي يحس بها الانسان في الصفن كجبل صلب فهي تحمل المني الى جدران البطن ثم تدخل البطن ولكنها تبقى خارج البريتون وتستمر في سيرها الى أسفل المثانة وتكون بينها وبين المستقيم (٢) وهناك تتحد بقناة الحويصلة المنوية التي في الجهة الوحشية منها، ويتكون من اتحاد القناتين قناة واحدة تصب في مجرى البول بعد خروجه من المثانة بقليل وتسمى (بالقناة القاذفة)

أما الحويصلة المنوية فهي كبس صغير كأنبوبة ملتفة على نفسها ولها في جوانبها عدة فروع ، وهي تفرز سائلا لبنيا رقيقا يضاف الى المني لتسهيل حركة الحيوانات فيه ، وفي هاتين الحويصلتين يتجمع المني الى حين قذفه عند الجماع ونحوه ، فهما مستودعان له

البروستاتا (وهي كلمة يونانية معناها الامام) يحيط بمبدأ مجرى البول بعد عنق المثانة خلف العظم العاني وتحتة ، وهو يفرز مادة تضاف الى المني تسمى بالودي (٣) وتنبعث منه بعدة أنابيب تصب في مجرى البول أثناء مروره في البروستاتا ، وهذا العضو كثيرا ما يصاب بالضخامة في الشيخوخة فيحدث عندهم عسر البول واحتباسه

وهناك غدتان صغيرتان في العجان على جانبي مجرى البول لها افراز مخصوص يسمى بالمذي وهو السائل الذي ينزل عند المداعبة ، وفائدته تليين

(١) الترائب هي عظام الصدر تطلق على الذكر والانثى وان كان يغلب استعمالها في الانثى ومنه قول امرئ القيس (ترايبها مصقولة كالسجنجل)

(٢) لذلك يكثر الاحتلام عند امسك البطن أو عند امتلاء المثانة بالبول، فلذا يجب اطلاق البطن والتبول قبل النوم لمنع ذلك

(٣) هو ما ينزل أحيانا بعد البول ومن أشهر اسبابه واكثرها شدة الميل الى النساء مع عدم الوصول اليهن ، والتحرق عليهن

قناة البول لتسهيل سير المني فيها ، وتيسير إيلاج القضيب في الفرج عند الجماع . وهاتان الغدتان تسميان غدتي (كوبر) « Cowper » والقذف يحصل بانتقباض الالياف العضلية التي في المجاري المنوية وحولها ، فان في كل هذه الاجزاء المذكورة كثيرا من المنسوج العضلي

ويتبدى تكون الحيوانات المنوية عند البلوغ ، وهو يحصل عادة في بلادنا بين السنة ١٢ و ١٦ وقد يبلغ بعض الغلمان في التاسعة من عمرهم ، وآخرون في السنة ١٨ واذا بلغ الشخص خشن صوته ونبت الشعر في وجهه وعاتته ووجد فيه الميل الطبيعي للاثني . ويستمر افراز المني الى أواخر العمر ، فقد عرف ان بعض الشيوخ رزقوا بالولد في سن الثمانين بل بعد المئة ، ولكن الميل الشهواني يضعف عادة في الانسان كلما كبر ، وقد يزول في الصغر لضعف أو مرض أو غيرهما ، ويكون حينئذ قاصرا على الميل النفسي وان كانت القوة الجمانية نفسها ضعيفة أو مقفودة بسبب ضعف الاتصاب أو عدمه

اعضاء الاثني

تبتدى هذه الاعضاء من الخارج الى الداخل بالفرج ، وأجزاؤه هي (١) جبل الزهرة (١) وهو القبة التي في أعلاه وعليها ينبت الشعر (٢) الشفران الكبيران ، وهما الممتدان من جبل الزهرة الى ما يسمى بالشوكة وهي الغشاء الذي يجمع بينهما عند أسفلهما . وهذه الاجزاء مركبة من جلد وشحم مع جزء من المنسوج المسمى بالخلوي ، وفيها غير ذلك أعصاب وأوعية وغدد وألياف عضلية . والشفران في الاثني يقابلان الصفن في الرجل (٣) الشفران الصغيران ، وهما قطعتان صغيرتان من الجلد بين الشفرين الكبيرين ويعرفان عند عامة النساء في مصر بالورقتين ، يمتدان في أعلاهما الى البظر (٤) البظر وهو جسم صغير يقابل في الذكر القضيب ، وهو مثله في تركيبه ونشوته ، غير أنه مركب من جسمين اسطوانيين فقط ، وله رأس ك رأس الذكر ، ولكنه

(١) الزهرة هي ما يسميها الرومان Venus (فينس) وهو الكوكب المعروف بيهاثة وجماله ، وكانوا يزعمون انه (إله الحب) والى هذه القطعة من الفرج تنسب الامراض الزهرية الناشئة من الزنا غالبا

غير مثقوب ، ولا يوجد فيه الجسم الثالث الذي للرجل ، والبظر عضو حساس خصوصا رأسه ويتحرك بالشهوة وينتصب كالذكور تماما . ولذلك اعتاد الشرقيون من قديم الزمان أن يقطعوه وحده أو مع الشفرين الصغيرين ، وتسمى هذه العملية بعملية الخفض ، وهي مستحسنة في الشريعة الإسلامية لأنها مما يقلل ثوران الشهوة عند النساء وخصوصا في البلاد الحارة

(٥) غدد (بارثولين) وهما غدتان صغيرتان على جانبي فتحة الفرج تفرز كل منهما مادة لزجة صافية تشبه اللذي ، وهي تسيل مثله عند تحرك الشهوة في النساء (٦) العذرة (غشاء البكارة) وهو غشاء يسد فتحة الفرج كلها أو بعضها ، ولكنه له في الغالب فتحة أو أكثر لنزول دم الحيض ، وله أشكال عديدة أكثرها الهلال والخطي ، وقد يكون معدوما بالمرة من أصل الحلقة . وإذا كان هذا الغشاء مسدودا بالمرة امتنع دم الحيض من النزول فيتراكم في الرحم وينشأ منه أعراض مخصوصة يعرفها الأطباء ، وتسمى المرأة المصابة بهذه العاهة بالارتقاء . وعند تمزق هذا الغشاء في العذارى يخرج منه مقدار من الدم كما هو معروف ، ويسمى هذا التمزيق بالافتضاض . وفي تمزيقه بالأصبع خطر فقد يتمزق معه المهبل وربما يفضي ذلك الى الوفاة

هذه هي أعضاء المرأة الظاهرة

أما أعضاؤها الباطنة فتبتدى بالمهبل ، وهو أنبوبة عضلية موصلة بين الفرج والرحم ، ولها فتحة مسدودة بالغشاء المذكور وفي أعلى هذه الفتحة يوجد الصماخ البولي ، أي فتحة البول الواصلة الى المثانة . والمثانة في النساء فوق المهبل ووظيفة المهبل هي أن يكون محلا للجماع ومخرجا للجنين ودم الحيض أما الرحم فهو جسم كثري الشكل ، عضلي سميك أجوف ، له فتحة في المهبل وفيه قنحان آخريان لأنبوبتين تسميان بوقبي فلوييوس^(١) لحمل البويضات الى الرحم

(١) هو جبريل فالوبيوس (Gabriel Fallopius) المشرح الشهير ، كان من أهالي بادوا (Padua) بقرب مدينة البندقية ولد سنة ١٥٢٣ ومات سنة ١٥٦٢ وهو أول من وصف هذين البوقين وصفا دقيقا

أما (البوقان) فبطنان من الداخل بغشاء مخاطي له أهداب، وطول كل منهما نحو أربع بوصات وطرف كل منهما مشرشر، وخلف البوقين (المبيضان) وهما جسمان يشبهان الخصيتين وليسا أجوفين وفي داخلهما بويضات صغيرة جدا ميكروسكوبية في داخل حويصلات تسمى حويصلات (جراف) وهذه الحويصلات تقرب من سطح المبيض شيئا فشيئا حتى تنفجر فتخرج البويضة (١) وتصل الى البوق . والبوق متصل بالمبيض بقناة صغيرة هي جزء من الطرف المشرشر، وهو ينطبق على المبيض حين انفجار الحويصلة

البويضة والبلوغ والياس

أما البويضة فأصلها من الغشاء المحيط بالمبيض الذي هو عبارة عن الپريتون . وتتكون هذه البويضات في البنات منذ ابتداء خلقتهن بحيث تولد البنت وفيها عدد مخصوص من البويضات تبلغ الالوف . ويقال ان هذه البويضات تسقط من البنات في زمن طفوليتهن قبل البلوغ . ويتفق في البنات البالغات والنساء زمن انفجار الحويصلات وخروج البويضات منها مع زمن الحيض . والرأي الراجح الآن عند بعض العلماء أن كل مبيض تنفجر منه حويصلة مرة في كل شهرين بمعنى أن الحيض اذا اتفق مع انفجار الحويصلة التي في المبيض الايمن مثلا في هذا الشهر انفجرت حويصلة من المبيض الايسر في الشهر التالي وهكذا ، أي ان كل انفجار من مبيض يكون في شهر وحده

وأما زمن البلوغ في البنات عندنا فيكون من ١٢ الى ١٤ سنة ، وفي البلاد التي أشد حرا من مصر كبلاد الهند والعرب كثيرا ما تحيض البنت في السنة التاسعة وزمن الحيض يتفق مع زمن النسل عادة الا أنه ثبت ان بعض البنات حملت قبل أن تحيض ، كما ثبت أن بعض العجائز حملت بعد اليأس . وسن اليأس في النساء هو في الغالب من ٤٥ الى ٥٠ ومنهن من يستمر حيضها الى ما بعد ذلك بكثير كالسنة التاسعة والستين

(١) تشمل الحويصلة عادة بويضة واحدة وحيانا بويضتين ونادرا ثلاثا وقد تشمل البويضة نواتين بدلا من واحدة، وذلك من اسباب الحمل التوأمي كما سيأتي

الحيض - عبارة عن نزف يحصل من الغشاء المخاطي المبطن للرحم ويصاحبه تمزق في هذا الغشاء وسقوط بعض الأجزاء منه ، ولا يحدث الحيض الا للنساء ولبعض أئيات القرود ، ومدته تختلف من يوم الى ثمانية أيام، وفي الغالب ستة أيام فقط وسبب الحيض وفائدته مجهولة الى الآن. وهو ليس ضروريا لحدوث الحمل ، فقد شوهد أن بعض النساء لا يحيض مطلقا ومع ذلك تحمل كالعادة

الخنثى - انسان يتعسر أو يتعذر تمييز نوعه ان كان ذكرا أو أنثى وهي

أنواع: -

(١) من يكون في الحقيقة ذكرا ولكن أعضائه تشبه الانثى ، فيكون له صفن مشقوق كشفري المرأة وقضييه صغيرا جدا ولا فتحة فيه وتكون فتحة البول بين الشفرين ، وقد يكون له ثديان^(١) ولكنه لا يحيض وينتذف منه المنى من خصيتين تكونان غالبا في شفرية وقد تبقيان في بطنه ، وفي هذه الحال لا يمكن الحكم عليه الا بفحص دقيق جدا كأن يمتحن السائل المقذوف منه فان وجدت فيه حيوانات منوية تحققتنا ذكورته وإلا فلا ، وفي مثل هذا الشخص تكون فتحة البول أضيق من المهبل وتتصل بالمثانة ولا يحس بوجود رحم له

(٢) من تكون أنثى وأعضاؤها تشبه الذكرا كأن تكون ثدياها ضامرتين وبظرها كبيرا جدا ، ومنهن من يكون رحمها أيضا ساقطا بين فخذيها فيشبه الصفن ، ومثل هذه المرأة قد تشتهي النساء وتميل الى السحاق ، وتعرف هذه بحصول الحيض لها وعدم وجود أي حيوان منوي في افرازها ، وقد يدرك الباحث فيها وجود المبيضين ووجود الرحم

(٣) من يوجد له مبيض في جهة وخصية في الجهة الاخرى ، ووجدت أحوال نادرة جدا كان الشخص يأتيه الحيض شهريا ومع ذلك يقذف حيوانات منوية ، كشخص عرف في أوربة يسمى « كثرين هوهمان » (Catherine Hohmann) لم يعرف له نظير

(١) قد رأيت اثنين من هذا النوع لاحدهما ثديان كثندي البنات البكر البالغة وقد طلب مني قطعهما ففعلت

ومن هذا النوع الاخير من تكون أعضاؤها الظاهرة كاعضاء الذكر والباطنة كأعضاء الانثى ، وبالعكس ، ولا يوجد دليل على ان مثل هذا الشخص لا تلحق بويضاته بمبي نفسه ، غاية الامر أن وجود مثل هذا الشخص أندر من الكبريت الاحمر، وأكثر منه ندرة أن تلحق حيواناته المنوية بويضاته

ولا يوجد عندنا مانع عقلي أو تقلي يمنعنا من تجويز ان تكون مريم عليها السلام من هذا النوع الاخير فسألناها أندر من النادره فلا غرابة اذا لم نعرف أنها حدثت لغير مريم، إذ يندر ان يتفق حصول ذلك في العالم الإمرة أو مرتين فيتعذر على الناس معرفة ذلك باليقين، على أن الوثنيين قد زعموا حصول مثل تلك الولادة لبعض آلهتهم، وربما كان بعض مازعموا صحيحا (راجع كتاب «النصرانية والاساطير» تأليف روبرتسن صفحة ١٦٨-١٧١) ولا ينافي ذلك ان تكون مريم وابنها آية للعالمين، فان في كل ما خلق الله آية خصوصا مثل تلك الشواذ العجيبة النادرة جدا، ولذلك قال تعالى (وفي خلقكم وما يثبت من دابة آيات لقوم يوقنون) أما ارسال الملك اليها فقد كان لتبشيرها بحصول هذا الحمل النادر العجيب كما بشرزكريا بالولد مع شيخوخته وعم امرأته ، وقوله في سورة مريم (لأهب لك) قد يراد به أنه متكلم عن الله كما قالت الملائكة المرسله للوط (الا امرأته قدرنا) أي قدر الله ولذلك ورد في قراءة سبعة قول جبريل (ليهب لك) أي ليهب لك الله، وإنما هو مبشر لها بذلك فقط، ويؤيد ذلك أيضا قوله تعالى في سورة آل عمران (ان الله يبشرك بكلمة منه) الآية . وأما قول أمها (إني وضعتها أنثى) اذا دل على انها عرفت حقيقتها فقوله تعالى بعده مباشرة (والله أعلم بما وضعت) أدل على انها لم تعرف الحقيقة وإنما حكمت بالظاهر والله أعلم منها بالواقع ونفس الامر . وقوله (واصطفاك على نساء العالمين) - أي فضلك عليهن - لا يدل على أنها منهن ولذلك لم يقل (اصطفاك منهن) (١)

(١) المنار: ان هذا التعبير لا يؤدي معنى الاول . وقد فات الكاتب الجواب عن قوله تعالى « ومريم ابنة عمران » فهو جزم بأنها انثى ، ولعله يدخله في حيز التزقي الآتي في جوابه . وما ذكره احتمال أكبر فائدته زلزال جمود الماديين =

على أننا لم نقل إنها لم تكن امرأة بل نقول « يحتمل أنها كانت لها أعضاء الذكر والانثى وتغلب عليها الانوثة بدليل حملها لعيسى وولادتها له وإرضاعها إياه .
وإذا صدقنا كتب العهد الجديد قلنا إنها أيضا تزوجت بعد ولادة عيسى ورزقت بأولاد (مت ١ : ٢٥ و ١٣ : ٥٥) فكانت أعضاء الانوثة فيها أجلى وأكمل من أعضاء الذكورة »

هذا ويوجد في الحيوانات المنيثة ما تتوالد اناثها بلا تلقيح عدة أجيال فيجوز ان ما يحصل في هذه الحيوانات على سبيل القاعدة يحصل مثله في الانسان على سبيل الشذوذ، مثال ذلك أن المعتاد في بعض الحيوانات أن تلد عدة صغار في بطن واحد كالارانب وغيرها وذلك هو القاعدة فيها ، ومن النساء من ولدت ٦ أطفال في بطن واحد ومنهن من كان لها أكثر من تدين. والخلاصة أن عجائب مخلوقات الله تعالى كثيرة، وله في كل شيء آية

التلقيح

التلقيح هو اجتماع عنصر الذكر (الحيوان المنوي) بعنصر الانثى (البويضة) وإذا كان التلقيح بين الاقارب الاقربين كان النسل رديئا لسببين (١) أنه يكون أضعف ممن يولد من زوجين بعيدين (١) وهذه القاعدة مضطردة حتى في النباتات فان ثمر الشجرة التي تلقحت أزهارها بأزهار أشجار أخرى يكون أقوى وأحسن، حتى ان ثمر الزهرة الواحدة اذا تلقحت بزهرة مجاورة لها من نفس شجرتها كانت ثمرتها خيرا مما اذا تلقحت بنفس أبورها (هو مسحوق التذكير في الزهرة كما سبق) (٢) انه اذا كان الزوجان قريبين انحصرت في نسلهما الاشياء

= الذين ينكرون ولادة عيسى عليه السلام من أم بلا أب. والافالظاهر المتبادر ان خلقه آية من الخوارق المنتظمة في سلك السنن الروحية، لا من فلتات السنن المادية (١) المثار : ورد في الآثار « اغتربوا لا تضيوا » أي تزوجوا الفرائب لئلا تصيروا ضواة أي ضعافا نحفاء بكثرة تزوجكم من ذوي القربى ، ولم يثبت هذا في الحديث عن النبي « ص » خلافا لما في صحاح الجوهري وغيره. وقال عمر بن الخطاب لآل السائب : قد أضويتم فانكحوا في النزاع . اي الغريبات

الرديئة الموروثة عنهما، أما اذا اختلطت البيوت بعضها ببعض تحسن نسل الردي منها وبقي، ولولا ذلك لا تقرض أو لبقيت بعض الامراض العقلية والجثمانية متوارثة في نسله الى ماشاء الله، فلهذه الاسباب حرم القرآن الشريف زواج الاقارب الاقربين وبالجماع ينصب المنى في مهبل المرأة فتسير حيواناته المنوية الى الرحم وبساعدها في سيرها حركة امتصاص تحصل في الرحم نفسه، فاذا وصلت الى الرحم ذهبت الى البوقين، وهناك تتجمع في البوقين وتعيش بعضة اسابيع فاذا صادفتها بويضة لقمحتها، واذا لم تتلقح البويضة تموت بعد خروجها من الحويصلة ببضعة أيام والتلقيح عبارة عن دخول رأس الحيوان المنوي وجسمه في البويضة مع سقوط ذنبه فيتحد هذا الجزء من الحيوان المنوي بنواة البويضة بعد أن ينفصل عنها جزء كبير منها، والتلقيح يحصل عادة في بوق (فللوبيوس) والذي يراه جمهور العلماء أن حيوانا واحدا يلقح بويضة الانسان، ومنهم من يرى أن الذي يلقحها (أو يمتزج بها) حيوانات عديدة - وهو الأرجح -

وليس الجماع ولا التذاذ النساء ضروريا لحصول التلقيح بل قد يكفي قذف المنى على باب الفرج ولو كانت الفتاة عذراء أو نائمة أو مخدرة بالكلورفورم فان ما للحيوانات المنوية من الحركة كاف لتوصيلها الى البوقين، ولذلك ورد عن النبي (ص) ان العزل لا يمنع الحمل كما هو مشهور في الاحاديث، ومن ذلك قوله (ص) «اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد»

نموذج من كتاب كنز الحقائق

في فقه خير الخلائق

﴿ فصول متفرقة والعناوين فوقها من وضع المنار ﴾

البدعة الشرعية

(فصل) البدعة الشرعية الامر الحادث في الدين بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، لم يدل عليها دليل من الكتاب والسنة، وكل بدعة ضلالة، وهي كثيرة سيما في عصرنا هذا. فانهم قد أحدثوا في الدين أشياء ما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه— كعقد مجلس الميلاد، والقيام عند ذكر الولادة وإنشاء عيد الميلاد^(١) وقراءة الفاتحة على الحلواء والطعام، والاجتماع لقراءة القرآن في اليوم الثالث^(٢) وإيصال الثواب الى الميت بتعيين يوم أو وقت وتسريح السرج على القبور^(٣) وبناء التوايت^(٤) ونصب الاعلام، وذكر الخلفاء بعد كل ترويقة، وتسمية الصحابة والسلاطين في الخطب، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل الاذان والاقامة^(٥) والشويب والترحيم وأمثالها.

علامة أهل الحديث

(فصل) من علامات أهل الحديث الجمع بين الصلاتين حالة الاقامة والصحة لحاجة دينوية أو دينية، والمسح على الخفين والجوربين، ولو غير ثخينين، والمسح على العمامة، ورفع اليدين في ثلاثة مواطن— عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع وعند القيام من التشهد الاول، ووضع اليدين على الصدر، والجهر بآمين، وقراءة التسمية أول كل سورة، وقراءة الفاتحة خلف الامام في كل صلاة، والاعتدال في

(١) أي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ومثله سائر الاحتفالات التي جعلوها كالشعائر الدينية. وقد افق الفقيه ابن حجر المكي بكون القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) بدعة كما تراه في كتابه الفتاوي الحديثية ولكن لم يبال بفتواه أحد (٢) أي بعد موت الميت الذي يقرأ لأجله (٣) اعلمه يريد طلب إيصال الثواب (٤) يريد لإيقاد السرج (٥) أي للقبور (٥) اهل هذا معتاد في بلاد المؤاف (الهند) وفي بعض بلادنا يزيدون في آخر الاذان ما يزيدون من ذلك وكله بدع

الركوع والسجود والقومة، وأداء الصلاة وقراءة السور على وفق السنة .

المتفقه والعامي والتقليد

(فصل) إذا كان الرجل يعرف الحديث والقرآن فيعمل عليهما ولا يقلد أحداً من المجتهدين، والعامي الذي لا يعرف الحديث والقرآن يسأل العلماء ويعمل على قولهم (١) والمجتهد يخطئ ويصيب، ومع خطائه له أجر، ويجوز أن يكون الرجل مجتهداً في بعض المسائل ومقلداً في بعضها، ويجوز له أن يعمل بالرخص، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بقدر القدرة، ولا يجوز العنف والتشدد في المسائل الاختلافية .

بيعة الصوفية وإلباس الخرقة

(فصل) البيعة الشائعة بين الفقهاء لها أصل من الشرع وهي بيعة التوبة، أما إلباس الخرقة والفلنسة وأمثالها من مراسم الفقر فلا تثبت بالنقل الصحيح، ويجب علينا أن نحب أولياء الله كلهم ونعظمهم من غير أن نفضل بعضهم على بعض، ويجب ترك قولهم إذا خالف الحديث .

علامة أهل البدع

(فصل) لأهل البدع علامات وهي الوقيعة في أهل الأثر وتسميتهم بالوهابية والنجدية والمرشية والصفائية والجسمة والمشبهة. وهم برآء من ذلك لا يصدق عليهم إلا الاسم الواحد «وهو أصحاب الحديث» كثرهم الله وأبقاهم إلى يوم القيامة

باب الأنجاس

يظهر البدن والثوب بالماء ولو مستعملاً حتى لا يبقى عين ولا لون ولا ريح ولا طعم . ولو (٢) عسر زوال الأثر فلا يضر، ولا يجوز بشير الماء. والحف والنمل بذلك (٣) ولو كانت النجاسة رطبة أو يابسة أو غير ذات جرم. والمني طاهر وغسله وفركه اليابس منه أزكى وأولى، وكذلك الدم - غير دم الحيض - ورطوبة الفرج (٤) والخر وبول

(١) أي يسألهم عما يجب عليه في كتاب الله وسنة رسوله (ص) لاعتق آرائهم ومذاهبهم (٢) لعل الأصل (وإذا) (٣) أي ويظهر الحف أو النمل بدسكهما بالأرض كيفما كانت نجاستهما (٤) مطوف على قوله: والمني طاهر

الحيوانات غير الخنزير. ولا نجس عندنا الا غائط الانسان وبوله ودم الحيض وبول الخنزير وخراشه والروث ولحم الخنزير وشحمه والحمار الانسي والميتة. فيجب تطهير كل نجس قليه وكثيره حتى الرشاش ، وتطهر الارض بالبيس أو صب الماء عليها ، ويطهر البساط الذي لا يمكن غسله بصب الماء عليه. والحديد والمرآة والزجاج بالمسح ، والاستحالة مطهرة

(فصل) أيما إهاب دبغ فقد طهر وشعر الانسان والميتة والخنزير طاهر وكذا عظما وحافرها وقرنها ومقارها .

(فصل) لا تنزح البثر بوقوع نجس أو موت حيوان فيها اذا لم يتغير أحد أوصاف الماء ، فان تغير فيجب نزح الماء كله أو الى ان لا يبقى التغير

(فصل) بول مايؤكل لجمه طاهر وكذا سوره وجميع الأَسار غير سؤر الكلب والخنزير ففيه قولان وكذا في ريق الكلب ، والعرق كالسؤر

﴿ أهم أخبار الحرب الاوربية والآراء فيها ﴾

إن الاخبار الصحيحة والآراء المفيدة لاتكاد تستنبط من الجرائد الانكدا ، وان للمجلات من الأناة والروية في الاختيار ما ليس للجرائد اليومية ولا غير اليومية أيضا ، واتنا نمحص ما وقفنا عليه من الاخبار والآراء الكثرية بالجل الآتية في هذه الحرب

(١) الدول المتحاربة فريقان — دول التحالف الانكليزي ودول التحالف الألماني (يُنسب كل حلف الى أقدر دوله التي هي محل رجاء الرجحان له)

فالاول هو الراجح في الحرب البحرية حتى ان رجحانه حال دون تنازلة الآخر له ، الا ماتفرقه القواصات من سفنه . والثاني هو الراجح في الحرب البرية الى هذا اليوم

(٢) اتفق رجال السياسة والحرب من الفريق الاول على ان السبب الاول لرجحان الفريق الثاني في الحرب البرية هو كثرة الذخائر والاسلحة عندهم ، فتوجهت

همة دوله كلها الى الاستكثار من ذلك ، حتى ان انكثرة انشأت وزارة خاصة سميتها وزارة الذخائر جعلت المئات من المعامل الحرة تحت مراقبتها ، فصارت انكثرة

وفرنسة - وهما دولتا العلم والصناعة في هذا التحالف - تعملان من الذخائر والأسلحة
أضفاف ما كانتا تعملان من قبل ، ويقدران ان استعدادهما واستعداد حلفائهما
لا يتم الا في ربيع السنة القابلة، على انهم يشترون الذخيرة والسلاح من الولايات
المتحدة واليابان بمئات ألوف الألوف من الجنيهات

(٣) كانت الروسية قد رجحت على النمسة رجحانا ظاهرا فانتزعت منها غاليسية
ووصلت الى أعالي جبال الكربات المشرفة على سهول المجر وسباسهم ، ولكن ألمانية
انجدها في ربيع هذا العام بزهاء مليون ونصف مليون من جيشها، فأجلت الروسية عما
كانت استوتت عليه من بلادها، وانتزعتا منها ما انتزعتا من مملكة بولنדה وغيرها،
ولا يزال لهما الرجحان في مطاردتها ، والفضل الاول في ذلك لمدافعهما الضخمة التي
تدك أعظم الحصون والمعقل، ولكثرة ما عندهما من الذخيرة، وقد اتسع ميدان هذه
الحرب فامتد من بحر البaltic في الشمال الى آخر حدود بولنדה في الجنوب . ويقال
ان الالمان يطعمون في الوصول الى بترغراد (بترسبرج) عاصمة الروس، والنمسيون
مع الالمان بمدون أعناقهم الى أودسه أعظم ثغور الروس في البحر الاسود

(٤) الحرب في الميدان الغربي (فرنسة وبلجيكة) سجال ولكنها حرب
مطاولة لا مناجزة ، والالمان هم الذين يهاجمون الفرنسيين والانكليز والبلجيكين في
الغالب ، والفريقان معتمضان في الخنادق، وقلما يربح أحد من خطوط خصمه شيئا الا
ويسترده منه الآخر

(٥) الحرب بين إيطاليا والنمسة سجال أيضا ، ولكنها لا تزال بطيئة الحركة
ضعيفة التأثير لا يكاد العالم يشعر بوجودها

(٦) الحرب في جوار الدردنيل سجال أيضا ، وهي مناجزة لا مطاولة ، والخلفاء
هم المهاجمون في الغالب ، على أنها حرب خنادق كحرب الميدان الغربي

(٧) أخبار الحرب في العراق قليلة جدا ومما لا ريب فيه ان الانكليز قد استولوا
على جزء عظيم من ولاية البصرة

(٨) أخبار الحرب في القوقاس وما يسمونه أرمينية أقل من أخبار الحرب في
العراق، وأبعد عن الثقة من جميع الاخبار، فانه لا يعرف منها شيء الا ما يذيعه الروس

في كل شهر أو أشهر من أخبار معركة كان لهم الرجحان فيها ، ومن أخبارها ان ضلع الأرمن في البلاد العثمانية معهم حتى أنهم يقاتلون معهم ، وهذا خبر مقبول ومتنظر ، وكان العثمانيون يقاتلون الروس في بلاد القوقاس الروسية ، ومن أخبار الروس الاخيرة أنهم هم استولوا على مدينة (وان) العثمانية بمساعدة الأرمن فيها ونصبوا عليها واليا من زعماء الأرمن . ويقال ان الترك فتكوا بالأرمن فتكما ذريعا

(٩) ان كل فريق من الاحلاف اجتهد منذ اشتعلت نار الحرب في جذب الدول التي على الحياد اليه ولو بالعطف والمودة ، فغاز التحالف الانكليزي بانتزاع ايطالية من التحالف الألماني وحملها على خوض غمرات الحرب معه ، وهو يبذل جهده منذ سنة لجذب دول البلقان الى قتال العثمانية والنمسة ، ولا يزال البلقانيون بين الإقدام والإحجام ، لما بينهم من أسباب النزاع والخصام ، ولطمعهم في تراث الترك والنسايين من جهة ، وكرهتهم أخذ الروسية للآستانة وزقاني البوسفور والدرديل من جهة أخرى ، دع مالنمسة وألمانية من النفوذ في البلغار ، ولألمانية خاصة من النفوذ في الرومان واليونان ، فان ملكي البلغار والرومان من أمرة جاهل ألمانية ، وملكة اليونان أخته ، فوشيجة الرحم لها تأثير عظيم ، ولكن أكثر الشعوب البلقانية أميل الى التحالف الانكليزي ، ولا سيما الشعب اليوناني ، فانه شديد البغض للترك والطمع في كثير من بلادهم ، وشديد الميل الى محاربتهم لذاتهم ومحاربتهم لهم

(١٠) قد اختلف الباحثون في عاقبة هذه الحرب وتبقيتها والمعتقول انه اذا نصر أحد الفريقين نصراً مؤزراً وظفر ظفراً تاماً ، فان رأس دوله تكون لها السيادة العليا في أوربة والشرق كله ، ولكن دول الفريق الآخر - أو ما بقي منها - تذل وتخزي زماناً طويلاً تبذل فيه كل ما يستطيع بذله المستضعف المستذل في مقاومة خصمه من الكيد والحيلة ، الى ان يستدير الزمان ، وتديل له من عدوه الاقدار ، وأما اذا طال أمد الحرب حتى ضعف الفريقان وتهدت قواهما ، ولم يرجح أحدهما على الآخر بشي ، أو رجح بالدرهم أو القيراط ، فلم يكن باستطاعته السيطرة على خصمه ، والاستمرار على قهره ، فيوشك ان تكون شروط الصلح متعادلة . وتبقى الموازنة بين

الدول متقاربة، ويستمر ذلك عشرات من السنين يظهر فيها نبوغ الشعب الذي يفوق غيره في المهمة والاستعداد. وهاك أشهر ما قيل في طمع كل فريق من الآخر إذا انتصر انتصارا تاما أو قريبا من التام

(١١) مقصد دول التحالف الانكليزي من الحرب الذي لا يكفون عنها باختيارهم مالم يصلوا اليه، هو ازهاق الروح العسكري البروسي الذي نفخ في جميع الشعوب الالمانية حب الحرب، واعتقاد كونها فضيلة وكالا للبشر - ثم حل عقدة الوحدة الالمانية وارجاع ممالكها الصغيرة الى ما كانت عليه قبل الوحدة التي أنشأها البرنس بسمرك سنة ١٨٧٠ ومنعها من الاستعداد لحرب ثانية، والاستيلاء على الاسطول الالمانى. ثم حل امبراطورية النمسة والمجر واعطاء كل دولة من دول التحالف أبناء جنسه منها. وبهذا يستميلون دول البلقان اليهم الآن، لان في النمسة ملايين عديدة من الرومان والسلاف والاطليان وغيرهم - ثم تمزيق المملكة العثمانية وتقسيمها

ومن البديهي الذي لا يحتاج الى النص ارجاع بلجيكة كما كانت أما الآستانة والرقاقان العظيمان اللذان على جانبيها فالارجح أن روسية لا ترضى بها بديلا ان ظفروا ظفرا نهائيا بعد ما أصابها من الخسارة التي هي أضعاف خسائر مائت حلفائها. ويقال ان حلفاءها أنفسهم يشترطون تدمير حصون البوسفور والدردنيل ونزع السلاح منها وعدم تسليحها في المستقبل. وقيل ان الآستانة تكون منطقة حرة. ولكنها ان صارت الى الروس فلا بد ان يقتنموا أول فرصة لتحسين الرقاقين بمدان يستعدوا لذلك سرا

(١٢) اذا ظفر التحالف الالمانى ظفرا تاما فالمشهور أن ألمانيا تريد أن تضم مملكة بلجيكة الى ممالك الاتحاد الجرمانى، ولا يدري أيراد جعل بولونية مستقلة أم تابعة لها أم للنمسة، ولا بد حينئذ من جعل النفوذ الاعلى في البلقان للنمسة، ويقال

إن ألمانية لا تطمع في أخذ شيء مما استولت عليه من مملكة فرنسا، الاسواحل
بحر المانش، ولكنها تطمع في جميع مستعمراتها الافريقية الشمالية، وتعطي الدولة العثمانية
القوقاس الروسية أيضا. وقد اشتهر انها تمنىها بانشاء امبراطورية
اسلامية كبيرة. ثم انها تفرض على خصومها غرامة حربية ثقيلة، وأما استعادة ما أخذ
من مستعمراتها، فهي من البديهة التي لاحاجة الى ذكر طلبها لها. هذا أقل ما يقال
عنها، وقيل بل هي تطمع في جعل أوربة كلها تحت سيطرتها، لما وجد في مؤلفات
غير واحد من رجال العلم والسياسة والحرب فيها، من الحث على السعي لجعل العالم
كله خاضعا للنفوذ الألماني ومستهدا من الحضارة الألمانية

ومن الناس من يقول ان هذه مزاعم افتحرها أعداء ألمانية لينفروا عنها الشعوب
التي على الحياد ويحملوها على مناوأتها، ولكن وجد من النقل عن الألمان ما يدل
على ذلك، وهو غير بعيد عن العقل وشواهد التاريخ، فان بطرس الأكبر على كونه
هو البادئ بتقوية روسية كان يرمى الى هذا الغرض، ونابليون الأول كان يعني
نفسه به، ومن أصول تربية الأمم أن ييث فيها عقيدة تفضيل نفسها على غيرها،
وكونها أجدرها بالسيادة والسعادة، وكل أمة لا تعتقد هذا الاعتقاد لا يمكن ان
تسود وتعزز، ولكن الأمة اذا لم تبين جميع أعمالها الاجتماعية على أساس هذه العقيدة
يقتلها داء الضرورة، ولا سيما اذا احتقرت غيرها من الأمم ولم تقدر مزاياها حق قدرها،
ومن المحتمل ان يكون بعض علماء الألمان بثوا في أممهم هذه العقيدة لاجل ان ينهضوا
يها في ميادين المسابقة والمباراة للأمم التي سبقتها الى الاستعمار وغيره، ثم اغتروا
وصلوا اليه من العلم والثروة والاستعداد الحربي فحرب ذلك الى عقول كثير من حكامهم
وقوادهم انه يمكن لدولتهم القضاء على قوى الدول الاستعمارية الثلاث (انكلترة وفرنسة
وروسية) وجعلهن تحت سيطرة ألمانية، وحينئذ تمنهن من تجديد الاستعداد للحرب،
فتنفرد بسياسة العالم في الشرق والغرب، ولا يبعد ان تزين لسكبر منهم فلسفة حب
السيادة ان هذا يكون خيرا للبشر، لانه يمنع أسباب الحروب بمنع تنافس التعاضد
الذي من شأنه ان يكون بين الاقربان من الدول، كما يكون بين الاقربان من الافراد، وأن
يتخيل هؤلاء الفلاسفة أن العالم لما صار باتصال بعضه ببعض كالامة الواحد فوجب

أن تكون له دولة واحدة ترجع اليها السلطة العليا كما ترجع سلطة الولايات من المملكة الواحدة الى السلطة العليا في عاصمة المملكة، لان التفرق مدعاة العداوة والشقاق المفضي الى القتال والتفاني

وقد يرد عليهم فلاسفة سائر الامم بأن ما يزعمونه خيال تولد من اقتران حب السلطة، بالفرور بالقوة، وأن حب السلطة غريزي في البشر فلن ترضى أمة بسيادة غيرها عليها مختارة، ولا سيما الامم التي تمكن في قلوب أهلها عز الحرية والسيادة، فلا يزال المسود يكد للسائد، ويتربص به الدوائر، وقد انقرض في الازاس واللورين جيل وتجدد جيل، فكان الجيل الجديد كسلفه يكره الالمان ويحب الفرنسيين، فالفلسفة الحق ان انتظام البشر لا يتم في هذا الزمان الا بينائه على قاعدة استقلال الشعوب والاجناس، وأما القوة التي فوض اليها الحكم اليوم بين المتنازعين على السيادة في الارض فلا يمكن ان تظل محتكرة للغالب، فاذا كانت هذه الحرب لا تنتهي بابطال قاعدة (الحق للقوة) وبالرجوع عن فكرة سيادة الاقوياء على الضعفاء، واكراههم على الخضوع لما يسوسونهم به ويلزمونهم إياه، وبوضع قواعد مضمونة للمساواة العامة بين جميع الشعوب والاجناس يكون بها الاذنى مختارا في اقتباس العلم والحضارة من الاعلى، - اذا لم تنته هذه الحرب بهذا وتضمنه جميع الدول بقانون تعاهد على تنفيذه بالقوة والاتفاق على قتال المخالف له، فلا شك في كونها تكون اشأم حرب على البشر، لانها لا يمكن ان تقضي الى رضا المغلوب بسيادة الغالب، بل تقضي الى استيالة المغلوبين لغيرهم من الشعوب المغلوبة على أمرها، والمسكرهة على الخضوع لغيرها، والاستعداد لحرب مثل هذه أو شر منها، وان ظن الغالبون انهم قادرون على ان يحولوا دونها.

ونحن نرى ان هذه الفلسفة الاخيره هي الصحيحة، المؤيده بروح الحق والفضيلة، فعسى ان يكون لنا ولسائر الامم الشرقية نصيب منها، اذا أراد الله برحمته ان يكون المنتهى اليها.

مدرسة دار الدعوة والارشاد

قد اضطررنا في السنة المدرسية الماضية (سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية) ان
نجهل الاجازة الصيفية قبل موعدها بشهر ، بقرار من مجلس ادارة الجماعة ، وسبب
ذلك قطع وزارة الاوقاف المصرية ما كانت قررته من الاعانة للمدرسة ، وعدم
الرجاء في شيء يذكرو من التبرعات بسبب العسرة الحاضرة ، حتى ان الشيخ قاسم
ابراهيم قطع اشترأ كه السنوي في جماعة الدعوة والارشاد قبل الحرب . وقد كنا نفق
على الطلبة بالتقدير في تلك السنة

أما مقدار اعانة الاوقاف فقد كان خمسمائة وخمسين جنيها ، وقد كنا موعودين
من قبل الديوان بمضاعفته أضعافا ، حتى ان محمد محب باشا الذي عين أول ناظر
للاوقاف - بعد تحويله الى نظارة - قال لي امام بعض الفضلاء في داره قبيل سفره
الى الاستانة في رمضان العام الماضي : إنه يمكن ابلاغ الاعانة في هذا العام الى ألف
وسبعمائة جنية . وأما يمكن الزيادة علي ذلك فيما بعدها من السنين . قال ذلك بعد
أن دقق النظر في نظام المدرسة وميزانيتها وبعد زيارته لها واختباره لحالها بنفسه
ولو طلبت المبلغ الذي كان مقررا في أول العام الماضي عقب تصديق الجمعية
التشريعية على ميزانية الاوقاف لقبضته ولكنني فضلت حفظه في خزينة النظارة
على حفظه في صندوق المدرسة ليؤخذ بالتدريج عند الحاجة الى لانفاق . ولما
طلبت بعضه عند الحاجة الى الصرف - لقرب دخول السنة الدراسية - امتنع وكيل
الاوقاف محمد شوقي باشا من الصرف ، معللا منعه بوجود الاقتصاد وقلة الدخل
بسبب الحرب . فراجعت رئيس النظار (حسين رشدي باشا) مرارا فوعد بالمساعدة
وأحالي على عدلي باشا الذي كان نائبا ن محمد محب باشا في نظارة الاوقاف ووعد
بتوصيته . وبعد عدة مراجعات أمر عدلي باشا بصرف ٣٠٠ جنية أقساطا ، وقال لي اذا
كثرت الواردات بعد ذلك ندفع لك الباقي . وقبضت حينئذ ستين جنيها من الاعانة
ثم تحولت الاحوال وتغير شكل الحكومة فأعطى اسماعيل صدقي باشا الذي
(المنار : ج ٤) (٤٠) (المجلد الثامن عشر)

تولى (وزارة الاوقاف) قليلا وأ كدى (أي منع الباقي) فكان مجموع ما قبضته من الاعانة بيدي ١٣٥ جنيها . وكنت أحلت ادارة أوقاف محمد شريف باشا الكبير على النظارة بأجرة مكان المدرسة بكتاب مني قبلته النظارة وصارت تدفع ما يستحق من الاجرة أقساطا شهرية . ولكن وزارة اسماعيل صدقي باشا منعت فيما منعته اعطاء بقية الاجرة . كانت الاجرة كلها ١٣٠ جنيها دفعت وزارة الاوقاف منها ٩٧ جنيها ونصفا . ورجعت علي ادارة وقف شريف باشا بمبلغ ٣٢ جنيها ونصف جنيسه فوفيتها حسابها

فعلم من هذا ان مجموع ما صرف من اعانة الاوقاف للمدرسة في العام الماضي ٢٣٢ جنيها ونصف جنيه وهو دون المبلغ الذي كان أمر بصرفه عدلي باشا موقتا ولما علمنا ان الوزارة الجديدة قطعت الاعانة كلها البتة ، غلبنا حسن الظن ورددنا على من اساءه ، وقرعنا جميع الابواب التي هي مظنة الرجاء لاعادته ، بحجة ان هذه المدرسة الدينية الخيرية ليس لها دخل ثابت سواء ، وانها أحوج الى الاعانة من كل المعاهد العلمية والخيرية التي تساعدنا وزارة الاوقاف حتى من الجامعة المصرية ومدارس العروة الوثقى والجمعية الخيرية — فألفينا جميع تلك الابواب موصدة في وجهنا ، ولكن باب الله تعالى لا يوصد ، فاتكالا عليه عز وجل سنفتح المدرسة في السنة المدرسية القابلة كما فتحناها في السنة الماضية، ولكننا لانفق على الطلبة شيئا . ولا نقبل في القسم الداخلي طالبا جديدا الا أن يأتي الله بالفتح لبعض أبواب رزقه ، أو أمر من عنده

أما موعد فتح المدرسة في السنة الدراسية القابلة فسيكون ان شاء الله تعالى في أول الخريف الثاني (منزلة العقرب) الموافق منتصف شهر ذي الحجة الحرام خاتمة سنة ١٣٣٣ فمضى ان تكون السنة القابلة سنة خير ويسر ، وان جاءت بعد شدة وعسر (ان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا)

تصحیح بیت من الشعر

في (ص ١٢٠ ج ٢) استفتاء في بيت من الشعر وقع غلط في أول كلمة منه وهي « جدير » وصوابها « مليء » وقد فاتنا ان نصحيحه في الجزء الثالث

تقرير المطبوعات الجديدة*

كنز الحقائق من فقه خير الخلائق

كتاب في فقه الحديث تأليف العلامة وحيد الزمان الملقب بالنواب وقار نواز جنك بهادر. طبع في العام الماضي طبعا حمجريا في مطبعة شوكة الاسلام ببلدة بنكلور بالهند على ورق جيد. وصفحاته ٢٤٢ بتقطع النار ويباع في مكتبة المنار وثمنه عشرة قروش الكتاب مختصر من كتاب مطول للمؤلف اسمه [نزل الابرار من فقه النبي المختار] وحسبنا من تقريره ما يراه القراء في النموذج الذي اقتبس منه ونشر في هذا الجزء من يسر مذهب اهل الحديث ، على أن فيه مسائل اجتهادية واغلاطا معظمها من الناسخ منها ما يدرك بالبداية

البيان والتبيين

كتب أبي عثمان الجاحظ كلها مختارة في الفصاحة والبلاغة عند أهل الادب وهذا الكتاب منها أشهر من نار على علم ، فهو مستغن عن تقرير أهل هذا العصر . وحسبهم ما قاله فيه حكيم العرب ، وأمام أهل العلم والادب ، عبد الرحمن بن خلدون في الكلام على علم الادب من مقدمته ، وهذا نصه :

« سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين ، وهي (أدب الكاتب) لابن قتيبة ، و (كتاب الكامل) للبردي ، و (كتاب البيان والتبيين) للجاحظ ، و كتاب (النوادر) لأبي علي القالي . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها ، وفرع عنها »

وحسبنا من معرفة مكانة الجاحظ في البيان والبلاغة تنويه امامهما الزمخشري به في خطبة الكشف وخطبة أساس البلاغة - وما كانت الخطب بموضع التنويه بالدهماء ، ولكن قد يذكر فيها أئمة العلماء والحكام

(* عهدنا بتقرير المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

طبع كتاب البيان والتبيين بمصر منذ عشرين سنة طبعة رديئة كثيرة الاقلاط ، فاضطر الادباء وطلاب الانشاء الى اقتنائها ، والاستفادة منها على علاتها ، حتى نفذت نسخها ، وغلا ثمنها ، فسخر الله تعالى في العام الماضي محب الدين افندي الخطيب المحرر بمجريدة المؤيد وعارف افندي المجازي لإعادة طبعه . فطبعاه طبعا حسنا على ورق حسن ، وعني الاول منهما بتصحيحه وضبط اشعاره بالشكل ، وقد تعب في مراجعتها في مظانها من الدواوين المخطوطة والمطبوعة وفي كتب اللغة والادب ، تعبلا يعرف كنهه الا من عني بمثل ذلك ، وقد جعل ثمنه عشرة قروش من الورق النبائي و١٥ قرشا من الورق الابيض ويطلب من مكتبة المنار بمصر

الحنين الى الأوطان

نشر في جزء الشهر الماضي من المنار نموذج من هذا الكتاب مصدر بعبارة وجيزة في وصفه والفائدة من مطالعته ، كطالعة سائر مصنقات مؤلفه ، (الجاحظ) مقرونة بالوعد بتقريره ، وقال صاحب المنار : ان هذا الكتاب يشرح غريزة حب الوطن ، التي هي من أقوى غرائز البشر ، بأفصح العبارات ، الماثورة عن أبلغ الاعراب ، والشعراء والكتاب ، فهو من هذه الجهة كتاب فلسفة ، كما انه من حيث عبارته كتاب أدب ولغة ، ومن شواهد حب الوطن عن أهل هذا العصر ما اختبرناه من حال مهاجرة السوريين في مصر وأمريكا وغيرها من الاقطار ، فاننا نراهم على عراقيتهم في المهاجرة والاعتراب واثرائهم في بلاد أرقى من بلادهم عمراننا وحرية ، لا يشتون يحنون الى أوطانهم على كثرة شكواهم من سوء حالها ودمهم للحكومتها . (قال) وقد سمعت اصحاب المنتط والمقطم يقولون منذ بضع سنين : إننا لم نشتر شيئا من الأثاث لبيوتنا الا وكان يخطر في بالنا عند شرائه — : اذا أتبح لنا العود الى بلادنا فهل يكون هذا مما نقله او مما نبيعه ؟

طبع الكتاب بمطبعة المنار طبعا متقنا مضبوطا على نفقة عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار ، وقد تولى تصحيح أصله وضبطه ووضع الحواشي والتفسير لغريبه الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري الشهير . وثمانه قرش ونصف قرش

كتاب المسح على الجوربين

وكتاب الاستئناس، لتصحيح أنكحة الناس

(من تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى . طبعاً معاً في مطبعة
الترقي بدمشق الشام سنة ١٣٣٢ وصفحتهما ٨٤ صفحة . ويطلبان من مكتبة المنار
بمصر .)

هذان السكتيان الفيدان من آخر ما كتبه عالم الشام وقعيد الاسلام رحمه الله
تعالى . أمهما في العام الماضي الذي توفي فيه . وموضوع الاول إثبات المسح على
الجوربين وكل ما بستر الرجلين كالنعال السابغة والقفائف والتساخين . وفيه فوائد
كثيرة في الحديث والاصول . وقد أثبت المسألة بالدليل ونقل فيها ما يؤثر عن أئمة الفقه ،
قال منشي المنار : وقد سبق لنا الافتاء بهذا في المنار منذ بضع سنين فكان له أحسن
تأثير في تيسير الصلاة على كثير من أهل الترف والنعيم ، كما أخبرني بذلك بعض
خواص المصريين المصلين . ثم أعدت إثبات ذلك بإيضاح في تفسير آية الوضوء .
وأما هذا الكتاب . فقد استقصى كل ما يتعلق بالمسألة وزاد ما زاد من المسائل
الاستطرادية كما هو شأن من يفرد مسألة صغيرة بالتصنيف .

وأما الكتاب الآخر فالغرض منه مقاومة ما عليه متأخرو المسلمين من التساهل
الذي يشبه الفوضى في أمر الطلاق ورد ما جرى عليه كثير من الفقهاء من الافتاء
بالطلاق في وقائع كثيرة لا تقوم الحجة على وقوع الطلاق فيها ، ومن مباحثه المفيدة
التي عمت البلوى بها مبحث طلاق الغضبان والسكران والهازل والمكره والخالف
بالطلاق أو المعلق له يريد الترغيب أو التهيب دون الطلاق ، والطلاق مرة واحدة بلفظ
الثلاث . ومبحث وجوب الاشهاد على الطلاق واشراطه لصحته ، ومن قال بذلك
من أئمة آل البيت وغيرهم من الصحابة والتابعين

والقاعدة التي بني عليها هذا الكتاب اللطيف هي ان النكاح متى وقع وثبت
كان أمراً يقينياً فلا يزول بحكم اجتهادي لانه ظن لا يزول به اليقين ، ولا بنجر آحادي
ولا سيما اذا كان مطعوناً فيه كحديث « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح
والطلاق والرجعة »

﴿ نقابات التعاون الزراعية ﴾

نظامها وتاريخها وثمراتها في مصر وأوربة

(طبع على ورق جيد مطبوع النهضة الادبية بمصر سنة ١٣٣٢ صفحاته ٢٤٥ بحجم المنار)
 هذا كتاب جديد من أفضل ثمرات النابتة الجديدة بمصر ، ألفه عبد الرحمن
 بك الرافعي المحامي ، فخدم به هذه البلاد خدمة جليلة هي في أشد الحاجة إليها ،
 إن ثناءنا على هذا الكتاب تأيد لرأي صاحب المنار الذي بينه مراراً في
 مجلته وفي الجرائد ، وهو أن أحوج ما يحتاج إليه أهل مصر في هذا العصر
 أمران (أحدهما) حفظ ثروتهم حتى تكون غلة أرضهم وثمرات كسبهم خالصة لهم ،
 (وثانيهما) تعميم التربية الصحيحة مع التعليم على الوجه الذي تتكون به الأمة .
 وأنه لا يقوم بهذه التربية مع التعليم إلا الجمعيات الخيرية .

فهذان الأمران هما الركنان اللذان لا يرجى لمصر صلاح ولا فلاح إلا بهما ،
 وهذا الكتاب مما يرفع بناء الأول منهما ، ويحسن بنا في هذا المقام أن نعطر تقرير
 الكتاب بكلمة ثناء على عمر بك لطفي الذي أحسن الله خاتمة عمره بالعبارة بأمر
 النقابات الزراعية علماً وعملاً فكان قارة صالحة لهذا المؤلف الذي يعد من تلاميذه ،
 للكتاب فآحة في موضوعه للمؤلف ومقدمة لأحمد بك لطفي المحامي . وفيه
 ثلاثة أبواب ، عنوان أولها « التعاون في أوربة » وفيه ١٤ فصلاً — وعنوان الثاني
 « التعاون في مصر » وفيه ستة فصول — الأول في نظام الحياة الاقتصادية عند
 الزراع وعبوبه — الثاني في الدعوة إلى التعاون وفيه بيان « الدور الأول » من
 جهاد عمر بك لطفي . والثالث في « الدور الثاني من جهاد عمر بك لطفي ومنشآت
 التعاون التي أسسها والنظام الذي اختاره لها » والثالث في أعمال النقابات الزراعية
 بمصر ، والخامس في قانون الخمسة الافدنة ، والسادس في التشريع الجديد للتعاون .
 وعنوان الباب الثالث « نماذج تعاونه » وهذه النماذج تعلم قراء الكتاب كيف
 يؤلفون النقابات الزراعية حسب القانون ، وكيف يكتبون لها ، وكيف يكون الشراء
 والسلف منها — إلى غير ذلك من المعاملات

وقد قال المؤلف في فآحة الكتاب مانصه :

د على أننا بأخذنا بأسباب التعاون نحي سنة قديمة، فان نظام التعاون وان كان بشكله الحديث نظاما غريبا جديدا، الا أن الفكرة التعاونية في ذاتها أي فكرة تعاون الايدي العاملة على القيام بالعمل المشترك واقسام ارباحه وثمراته ففكرة قديمة عرفها أجدادنا العرب ، فقد أثبت الأستاذ لروابوليو في كتابه المطول في الاقتصاد السياسي أن القوافل التي كانت تجوب البلاد العربية ما بين الحجاز والشام بقصد التجارة ما هي الا جماعات تعاونية وقيسة يتعاون أفرادها على الكسب والتجارة

الحساب

كتاب وضعه صديقنا محمد عبد الخالق افندي اسماعيل الطالب في انكلترا تمهيداً لكتاب سيضعه في علم الجبر وقد صدره بمقدمة حث فيها على نشر العلم باللغة العربية [اوسع اللغات] وقد طبعه سنة ١٣٣٢ في مصر بمطبعة البسفور طبعاً نظيفاً على ورق متوسط فجاءت صفحاته ٦٨ و١١ يطلب من مكتبة المنار بمصر وعنه ٢٥ مليماً الكتاب جزيل الفائدة وفيه من الجداول والرسوم والاشكال ما يوضح مسائله، وعبارته جزلة فصيحة فنحث على اقتنائه

(كتاب الفوز بالمراد من تاريخ بغداد)

تأليف الكاتب الاجتماعي الشهير (الأب انستاس الكرملي) صاحب مجلة لغة العرب. طبعه بمطبعة الشاهبندر في بغداد سنة ١٣٢٩ وصفحاته ٧٦ وثمان النسخة منه خمسة قروش صحيحة ، ويطلب من مكتبة المنار بمصر والكتاب مستمد من كتب التاريخ العربية والافرنجية ومن اختبار مؤلفه الشخصي وقد بدأه بتاريخ بغداد من عهد سقوطها على يد هولا كوسنة ٦٥٥ هـ الى سنة ٣٢٩ أي سنة (تأليفه وطبعه) وفيه من العبر والعظة بتصرفات الايام شيء كثير

(التقرير السنوي للجمعية الخيرية الاسلامية عن سنة ١٩١٤)

هذا التقرير كالتقارير السابقة يشمل مشروع أعمال الجمعية وميزانيتها ومحضر جاستها العمومية ، وفيه زيادة على ذلك أن نشرت في أوله صورة الكتاب

العالي السلطاني الصادر لهيئة الجمعية المؤرخ في ١٣ ربيع الاول ١٣٣٣ و ٢٩ يناير سنة ١٩١٥ عدد ١١ وهذه جملة منه قال بعد التحيات لهيئة الجمعية ما نصه :

« هذا وقد اقتضت ارادتي ان يكون لقسم الاعانة بالجمعية نصيب من مساعدة خزيتي الخاصة بفضل الله كما انها ستتكفل سنويا بالنفقات التي يحتاجها أبنغ طالب من طلبة مدارس الجمعية لاتمام دروسه بأوربة وان تخصص ثلاث جوائز للثاني والثالث والرابع من التلامذة مكافأة لهم وتشجيعا لآخوانهم ... » الخ

ويؤخذ من هذا التقرير ان الجمعية قد اشترت اطيانا مساحتها ١٦ فدانا وكسورا و٤ آلاف و٧ مئة و٤٨ مترا و ٢٧ سنتيا وقد دفعت ثمنها للجميع ٩ آلاف و ٥ مئة و ٢٤ جنيا و ٢٤٤ مليا ، وان النجاح في امتحان القسم الابتدائي من مدارسها زاد على ٦٧ في المئة. ويسر كل مسلم وكل محب للخير استمرار نجاح الجمعية وخدمتها للفقراء بالتعليم والاعانات

(ذكرى الماضي — أو — سياحة في الجبل)

مقالات وجدانية خيالية نشرها كاتبها محمد افندي صبري الطالب بجامعة باريس ونشر ~~كتاب~~ (شعراء العصر) وقد اهتمي بجمعها وطبعها كتابا مستقلا صالح افندي شكري احد عمال جريدة المؤيد وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة

(رواية الفلاح)

قصة تمثيلية ادبية وضعها عبد العزيز بك فريد ناظر مدرسة خليل آغا بمصر ، وحرر عبارتها الاستاذ الشيخ محمد الجمل احد مدرسي المدرسة ، ووضع أزجالها الشيخ احمد القوسي ، وقد مثلها تلاميذ المدرسة في احتفالها السنوي . وهي مفيدة جدا بما تحذر من البذخ والسرف ، وتنقب عن العيوب الفاشية في هذا البلد ، ومثلها في ذلك ما وضعه عبد العزيز بك قبلها. وقد طبعت طبعا نظيفا على ورق جيد بمطبعة الخاصة الخديوية (السلطانية) في سنة ١٩١٤

قبح عبادة الذين يستهون بالقول فبئسوا
أولئك الذين عداهم الله وأنتكهم أول الألباب

المسحاة

١٣١٥

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارة كمنار الطريق »

مصر ٣٥ رجب ١٣٣٣ - ٢١ الجزء (٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٣ يونيو ١٩١٥

مكتبة
دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٧

العلق وسبب الذكورة والانوثة ومدة الحمل

إذا تلقحت البويضة سقطت في الرحم بسبب ما في البوقين من الأهداب
وبسبب انقباضها ويجوز أن يكون للبويضة أيضا حركة ذاتية كالأميأ وأرجح
الأوقات لحصول الحمل أن يكون الجماع عقب الطهر في الأسبوع الأول من الحيض،
ويقال إن هذا الجماع محرم عند اليهود وهو من غرائب التشريع
وبويضات المبيض الأيمن يرجح عند بعض العلماء الآن أنها هي التي يتولد
منها الذكراء، وبويضات المبيض الأيسر يتولد منها الأنثى، ولذلك إذا نامت المرأة
على جانبها الأيمن بعد الجماع رجح أنها بالذكورة وقد عرف هذه الفائدة ابن سينا
كما في قانونه

فإذا كان الجماع بعد حيض متفق مع انفجار بويضة المبيض الأيمن كان النسل
ذكراء، وبالعكس

وإذا سقطت البويضة في الرحم علققت بغشائه المخاطي وأبتدأ تكون الجنين
في داخلها باقسامها الى عدة أقسام. ويكون الجنين في بطن أمه محاطا بالرحم ثم
بغشائين آخرين تابعين لنفس البويضة. وتكبر البويضة كبراً عظيماً وتمتلئ بسائل
يحيط بالجنين من جميع جهاته يسمى السائل (الأمنيوسي^(١)) ويكون الجنين معلقاً في

(١) كلمة يونانية معناها الشاة لأنه يقال إنه اكتشف فيها أولاً أو لان ملمسه
ناعم كصوف الشاة

هذا السائل بجبله الشري المتصق بالمشيمة بجدار الرحم، ويكون رأس الجنين الى الأسفل غالبا وظهره الى الامام . ولا يفهم مما تقدم أن عروق الجنين متصلة بعروق الرحم بل هما متجاورين فقط بحيث لا تختلط دورتهما الدموية ، ولكن المواد المغذية تصل من الأم اليه بطريق (الاسموز) وكذلك المواد الفاسدة التي تخرج من الجنين تصل الى دورة الام بهذه الوسطة ايضا بلا اختلاط بينهما . ولا يتنفس الجنين في بطن أمه وإنما دمه يتنقى بالطريقة المذكورة ، وأول تنفسه يكون عند استهلاله أي صراخه عند خروجه من الرحم

ومدة الحمل أقلها خمسة أشهر أو أربعة ونصف، وأكثرها احد عشر شهرا . وقد يحصل في أحد البوقين حمل أو في البطن خارج الرحم وفي هذه الحال قد تحمل الام جنينها ميتا عدة سنين ولكن لا تضعه الا بعملية جراحية

شبه الجنين

يقال إن شبه الجنين تابع لمقدار الحيوانات المنوية الملقحة للبويضة فإذا دخلت بكثرة في البويضة أشبه أباه سواء أكان ذكرا أم أنثى، وإذا كانت قليلة أشبه أمه كذلك ، فإذا كان الجماع بشدة ومقدار المني كثيرا وأنزل الرجل قبل المرأة كثير دخول الحيوانات المنوية في البويضة فأشبه الولد أباه ، أما إذا كان مقدار المني قليلا وأنزلت المرأة قبل الرجل بطلت حركة الامتصاص من رحمها ، فنظرا لذلك ولقلة مقدار المني يصل عدد قليل من الحيوانات المنوية الى البويضة فيكون الولد شبيها بأمه، سواء أكان ذكرا أم أنثى ، ولذلك روى البخاري أن رسول الله (ص) قال « إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » أي لانه في هذه الحالة تبطل حركة الرحم في جذب المني اليه فتكون الحيوانات الداخلة فيه اقل مما اذا حصل القذف اثناء حركة الرحم اي قبل انزال المرأة . والولد كل مولود ذكرا كان أو أنثى

النطفة والعلقه وأطوار الجنين وغير ذلك

مما تقدم يفهم ان الانسان مخلوق من البويضة الملقحة بحيوانات الرجل، وهذه هي النطفة الامشاج التي ذكرها القرآن الشريف (٢:٧٦) فان النطفة هي كل ماء

قلّ أو كثر، ففي الرجل نطفة وبويضات المرأة مع السائل السابحة فيه المنفرز من حويصلات (جراف) ومن البوق يسمى أيضا نطفة، والامشاج الاخلاط، فاختلاط المني بهذا السائل الذي فيه البويضة هو الضروري للحمل

ولا يتوهمن احد ان نزول البويضة من المبيض مما تشعر به المرأة أو تلتذ له بل هو شيء لا تشعر به مطلقا

ولا يمكن رؤية البويضة بالعين المجردة وان كانت من الخلايا الحيوانية الكبيرة، فان قطرها ٠.٠٢ من المليمتر. اما قطر كريات الدم البيضاء فهو ٠.٠١ و قطر الحمراء ٠.٠٧٥ من المليمتر

واعلم أن الخصيتين تتكونان في الجنين في بطنه خلف البريتون وتحت الكليتين بقليل ثم تنزلان شيئا فشيئا حتى تكونا في الصفن في الشهر التاسع من الحمل فاذا ولد الجنين قبل ذلك في الشهر السادس مثلا كان الصفن خاليا منها وفي أثناء التكوين تنقسم بويضة المرأة كلها داخل غشائها الذي يتمدد تدريجيا كلما كبرت وكذلك بويضة الحيوانات الثديية، أما بويضة الطيور فينقسم جزء منها فقط — كما تقدم —

أما العلقة المذكورة في القرآن الشريف فهي أول أطوار الجنين وتكون مركبة من عدة خلايا صغيرة ككريات الدم لم يتميز شيء من أجزائها، وهذه الخلايا تنشأ من انقسام البويضة بعد التلقيح الى عدة خلايا فلذا تشبه علقة الدم (١) (Clot) خصوصا التي تتكون من الكريات البيضاء التي تسمى بالانكليزية (Buffy coat) (راجع ص ٤٨ من هذا الكتاب وص ٤١٠ من كتاب فسيولوجيا هاليبرتون Halliburton)

فاذا نمت هذه العلقة أخذت تنوع خلاياها وتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر، ويكون حجمها في آخر الشهر الاول كحجم بيضة الحمامة وهي (المضغة) لانها تكون قدر ما يمضغ في الفم، وبعضها مخثاق والبعض الآخر غير مخلق كما قال تعالى

(١) يجوز ان يراد بالعلق في قوله تعالى (خلق الانسان من علق) الحيوانات

المنوية التي تلتصق بالبويضة

في سورة الحج (٢٢ : •) وما يظهر في ذلك الوقت الاطراف العليا والاطراف السفلى ، ويتميز القسم الايمن من القلب عن القسم الايسر ، ثم تظهر آثار العظام الاخرى

وفي الاسبوع السابع يتبدى ظهور العضلات بعد ظهور العظام المذكور ، وذلك بتنوع الخلايا التي كانت محيطة بالعظام ، والمراد بالعظام هنا الفضاريف التي تصير عظاما كما أن المراد بالخرف في قوله تعالى (أراني أعصر خمرا) العنب الذي يصير عصيره خمرا فاذا تم نمو الجنين وولد خرج وهو لا يدري شيئا ثم يتعلم كل شيء بالتدريج حتى يصير كأنه خلق آخر فبعد أن كان لا يعي شيئا يصبح يخترق الحجب بعقله ويصل الى الملكوت الاعلى بفكره (فتبارك الله أحسن الخالقين)

وما تقدم تجد أن الاطوار المذكورة في القرآن هي عين الحقيقة وهاك بيانها كما وردت في سورتي الحج والمؤمنين : —

(١) طور النطفة وهي الماء فتطلق على مني الرجل وعلى السائل الذي تسبح فيه البويضة ، وأصله من حويصلة جراف ومن البوق — كما سبق —

وفي هذا الطور تلقح الحيوانات المنوية البويضة فتكون النطفة — بمبارة القرآن — أمشاجا

(٢) طور العلقة وهو طور انقسام البويضة بعد تلقيحها الى عدة خلايا متماثلة لا تمتاز واحدة منها عن الاخرى ، وتكون كقطعة الدم الجامدة

(٣) طور المضغة وهي البويضة اذا كبرت حتى صارت قدر ما يمضغ ويكون بعضها مخلقا وبعضها غير مخلق . وهو طور التخليق والتكوين الابتدائي

(٤) طور الانمام وذلك يتبدى بظهور الاجزاء الرخوة كالمضلات التي تكسو العظام ، وينتهي هذا الطور بنام الخلق

(٥) طور التربية والتعليم بعد الولادة وهو المبرهنه في القرآن بالخلق الآخر لان الانسان الذي كان أحمط من الدابة يصبح أرقى الاحياء قاطبة . لذلك قال سبحانه جل شأنه (وقد خلقكم أطوارا)

هذا وقد يحصل التلقيح فاذا وصلت البويضة الى الرحم وعلقت به وماتت

بسبب ما كالتباب غشائه طردها الرحم أو امتصها، وهذا الامتصاص هو المعبر عنه في القرآن الشريف ٨:١٣ بقوله « وما تغيض الأرحام » وقد يمتص الرحم الجنين أو أحد التوأمين في أحوال أخرى

أما قوله تعالى (يخلفكم في بطن أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث) فالظلمات إما أن يراد بها ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الأغشية الجنينية المحيطة بالسائل الأمنيوسي

وأما ان تكون الظلمات هي: ظلمة المبيض الذي تكون فيه البويضة في داخل حويصلة جراف ، ثم ظلمة البوق حينما تتلفح البويضة بالحيوانات المنوية ، ثم ظلمة الرحم الذي يتخلق فيه الجنين

وفي أثناء الولادة تنقب أغشية الجنين وينسكب ماؤها فيخرج الجنين ثم تبعه هذه الأغشية مع المشيمة (وهي أغلظ جزء في الأغشية وفيها يندغم الحبل السري ومنها يتغذى الجنين واليا تخرج فضلات جسمه) وأيضا تسقط أغشية الرحم ، ثم تتجدد بعد الولادة . والجنين في بطن أمه لا يتنفس ولا يأكل ولا يشرب وإنما يأخذ من دم أمه ككل ما يحتاج إليه ، وكذلك لا يبرز بل تتجمع في أمعائه إفرازات الكبد والأمعاء وتخرج بعد الولادة وتسمى بالبرقي

وقد يبول الجنين في بطن أمه في أشهره الأخيرة فإن السائل الأمنيوسي وجد فيه مقدار قليل من البولينا بسبب بول الجنين فيه

ومقدار السائل الأمنيوسي نحو لتر أو اثنين عادة ، ووظيفته حماية الجنين من الضغط عليه ، وحفظه من التصاقه بالأغشية، وتمديد عنق الرحم عند الولادة وغسل المهبل حينئذ

والجنين يتحرك في بطن أمه بنفسه وبحركاتها وهذه الحركات تشعر بها الأم، وتبتدى في الشهر الخامس غالبا

وقد يحصل حمل فوق حمل بمعنى انه اذا حصل جماع بعد الحمل الاول ببعض أسابيع يجوز أن يحصل حمل آخر ، وهذا غير الحمل التوأمي المشهوره فان حبه أن تتلفح فيه بويضتان أو أكثر في وقت واحد أو وقت قريب ، أو يكون

للبيضه الواحدة أكثر من نواة، وإذا كانت البويضات من مبيض واحد كانت التوائم من نوع واحد ذكرا أو أنثى بحسب المبيض اليمين أو اليسار . وتكون التوائم أيضا من نوع واحد إذا كانت ناشئة من بويضة واحدة ذات نويات متعددة

أسباب العقم

هذه الاسباب عديدة ، منها : أن يكون السبب فساد زرع الرجل لمرض في خصيتيه ، ومنها مرض المبيضين أو البوقين أو الرحم نفسه، أو وجود افرازات في المهبل شديدة الحوضه بحيث تقتل الحيوانات المنوية . وأشهر الامراض التي تحدث العقم في الرجل والمرأة داء السيلان . ومن الاسباب أيضا الجماع المختلط كما في الزنا بأن يتوارد عدة رجال على امرأة واحدة ولذلك قيل في المثل الإنجليزي « لا ينمو العشب حيث يكثر دوس الاقدام »

ومن الاسباب أيضا ما لم تعرف الى الان حقيقته كأن تكون المرأة والرجل سليمين من كل آفة ومع ذلك لا يأتیان بنسل فاذا تزوج هذا الرجل امرأة أخرى وتزوجت هي رجلا آخر أنتج كل منهما

وإذا أريد منع الحمل فلا طريقة أحسن لذلك سوى قتل الحيوانات المنوية أثناء الجماع، وذلك بنوع سوائل أو غيرها في المهبل تكون قتالة لما كحلول السليمان بنسبة ١ - ٢٠٠٠ ومحلول حمضي من سلفات الكينين ، فتغمس قطعة من القطن بهذه السوائل أو غيرها وتحشى في المهبل بحيث تسد فوهة الرحم ، فهذه الطريقة في الغالب قد تبطل الحمل ما دامت مستعملة فاذا تركت غاد الحمل

مراعاة الصحة في الجماع

الاكثر من الجماع ضار جدا مؤد الى الضعف الجسدي والعصبي ويعرض الانسان الى امراض كثيرة كالالتهابات الكلوية والشلل العام للمجانين ويحدث الاصفرار وخطقان القلب وضعفه فلذا يجب اجتناب الافراط فيه ، والحدود منه طبا هو ما نصوا عليه في كتب الشرع وهو انه ينبغي اذا اشتبه النفس اشتها حقيقيا بدون أن يهيج الانسان شهوته يهيج ما . وتختلف الرغبة في الجماع والقدرة عليه باختلاف الاشخاص ، ولذلك لا يمكننا تحديد القدر الصحي منه بالضبط ، والغالب

انه لا يضر الانسان اذا اتاه مرة أو مرتين في الاسبوع بشرط أن يكون سليم
البنية قوي الجسم

ولا يجوز اتيان الحائض شرعا وطبا - كما سبق بيانه - وكذلك لا يجوز
الجماع عقب الاكل مباشرة ولا عقب التعب الجثماني او العقلي الشديد. واحسن
وقت له ان يكون بعد مضي الثلثين من وقت النوم او النصف فان النوم بعده نافع
للجسم مانع من اصابته ببعض الامراض كالزكام والسعال وغيرها مما قد ينشأ عن
الضعف الذي يحدثه. اما ضرره في اول الليل فهو لان الجسم في ذلك الوقت يكون
تعبان والمعدة في الغالب تكون ممتلئة فلذا يحسن النوم قبله وبعده.

ومن اهم ما يقوي الجسم وينشطه على هذا العمل ويزيل الآلام ويمنع
بعض الامراض التي قد تنشأ عنه - الفسل خصوصا بالماء الحار، ولذلك كان الفسل
واجبا شرعا

أما الاستمناء باليد فهو من أضر الأشياء للصحة والعقل وهو أضر بكثير من
الافراط في الجماع، فانه يضعف قوى الجسم والمنخ والاعصاب، وكثيرا ما يصاب
صاحبه بالهرع أو الجنون. وهذا الضرب من الاستمناء يسمى أيضا (جلد عميرة)
وينسبه الافرنج الى رجل من بني اسرائيل من أبناء يهوذا يسمى (أونان) ولكن
الوارد في التوراة أن هذا الشخص كان يأتي العزل لا الاستمناء باليد وغضب الله
عليه لانه لم يرد ان يقيم نسلا لاجيه (راجع سفرائتكوين ٦:٣٨ - ١٠)

ومن البنات من تفعل هذا الفعل القبيح أيضا خصوصا اذا كان بظهرها كبيرا
ولم يقطع

أما العزل من الوجهة الطبية فهو أيضا مضيع للذة مضر بالصحة، والظاهر انه
مكروه في الشريعة الاسلامية، ولذلك بين رسول الله (ص) في الحديث السابق
انه من العيب الذي يتزه الماقل عنه، خصوصا لانه مضيع للذة بلا فائدة محققة
وقال فيه أيضا (ذلك هو الواد الخفي) وذلك لانه وإن لم يكن مانعا محققا للنسل
فهو لاشك مقلل له كثيرا فكان اتيانه لذلك مذموما لانه ينافي كثرة التناسل التي
حث عليها رسول الله (ص)

مضار الزنا

للزنا مضار كثيرة، منها الاصابة (١) بالداء الافرنجى (٢) أو السيلان (٣) أو القرحة الاكالة (٤) أو القرحة الرخوة (٥) أو القمل المائي وغيره . ويوجد بعض أمراض أخرى جلدية وباطنية قد تعدى بسببه مثل الجرب والارضة (Tinea) والسل الرثوي . ولا تنس مع هذا مضاره الادبية والدينية والاجتماعية والمالية وكل هذه الاشياء الاخيرة ليس من غرضنا التكلم عليها هنا . واليك بعض تفصيل ما ينشأ عنه من الامراض : -

(١) الافرنجى : ويسميه الافرنج (Syphilis) وهي كلمة غير محقق أصلها ويمكننا أن نسميه بالعربية (التهوئيش) وبلسان العامة (التشوئيش) وأما كلمة الزهري فهي في الحقيقة نسبة لجبل الزهرة - كما سبق - وتطلق عند الافرنج على أهم الامراض التي تنشأ عن الجماع فهي عندهم ليست خاصة بهذا الداء . وأصله من أمريكا ودخل مصر بدخول الافرنج فيها ولذلك سمي « بالداء الافرنجى » ولهذا الداء ثلاثة أطوار :

(١) الطور الاول ظهور القرحة وهي شيء كالدمل يظهر في العضو مكان التلقيح بالميكروب، فمثلا اذا جامع الرجل امرأة مصابة بهذا الداء وكانت قروحها في فرجها فقد ينتقل اليه الداء وتظهر عنده هذه القرحة الاولى في فرجه أو ما قاربه كالعانة، وكذلك اذا قبلها في فمها مثلا وكان فيه شيء من قروحها وبثورها ظهرت في فمه أولا . وقد ينتقل بواسطة أدوات الاكل والشرب وغيرها وهذه القرحة تظهر عادة بعد خمسة أسابيع من الجماع أو التقبيل وغيرها، وذلك لان ميكروب الزهري (وهو حلزوني الشكل) (١) اذا انتقل الى الانسان يتكاثر في جسمه حتى يمتلئ الدم به وعندئذ تظهر القرحة الاولى . ويسمى هذا الزمن الذي بين التلقيح بالميكروب وبين ظهور القرحة بطور الحضانة أو التفريخ

(١) اكتشف هذا الميكروب سنة ١٩٠٥ وهو أدق وألطف من كثير من الميكروبات الحلزونية ، يسمى (Spirochaeta Pallida) والكلمة الاولى يونانية بمعنى الحلزون، والثانية لاتينية معناها الاكند (الباهت) لتعسر رؤيته بالمجهر

وما يساعد على دخول الميكروب وجود أي جرح أو سحج في بشرة الجلد الذي يلامس المرأة المصابة ولكنه غير ضروري، والقروح الافرنجية الاولى منها ما يكون صلبا ومنها ما يكون رخوا تسيل منه مدّةً وصديده. وهذه القروح كثيرة في فروج الزناة والزانيات

(٢) الطور الثاني ظهور طفح مخصوص في الجسم كله، له أشكال متعددة، مع قروح في الاغشية المخاطية أيضا، وله أعراض أخرى غير ذلك كضخامة الغدد اللمفاوية في الجسم كله خصوصا في الاربية والقفا . وكانوا يقولون ان الطور الاول والثاني هما المديان دون الثالث . ولكن ثبت الآن حصول العدوى في جميع الاطوار الثلاثة ، إلا أنها في الاخير منها قليلة جدا أو نادرة . وإذا تزوج شخص مصاب أصيب نسله بالافرنجي أيضا . ويتبدى ظهور الطور الثاني بعد مضي ٦ أسابيع الى ٣ أشهر من ظهور القرحة الاولى

(٣) الطور الثالث هو عبارة عن ظهور اورام متعددة تصيب أي جزء من أجزاء الجسم، وهذه الاورام عبارة عن مادة تشبه الازرار اللحمية التي تلتحم بها الجروح، وتسمى هذه الاورام بالاورام الصغية . وإذا أصابت أي جزء من الجسم افسدته وشوهته، وكثيرا ما تبطل عمله او تعطله على الاقل وهذا الطور يتبدأ بعد سنة او سنتين من مبدأ التلقيح وربما استمر الى نهاية العمر بأشكال متعددة تختلف باختلاف العضو المصاب

ومن المشاهدات الغريبة في أمر هذا الداء ان الطفل المولود من أب مصاب به لا يعدي أمه وانما يعدي المراضع الغريبات ويسمى ذلك بقانون كوللس [Colles] ويعالون ذلك بأن الام تلقحت بالمرض تلقحا خفيفا لم تظهر أعراضه والافرنجي من الادواء العضالة التي يمكننا أن نقول انها من أهم الاسباب لامراض جميع أعضاء الجسم، ويؤثر في الاعصاب تأثيرا سيئا جدا فيحدث فيها أنواع كثيرة من الشلل والاسلام، وقد يؤدي الى المرض المذكور سابقا المسمى بالشلل العام للمجانين. ويكفي في ذمه أن نقول ان ضرره ليس قاصرا على الشخص

نفسه بل قد يقتل جنينه في بطن أمه واذا ولد كان النسل ضعيفا مشوها مصابا بالقروح المتنوعة وغيرها

وأحسن الادوية له في الطور الاول والثاني الزئبق ومركباته، وفي الطور الثالث يودور البوتاسيوم ، وكذا حقنة ٦.٠٦ (١) أو ٩١٤ في الاوردة أو في العضلات — وكل منهما مركب زرنيجي — استعمل أخيرا في معالجته، وسيأتي الكلام عليها تفصيلا في الجزء الثاني . وللوقاية منه يجب غسل ما لامس المريض غسلا جيدا بالماء والصابون ثم بالادوية المطهرة كالسليمانى وغيره بنسب مخصوصة بعد اللمس مباشرة

(٢) السيلان

السيلان داء يصيب بعض الاغشية المخاطية وغيرها فيحدث فيها التهابا يسيل منه صديد ، وله ميكروب مخصوص معروف . واكثر الاعضاء اصابة به الفرج والدبر والانف والعين — ويسمى فيها بالرمد الصديدي — ومن مضاعفاته التهاب الخصيتين والخراجات الاربوية والتهاب المثانة والتهاب الرحم والبوقين والمبيضين وغير ذلك ، وقد ينشأ عنه مرض في المفاصل مؤلم جدا ويكون معضلا (عسر الشفاء) وهو من اعظم الاسباب المؤدية للعقم في الرجل والمرأة — كما سبق —

(٣) القرحة الاكالة

هي قرحة مخصوصة تضاعف القروح الافرنجية وغيرها ، ولكن حصولها في القروح الافرنجية أكثر منه في غيرها ، فاذا اصابته القضيبي مثلا أو الفرج أكلته كله أو بعضه وربما اقدت الانسان خاصية التناسل طول حياته فيضيع نسله

(٤) القرحة الرخوة البسيطة

هي قرحة أخرى لها ميكروب مستطيل الشكل أكثر ما تصيب الفرج في الذكور والانثى فتذهب منه جزءا صغيرا ، وكثيرا ما تسبب خراجا في الاربوية أيضا وهي من أهون الامراض الزهرية (أي التي تنشأ من الجماع)

(١) اخترعت سنة ١٩٠٩ ميلادية وسميت بذلك لان مخترعها وفق اليها بعد

عمل ٦.٠٦ من التجارب

(٥) القمل

يشاهد في كثير من الاشخاص قمل في رؤوسهم واجسامهم وعانتهم . وهو ثلاثة أنواع ، وينتقل من شخص الى آخر باللماسة أو المجاورة، وقمل الجسم هو السبب الوحيد لنقل الحمى التيفوسية والحمى الراجعة قطعا ، فلذا يجب العناية بتنظيف الجسم منه . زد على ذلك كونه يحدث حكة في الجسم ويقلق راحة الانسان، وقد تنشأ عنه حمى غير الحميات المذكورة آنفا لسم فيه أو لاضطراب عصبي يحدث من قرصه . ومن الطرق لازالته غلي الملابس وحلق الشعر والادهان بزيت الصخر (البترول) ومرهم الراسب الابيض - اذا كان الجزء المصاب محدودا - والا اكتفي بما ذكر قبله خوفا من امتصاص الزئبق الذي في هذا المرهم فيسم الجسم، وتجب اطالة مدة غلي الملابس فانه شوهد أن بعضه يعيش في طيات الثياب وان وضعت في الماء الغالي مدة خمس دقائق أو أكثر . ويبض قمل الجسم (الصئبان) يشتمل أيضا على ميكروب الحمى التيفوسية والحمى الراجعة فاذا ققس وخرح منه قمل جديد كان ناقلا أيضا لهذين النوعين من الحمى

(٦) الجرب

الجرب داء يصيب الجلد خصوصا ما بين الاصابع والفخذين وأعضاء التناسل . وينشأ من حيويين أصغر بكثير من القمل العائلي يسمى باليونانية أكاروس [Acarus] (ومعناها لا يتجزأ) وله ذكر وأنثى، أما الانثى فبعد ان يلقحها الذكر تتخذ من الجلد جحورا تبيض فيها نحو خمسين بويضة ويبقى الذكر فوق سطح الجلد ، فاذا أفرخت البويضات خرجت حيويينات جديدة ، وانما تفرخ البويضات حينما تظهر على سطح الجلد بزوال البشرة وتأكلها بالتدريج ، وتحمل الاناث من جديد وتقب الجلد أيضا كامهاتها وهلم جرا ، وما تحدثه هذه الحيويينات في الجلد من التهيج يكون سبب تحصل به حكة شديدة تنشأ عنها قروح وبثور تؤدي الانسان كثيرا

ومن أحسن طرق علاجه الاستحمام بالماء والصابون مع الدلك الشديد جدا حتى يزول جزء من البشرة وتفتح الجحور بقدر الامكان ثم يدهن الجسم بمرهم

الكبريت، ويجب غلي جميع الملابس وكل ما لامس جسم المصاب منعا لتكرار العدوى له أو انتقالها الى غيره، ويتكرر الاستحمام والادهان بالمرهم بضعة أيام حتى يزول الداء

(٧) الارضة

الارضة داء - يسمى باللاتينية تينيا Tinea^(١) - يصيب الجلد أو الرأس أو الاطراف فيحدث بهما التهابا وحكة، وهو ينشأ من نمو فطر (أحياء نباتية مجهرية) في هذه الاجزاء. وأحسن علاج له النظافة التامة والادوية المطهرة كالمراهم الزئبقية والكبريتية وصبغة اليود ونحو ذلك، ولكن يجب قبل ذلك نتف شعر المكان المصاب أو حلقه - والنتف أولى - وكذلك تغلي الملابس لمنع تكرار العدوى

(٨) السل :

سنفصل القول في السل تفصيلا في باب الامراض المعدية ان شاء الله، ويكفي ان نقول هنا كلمة مختصرة في عدواه بطريق التنفس :

ينشأ هذا الداء من ميكروب مستطيل الشكل كالعصية ولذلك يسمى باللاتينية باسيلس (Bacillus) أي العصا الصغيرة^(٢) اكتشفه البكتيريولوجي الالمانى الشهير المسمى كوخ (Koch) سنة ١٨٨٢ م وهو يوجد كثيرا في بصاق المصابين بالسل ويخرج أثناء السعال في ذرات البلغم وينتشر حول المصاب الى بعد متر ونصف تقريبا فيكون الجو حوله ملوثا به، فاذا دخل مع التنفس في رئة شخص مستعد لهذا الداء أصيب به، وذلك بتكون درنات صغيرة بيضاء اللون في الرئة أو غيرها، وهذه الدرنات تكبر وتتكاثر وينضم بعضها الى بعض وتحدث التهابا فيما حولها من الرئة، ثم تستحيل الى قيح فتتأكل الرئة بسببها وتحدث فيها تجاويرف تسمى بالكهوف. ويحصل سعال شديد مصحوب بدم أو صديد وترتفع حرارة المريض وتضعف قواه وينحف جسمه ويصاب بالارق من كثرة السعال وغيره وبالعرق الكثير بالليل، وقد يحصل له اسهال متعاص أو بحة في الصوت من التهاب الحنجرة وتقرحها وغير ذلك حتى تنهك قواه فيموت

(١) معناها الحرفي «الدودة القارضة» (٢) و بعضهم يقول «باشلس»

مضار الزنا الاجتماعية

هذا واننا نحتم هذا المبحث بذكري ونصيحة اذا لم تكن من وظيفة الطبيب من حيث هو طبيب فهي مما يحسن منه من حيث هو انسان ، وهي التحذير من مضار الزنا الاجتماعية . وليس من غرضنا التكلم عليها هنا تفصيلا - كما قلنا - الا اننا نذكر الناس اجمالا بحقيقة لا تعزب عن عقل المفكر : تلك أن الزنا يفتقد المحبة الابوية لنسل الزانيات فلا يهتم المرء بحياة الاطفال ولا بصحتهم ولا بتربيتهم ولا بمستقبلهم اهتمام من يعلم أن المولود هو ابنه حتى يؤثره على نفسه في كل شيء غالبا فيكثر بسبب الاهمال موت الاطفال أو قتلهم ، وتسوء صحتهم وتفسد أخلاقهم ، ويصبحون عائلة على المجتمع أو متشردين مفسدين . ولا تحسن الام وحدها القيام بتلك الشؤون على ما لديها من الشواغل والصوارف عنها ، كتحسين منظرها وملاقة الرجال المتنوعين والملق لكل منهم والتعجب اليهم ، فهذه الشؤون لا تدع لها وقتا ولا قلبا توجهه الى شيء آخر ، ولذلك ترغب الزانيات عن النسل ويقتلنه اذا وجد ، أو يلقين به في الطرقات ، وفي ذلك من الاضرار بالامة ما فيه . زد على ذلك أن الزنا يحدث البغض والحقد والحسد بين الافراد والبيوت ، ويقطع كل رابطة للمودة والرحمة بين المرء وزوجه ، ويحمل الناس على خيانة بعضهم بعضا ، وعلى الكذب ، ويضيع الحقوق في الموارث ائالية وغيرها ، فتفسد الاخلاق ، وتكثر الشجاء والمخاصمات التي تسفك فيها الدماء ، وتستباح الاموال والاعراض ، فتتنافر الامة ويتناقص عددها ، وتزول روابط المحبة من بين افرادها ، وفي ذلك هدم وازالة لمرزا وسلطانها ، وتقويض دعائم بنائها ، فتهدم في مهاوي الفساد حتى تستقر في الدرك الاسفل من الفقر والضعف والانهيار والتأخر . لذلك وصف الله تعالى الزنا بقوله (انه كان فاحشة وساء سبيلا) لما يوجد بين الناس من البغض والحقد والكراهية فيهدم أركان الاسرة أولا والامة ثانيا والمجتمع الانساني ثالثا

اللوواط

الامراض التي تنشأ عنه هي عين الامراض السابقة تماما ، وتزيد عنها غالبا في احداث جروح في الذكور وفي الشرج ، واذا تباعفت هذه الجروح ببعض

الامراض نشأ عنها مالا تحمد عقباه ، وترتخي عضلات الشرج حتى قد يسهل نزول البراز وغيره بغير ارادة الانسان ، وهو مفسد للاخلاق ومييد للشهامة والرجولية ، وقاض على الآداب كافة ، وما انغمست فيها أمة الا انحطت وتدهورت لتخث رجالها وذهاب نجاتهم ومروءتهم وهمتهم ، فلا تصلح بعد ذلك لمقاومة اعدائها فيتغلبون عليها وتفيد شيئا فشيئا ، زد على هذا ان الرجال المنغمسين في تلك الشهوة الدنيئة يقل ميلهم إلى النساء كثيرا فيقل عدد الامة فتضعف أيضا من هذه الوجهة ، نعم ان اللواط أخف ضررا من الزنا من وجهة واحدة اجتماعية وهي انه لا تضيق بسببه الانساب ولا توجد به القعاء ، فهو أقل بذلك اضاءة لحقوق العباد والاولاد . أما تحريمه فيكفي في بيانه ما ورد في القرآن الشريف في قصة لوط ، وأما حده فقد ورد فيه قوله تعالى على أصح التفاسير (واللذان يأتيانها منكم فأذوهما) الآية فلولي الأمر أن يؤدي أهل اللواط بما تنفق عليه الامة من العقاب الرادع لاهل هذه الطائفة المحقرة الدنيئة

وقد أجمعت الامم على استقباح هذه الشهوة البيمية حتى سماها الانجليز « الرذيلة المغايرة للطبيعة » [Unna tural Vice]

سن الزواج بالفتيات

كتبت مقالة بهذا العنوان حينما أراد أحد المحامين المصريين (زكريا بك نامق) أن يطلب من الحكومة سن قانون تحد فيه سن الزواج للبنات بالسنة السادسة عشرة ، ولاشتمال هذه المقالة على عدة فوائد تناسب الفصول السابقة في الكلام على الجهاز التناسلي أردت اثباتها هنا لافادة قراء محاضراتي هذه . وقد أنصف هذا المحامي الفاضل فكف عن اقتراحه هذا بعد ظهور مقالتي هذه في الجرائد ومقالات غيري من أفاضل الاطباء والفقهاء و [سحبه] بعد أن قدمه للجمعية التشريعية

وهاك نص مقالتي كما نشرت في عدد ١٠٩٥٦ من جريدة الاهرام الصادر يوم الخميس ١٢ مارس سنة ١٩١٤ - ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٣٢ :-

لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بالشرعية الاسلامية الفراء وبالمسائل

العلمية والاجتماعية والقانونية أردت أن أمحصه تمحيصاً ، وأحرر مسأله تحريراً ، ليصل حكماً فيه الى نتيجة نافعة للامة مبنية على أساس متين من البحث والنقد حتى لا يكون مبنياً على التسرع وحب التقليد فأقول :

من المعلوم أن سن البلوغ يختلف باختلاف حرارة الجو والبيئة والوراثة . ففي الهند مثلاً كثيراً ما تبلغ الفتاة في السنة التاسعة من عمرها ، ولكن في البلاد الباردة كأنجلترا نجد أن سن البلوغ هو من ١٤ - ١٦ سنة ، وفي البلاد التي هي أشد برداً منها يحصل البلوغ في السنة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة . أما في مصر فالغالب أن يكون في السنة الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ، وذلك في مثل مديرية الجزيرة لافي مثل مديرية اصوان . والبيئة أيضاً تؤثر في زمن الحيض ، فانك ترى ان الفتيات اللاتي يكثرن من الاختلاط بالشبان يسرع مجيء الحيض اليهن ، وكذلك اللاتي يكثرن من قراءة الروايات الغرامية ونحوها ومشاهدة تمثيلها ، أما الوراثة فهي تؤثر أيضاً في قرب زمن البلوغ فاذا بلغت الام وهي صغيرة جداً كانت ابنتها مثلها في ذلك

وفي سن البلوغ يكبر الحوض ويظهر شعر العانة وتكبر أعضاء التناسل والثديان وتستعد المرأة للقيام بوظيفتها التناسلية التي خلقت لاجلها . وقد اتفقت كلمة علماء التشريح على أن نمو عظام الحوض الذي من شأنه أن يؤثر في سعة أقطاره يتم في زمن البلوغ أو بعده بقليل ، وذلك لا ينافي أن التحام عظام الحوض لا يتم الا في نحو الخامسة والعشرين غالباً ، واذا حملت المرأة لانت مفاصل حوضها وتمددت ، لا فرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة ، وانما اذا تأخرت المرأة في الزواج ييست عضلات العجان والرحم ، وربما نشأ عن ذلك اجهاض أو عسر في الولادة بسبب عسر تمدد هذه الاجزاء التي تفقد مرونتها الطبيعية كلما كبرت البنت ، ويغلب العقم أيضاً فيمن يتأخرون عن الزواج

وقد وجد بعض الباحثين مثل (بروس ودنلوب) في بلاد الحبشة والبنغال أمهات لا يزيد عمر احداهن عن احدى عشرة سنة ، وكذلك وجد في أوربة (وان كان ذلك قليلاً) أمهات ولدن أولاداً أصحاء في السنة الثالثة عشرة من

عمرهن حتى وجدوا بنتا حاملا في سويسرة في السنة التاسعة ، وظهور الحيض في هذه السنة ليس نادرا في أوربة كما تقول كتبهم

لذلك كله ولغيره اعتبرت الشريعة الانكليزية مثلا ان السن القانونية للزواج « عندهم » هو ١٤ للذكور و١٢ للاناث، أما زواج الاطفال القاصرين فمعتبره صحيحا بشرط أن لا يبدو من الطرفين اذا وصلا الى سن البلوغ طعن في العقد السابق (راجع صفحة ٥٦ من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفرير الانكليزيين) فن أعجب العجائب بعد ذلك ان يقوم بعضنا في هذه الايام ويطلب تضيق شريعتنا الاسلامية الغراء بما لم يفعله الانكليزي في بلادهم الباردة وهم أرقى منا بكثير في سائر شؤونهم العلمية والمدنية والاجتماعية !!

أما زعم هؤلاء المضيقين أن الفتاة اذا تزوجت قبل تمام نموها وقف هذا النمو فهو غير صحيح، بل تكذبه المشاهدة العامة، فان الحمل لاشك يسرع في تمام نمو الجسم كله، ولذلك نجد الفتاة بعد الولادة يكبر جسمها بأسرع من الفتاة التي لم تزوج. أما دعوى أن الفتاة اذا حملت وهي صغيرة ضعف جسمها عما اذا حملت وهي كبيرة فهي غير مسلمة ولا يمكن اثباتها اثباتاً قطعياً وإنما هي دعوى يرددها بعض الأطباء تقليدا لبعض بلائحت ولا تمحيص، فان الفتاة الكبيرة تكون ليس أعضائها أكثر عرضة للعقم وللأجهاض أو عسر الولادة من الفتاة الصغيرة - كما سبق - ولا يخفى ما ينشأ عن الأجهاض وعسر الولادة من المضاعفات المرضية كفقير الدم الشديد بسبب النزف الرحمي والتمزقات المعجانية وما يتبعها كالتواصير وسقوط المهبل أو الرحم وغير ذلك، بل ربما قضت المرأة نجبتها في الأجهاض أو الولادة العسرة. نعم ان الطفل المولود من الفتاة الصغيرة يكون في أول الامر أصغر جرما من الذي ولد من الفتاة الكبيرة، ولكنه لا يكون أقل صحة منه، وصغر حجمه هذا لا يلبث طويلا بل يزول شيئا فشيئا مدة التربية. أما علم الوالدة بتربية الطفل فذلك يتوقف على مقدار ما اكتسبته في هذا الموضوع ودرجة صلاحيته وسهولة تلقيه لها أثناء دراستها المدرسية أو البيتية، فان كانت تلت شيئا نافعا في هذا الامر ولو كان مختصرا أفادها أكثر من التي قضت مسنين عديدة من حياتها الأولى في دراسة الجغرافيا

مثلا والهندسة والجبر

وإذا كانت الطبيعة لم تبخل على الفتاة الصغيرة باعطائها الحمل والولد فكيف ننظر عليها الزواج ولنا أعلم باستعدادها ولا أشفق عليها من الطبيعة؟^(١) وأي شيء جرى عليه الناس طبق سنن الكون ونواميس الوجود وكان ضرره غالبا على نفعه ومحققا كما يدعون في هذه المسألة؟ أليس التضيق الذي يطلبونه مصادما للشرائع الإلهية والقوانين الوضعية، بل والسنن الكونية؟ فأى دليل قطعي عديم عليه يعتمدون؟ أما مضار تأخير زواج الفتاة بعد بلوغها في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كما هو الغالب عندنا في مصر فنما زيادة الشهوة عندها التي قد تفسد أخلاقها أو تجرها إلى الفسق أو اللطاف (استثناء المرأة بيدها) أو السحاق وكلها أشياء يشتد الميل إليها في أول البلوغ ولذلك يكثر وجودها في البلاد التي تتأخر فيها البنات عن الزواج. ولا حاجة بي هنا للتكلم على ما ينشأ عنها من المضار والمفاسد فانها معروفة شهيرة، والأمسك عن الجماع مع فرط الشهوة مضعف للجسم والاعصاب، مؤد إلى سوء الخلق وضعف العقل، مورت للهستيريا أو الجنون والشقيقة وعسر الطمث، وغير ذلك وهناك بعض أسباب كثيرا ما تحمل الناس على التمهجيل بالزواج كالتقرب أو فقد من يقوم بشؤون البنت وتربيتها وكفالتها وحفظها من الوقوع في مهاوي اللذائس والمار، ولذلك تروى أن الشريعة الإسلامية وغيرها كالانكليزية أباحت في جميع الأعمار حتى للأطفال، إلا إذا كانت البنت غير مطيقة للجماع، فيحرم في شريعتنا تسليمها للزوج حتى تطيق. وإذا عقد أولياء الأمر على طفل وطفلة أباح لها الإسلام فسح العقد إذا بلغ ما لم يكن الذي تولى الأمر الأب أو الجد فانها أدري الأولياء وأعلمهم بمصلحة البنت وأشدهم محافظة عليها وأكثرهم رغبة في نفعها الصحيح وإبعاد كل ضرر عنها. فأى عيب في هذه الشريعة حتى أردنا الخروج عنها والاشتمزاز منها، مع أنها تشبه شريعة الانكليزية في ذلك وهم من أرقى أمم الأرض الآن !!

(١) المنار: كان ينبغي لصديقنا الدكتور أن يقول هنا: وإذا كان الخاطئ العلم الحكيم قد أعد الفتاة في سن كذا للحمل الخ

وإذا علمت أن سن البلوغ يختلف باختلاف البلاد وأحوال أهلها تبين لك السبب في عدم تحديد الشريعة الإسلامية لهذه السن اشترطت بل اشترطت الاطاقة، ولم تمنع العقد على الاطفال، اما في ذلك من المنفعة للناس، كأن يريد شخص أن يضمن لنفسه الانتفاع بمال بنت أو جاهها أو الاتساب الى بيتها أو نحو ذلك، أو يكون له غرض آخر كالرغبة في النفقة عليها واحسان تربيتها لجمالها، أو لتقدمها الاهل والمعين من أقاربها

وبسبب سرعة البلوغ في البلاد الحارة كالمند وبلاد العرب فشت في الشرق عادة تزويج البنات الصغار كما هو معلوم، حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت خطبت قبل رسول الله (ص) وعمرها سبع سنوات لجبير بن مطعم بن عدي، وهو يدل على أنها كانت قد قاربت البلوغ في تلك السن ولذلك عقد عليها الرسول (ص) وقتئذ ودخل عليها في التاسعة من عمرها، فالظاهر أنها كانت قد بلغت حينئذ كما هو الغالب في بنات العرب وأهل المند وغيرهم من أهل الشرق كما سبق بيانه

أما المضار التي يذكرها المضادون لذلك الزواج فهي في الحقيقة ناشئة عن أحد أمرين أو عنهما معاً (الأول منهما) الدخول بالبنت قبل الاطاقة أو قبل البلوغ (الثاني) طريقة المصريين الوحشية في افنضاض البكارة، حتى اني شاهدت مرة بنتاً كادت تموت بنزيف شديد من تمزق في مهبلها نشأ من أصعب زوجها الوحش القاسي، ولكن العيب في ذلك ليس على الشريعة نفسها، بل العيب انما نشأ من الجهل والقسوة وعدم التزام حدود هذه الشريعة العراء التي فيها الكفاية لتقويم المعوج

وهناك فوائد أخرى غير ما تقدم لتزويج الفتيات الصغيرات البالغات (منها) أنهن يحرزن الشهوة في ضعف الرجال حتى انهن يكن سبباً في تقوية أجسامهم وعودة الحياة اليهم، فتزيد قوة الباه عندهم ويتحسن نسلهم. وقد عرف ذلك الاقدمون حتى انه ذكر في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أن داود (عليه السلام) شاخ وكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفأ اشدته ضعفه فأشار عليه عبيده باحضار فتاة جميلة لتحتضنه ليدفأ ففعل ذلك وعاش بضعة شهور مع انه كان في غاية الضعف

والبرودة والاضمحلال (راجع الاصحاح الاول والثاني من سفر الملوك الاول) .
وكذلك فعل الامبراطور (طيار يوس) ليستعيد جسمه الضعيف حرارته الاولى .
وقد أشار (بورهاف) الشهير على عمدة بلدة (ساردام) الذي كان مبتلياً بالنقرص
بأن يبيت مع بنات فتيات، ولما عمل بمشورته تجسنت حاله وزال مرضه (راجع صفحة
٤٦٢ من كتاب تاريخ الانسان الطبيعي) وقد جربوا ذلك العلاج أيضا في الرومانزم
المزمن للشيخ فافاد كثيرا بعد ان يتسوا من الطب والدواء . وقال الكتاب
المذكور ما محصله :

« ان مساكنة البنات الفتيات ذوات الدم الوفير والصحة الجيدة تطاير منها
نشأة منعشة تحترق جسم الشيخ الجاف وتسخن دمه الضعيف الفاتر وتحرك فيه
الاعضاء الذابلة »

وذكر بعض العلماء أن من الشيخوخ من اسود شعره ونبنت أسنانه مرة ثالثة
بعد سقوطها بسبب معاشرة الفتيات الصغيرات، وعادت اليه قوة الجماع . ولا شك
ان صحة البنات في وقت البلوغ تكون أحسن منها في جميع الاوقات الاخرى
فيؤثرن في الرجل تأثيرا قويا مصلحا، فينتفع هو وينتفعن هن بناله أو جاهه،
خصوصا اذا كان من أصحاب الملايين أو الملوك . واذا تزوج رجل مسن بعجوز
مثله ساء نسلهما جدا بخلاف ما اذا كانت هي صبيمة

هذا وليعلم القارئ أي لا أذكر هذه الامثلة هنا لكي يعمد ان ينفذ
الشيخوخ عيش الفتيات بالتزوج بهن كلاً؟ بل الغرض من ذكرها تتميم البحث
وبيان فوائد زواج البنات البالغات الصغيرات واستقصاء تلك الفوائد كلها
والخلاصة أني أرى أنه ليس من الصواب تحديد سن الزواج بالسنة السادسة
عشرة من العمر بل الاصوب عندي أن توضع طريقة تحمّل الناس على شدة مراعاة
حدود الشريعة الاسلامية، وأن يتركوا عاداتنا المصرية القاسية المعروفة في الزواج،
وان كان لا مندوحة عن التحديد فليكن ذلك بعد بلوغ البنت بسنة، أوليجروا في ذلك
حسب القانون المصري الحالي في مسألة عقوبة الفسق بأن يجعلوا سن الزواج (١٤)
سنة فافوق . هذا هو رأيي أبديه باخلاص والله ولي التوفيق، الهادي لاقوم طريق

مقام المشاهدة وعين الجمع (*)

﴿ الدرجة العليا في المشاهدة والفرق فيها بين التوحيد وتخييلات وحدة الوجود ﴾

قال (١) ﴿ الدرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب الى عين الجمع ، مالمكة لصحة الورد ، رابطة بحر الوجود ﴾ صاحب هذه الدرجة أثبت عند الشيخ في مقام المشاهدة ، وأمكن في مقام الجمع الذي هو حضرة الوجود ، وأملك لحل ما يرد عليه في مقامه من أنواع الكشوفات والمعارف ، ولذلك كانت مشاهدته مالمكة لصحة الورد ، أي تشهد لنفسها بصحة ورودها الى حضرة الجمع ، وتشهد كما لها بالصدق ، ويشهد المشهود أيضا لها بذلك ، فلا يبقى عندها احتمال شك ولا ريب وهذا أيضا مورد للمحدد والموحد ، فالله يقول : مشاهدة الجمع هي مشاهدة الوجود الواحد الجامع لجميع المعاني والصور والقوى والافعال والاسماء . وحضرة الجمع عنده هي حضرة هذا الوجود ، ومشاهدة الجمع تجذب الى عينه — قال — وصفة هذا الجذب أن يحل الحق تعالى عقد خليفته بيد حقيقته ، فيرجع النور الفائق على محورة خليفته الى أصله ، ويرجع العبد الى عديته ، فينتى الوجود للحق ، والفناء للخلق ، ويقوم الحق تعالى وصفا من أوصافه نائبا عنه في استجلاء ذاته ، فيكون الحق هو المشاهد ذاته بذاته ، في طور من أطوار ظهوره وهي مرتبة عبده ، فإذا ثبت الحق تعالى عبده بعد نفيه ومحوه ، وإبقاء بعد فنائه ، فماد كما يعود السكران الى صحوه — وجد في ذات أسراره ، وطور صفاته ، وحقائق ذاته ، ومعالم وجوده ، ومطارح أشعة نوره ، ووجد خليفته أسماء مسمى ذاته وعوده اليه ، فيرى العبد ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلائنها الى الوجود المنزه الاصل الموهوم الفرع ، فيودي استصحاب النظر الى أصله ، أن الفرع لم يفارقه هو الا بشكله والشكل على اختلاف ضروبه ، فمعنى عدمي تعين امكانه في وجوده

(*) مقتبس من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين (١) يعني صاحب كتاب منازل السائرين

فانظر ما في هذا الكلام من الالحاد والكفر الصراح، وجعل عين المخلوق نفس عين الخالق، وان الرب سبحانه أقام نفس أوصافه نائبة عنه في استجلاء ذاته، وأنه شاهد ذاته بذاته في مراتب الخلق، وان الانسان اذا صحا من سكره وجد في ذاته حقائق ذات الرب، ووجد خليقته أسماء مسمى ذاته، فيرى ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلالاتها الى الوجود « المنزه الاصل » يعني عن الانقسام والتكثير « الموم الفرع » يعني الذي يورثه وتكثر مظاهره واختلاف اشكاله انه متعدد، وانما هو وجود واحد، والاشكال على اختلاف ضروبها أمور عدمية، لانها ممكنة وامكانها يقنى في وجودها، فلم يبق الا وجوب واجب الوجود، وهو واحد وان اختلفت الاشكال التي ظهر فيها، والاسماء التي اشارت اليه، فالالتحادي يشاهد وجودا واحدا جامعا لجميع الصور والانواع والاجناس فاض عليها كلها فظهر فيها بحسب قوابلها واستعداداتها، وذلك الشهود يجذبه الى انحلال عزمه عن التقييد بمعبود معين أو عبادة معينة، بل يبقى معبوده الوجود المطلق الساري في الموجودات بأي معنى ظهر وفي أي ماهية تحقق، فلا فرق عنده بين السجود للصنم والشمس والقمر والنجوم وغيرها كما قال شاعر القوم (١)

وان خر للاحجار في البيد عا كف
وان عبد النار الجوس وما انطفت
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم
وما عند الزنار حكما سوى يدي
وكما قال عارفهم (٢): واعلم ان الحق في كل معبود وجهها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر — قال — (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه) — قال — رما قضى الله شيئا الا وقع (٣) وما عبد غير الله في كل معبود . فهذا مشهد الملحد

(١) كتب في هامش ب « هو ابن الفارض » ٢ وفي هامشها أيضا « لعله ابن عربي صاحب التصوص ، المشتمل على مخالفة النصوص »
(٣) حمل القضاء على التكويني وانما هو بمعنى التشريعي ، فحجته داخلية

والموحد يشاهد بإيمانه ويقينه ذاتا جامعة للاسماء الحسنى والصفات العلى ، لها صفة كل كمال^(١) وكل اسم حسن ، وذلك يجذبه الى نفس اجتماع همه على الله وعلى القيام بفرائضه ، والطريق بمجموعها لا يخرج عن هذين السبيين ، وان طولوا العبارات ودققوا الاشارات ، فالامر كله دائر على جمع الهمة^(٢) على الله ، واستفراغ الوسع بغاية النصيحة في التقرب اليه بالنوافل ، بعد تكميل الفرائض ، فلا تطول ولا يطول عليك

وشيخ الاسلام مراده بالجمع الجاذب الى عين الجمع امر آخر بين هذا وبين جمع أهل الوحدة وعين جمعهم ، لا هو هذا ولا هذا ، فهو دائر على الفناء لا تأخذه فيه لومة لائم ، وهو الجمع الذي يدندن حوله ، وعين الجمع عنده هو مفرد الرب سبحانه بالازلية وبالادوام^(٣) وبالخلق والفعل ، فكان ولا شيء ، ويكون بعد كل شيء ، وهو المكون لكل شيء ، فلا وجود في الحقيقة لغيره ، ولا فعل لغيره ، بل وجود غيره كالخيال والظلال ، وفعل غيره في الحقيقة كحركات الاشجار والنبات ، وهذا تحقيق الفناء في شهود الربوبية والازلية والابدية ، وطى بساط شهود الاكوان ، فاذا ظهر هذا الحكم انمحق وجود العبد في وجود الحق ، وتدييره في تدير الحق ، فصار سبحانه هو المشهود بوجود من العبد متلاش مضمحل كالخيال والظلال ، ولا يستعد لهذا عندهم الا من اجتمعت ارادته على المراد وحده حالا لا تكلفا ، وطبعا لا تطبعا ، فقد تبعث الهمة الى أمر وتعلق به ، وصاحبها معرض عن غير مطلبه متحل به ، ولكن ارادة السوى كامنة فيه قد توارى حكمها واستتر ، ولما يزل ، فان القلب اذا اشتغل بشيء اشتغالا تاما توارى عنه ارادته لغيره والتفتاته الى ما سواه ، مع كونه كامنًا في نفسه ، مادته حاضرة عنده ، فاذا وجد فجوة وادنى فخل من شاغله ظهر حكم تلك الارادات التي كان سلطان شهوده يحول بينه وبينها

فاذا اجمع وعين الجمع ثلاث مراتب (اعلاها) جمع الهمة على الله ارادة ومجبة وانابة ، وجمع القلب والروح والنفس والجوارح على استفراغ الوسع في التقرب اليه بما يحبه ويرضاه ، دون رسوم الناس وهوائهم ، فهذا جمع خواص المقرين

(١) في ب « كل صفة كمال (٢) وفيها « الهمة » (٣) وفيها « والادوام »

وساداتهم (والثاني) الاستفراق في الفناء في شهود الربوية ، وتفرد الرب سبحانه بالازلية والنوام ، وان الوجود الحقيقي له وحده وهذا الجمع دون الجمع الاول بمراتب كثيرة (الثالث) جمع الملاحظة الاتحادية وعين جمعهم ، وهو جمع الشهود في وحدة الوجود ، فطيك بتمييز المراتب ، لتسلم من المعاطب ، وسيأتي ذكر مراتب الجمع والتمييز بين صحيحها وفاسدها في آخر باب التوحيد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله المستعان

قوله « مالكة لصحة الورود » أي ضامنة لصحة ورودها ، شاهدة بذلك مشهوداتها به ، لانها فوق مشاهدة المعرفة وفوق مشاهدة المعاينة

قوله « رابحة ببحر الوجود » يعني تلك المشاهدة رابحة ببحر الوجود فهي في لجة بحره لا في انواره ولا في بوارقه ، وقد تقدم الكلام على مراده بالوجود ، وأنه وجود علم ووجود عين ووجود مقام ، وسيأتي تمام الكلام عليه في باب ان شاء الله تعالى

منزلة المعاينة أو مقامها

✽ من مدارج السالكين أيضا ✽

قال شيخ الاسلام^(١) (باب المعاينة) قال الله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) قلت المعاينة مفاعلة من الميان ، وأصلها من الرؤية بالمعين يقال : عاينه اذا وقفت عينه عليه ، كما يقال : شافه . اذا كلفه شفاها ، وواجهه ، اذا قابله بوجهه ، وهذا مستحيل في هذه الدار أن يظفر به بشر ، واما قوله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » فالرؤية واقعة على نفس مد الظل^(٢) لا على الذي مد سبحانه ، كما قال تعالى (ألم تر وانا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا) وقوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) فها هنا أوتع الرؤية على نفس الفعل ، وفي قوله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » أوقعها في اللفظ عليه سبحانه والمراد فعله من مد الظل ، هذا كلام عربي بين معناه غير محتمل ولا مجمل ، كما قيل في العزى :

[كفرانك اليوم ولا سبحانك = اني رأيت الله قد اهانك] وهو ككثير في

(١) أي ابو اسماعيل الهروي صاحب المنازل (٢) في ب « نفس هذا الظل

كلامهم ، يقولون : رأيت الله قد فعل كذا وكذا ، والمراد رأيت فعله ، فالعيان
ولرؤية واقع على المفعول لاعلى ذات القاعل وصفته ، ولا فعله القائم به

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ المعاينة ^(١) ثلاث (احداها) معاينة الابصار (الثانية)
معاينة عين القلب وهي معرفة عين الشيء ^(٢) على نعمته علما يقطع الريية ، ولا تشوبه
حيرة ^(٣) (الثالثة) معاينة عين الروح وهي التي تعين الحق عياناً محضاً ، والارواح
انما طهرت وأكرمتم بالبقاء تعابن ^(٤) مناء الحضرة وتشاهد بهاء العزة ، وتجذب
القلوب الى فناء الحضرة ﴿ جعل الشيخ المعاينة للعين والقلب والروح ، وجعل
لكل معاينة منها حكماً ، فمعاينة العين هي رؤية الشيء عياناً أمّا بانطباع صورة
المرئي في القوة الباصرة عند اصحاب الانطباع ، واما باتصال الشعاع المنبسط من
العين المتصل بالمرئي عند اصحاب الشعاع ، واما بالنسبة والاضافة الخاصة بين
العين وبين المرئي عند كثير من المتكلمين ، والاقوال الثلاثة لا تخلو عن خطأ
وصواب ، والحق شيء غيرهما ، وان الله سبحانه جعل في العين قوة باصرة كما جعل
في الاذن قوة سامعة وفي اللسان قوة ناطقة ، فهذه قوى
أودعها الله في سبحانه هذه الاعضاء وجعل بينها وبينها رابطة ، وجعل لها اسباباً من
خارج ، وموانع تمنع حكمها ، وكل ما ذكره من انطباع ومقابلة وشعاع ونسبة وضافة
فهو سبب وشرط والمقتضي هو القوة القائمة بالحل ، وليس الغرض ذكر هذه المسئلة
فالمقصود أمر آخر

وأما معاينة القلب فهي انكشاف صورة المعلوم له بحيث تكون نسبه الى القلب
كنسبة المرئي الى العين ، وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعى كما تبصر العين
وكما تعى ، قال تعالى (فانها لا تعى الابصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور)
فالقلب يرى ويسمع ويعى ويصم ، وعماه وصممه أبلغ من عمى البصر وصممه

(١) في المتن وب « المعاينات » « ٢ » في المتن « معرفة الشيء » « ٣ » زاد فيه هنا
« وهذه معاينة بشواهد العلم » « ٤ » في ب « اتناغي »

وأما ما يثبتته متأخرو القوم من هذا القسم الثالث [وهو رؤية الروح وسميها وارادتها وأحكامها التي هي أخص من أحكام القلب] فهؤلاء اعتقادهم أن الروح غير النفس والقلب^(١) ولا ريب أن هاهنا أموراً معلومة وهي البدن وروحه القائم به والقلب المشاهد فيه وفي سائر الحيوان ، والغريزة وهي القوة العاقلة التي محلها القلب ، ونسبتها الى القلب كنسبة القوة الباصرة الى العين ، والقوة السامعة الى الاذن ، ولهذا تسمى تلك القوة قلباً كما تسمى القوة الباصرة بصراً . قال تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ولم يرد شكل القلب فانه لكل أحد ، وإنما أريد القوة والغريزة المودعة فيه ، والروح هي الحاملة للبدن وهذه القوى كلها ، فلا قوام للبدن ولا لقواه الا بها ، ولها باعتبار اضافتها الى كل محل حكم واسم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل البصر سميت بصراً وكان لها حكم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل السمع سميت سمعاً وكان لها حكم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل العقل — وهو القلب — سميت قلباً ولها حكم يخصها ، وهي في ذلك كله روح . فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة روح باصرة وسامعة وعاقلة وناطقة ، فهي في الحقيقة^(٢) هذا العاقل الفهم المدرك المحب العارف المحرك للبدن الذي هو محل الخطاب والامر والنهي — هو شيء واحد له^(٣) صفات متعددة بحسب متعلقاته ، فانه يسمى نفساً مطمئنة ونفساً لوامة ونفساً أمارة وليس هو ثلاثة أنفس بالذات والحقيقة ، ولكن هي نفس واحدة لها صفات متعددة ، وهم يشيرون بالنفس الى الاخلاق والصفات المذمومة فيقولون : فلان له نفسٌ وفلان ليس له نفس . ومعلوم أنه لو فارق نفسه لمات ، ولكن يريدون تجرده عن صفات النفس المذمومة . والمحققون منهم يقولون : ان النفس اذا تلطفت وفارقت الرذائل صارت روحاً . ومعلوم انها لم تعدم ويخلق له مكانها روح لم تكن ، ولكن عدت منها الصفات المذمومة وصار مكانها الصفات المحمودة فسميت روحاً

(١) سقط من ب كلمة والقلب (٢) في ب « فقي الحقيقة » ولعله الصواب

(٣) وفيها « وله »

وهذا اصطلاح مجرد والا فالله سبحانه سماها نفساً في القرآن في جميع أحوالها -
 أمانة ولوامة ومطمئنة . وقال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) ويدخل في
 هذا جميع أنفس العباد حتى الانبياء ، وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم روحاً
 على الاطلاق مؤمنة كانت أو كافرة ، برة أو فاجرة ، كقوله « ان الروح اذا قبض
 تبعه البصر » وقوله « ان الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء »
 وقوله في حديث قبض الروح وصفته : ان كان (١) مؤمناً كان كذا وكذا وان
 كان كافراً كان كذا وكذا . فسمى المقبوض روحاً كما سماه الله في كتابه نفساً ،
 وهذا المقبوض والمتوفى شيء واحد لا ثلاثة ولا اثنان ، واذا قبض تبعته القوى
 كلها - العتل ومادونه ، لانه كان حامل الجميع ومركبه

اذا عرف هذا فالمعاينة نوعان : معاينة بصر ، ومعاينة بصيرة ، فمعاينة البصر وقوعه
 على نفس المرئي ، أو مثاله الخارجي كروية مثال الصورة في المرآة والماء ؛ ومعاينة
 البصيرة وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي ، فيكون ادراكه له
 بمنزلة ادراك العين للصورة الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن
 بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدرَكها بحيث يستغرق فيه ،
 فيغلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة فيستولي على السمع والبصر بحيث
 يراه ويسمع خطابه في الخارج وهو في النفس والذهن ، لكن لغلبة الشهود وقوة
 الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع
 بالاذن ، بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب البتة ولا يقبل عدلاً

وحقيقة الامر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد ، فذلك الذي
 أدرك بعين القلب والروح انما هو شاهد دال على الحقيقة ، وليس نفس الحقيقة ،
 فان شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي
 لا تقوم له السموات والارض ، فانه لو ظهر لها لتدكدكت وأصابها ما أصاب
 الجبل ، وكذلك شاهد نور العظمة في القلب انما هو نور التعظيم والاجلال ، لا نور
 نفس المعظم ذي الجلال والاكرام ، وليس مع القوم الا الشواهد والأمثلة العلمية

والدقائق^(١) التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وانسه به واستغراقه في محبته ،
 وذكوره واستيلاء سلطان معرفته عليه ، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله ،
 منزله مقدس عن اطلاع البشر على ذاته أو أنوار ذاته ، أو صفاته أو أنوار صفاته ،
 وانما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار
 وما أعد الله لأهلها ، وهذا الذي وجدته عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال :
 « واهالرج الجنة ! اني أجد ريحها دون أحد . ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
 « اذا مورتم برياض الجنة فارتعوا — قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : — حلق
 الذكر » ومن قوله « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » فهو روضة
 لأهل العلم والايان لما يقوم بتلوينهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي عين ، واذا
 قعد المناق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة ، ومن هذا
 قوله « الجنة تحت ظلال السيوف » فالعمل انما هو على الشواهد ، وعلى حسب شاهد
 العبد يكون عمله . اه المراد منه

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام ابو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)

وعناوين المسائل من زيادة المنار

مأخذ الاسلام ودلائله

﴿ مسألة ﴾ دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من
 القرآن ، أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إما برواية جميع
 علماء الأمة عنه عليه السلام — وهو الاجماع — واما بنقل جماعة عنه عليه
 السلام — وهو نقل الكافة — واما برواية الثقات واحدا عن واحد حتى

يبلغ اليه عليه السلام، ولا مزيد

قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحيٌ نوحى) وقال
تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) وقال
تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) فان تمارض — فيما يرى المرء — آيتان ،
أو حديثان صحيحان ، أو حديث صحيح وآية ، فالواجب استعمالهما جميعا ،
لأن طاعتها سواء في الوجوب ، فلا يحل ترك أحدهما للآخر مادامنا
نقدر على ذلك . وليس هذا إلا بأن يستثنى الأقل معاني من الاكثر ،
فإن لم يقدر على ذلك وجب الاخذ بالزائد حكما لانه متيقن وجوبه ، ولا
يحل ترك اليقين بالظنون ، ولا إشكال في الدين ، قد بين الله دينه . قال تعالى
(اليوم أكملت لكم دينكم) وقال تعالى (تبينا ما اكمل شيء)

الحديث المرسل والموقوف والضعيف

﴿ مسألة ﴾ والمرسل والموقوف لا تقوم بهما حجة ، وكذلك ما لم
يروه الا من لم يوثق بدينه وبمحفظه . ولا يحل ترك ما جاء في القرآن أو
صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره ، سواء كان
هو راوي ذلك الحديث أو لم يكن .

والمرسل هو ما كان بين أحد رواته وبين غيره أو بين الراوي وبين
النبي صلى الله عليه وسلم من لا يعرف . والموقوف هو ما يبلغ به الى النبي
صلى الله عليه وسلم .

برهان بطلان الموقوف قول الله عز وجل (لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل) فلا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه
وسلم . ولا يحل لاحد ان يضيف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لانه ظن ، وقد قال تعالى (إن الظن لا يُغني عن الحق شيئاً) وقال تعالى (ولا تَقْفُ ما لیس لك به علمٌ)

وأما المرسل^(١) ومن في رواته من لا يوثق بدينه وحفظه — فلقول الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فأوجب الله تعالى قبول نذارة النافر للتفقه في الدين ، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تُصيبيوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وليس في العالم الا عدل أو فاسق ، فحرم الله تعالى علينا خبر الفاسق فلم يبق الا العدل ، فصح أنه هو الأمور بقبول نذاراته

واما الجهول فلسنا على ثقة من انه على الصفة التي امر الله تعالى معها بقبول نذارته وهو التفقه في الدين . فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقهره في الدين ، وحفظه لما ضبط من ذلك ، وبرأيه من الفسق ، وبالله تعالى التوفيق

ولم يختلف احد من الامة في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الملوك رسولاً رسولاً واحداً الى كل مملكة يدعوهم الاسلام ، وواحداً واحداً الى كل مدينة والى كل قبيلة — كصنعاء والجند^(٢)

(١) اي واما بطلان الاستدلال بالحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف
(٢) الجند بالتحريك مدينة باليمن كانت عاصمة أعظم ولاياتها الثلاث في صدر الاسلام . قال في معجم البلدان عند الكلام عليهما : وأعمال اليمن في الاسلام مقصورة على ثلاثة ولاة — فوال على الجند ومخاليقها ، وهو أعظمها ، ووال على صنعاء ومخاليقها وهو أوسطها ، ووال على حضرموت ومخاليقها وهو أدناها . والجند مسماة بجند بن شهران — بطن من المعافر . قال عمارة : وبالجند مسجد بناه معاذ ابن جبل الخ

وحضرموت وتيماء ونجران والبحرين وعمان وغيرها ، يعلمها أحكام الدين كلها ، وافترض على أهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم ، فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبالغا الى رسول الله (ص) .

ومن ترك القرآن أو ما صح عن رسول الله (ص) لقول صاحب أو غيره سواء كان راوي ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه ، لقول لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه . وهذا خلاف لأمر الله تعالى

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله ، لانه تعالى لم يأمر بذلك ، لكنه موجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي أوجب الله تعالى

النسخ

﴿ مسألة ﴾ والقرآن ينسخ القرآن والسنة ، والسنة تنسخ السنة والقرآن . قال الله عز وجل (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وقال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) وقال تعالى (وما ينطق عن الهوى انه هو الاوحى يوحى) وأمره تعالى ان يقول (إن أتبع الا ما يوحى اليّ) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين) فصح أن كل ما قاله رسول الله (ص) فمن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان . وكل ذلك من عند الله تعالى

منع دعوى النسخ والتخصيص والتأويل

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لاحد ان يقول في آية أو في خبر عن رسول

الله (ص) ثابت : هذا منسوخ أو هذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ، ولا ان لهذا النص تأويلاً غير مقتضي ظاهر لفظه ، ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر ، أو باجماع متيقن بانه كما ذكر ، أو بضرورة حسن موجبة انه كما ذكر ، والا فهو كاذب . برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) موجب طاعة رسول الله (ص) في كل ما امر به ، وقوله (اطيعوا الله) موجب طاعة القرآن . ومن ادعى في آية أو خبر نسخاً فقد أسقط وجوب طاعتها ، فهو مخالف لامر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) موجب أخذ كل نص في القرآن والاخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية . فمن ادعى في شيء من ذلك ان المراد به غير ما يقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه ، وقال عليه عز وجل الباطل وخالف قوله عز وجل . ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص ، واسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة ، وهذا قول على الله تعالى بالباطل . وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه من سائر ما يقتضيه . وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره) موجب

الوعيد على من قال لا يجب علي موافقة أمره ، وموجب أن جميع النصوص على الوجوب . ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب الطاعة لله تعالى ، ووجوب ما أوجب الله عز وجل عن طاعة رسوله (ص) في تلك المدة . وهذا خلاف لأمر الله عز وجل ، فإذا شهد لدعوى من ادعى بعض ما ذكرنا قرآن وسنة ثابتة إما بإجماع وأما بنقل صحيح فقد صح قوله ووجوب طاعة الله تعالى في ذلك . وكذلك من شهدت له ضرورة الحسن لأنها فعل الله تعالى في النفوس ، والأفهي أقوال مؤدية إلى إبطال الإسلام ، وإبطال جميع العلوم ، وإبطال جميع اللغات كلها . وكفى بهذا فساداً ، وبالله تعالى التوفيق

إنما الإجماع إجماع الصحابة

(مسألة) الإجماع هو ما يتقن أن جميع أصحاب رسول الله (ص) عرفوه وقالوا به ولم يختلف منهم أحد ، كتيقننا أنهم كلهم رضي الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها ، أو علموا أنه صلاها مع الناس كذلك ، وأنهم كلهم صاموا معه أو علموا أنه صام مع الناس رمضان في الحضر ، وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين ، والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين . وهذا ما لا يختلف أحد في أنه إجماع ، وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لا مؤمن في الأرض غيرهم ، ومن ادعى أن غير هذا هو إجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل له إليه .

(مسألة) وما صح فيه خلاف من واحد منهم رضي الله عنهم ولم يتيقن أن كل واحد منهم رضي الله عنهم عرفه ودان به فليس إجماعاً ، لأن

من ادعى الاجماع هاهنا فقد كذب ، وقفنا ما لا علم له به ، والله تعالى يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم)

الاجماع بعد الصحابة متعذر

﴿ مسألة ﴾ ولو جاز ان يتيقن اجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه باجماع الصحابة رضي الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة . وليس كان يكون اجماعا . أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله (ص) « لن تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا أنه لا يجوز البتة أن يُجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطأ ، ولا بد من قائل بالحق فيهم . واما انه ليس اجماعا فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ليس جميع المؤمنين وانما هم بعض المؤمنين . والاجماع انما هو اجماع جميع المؤمنين لا اجماع بعضهم .

ولو جاز ان يسمى اجماعا ماخرج عن الجملة واحد لا يعرف أو وافق سائرهم أو يخالفهم — لجاز ان يسمى اجماعا ماخرج عنهم فيه اثنان وثلاثة وأربعة وهكذا أبدا حتى يرجع الامر ان يسمى اجماعا ماقاله واحد ، وهذا باطل . ولكن لا سبيل الى تيقن اجماع جميع أهل عصر بعد الصحابة رضي الله عنهم ، لكثرة اعداد الناس بعدهم ، ولأنهم طبقوا ما بين المغرب والمشرق ، ولم تكن الصحابة رضي الله عنهم كذلك ، بل كانوا عددا يمكننا حصره وضبطه وضبط أقوالهم في المسألة . وبالله تعالى التوفيق .

وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضاه أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي بأقوال هؤلاء . (قال علي) وهذا

خطأ، لأنه لا سبيل الى ان تكون مسألة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء الا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله
رد المتنازع فيه الى الكتاب والسنة

﴿ مسألة ﴾ والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع الى القرآن وسنة رسول الله (ص) لا الى شيء غيرهما، ولا يجوز الرجوع الى عمل أهل المدينة ولا غيرهم، برهان ذلك قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فصيح أنه لا يحل الرد عند التنازع الى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول الله (ص) لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد اليه والى رسوله، لاسيما مع تمليقه تعالى ذلك بقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول بعض المؤمنين دون جميعهم، وقد كان الخلفاء رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعمالهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمال عمر وعثمان بالبصرة والكوفة ومصر والشام، ومن الباطل المتيقن المتمتع الذي لا يمكن — ان يكونوا رضي الله عنهم طوعا وعلم الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار واقتصروا به على أهل المدينة. فهذه وصفة سوء تداعاؤهم الله تعالى منها، وقد عمل ملوك بني أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة وبتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصيح أنه لا حجة في عمل أحد دون رسول الله (ص) (المنار) بقية المسائل في إبطال التماس وتقدم في التنبيه

مقارنتين بين اللغتين المصرية القديمة واللغة العربية

٢

الآثر المصري

الذي ذكر فيه اسم بني إسرائيل

المحفوظ الآن بمتحف القاهرة — عدد ٣٤٠٢٥

(و بعض ما فيه من الاتفاق بين لغة قدماء المصريين واللغة العربية) (*)

أني تلقيت عن والدي في مدارس الحكومة الدروس الهيروغليافية التي ألقاها في نيف وثلاث سنين ، وثابرت بعد ذلك على الاهتمام بها ولا سيما في أيام العطلة الدراسية . ثم صرفت أيام هذه الاجازة الاخيرة في ترجمة وجه واحد من الحجر الكبير المنقوش عليه اسم بني اسرائيل وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه على ما يقابلها في اللغة العربية ليعلم وجه الشبه بين اللغتين ، وجعلت كل كلمة مصرية موافقة للعربية بين علامتين هكذا [ف جاء بحمد الله با كورة عمل أزفها لأبناء وطني راجيا منهم ان يصفحوا عما يرونه فيه من زلة القلم ، وفقنا الله واياهم لنشر العلوم والمعارف آمين

وصف الآثر بالاجمال :

صنع هذا الأثر الملك (امنوفيس الرابع) من الاسرة الثامنة عشرة ونقش على وجه منه وصف بعض أعمال دينية قام بأدائها — ثم جاء من بعده (منفتاح) الذي هو فرعون سيدنا موسى عليه السلام على القول الأرجح ، وكتب على الوجه الآخر

(*) بقلم حسن افندي كمال الطالب بمدرسة الملك في لندرة نجل الأثري أحمد كمال بك أمين دار الآثار المصرية وقد جعلناه مكان النبذة الثانية مما وعد به والده ، وأوضحنا تفسير بعض الكلمات

كيفية حربه مع اللويين ، واستطرد الى بيان أحوال مصر وقتئذ ، مع الاماع الى ذكر ولايات أخرى أخضعها لحكمه . وهذا النقش الأخير هو الذي عنيت بترجمته . فظهر لي ان الكاتب المصري تحرى فيه أساليب الانشاء التي كانت شائعة في عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وكان السبب في نقشه وتسطيره انتصار عظيم أحرزه فرعون (منفتاح) على اللويين ، فأمر بتدوين هذا النصر لتخليد ذكره بين الخلف ، وكان ذلك في السنة الخامسة من حكمه . لكن عبارات نصه لم تزدنا شيئاً جديداً عما كتبه عن نتيجة هذه الحرب في نقوش الكرنك ، غير انه تكلم بصراحة هنا عما حصل في أيامه من الفرح والسرور والحريّة للبلاد المصرية . ولولا النص المنقوش في معبد الكرنك المشروح فيه حوادث هذه الحرب بالتفصيل لما تيسر لنا الوقوف من هذا الأثر على مكانة الفوز المبين الذي ناله منفتاح ، ولا على الحالة المرحجة التي وقعت فيها البلاد المصرية عند نشوب هذه الحرب الطاحنة

ومن تأمل معاني العبارات الواردة في نص هذا الأثر النفيس علم بعض أحوال البلاد المصرية وقت السلم وعلى الاخص العبارة التي ذكر فيها اسم بني اسرائيل المدرجة في آخره لانها استوجبت توجيه النظر من الأثريين لكونها أول عبارة أخبرتنا بهذا الاسم المشهور في الكتب الدينية

وذلك انه ورد في الأثر إشارة اجمالية الى ذكر خضوع بعض الامم الاجنبية ومن جملتهم بنو اسرائيل . لكن العبارة التي ذكر فيها هذا الاسم جاءت في غاية الايجاز ، حتى تعذر علينا استنتاج فائدة كبيرة منها . على انها صيغت في أسلوب متداول الاستعمال في اللغة المصرية القديمة طالما عبر به عن أمم أخرى في نصوص غير هذا

ومعنى هذه العبارة ان بني اسرائيل « لم تبق لهم بركة » أي ذرية في الارض . فاجتهد بعض الأثريين في تأويلها فقالوا انها تفيد نحو نسل بني اسرائيل بدمج أبنائهم واستحياء نسائهم . لكن نرى من جهة أخرى ان هذه العبارة نفسها ذكرت كثيراً في الآثار المصرية عن أمم أخرى أجنبية كما ترى في الامثلة الآتية (الاول) ماجاء في حرب رمسيس الثالث من حكمه لسكان البحر الابيض

في السنة الثامنة من حكمه اذ قال ما ترجمته: «والذين وصلوا حدود بلدي تبدد شملهم ولم تبق لهم بزره»

(الثاني) ماجاء في كتاب (دمخن) (١) من أن اللويين والسيديين مزقوا ولم تبق لهم بزره

(الثالث) ماجاء أيضا في الكتاب المذكور (٢) من قولهم « وصارت بلادهم رمادا قفراً بلقما فلم تبق لهم بزره »

(الرابع) ماجاء في حرب رمسيس الثالث وذلك في السنة الخامسة من حكمه من أن — رئيس عمورة المدعو (جورو) لم تبق له بزره

فيعلم مما تقدم ان التعبير بلفظ لم تبق له بزره هو تعبير عندهم لا يراد به في الاثر الذي نحن بصدده محق ذرية بني اسرائيل من هذه الدنيا بذبح الابناء واستحياء النساء — ومن الواضح الجلي ان موطن بني اسرائيل كان في فلسطين حسب نص الاثر وان منفتح قهرهم فيها وسلب أموالهم كما فعل بغيرهم من الامم المجاورة لهم بالكيفية الميئة بعد

ترجمة الاثر (٣)

[النهار] الثالث من [أيب] للسنة الخامسة من حكم [الحر — أي الباشق — القوي المرقى للعديل] الملك منفتح العظيم [البأس المرقى بقوة] الإله حوريس [القوي] ضارب [البدو] ذو الاسم السرمدي الذي تحدث [الناس] بنسجدهاته في جميع البحار ، لانه جعلهم يرون الدنيا كلها [منضمة] له ، ولانه استعمل قواته

(١) هذا الكتاب حاو لتقوش مصرية تاريخية فراجع هذه العبارة في السطر ٣٦ من الباب ٤٤ من الجزء الاول

(٢) راجع في الجزء الاول من الكتاب المذكور السطر الثاني من الباب المتعم للعشرين (٣) إننا أتينا في الترجمة بالألفاظ المصرية القديمة (الهيروغليفية) الموافقة للألفاظ العربية ، ومن هذه الالفاظ ماهو مستعمل الآن ومنها ماهو غريب غير مستعمل أو قليل الاستعمال فاضطررنا الى تفسيره في اثناء الكلام او في الهوامش فلماذا لا غرابة فما يوجد في الترجمة من ضعف وركاكة ، لأن هذه أول مرة حوفظ فيها على الألفاظ المتفقة في اللغتين بنصها فيهما

فيا فيه النفع فهو [الصيدن القب - مفتاح - الناب ^(١) القوي] ذو
 [البأس] المهلك [لسانية] ذو الحسن في شدة [القوة] الذي [ينهض]
 نهوض الشمس [ليكف] عن مصر ما يحل بها من العواصف ، وليجعلها ناظرة
 لقرص الشمس عند [سطوعه] وليدفع جبل النحاس عن اعناق الاهالي ^(٢) فيمنح
 الحرية للناس الواقمين في الضيق ، وليعاف سكان منف من فعل أعدائهم وليجعل
 « أسوريس » [اشرا] (أي فرحا) في [صُبيه] ^(٣) الفتح الذي يفتح
 الحصون ويوصل لمعابده أرزاقها ، فهو الملك مفتاح الوحيد الذي يطمئن [الباب]
 الجم الفقير فيدخل عند رؤيته نفس الحياة في أنوفهم . فهو [السائد] على أرض
 التمجو ^(٤) ملقي [الهول] السرمدي في [الباب] المشواش ، المذل للوبيين
 المتوغلين في مصر حتى جعل [روع] القطر المصري العظيم في [لبهم] وجعل
 مقدمة جيشهم ومؤخره لم يبرح الأرض في سيرهم على أرجلهم ، بل ظلوا على أقدامهم
 واقفين حتى وقعت رماثهم وأقواسهم ، وصارت قلوب المسرعين منهم أدلة من
 المشي ، ففكوا قرب الماء وألقوها على الأرض ، وأخذت جلودها ورميت

أما الوالي [الخسيس] حاكم لوبيا [فخارت] قواه وهرب تحت [جنح] (الليل)
 بلاريشة على رأسه ، وكانت رجلاه تسير سيرا ثقيلًا ، وأخذت أمامه [حاتمته] - أي
 نساءه - ، ونهبت حبوب محصولاته ، فلا [ماء] في القرب [للبعيشة] فكانت
 وجوه [أصنائه تهبص] ^(٥) بعيونهم ، ويقتل الواحد من [هدااته] ^(٦) ثانيه [

١ الصيدن - الملك - والقب - رئيس القوم وسيدهم وقيل الملك وقيل الخليفة
 والنا ب السيد الوجيه ، وهو مجاز أصله المسن من الابل

٢ المقصود من جبل النحاس الامور الشاقة الثقيلة العبء كانها من حيث
 النفل جبل من نحاس فهي استعارة مستعملة عندنا في قول البعض ثقيل كالجبل

٣ جمع صاب وهم الذين يميلون الى الفتن ويحبون التقدم فيها والبراز

٤ هي القروان وما يليها

٥ الاصناء كالصنوان جمع صنو بالكسر ، ومعناه في المصرية والعربية
 الاخوة . وأصله فسائل النخل التي تخرج من أصل واحد . وتهبص معناه في
 اللغتين ترق

٦ هدااته قواده . والمراد بثانيه الذي يليه

في حرب نشبت بينهم، وحرقت [أحياؤه] وجميع [أشياؤه] من طعام الجنود، ولما وصل بلده يحدث في حقه الكيرون في جميع [الأرض] فالحقته الخيبة [وخسفته الثأنة] ^(١) وسلبه سوء الحظ [الريشة] — أي من رأسه — فتحدث فيه السكل من سكان مدينته قائلين: إنه تحت [بأوزوان منف] (أي سيطرة معبوداتها) لقد [ساوروا] مريري ^(٢) لأنه كان [بذيئا] لمنف من ابن الى ابن (نتج) في أسرته الى [الأزل] — لذلك مثل منفتح بأولاده [وشياه] ^(٣) فصار يضرب به المثل في لوبيا، وأصبحت الذرية يقول بعضها لبعض: لم يفعل لنا مثل ذلك منذ المعبود (رع) ^(٤) وكان كل كبير يقول لابنه: [انذب لوبيا] — فامتنعوا عن [المشي] والسير الطيب (أي التنزه) داخل الحقول فوقف [مشيهم] في يوم واحد، وحرقت التحنو في سنة واحدة، فأعطى المعبود (سوخ) ظهره لرئيسهم، وتمزقت [أحياؤه] حسب [مشيئة] (هذا المعبود) فلم تبق حاجة — لحل — [القناة] في هذه الايام وأصبحت السلامة في [الاختفاء] والتعود بالبيقرة ^(٥) — وصار [يلوذ] بسيد مصر الكبير منفتح [الأزر] ^(٦) والاتصار، لأنه يحارب وهو عارف [شظنه] ^(٧) والذي يعاديه (يعد)

١ الخسف النقص والثأنة الضعف والعجز في كل من اللغتين . ومن المعاني المناسبة لذلك في العربية قولهم : خسف فلانا أي أذله وحمله ما يكرهه وخسف الدابة حبسها بلا علف . ونا نأ فلان قصر وعجزه وناناه : كفه ومنعه عن الأمر والناء العاجز الجبان والزون الصنم (راجع عدد ٥ في هامش الصفحة التالية)

٢ ساورد كلموه بكلام يصدع رأسه . ومريري اسم رئيس اللوبيين

٣ شياه بالتشديد — قبجه

٤ يراد بهذه العبارة المتداولة عندهم أنه لم يحصل مثل ذلك من ابتداء الدنيا

٥ المراد بالاختفاء العزلة . وبالبيقرة سكنى الدور . ويقال في العربية بيقر

إذا نزل الحضر وأقام تاركا البادية

٦ الأزر بالفتح القوة

٧ الشطن بالفتح مصدر شطن (كنصر) يقال : شطن في الأرض أي دخلها

إما راسخا وإما واغلا . وهذا هو المعنى بالمصرية

خائفاً لا [لب] له - ومن تعدي حدود مصر لا يقيم الى الصباح لانها [السليمة
الوحيدة] للمعبود « رع » منذ وجود الآلهة ، ولأن [سليه] - أيضاً - هو
منفتح الجالس على [سدة] المعبود « شو » فلا [حجا يقدي ليهوي] بين [ناس
مصر]^(١) لان [عين] كل معبود متجهة في [سه من يعنوها]^(٢) ولانها
[تعني كاتفها]^(٣) ولانها تعطي الخير لاولي [البأو] العالمين العارفين لغتهم كلها
[الزانون] لاهوتهم - ونالت مصر [باؤا] فخرا كبيرا لان يدها [حبت] - دنت -
من رئيس لوبيا فأسرته حيا . هكذا ظفر الملك المقدس [العادل] أمام
المعبود « رع » [بكاتفه]^(٤) ميري - فاعل [السوء] الذي [سخط] عليه
[الزون رب منف]^(٥) فوفاه] - حسابه - في مدينة عين شمس ، وبذلك حكم
عليه التسليم المقدس (وهو المؤلف من تسعة آلهة) بسبب [عثوه البذيء] فقال
السيد الكلي (أي رئيس الآلهة) سأعطي [الخشب]^(٦) لابني منفتح
[القوي اللب الآين]^(٧) الرؤوف المدافع عن منف [المجاوب] عن مدينة عين

١ الحجا في اللغتين العسل والمراد هنا ذو الحجا على حذف المضاف .
ويقدي يحيى متحما من البادية . وقوله يهوي بين ناس مصر أي يهبط مصر وينزل
بين أهلها . فهذه الجملة كلها عربية ومحصل معناها أنه لا يوجد عقل يغرر
بصاحبه فيحمله على اقتحام البادية لهبوط مصر أي على سبيل الفتح والاستعمار ،
والتعميل الآتي معظم ألفاظه عربية مصرية أيضا

٢ المراد بالسه الخلف والوراء . وهذا المعنى مجازي بالعربية . ويعنوها يضعفها .

٣ أي تأسر مبعضيها وكارهيا أي أعدائها .

٤ أي كارهه ومبغضه

٥ رب منف تفسر للزون . والزون بالضم يطلق في العربية على الصنم وكل
ما يتخذ للعبادة وعلى الموضع الذي تجمع فيه الاصنام وتنصب وترين

٦ هو يوزن أمير السيف . ويطلق في العربية على السيف الصقيل والسيف
الذي عرض له الطبع أي الصمد - ضد ، والمراد هنا الأول بقزينة المدح

٧ الآئن اسم فاعل آن على نفسه أو نارا رفق بها في السير ويستعمل بمعنى الرافه

وإلواذع وهو الموافق للغة المصرية

شمس الفتح للمدن [المعني] ^(١) الذي [يفك] أسارى الكثير من المقيدين في كل بلد ، ويعطي [الاطابات] ^(٢) للبرابي (أي المعابد) ويدخل [الكندر] ^(٣) امام [الزون] ويجعل [السراة تفتمي اشياءها] ^(٤) ويدخل الفقراء بلادهم «
فقات الآلهة على مشهد من أر باب مدينة عين شمس بخصوص انهم مفتاح ليعط الحياة مثل «رع» [وليجاوب] عن كل من [ردي] — أي اختلس — لانه [وصي] على مصر لحسابها جزءا تابعاه الى الازل — أي الابد — [ولينجد] أهلها [وليلمأ بالطول] متقاعدتها في [لوقته] ^(٥) فتكون أنفاس الحياة [بقوة] ذراعها [وتخيظ الاشياء] للمستحق بلا [جور] ولا [قأ] ^(٦) والذين [يون] ^(٧) لبهم [الصغير] ويلقون بزور العسف [يحبون] ^(٨) اليك بالاشياء بلا أطفال لهم « هكذا يقال فيهم — وقد [تأيا] مريري الملعون [الحسيس الحار] ^(٩) رئيس لوييا [ليهوي] في أسوار ملك مصر وسيدها وهو [اللقب] الذي أطلقه المعبود «رع» على [سليله]

- ١ هو الذي ياخذ عنوة يقال : اعناه بمعنى أخضعه وبمعنى أبقاه اسيرا
٢ ورد بمعنى احسن الاشياء فالظاهر أنه محرف عن الأطايب جمع أطيب
٣ الكندر بضم الكاف والبدال اللبان الذي كان يستعمل بحورا في المعابد في عهد المصريين ولا يزال يستعمله النصارى
٤ السراة جمع سري كعني وقيل اسم جمع له وهم أشرف القوم في اللغتين . وتفتمي ورد في الأثر بمعنى تجمع ويظهر أن أصله في العربية تفتم من اقم الشيء ، فان المهم الثانية قلب ألفا . وورد بمعنى الكنس وأكل جميع ما على المائدة ففيه معنى الجمع
٥ يلما يلمح بنظره ، والطول بالفتح الفضل والعطاء والسعة . واللوقة الساعة يقال : ذهب فلان في لوقة ، — أي ساعة
٦ تخيظ من : خاط اليه الشيء اذا مر عليه سريعا لا يلوي على غيره . والقما النذل والصغار
٧ يون ورد بمعنى يضعف . ويقال في العربية بمعنى ضعف وفتر ، ووني التشديد أيضا
٨ أي يدنون من الحبو وهو أحد معانيه
٩ تاياه قصد شخصه وتممه . والحار اسم فاعل من خرأي وقع وسقط

هذا وهو [الصيدن والقب]^(١) مفتاح [المتربع] على [سدته] ويقول يتاح (أي الفتح) عن لوبيا: ان [خار] لوبيا - أي العائر بعد استقامته - [متحصي] جميع بذاته [وتطوف - فوق - نطابه] - أي رأسه - وليجعل في [يد] مفتاح [وليبق مايقم]^(٢) مثلا - - يفعل - التمساح، لان [الشوشاء تعزو الشوشاء] في شبكته ولو كان [نابا]^(٣) لان أهون [يلخ بحسه فطفه]^(٤) من [يده] ويجعله تحت [قوة] مفتاح في أرمنت

وقع [أشر]^(٥) كبير في مصر [وبرز النهيم]^(٦) في [مدن] مصر، وتحدث الناس بنجدات مفتاح التي حازها على التحنو - ما أطيه من [حاكم نجد]^(٧) ما أعظمه من [صيدن بين الازوان] وما أسعده حظا [الناب الناهي] اجلس أيها الملك متعيا وتكلم [وامش شطنا] على [المتن]^(٨) فلا [زأد] في [لب النات]^(٩) فالقلاع تركت ونفسها [والقلائب]^(١٠) فتحت ، وأخذ [يطوف الوافدون] الاستحكامات ذات الاسوار [متفيجين] من الشمس حتى تصحى حراسها

١ اللقبان يطلقان بمعنى الملك . والقب رئيس القوم وسيدهم
٢ أي يقذف من فيه كل ما ياكله . يقال بق ما في فيه اذا قذفه بعنف . وهو مستعمل الآن في بلاد الشام . وقم ما على المائدة أكله كله
٣ أي العجلة تدفع المستعجل في شرك أعماله ولو كان نابا - أي سيدا وجيها ، والشوشاء أو الشوشاة في العربية الناقة السريعة ، والناب المسن من الابل ويطلق بحازا على السيد

٤ يلخ : يعرف . وبالعربية ملح الخير تخيره تخيرا واستقصاه ، وبحسه : جراته ، ويطفه : يربطه . تقول العرب : طف الناقة اذا شد قوائمها .

٥ أي فرح وهو في العربية البطر من الفرع
٦ النهيم الصوت وهو بالعربية صوت الاسد ونحوه
٧ النجد كضخم وككتف ذو النجدة ورجل نجد : شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره سريع الاجابة الى ما يدعى اليه وهي النجدة

٨ تقدم تفسير الشطن وهو هنا التوغل . والمتن الطريق
٩ الزأد الفرع ، واللب القلب ، والنت الناس على الابدال في اللغتين
١٠ الآبار . والقلب في العربية البئر مطلقا أو القديمة ، جمعها قلب بضم القاف وسكون اللام وضمها . وأقلبة . وقلائب جمع الجمع وهو غير مستعمل بالعربية

[والماصعون يتكرون وينامون] ^(١) وقوم «نوو» و «تكتينوا» يكونون في الخقل [كأبايهم] ^(٢) وحيوانات الخقل تترك بلا راع [فندى] ^(٣) مياه الغدير [ولا] صاحب [يصيح في] [جنح] - أي من الليل - [هيا إمق الآتي بلغة] [الاجني] ^(٤) [أت] [واذهب] [محظوظا] [فلا] [نياحة] [من] [نات مهمومة] [قد] [عنت] [المدن] ثانيا [وسيقم] [الفلاح محصوله، والتفت «رع» إلى مصر فولد منفتح ملك مصر وشيء له بأن يكون [مناضلا] عنها . وان تكون [الولاية منبطحة] - له - وتقول [سلاما] وان [لا يرفع أحد من البدون نظابه] ^(٥) [فانفكت التحنو وتحفظات] [خيتا] ^(٦) [واقتحيت كنعان لو بنتها] ^(٧) وعنت عسقلان [وقبض على جزال، وصارت ينعمام عدما في الوجود] وانفك الاسرائليون فلا يزر لهم، وأصبحت فلسطين خلية] ^(٨) لمصر، [والاراضي] [كلها] [مضومة] [في] [حفظ] وكل [أشم وعفه] ^(٩) الصيدن القب منفتح سليل [الشمس معطي المعيشة كل نهار مثل الغورة (أي الشمس) اه

- ١ - الماصعون المقاتلون بالسيوف تقول العرب مصعب فلانا اذا ضربه بالسيف أو بالسوط ويتكرون يتكفون الكرمي وهو النوم، يفسره قوله: و ينامون
٢ أبايهم رغبتهم وقصدهم
٣ - أي تمررا بطيئا أو سريعا
٤ - معناه: هيا فانظر كل اجني أنى متكلما بلغته (كذا فسر المترجم)
٥ رأسه. وفي معجم العربية: النطاب ككتاب الرأس وحبل العنق أو العاتق
٦ التحنو هم سكان القيروان وما بعدها والخيتا هم الحثيون المذكورون في التوراة
٧ قبحا المال واقتحاه أخذه كله. الوبسة الأذى. يقول نهبت أموال كنعان لأذاها وضرها. وأسرت عسقلان
٨ الخلية التي لا زوج لها
٩ وعفه أضعفه. هكذا ورد بالمصرية، والوعف بالمهملة والمعجمة في العربية ضعف البصر. يقال وعفه واوعفه وأوغفه. وبقية الالفاظ فسرت قبل

باب المناظرة والمراسلة

جواب على استفتاء المنار (جزء ٢ مجلد ١٨) في قول الشاعر

جدير (كذا) بيهر والتفاتٍ وسعةٍ ومسحةٍ عشون وقتل الاصابع
وانما قال الشاعر (مليء بيهر) فقوله جدير سهو منه في اللفظ لاني المعنى لأن
مليء معناها عنده جدير او حري او او ... وتفسيره مليء بهذا المعنى هو الذي حمله
على استغراب التقدير في البيت . مع انه لم يرد في كتاب من كتب اللغة مليء بمعنى
جدير او حري او ما يصح به معنى البيت بالعطف على بيهر ، ولم يسمع هذا المعنى
حقيقة ولا مجازاً الا اذا استعمله بعضهم وحمله على المجاز من عنده تجوراً ولا
يخفى ان اللغة سماعية توقيفية لا يُحتج بالاصطلاح والاستعمال فيها ، وحاصل ماورد
في كتب اللغة ان مليء (؟) من مليء كسمع فعيل بمعنى مفعول ومعناه مملوء ومنه مليء
للفني لامتلاء خزائنه بالمال والحسني القضاء لامتلائهم علماً وحكمة فيقال فلان مملوء
بالبهر والعي ولا يقال مملوء بالاتفات ومسح الاحبة وقتل الاصابع . فاذا سخف المعنى
وجب التقدير وان استقام النظم . وبحث خطأ المعاني وصوابها والحذف والتقدير
لذلك مذكور في محله من كتب البلاغة . واليك خلاصة ماورد في معنى مليء بالهمز
قال في القاموس : مَلَأَهُ كَمَع مَلَأً وَمَلَأَةً بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَمَلَأَهُ تَمْلِئَةً فَامْتَلَأَ
وَمَلَأَ وَمَلِئَ كَسَمِعَ اِقُولُ (وَمَلِئُ مِنْ مَلِئٍ) هَذِهِ . وَقَالَ فِي تَاجِ الْعَرُوسِ :
وَرَجُلٌ مَلِيٌّ جَلِيلٌ يَمَلَأُ الْعَيْنَ . وَفَلَانٌ اَمَلَأُ لِعَيْنِي وَهُوَ رَجُلٌ مَالِيٌّ لِلْعَيْنِ . وَمِنْهُ
حَدِيثُ عِمْرَانَ اَنَّهُ لِيُخَيَّلَ الْبَيْنَا اِنهَا اَشَدُّ مَلَأَةً . اِلَى اَنْ قَالَ فِي آخِرِ الْمَادَّةِ وَهُوَ مَلَانٌ
مِنَ الْكُرْمِ وَمَلِيٌّ

فلا وجه لاستغراب التقدير في البيت حينئذ الا اذا جوزنا قول من يقول فلان
مملوء بمسح العشون وقتل الاصابع ولم تستسخفه . او وجدنا معنى مليء يصح به العطف
على بهر وكان هذا المعنى وارداً في اللغة حقيقة او مجازاً واستعمله من يعتد ويحتج به
(متأدب)

(المنار) صححنا البيت في الجزء الماضي فلم يبق محل لما ذكر في هذا الجواب في شأن استبدال كلمة جدير بكلمة مليء ، والواجب حصر الكلام في ضبط البيت وبيان معناه بالألفاظ التي ورد فيها

ادعى (المتأدب) المجيب ان حاصل ما ورد في كتب اللغة ان مليء معناه مملوء ، وانه من مليء كسمع وانه يصح ان يقال : فلان مملوء بالهر ، ولا يصح ان يقال مملوء بالالتفات ومسح اللحية وقتل الاصابم — فلماذا وجب التقدير عنده . وهو هو الذي قال ان التقدير : وله التفات وسعلة الخ ولا وجه لاستغراب التقدير عنده الا في الحالتين اللتين ذكرهما في الجواب وهما عنده في حيز النفي هذا حاصل جوابه . ما ذكره وبنى عليه جوابه من ان حاصل ما في كتب اللغة ان « مليء » معناه مملوء ، وانه من مليء كسمع — غير صحيح ، فما كل مملوء يسمى مليئاً ، ولا كل ما أطلق عليه لفظ مليء يصح أن يطلق عليه لفظ مملوء ، وان كان لا يتخلو الاستعمال من المناسبة لاصل معنى المادة — ولا مليء من مليء كسمع . قال في لسان العرب : والملاء الزكام يصيب من امتلاء المعدة وقد ملأ وهو مليء ، ومليء فلان واملاءه الله : أزكمه فهو مملوء ، على غير قياس — ثم قال — وقد ملأ الرجل يملأ ملاءة فهو مليء : صار مليئاً اي ثقة ، فهو غني مليء بين الملاء والملاءة — ممدودان — وفي حديث الدين « اذا اتبع احدكم على مليء فليتبع » المليء بالهمز الثقة الغني . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء . وفي حديث علي كرم الله وجهه « لا مليء والله باصدار ما ورد عليه » اه وفي القاموس المحيط : والملاء الاغنياء المتمولون أو الحسنو القضاء منهم ، الواحد مليء اه وقد غفل (المتأدب) المجيب عن قوله « منهم » فظن ان المليء يطلق على الحاكم الحسن القضاء لامتلأه علماً وحكمة . على ان له ان يقول هذا من تلقاء نفسه تجوزاً وان كان في جوابه ما يدل على عدم الجواز . فالقول الثاني من قول القاموس ان المليء يطلق على الغني الحسن القضاء أي الوفاء لا على كل غني . وبمثل هذا لا يجوز ان يقال فيه مملوء . وفسر الجوهري المليء بكثير المال أو الثقة الغني — والفيومي بالغني المقندر . حكاها شارح القاموس

وفي مجاز الاساس ما نصه : وما كان هذا الامر عن ملاء منا أي مملأة

ومشاورة. ومنه: «ومليء بكندا: مضطلع به. وقدموا به ملاءة وهم مليئون به وملاءة»
هذا حاصل ما ورد في كتب اللغة في الكلمة لا ما قاله المجيب . ومنه يعلم
أن أظهر هذه الأقوال في تفسير البيت ان «مليء» فيه بمعنى مضطلع ، وحاصل
المعنى ان هذا الخطيب الذي يذمه الشاعر لا قوة له على الخطابة ولا اضطلاع له بها
وانما هو مليء مضطلع بصفات الهي والحصر كلها ، وهي البير الذي هو انقطاع النفس
وتردده من الاعياء ، والاتفات ، ومسح اللحية ، وقتل الاصابع . فالمضطلع بالامر
هو القوي عليه القادر على احتماله . ويصح أيضا ان يقال انه غني وثقة بهذه الصفات ،
اي لانه فقير من الفصاحة والبلاغة ، وما به تكون الخطابة ، أولا ثقة به في ذلك
ومن البديهي أن كلمة مملوء لا تحمل محل كلمة مضطلع ولا كلمة ثقة ولا كلمة
حسن القضاء أي لما عليه من الحق ، بل ولا محل كلمة غني ومزكوم ، ولمكن معنى
الامتلاء يناسب هذا المعين في الجملة دون معنى المضطلع والثقة . ولم يرد عنهم : اناء
أو دلو أو ذق مليء ، كما يقال مملوء . فالفرق بين مليء ومملوء مثل الصبح ظاهر
ثم اننا نقول اذا جرى (التأديب) في فهم كل استعمالات اللغة على الطريقة التي
جرى عليها في فهم هذه الكلمة (مليء) فاته الفهم الصحيح في أكثرها . وأعني
بهذه الطريقة أن يعتمد الى كلمة من أصل المادة ويحمل عليها كل معنى حقيقي ومجازي
لها . مثال ذلك قولهم : اضطلع بالامر . اصل معناه الاشتقائي : احتملته اضلاعه ،
ولكنه يقال في الامور المعنوية . ومنه قول علي كرم الله وجهه في صفة النبي (ص)
فاضطلع بامرئ اطاعتك . فسروه في كتب اللغة والحديث بقولهم : قوي عليه
ينهض به . وليس أمر الوحي والدين مما تحمله الاضلاع ، وانما يحمله العقل والروح
ويؤديه اللسان .

هذا ما ظهر لنا . فما يقول في البيت أدباء مصر كالشيخ المرصفي والشيخ محمد
المهدي واسماعيل باشا صبري وحقني بك ناصف واحمد بك تيمور وحافظ بك
ابراهيم ومحمد بك المويلحي وسائر الكتاب والشعراء ؟

تقرير المطبوعات الجديدة *

﴿ الواجب ﴾

(مؤلفه الفيلسوف الفرنسي جول سيمون . وقد ترجم الجزء الاول منه بالعربية محمد افندي رمضان والشيخ طه حسين . وطبع بمطبعة الجريدة . وصفحاته ٧٤ وللمترجمين مقدمة وترجمة للمؤلف في بضع صفحات الكتاب من أشهر كتب الفلسفة التي تفحص عقل ذلك الفيلسوف الفرنسي . الشهير وموضوع الجزء الاول المترجم منه مبحث الاختيار، ومذهبه فيه كذهب أهل السنة وسط بين مذهبي الجبرية والقدرية . وقد عقد فيه فصلا طويلا للكلام في العادة ومكان الاختيار منها وتأثيرها في أعمال الانسان

﴿ شرح ابن عقيل على الالفية ﴾

هذا الكتاب من أشهر كتب النحو وأكثرها تداولاً ، وقد طبع مرارا كثيرة طبعا لا نستحق الذكر حتى طبعه منذ عامين صاحب المكتبة الازهرية الشيخ محمد سعيد الرافي بمطبعة السعادة طبعة جميلة على ورق جيد بقطع أصغر من قطع المنار وأكبر من قطع رسالة التوحيد . ووضع له في أدنى الصفحات حواشي في اعراب ما يشكل من آيات الالفية وأبيات الشواهد ، وتفسير الكلمات الغريبة في آيات الشواهد مع عزو الآيات الى قائلها . ومتن الالفية في هذا الشرح مضبوط بالشكل الكامل . فنرجو لهذه الطبعة ما نستحق من الانتشار، وهو يطلب من طابعه ومن مكتبة المنار بمصر

(ديوان الحماسة)

أعاد الرافي أيضا طبع ديوان الحماسة في مطبعة السعادة مع شرح غريبة له المختصر من شرح التبريزي، طبعه على ورق جيد وضبط الآيات ضبطا تاما نادر الغلط .

(* عهدنا بتقرير المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

وقد امتازت هذه الطبعة على طبعته الاولى له بتراجم معظم شعراء الحماسة وبذكر سبب الشعر. وصفحاته ٤٣٢ بقطع شرح ابن عقيل ويطلب من طابعه ومكتبة المنار بمصر ولعمركم ان هذا الديوان بهذا الشرح لمن أنفع الكتب لطالب العربية حتى انه كاد ليفني عن شرح التبريزي نفسه وقد عني الرافي بتصحيحه عناية عظيمة

المزهر

في علوم العربية وأنواعها للعلامة نجلال الدين السيوطي (جزآن)
وبهذه المناسبة نقول ان الرافي أعاد طبع كتاب المزهر النفيس الشهير منذ
بضع سنين على ورق جيد بمطبعة السعادة بمصر

(دستور مهالم الحكم ومأثور مكارم الشيم)

من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هذا الكتاب من جمع ورواية الامام القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة
القضاي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٥٤ وهو منقول بالرواية سماها من ناسخه عن
القاضي سناء الدين أبي عبد الله محمد العامري بمصر سنة نسخه له - من الشريف
القاضي الخطيب فخر الدولة أبي الفتوح ناصر بن الحسن بن اسماعيل الحسيني
الزيدي عن أبي عبد الله محمد بن بركات هلال السعيدي اللغوي عن المؤلف
طبع الرافي هذا الكتاب لأول مرة عن نسخة نفيسة وجدت عند البعثة جميل
بك العظم مكتوبة بخط حسن على ورق جيد مضبوطة بالشكل التام، كتبها محمد بن منصور
ابن خليفة بن منهل برسم ولده منهل، وفرغ منها في ٨ ذي القعدة سنة ٦١١ عن
نسخة عليها خط الشريف الخطيب أحد رواة الكتاب وصورة سماع روايتها والاجازات
بها . طبعه بمطبعة السعادة وص ٢٠٨ بقطع ما ذكر آتفا من مطبوعاته ويطلب
من طابعه ومن مكتبة المنار

وحسبنا ان نقول: ان هذا الكتاب من نخب كلام أمير المؤمنين الذي انزل
الله الحكمة على قلبه ونطق بها لسانه، ولا يجهل أحد ان كلام الامام يمد بهد كلام
الله ورسوله في أعلى ذروة البلاغة والفصاحة والحكمة البالغة والآداب الجامعة .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسألة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى وه متراء كمنار الطريق

مصر ٣٥ شعبان ١٣٣٣ — ٢٠ السرطان (ص ١) ١٢٩٣ هـ ١٣ يوليو ١٩١٥

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام أبو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)
وعناوين المسائل من زيادة المنار

٢

أفعال النبي (ص)

﴿ مسألة ﴾ وأفعال النبي (ص) ليست فرضا إلا ما كان منها ييانا
لامر فهو حينئذ أمر، لكن الاقتصار به عليه السلام فيها حسن . برهان
ذلك هذا الخبر الذي ذكرنا آنفا من أنه لا يلزمنا شيء الا ما أمرنا به
أونهانا عنه ، وأن ما سكت عنه فهو ساقط عنا . قال الله عز وجل (لقد

كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا عليه السلام .
قال الله عز وجل (لِكُلِّ جَمَلَانَا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جَا) حدثنا أحمد بن
محمد بن الجسور ، نا وهب بن مرة ، نا محمد بن وضاح ، نا أبو بكر بن
أبي شيبة ، نا هشيم ، نا بشار ، نا يزيد الفقير : أخبرني جابر بن عبد الله
أن رسول الله (ص) قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرتُ
بالرَّعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأما رجل
من أمتي ادركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ،
وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس
عامة » — فإذا صح أن الانبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم الا
إلى قومه خاصة ، فقد صح أن شرائعهم لم تلزم الا من بعثوا اليه فقط ،
وإذ لم يبعثوا الينا ، فلم يخاطبونا قط بشيء ، ولا أمرونا ولا نهونا ، ولو
أمرونا ونهونا وخاطبونا لما كان لنبينا عليه السلام فضيلة عليهم في هذا
الباب . ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وأبطل هذه الفضيلة التي
خصنا الله تعالى بها

— فان صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقينا ان

شرائعهم لا تلزمنا اصلا ، وبالله تعالى التوفيق

تحريم التقليد

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لأحد ان يقلد احدا لا حيا ولا ميتا ، وعلى

كل احد من الناس الاجتهاد حسب طاقته . فمن سأل عن دينه فأما يريد

معرفة ما أزمه الله عز وجل في هذا الدين . ففرض عليه ان كان أجهل البرية أن يسأل عن أعلم أهل بلده بالدين الذي جاء به رسول الله (ص) فإذا دُلَّ عليه سألته ، فإذا افتاده قال له : هكذا قال الله ورسوله ؟ فإن قال له نعم ، أخذ بذلك وعمل به أبدا ، وان قال له هذا رأيي أو هذا قياس ، أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحباً أو تابعاً أو فقيهاً قديماً أو حديثاً ، أو سكت أو انتهره ، أو قال له لا ادري ، فلا يحل له ان يأخذ بقوله . ولكن يسأل غيره . وبرهان ذلك قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)^(١) فلم يأمر عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر ، فمن قلد عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله (ص) ولا أولي الامر ، وإذا لم يردا إلى ما ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ، ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر دون بعض

فان قيل فان الله تعالى قال (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) قلنا نعم ولم يأمر الله عز وجل ان نقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه ، ولا ان يطاع أهل الذكر في رأيهم ، ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل ، وإنما أمر تعالى أن نسأل أهل الذكر عما لا نعلم من الذكر الوارد من عند الله تعالى فقط ، لا عما قاله^(٢) من لا سمع له ولا طاعة ، وإنما أمر تعالى بقبول

(١) في الاصل : واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم (٢) في الاصل عن من قاله

ندارة الناظر للتفقه في الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسوله
(ص) لا في دين لم يشرعه الله عز وجل

ومن ادعى وجوب تقايد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل ، وقال
قولا لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ، ولا إجماع ولا قياس ، وما كان
هكذا فهو باطل لأنه قول بلا دليل ، بل البرهان قد جاء بإبطاله ، قال الله
تعالى ذاماً لقوم (انا أظعننا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)

والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد في طلب دين الله تعالى الذي أوجبه على
عباده ، وبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان المسلم لا يكون مسلماً
الا حتى يقر بأن الله تعالى إلهه لا إله له غيره ، وان محمداً رسول الله (ص)
فهذا الدين اليه والى غيره ، فاذا شك في هذا ففرض عليه ان يسأل اذا
سمع فتياً: أهذا هو حكم الله تعالى وحكم رسوله؟ وهذا لا يبرح عنه من
يدري بالاسلام ولو أنه كما جلب من (قوقو) وبالله تعالى التوفيق

استفتاء أهل الحديث لا الرأي

﴿ مسألة ﴾ وان قيل له اذا سأل عن أعلم بلده في الدين : هذا
صاحب حديث عن رسول الله (ص) وهذا صاحب رأي وقياس ، فليسأل
صاحب الحديث ، ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأي أصلاً . وبرهان
ذلك قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين
للناس ما نزل اليهم) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك ، والرأي والقياس
ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الجسور ، نا احمد بن سعيد ، نا ابن وضاح ،
نا يحيى بن يحيى ، نا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان

رسول الله (ص) قال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»
 حدثنا يونس بن عبد الله ، نا يحيى بن مالك بن عائذ ، نا أبو عبد الله
 ابن أبي حنيفة ، نا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، نا يوسف
 ابن يزيد القراطيسي ، نا سعيد بن منصور ، نا جرير بن عبد الحميد عن
 المفيرة بن مقسم عن الشعبي قال « السنة لم توضع بالمقاييس » حدثنا محمد
 ابن سعيد بن ثبات (?) نا اسماعيل بن اسحق البصري ، نا أحمد بن سعيد بن
 حزم ، نا محمد بن ابراهيم بن حمون الحجازي ، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل
 قال : سمعت أبي يقول « الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي »^(١) حدثنا
 همام بن أحمد ، نا عباس ابن أصبغ ، نا محمد بن عبد الملك بن اعين ، نا عبد الله
 ابن أحمد بن حنبل ، قال سألت ابي عن الرجل يكون يبلا لا يجد فيه الا
 صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب رأي فتنزل به
 النازلة : من يسأل ؟ فقال ابي : يسأل صاحب الحديث ولا يسأل أصحاب
 الرأي . ضعيف الحديث أقوى من رأي أبي حنيفة

رفع الخطأ والنسيان

﴿ مسألة ﴾ ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن
 أو السنة لهما حكم قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن
 ما عمدت قلوبكم) وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا)

إنما التكليف بالاستطاعة

﴿ مسألة ﴾ وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه ،
 وان عجز عن جميعه سقط عنه ، وان قوي على بعضه وعجز عن بعضه

(١) الحديث الضعيف عند أحمد هو الحسن عند الجمهور

سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء كان أقله أو أكثره .
برهان ذلك قول الله تعالى (لا يكاف الله نفسا الا وسعها) وقول رسول
الله (ص) « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل
باسناده وباللغة تعالى التوفيق

لا يقدم الموقت على وقته

﴿ مسألة ﴾ ولا يجوز ان يعمل احد شيئا من الدين موقتا بوقت
قبل وقته ، فان كان موقتا الاول من وقته والآخر من وقته لم يجوز ان يعمل
لا قبل وقته ولا بعد وقته ، لقول الله عز وجل (ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه) وقال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) والاقوات حدود
فن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له ، فقد تعدى حدود الله (١)
— حدثنا عبد الله بن يوسف ، نا أحمد بن فتح ، نا عبد الوهاب بن عيسى

(١) الحدود المكانية أولى بهذا الحكم من الحدود الزمانية كما وقيت الحج ،
وقد عبر عنها في الأحاديث بمادة الحد كما في حديث ابن عمر في البخاري « ان رسول
الله (ص) حد لأهل نجد قرنا » وقد مضى عمل النبي (ص) وأصحابه على ذلك
فيصدق على مخالفة الحديث الآتي « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقد
أنكر عثمان على من أحرم من خراسان ، وأنكر مالك على من أراد الاحرام من
مسجد الرسول بالمدينة وقال له : أخشى عليك الفتنة . وحديث أم سلمة في
الاهلال من المسجد الأقصى لا يصح . وما روي في تفسير انعام الحج والعمرة « أن
تحرم من دويرة أهالك » فعناه أن تنوي الحج منها كما يفسره ما روي عن ابن عباس
وغيره من قوله « أن تحرم من دويرة أهالك لا تريد الا الحج والعمرة ، وتهل من
الميقات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا حاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت
لو حججت أو اعتمرت ! وذلك يحزى ولكن التمام أن تخرج له لا لغيره »
وبهذا تتفق هذه الرواية مع تفسير الجمهور وظواهر النصوص والسنة العملية .

نا أحمد بن محمد ، نا أحمد بن علي ، نا مسلم بن الحجاج ، نا اسحق ابن ابراهيم - هو ابن راهويه - عن ابي عامر العقدي ، نا عبد الله بن جعفر الزهري ، عن سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : أخبرني عائشة أن رسول الله (ص) قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ »

(قال علي) ومن أمره الله تعالى أن يعمل عملاً في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت ، فقد عمل عملاً ليس عليه أمر الله تعالى وأمر رسوله (ص) فهو مردود باطل غير مقبول ، وهو غير العمل الذي أمر به

فإن جاء نص بأنه مجزي في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ ، وإنما الذي لا يكون وقتاً للعمل فهو ما لا نص فيه وبالله تعالى التوفيق
المجتهد المخطئ خير من المقلد المصيب

﴿ مسألة ﴾ والمجتهد المخطئ افضل عند الله من المقلد المصيب . هذا في اهل الاسلام خاصة . واما غير اهل الاسلام فلا عذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد . وكلاهما هالك . برهان هذا ما ذكرناه آنفاً باسناده من قول رسول الله (ص) « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذنم الله تعالى التقليد جملة ، فالمقلد عاص والمجتهد مأجور

وليس من اتبع رسول الله (ص) مقلداً لانه فعل ما أمره الله تعالى به ، وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله (ص) لانه فعل ما لم يأمره الله تعالى به . وأما غير أهل الاسلام فإن الله تعالى يقول (ومن يدتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

الحق واحد لا يتعدد

﴿مسألة﴾ والحق من الأقوال في واحد منها وسائر ما خطأ وبالله تعالى التوفيق. قال الله تعالى (فإذا بئد الحق إلا الضلال) وقال تعالى (ولو كان عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وذم تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا) وقال تعالى (تبينا لكل شيء) فصيح أن الحق في الأقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه، وهو واحد لا يختلف، وإن الخطأ ما لم يكن من عند الله تعالى، ومن ادعى أن الأقوال كلها حق، وأن كل مجتهد مصيب، فقد قال قولا لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول

وما كان هكذا فهو باطل ويبطله أيضا قول رسول الله (ص) « إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » فنص عليه السلام أن المجتهد قد يخطئ ومن قال أن الناس لم يكفوا إلا اجتهدهم فقد أخطأ، بل ما كفوا إلا إصابة ما أمر الله تعالى به، قال الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل إليهما وأن لا تتبع غيره، وألا نعدى حدوده

وإنما أجر المجتهد المخطئ اجرا واحدا على نيته في طلب الحق فقط، ولم يأنم إذ حرم الإصابة. فلو أصاب الحق اجرا اجرا آخر، كما قال عليه السلام أنه إذا أصاب اجرا ثانيا. حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خاله، نا إبراهيم بن أحمد، نا الضريري، نا البخاري، نا عبد الله بن يزيد المقرئ، نا حيون بن شريح، نا يزيد بن عبد الله بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو

ابن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله (ص) يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر » ولا يحل الحكم بالظن اصلاً لقول الله عز وجل (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) واقول رسول الله (ص) « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق اهـ

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة

واللغة العربية*

٣

نص وترجمة الوصفة الطبية المدرجة في القرطاس الطبي المحفوظ بمتحف برلين . وهي التاسعة والتسعون بعد المائة . وكانت كتابة هذا القرطاس في زمن العائلة التاسعة عشرة واسم الوصفة الطبية بلسانهم « بخر »^(١)
لمائة^(٢) تمشؤ الست لآتمشؤ^(٣)

(* لأحمد كمال بك أمين المتحف المصري
(١) البخر مقلوب الخبر بالضم أي الاختبار بالتجربة ونحوها .
(٢) اللمائة اللمحة . فالهمزة مقلوبة عن الحاء وهذا القلب معهود في اللغتين العربية والمصرية . وقد ورد في العربية لمائة ولحة بمعنى واحد ، بل هو فعل واحد
(٣) هو من المشاء بالفتح وهو بالعربية النماء ومنه الماشية . قال في لسان العرب : وأصل المشاء النماء والكثرة والتناسل . ولكن فعله بالعربية يأتي يقال مشت إبل بني فلان تمشي مشاء إذا كثرت . والمصريون همزوا الفعل
وقد اختلف علماء اللغة العربية في إطلاق لفظ الست على المرأة فقيل إنه مأخوذ من الجهات الست كما قال البهاء زهير : =

بُرُّ (٤) وعُضٌّ (٥) تفوحهما (٦) الست بمائها رفاء (٧) مثل البرني (٨) والعيش (٩) في غلافين (١٠) فان ذراً (١١) لوفرتها (١٢) فانها تمشؤ وان ذراً البر فهو ذكر وان ذراً العض فهو ست وان عدم الذرة لا تمشؤ والمعنى: إن أريد أن يعرف هل تلد المرأة أم لا تلد، وماذا تلد ان ولدت، فليوضع في غلاف أي إناء شيء من البر وفي إناء آخر شيء من الشعير كما يفعل في تقع التمر والعيش، وتبول المرأة عليهما كل يوم، فان نبتا معا فانها تلد وان نبت القمح وحده تلد ذكراً وان نبت الشعير وحده تلد أنثى. وان لم ينبتا لاتلد

= ولكن عادة ملكت جهاتي فلا عجب اذا ماقلت ستي وقيل لحن أو عامي. وقال الفيروزيادي الصواب ان أصله سيدتي. وظاهر كلامه انه مخصوص بالنداء وحالقه غيره في هذا. واستعمال هذه الكلمة بمصر أكثر من استعمالها في سائر البلاد العربية. ولا يبعد ان تكون مما أخذ العرب عن قدماء المصريين لا العكس

(٤) البر والقمح والحنطة واحد في اللغتين كما تقدم في النبذة الأولى
(٥) العض بضم العين المهملة من أسماء الشعير بالعربية والمصرية وهو المراد هنا
(٦) المراد بالتفويج بلاء هنا إراقة البول. ومادته فوح تدل في العربية على الإراقة لكنه استعمل في الدم يقال أفاح الدم اذا أراقه وسفكه، وفاح الجرح. على انتشار الرائحة وهو المشهور، وعلى السعة. وقالوا بحر فواح
(٧) قال أحمد كمال بك رفاء معناه كل يوم ولا نعزف له أصلاً في العربية بهذا المعنى ويقرب منه الرفاء (بالكسر) وهو الاتصال والاتحام

(٨) البرني أجود التمر وذكر في النبذة الأولى
(٩) العيش اطلق على الخبز في اللغتين لأنه المادة التي يعيش بها أكثر الناس
(١٠) الغلاف بوزن كتاب الصوان والعشاء الذي يصان به الشيء يقال غلاف الكتاب وغلاف السيف واستعمل بالمصرية بهذا المعنى
(١١) يقال بالعربية ذراً الأرض بمعنى بذرها، ويقال بذرت الأرض اذا أخرجت نباتها متفرقا
(١٢) معناه بالمصرية كلاهما. والوفرة بالعربية الكثرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدِيثُ الْبَدْعِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٨

الاعضاء التي لا قناة لها

علم مما سبق أن في جسم الانسان نوعين من الاعضاء : —
 (النوع الاول) : هو الذي له قناة تحمل افرازه سواء أ كان هذا الافراز صالحا للجسم أم ضارابه، فمثال الصالح افراز البنكرياس ومثال الضار افراز الكلية. وتسمى هذه الاعضاء « بالعدد التي لها قناة » وافرازها يسمى « بالافراز الخارجي » لانه يرى خارجا منها ويجري في قنواتها ، وأكثر هذه الاعضاء له افراز آخر يسمى « بالافراز الداخلي » وهو الذي يجري في الأوردة الدموية أو في الاوعية اللمفاوية. وله فوائد سند كرها ان شاء الله تعالى . مثال ذلك الخصية فان لها افرازا خارجيا وهو المنى يجري في قنواتها المعروفة ، وافرازا داخليا لا يرى وله تأثير في بنية الشخص وهيئته وصوته وشعر وجهه ونحو ذلك من مميزات الذكور التي تفقد بالخصاء
 (النوع الثاني) : الاعضاء التي لا قناة لها كالطحال وغيره . وهذه لها افراز واحد يسمى « بالافراز الداخلي » له منافع عظيمة في الجسم ، وقال آخرون إن المراد من هذه الاعضاء الاخيرة ليس افراز مواد نافعة للجسم بل إخراج بعض فضلاته لضرر بقاءها فيه ، والظاهر أن كلتا النظريتين صحيحة من بعض الوجوه ، ولكن الأولى أكثر قبولا عند الجمهور الآن من الثانية . وهالك بيان وظيفة تلك الاعضاء التي لا قناة لها : —

(١) الطحال عضو شهير ، وهو أكبر الغدد التي لا قناة لها ، وموضعه في الجهة اليسرى من البطن بين المعدة والحجاب الحاجز . أما وظائفه فخمس :

(أولها) تكوين كريات بيضاء للدم (ثانيا) توليد بعض الكريات الحمراء في بعض الحيوانات (ثالثها) اتلاف الكريات الحمراء القديمة التي قاربت الفساد (رابعها) تكوين بعض مواد نيتروجينية كحامض البوليك لإخراجها من الجسم لضرر بقائها فيه (خامسها) يقوم الطحال بوظيفة مستودع للدم يجتمع فيه إذا انتهى الهضم فيمتلئ به ويكبر حجمه ، وإذا ابتداء الهضم يندفع الدم منه إلى المعدة

(٢) الغدة الصعترية غدة مؤقتة تكبر عقب ولادة الطفل إلى نهاية السنة الثانية إذ يتم نموها ، ثم تأخذ في التناقص شيئا فشيئا حتى لا يبقى إلا أثرها في زمن البلوغ . موضعها في الجزء الأمامي من الصدر وراء القص وتمتد إلى أسفل العنق ولونها يميل إلى الحمرة أو يقرب من السنجابي

ووظيفتها تكوين كريات بيضاء كباقي الغدد اللعابية . وفي الحيوانات التي تسبت (Hibern ate)^(١) تبقى فيها هذه الغدة الصعترية مدة الحياة كلها ، وفي أثناء يقظتها يتراكم فيها جزء عظيم من الشحم ، وهذا يستعمل في أثناء سباتها فيأخذ في الاحتراق شيئا فشيئا

فيظهر من ذلك أنها تجتمع فيها بعض المواد التي تلزم للحياة في أثناء هذا النوم الطويل في تلك الحيوانات

ويقول بعض العلماء أنها تولد أيضا بعض الكريات الحمراء في الأطفال ، وإذا أزيلت هذه الغدة من بعض الحيوانات كالضفادع مثلا . حصل لها ضعف عضلي شديد مع شلل ينتهي بالموت

(٣) الغدة الدرقية تشاهد في أسفل العنق من الامام على القصبة الهوائية ، وشكلها يشبه الدرقة ولذلك سميت بهذا الاسم . وهي في النساء أكبر منها في الرجال ، وفي زمن الحيض تفتخ قليلا . وقد تصاب بمرض فتحصل فيها ضخامة

(١) كلمة لاتينية معناها حرفيا (تشتي) والمراد بها السبات الذي يصيب بعض الحيوانات مدة الشتاء كالخفاش (الوطواط)

عظيمة تسمى بلسان الأطباء (جواتر) Gositre^(١) وهو مرض عسير الشفاء ولا يزول غالبا الا بعملية جراحية فيستأصل من العنق ، ويجب الاحتراس من ظن أن هذه الغدة هي القطعة الناتئة في العنق المسماة « بتفاحة آدم »^(٢) فان هذه الغدة التي تكلم عليها هي تحت التفاحة بقليل

أما مادتها فمركبة من منسوج مخصوص مشتمل على حويصلات صغيرة جدا ملوثة بمادة غروية مركبة من الزلال وعنصر اليود

ووظيفة هذه الغدة ان تفرز افرازا داخليا له تأثير عظيم في بنية الشخص وقواه العقلية ، فاذا مرضت أو استصلت في الاطفال وقف جسمهم عن النمو وأصيخوا بالبله واذا أصابها المرض في الكبر حدث الانسان ما يسمى « بالتورم المخاطي » [Myxoedema] في جسمه فتضخم جميع الانسجة التي تحت الجلد حتى يتورم جسمه ويصاب بالضعف العام في جميع قواه الجثمانية والعقلية ، ولذلك يجب الاحتراس في أثناء العمليات الجراحية من استئصال هذه الغدة كلها بل يتحتم ترك جزء منها ليقوم بهذه الوظيفة المهمة

وانما سمي هذا المرض الاخير بالتورم المخاطي لظنهم أن هذا الورم ناشئ عن زيادة المواد المخاطية تحت الجلد . والحقيقة أن المنسوج الضام الذي تحت الجلد بجميع أجزائه هو الذي يضخم لا المادة المخاطية التي فيه وحدها

ولعلاج هذه الاحوال يجب استمرار حقن خلاصة من الغدة الدرقيّة تحت جلد المصاب أو تستعار له هذه الغدة من أحد الحيوانات وتلصق بجسمه جراحيا (وهي طريقة قليلة النجاح) وأحسن من ذلك كله ان يأكل المريض من هذه الغدة مادام حيا

ويوجد للغدة الدرقيّة أخوات صغيرة بجوارها أو فيها والراجح عند بعض العلماء أن التأثير الاعظم في المجموع العصبي وغيره هو لهذه الغدد الصغيرة (٤) الغدة التي فوق السكتية هي جسم شكاه كالثلاسوة المضغوطة من الجانبين

(١) كلمة فرنسية معناها الحرفي البلعوم

(٢) سميت بذلك لظهورها في الرجل أكثر منها في الأنثى

يرى على قفة كل من الكليتين ، أما وظيفتها فأول من اهتمدى اليها طبيب انكليزي يسمى (أديسون) Addison في سنة ١٨٥٥ م ولذلك سمي المرض الناشئ من اصابة هذه الغدة باسمه الى اليوم. وأعراضه ضعف في المجموع العضلي كله وفي المجموع الدوري للدم وفي الاعصاب، واصابة الجلد بلون السمرة بحيث تشبه النحاس

وإذا استخلص من هذه الغدة خلاصة وحقت تحت الجلد أحدثت انقباضا في الاوعية الدموية الصغيرة ، فهي لذلك تنفع في منع النزيف، وكذلك اذا وضعت هذه الخلاصة على الاغشية المخاطية صيرت لونها أ كمد لا تقباض الاوعية الدموية فيها ومنعت النزيف ، ولذلك يستعملها أطباء العيون في العمليات الجراحية للعين بنسبة واحد في الألف لمنع النزيف . وأشهر الاحراض التي تصيبها هو التدرن

(٥) الجسم النخامي أو المخاطي هو جسم في الدماغ أحمر سنجابي يشاهد على السرج التركي للعظم الوتدي من عظام الجمجمة أسفل المخ ، ومرض هذا الجسم يحدث ضخامة فظيعة في عظام الاطراف العليا والسفلى وكذلك في عظام الوجه

(٦) الغدة الصنوبرية هي أيضا داخل الجمجمة تحت مؤخر الجسم المندمل الموصل بين فصي المخ ، في وسطها تجويف صغير ، ولم تعلم لهذا الجسم وظيفة الى الآن، وغاية ما يعرف عنه أنه أثر ضامر لعين ثالثة

وتوجد هذه العين في حال أحسن منها في الانسان في الاورال (العطاء)

[Lizards] خصوصا في النوع المسمى بالافرنجية «هتيريا» (Hatteria) وهي فيها مغطاة بالجلد ، وفي الحرباء وبعض الزواحف تتصل الغدة الصنوبرية بعين ثالثة في وسط سطح الرأس ولكنها في الحالة الاثرية أيضا

وهذا العضو هو من أعظم وأشهر الاعضاء الاثرية التي بنى عليها مذهب دارون

(٧) الجسم العصصي يوجد عند نهاية العصص وفيه منسوج ضام مشتمل على كثير من اوعية دموية صغيرة . وهذا الجسم لا تعرف له وظيفة أيضا

(٨) الجسم السباتي هو جسم عند اتقسام الشريان السباتي^(١) الذي في جانبي

(١) سمي بذلك لان الضغط على هذا الشريان ضغطا يقلل الدم عن الدماغ

يحدث نوما عميقا (أي سباتا) أو غيبوبة

العنق الاعمى والايسر

وهذا الجسم يشبه في تركيبه الجسم العصبي وهو مثله أيضا في جهلنا وظيفته
جهلا تاما

الجلد : تركيبه ووظيفته

يتركب الجلد من طبقتين : العليا تسمى البشرة ، والسفلى تسمى الادمة ، وفيهما
الشعر والأظفار والغدد الدهنية وغدد العرق ، أما البشرة فهي مركبة من طبقات
عديدة ، كل منها مركب من خلايا بعضها بجانب بعض كالبلات

وأما الطبقات السطحية فهي كالفشور الميتة وتفقد منها نوياتها ، وتنفصل عن
الجلد شيئا فشيئا ، ويحصل نمو البشرة من طبقاتها السفلى . وفي هذه الطبقات ترى
المواد الملونة لبعض أنواع البشر . وفيها أيضا تحفظ المواد التي يستعملها الناس للوشم .
وطبقات البشرة تتغذى بالمادة اللعفاوية ، ولها مجار دقيقة جدا بين خلياتها ، ولا يوجد
في البشرة عروق للدم ، ولكن يوجد في الطبقات السفلى منها أعصاب دقيقة جدا

وأما الادمة فهي مركبة من منسوج ليفي كثيف ، وهذه الكثافة تتناقص شيئا
فشيئا حتى تصل الى المنسوج الخلوي الذي تحت الجلد وبه الشحم . وفي الادمة
حلمات صغيرة توجد بكثرة في راحة الكفين وفي أخمص القدمين ، وهي أكبر
الحلمات الجلدية ، ويكون بعضها بجوار بعض صفا صفا ، وهي السبب فيما نشاهده
في جلد الراحة مثلا من القنوات الصغيرة . وهذه القنوات لها أشكال متنوعة في
يد كل شخص ، بحيث يتعذر وجود شخصين متماثلين فيها من جميع الوجوه ، ولذلك
يختبر بها تحقيق الشخصية

وفي الحلمات الجلدية لفائف من الأوعية الشعرية الدموية ، وفي بعض الاجزاء
كالأخصصين والراحتين وغيرها أجسام بيضاوية لها علاقة مخصوصة بحاسة اللمس
وفي الطبقات السفلى من أدمة الصفن والقضيب وحلمة الثديين ألياف عضلية
غير اختيارية ، وهي التي تحدث الانكماش في جلد تلك الأعضاء باتقباضها

وأما الاظفار فهي عبارة عن بعض طبقات من طبقات البشرة تنوهت تنوعا خاصا

وأما الشعر فهو أيضا طبقات من البشرة تنوعت تنوعا مخصوصا، وكل شعرة تثبت من بصيلة في حفرة مخصوصة تسمى الحويصلة الشعرية، والشعر يوجد في جميع أجزاء الجسم بدرجات مختلفة ما عدا الراحتين والاحمسين والقضيب، أما لونه فهو ناشئ عن وجود مادة ملونة في خلاياه. وسبب الشيب فقد هذه المادة، وقد يتولد في الشعر فقاقيع هوائية وهي التي تظهر أن لونه أبيض عند حصول فزع للانسان مثلا وكل حويصلة من حويصلات الشعر لها ليفة عضلية صغيرة تجذبها في بعض الاحوال فينتصب الشعر كما يحصل عند البرد أو الفزع

وأما الغدد الدهنية فهي غدد كيسية موضعها في الأدمة وتنفث قنواتها في أعلى حويصلات الشعر، وهي تفرز مادة دهنية فائدتها تليين الشعر والجلد، وبانسداد هذه الغدد والتهابها يحصل « حب الشباب » بسبب كثرة افراز المادة الدهنية في هذا الطور من العمر، وبعد سن الثلاثين يندر وجود هذا المرض

وأما غدد العرق فتوجد في جميع سطح الجلد وتكثر جدا في الأماكن التي لا شعر فيها كالراحتين، وكل منها عبارة عن أنبوبة ملتفة على نفسها، موضعها في الأدمة أو فيما تحتها - وهو الغالب - وتنفث قنواتها في سطح البشرة
وأما المادة التي تفرز في داخل الاذن فلها غدد تشبه غدد العرق

وظائف الجلد

- (١) أن يكون وقاية للجسم ومركزا للحس باللمس
- (٢) عليه مدار تنظيم حرارة الجسم - كما سبق -
- (٣) يتنفس الجسم منه، فانه يخرج منه غاز ثاني أكسيد الفحم، ويمتص الجسم أكسجين من الهواء. وهذه الوظيفة في الحيوانات ذوات الجلد السميك ضعيفة جدا ولكن لها في ذوات الجلد الرقيق أهمية عظيمة، حتى اذا نزع منها الرئتان عاش الحيوان مدة بالتنفس الجلدي فقط كما في الضفادع

(٤) الامتصاص ، وهذه الوظيفة لها أهمية في العلاج فان كثيرا من المواد اذا وضعت على الجلد دخلت البنية كالزئبق مثلا وكذلك الزيوت وغيرها كثير ، فامتصاص الزئبق من هذا الطريق يمكن معالجة الداء الافرنجي . وكذلك يعالج الاطفال النحفاء بذلك أجسامهم بالزيوت خصوصا زيت السمك ، وهي طريقة لطيفة لتوقى طعامها المبفوض . ومن هنا نفهم سبب سمن اكثر المشتغلين بمس الزيوت والشحوم كالجزارين مثلا فان أجسامهم تمتص شيئا منها ، والامتصاص بالجلد هو بالضرورة أضعف من الامتصاص بالانغشية المخاطية

(٥) الافراز ، ومعناه خروج بعض المواد الضارة بطريق الجلد من جسم

الانسان في العرق وغيره

العرق

توجد غدد العرق بكثرة في الانسان في راحتيه واخصيه — كما سبق — ولذلك يكثر العرق فيهما ولكن يوجد اختلاف بين الحيوانات في كمية العرق التي تفرزه وفي الاماكن التي يفرز منها بكثرة — فالثور يعرق أقل من الحصان والغنم ، والفيران والارانب والمعز لا تعرق ، والخنزير انما يعرق أنفه بكثرة ، واما الكلاب والقطط فتعرق براحة أرجلها

وإذا خرج العرق من الجسم تبخر في الهواء وفي تبخره يجتذب جزءا من حرارة الجسم فتعرض له البرودة وإذا كان الهواء جافا وحارا ومتحركا كان التبخر عظيما ، والعكس بالعكس

ومقدار العرق في اليوم نحو ٧٢٠ جراما

تركيب العرق : اذا خرج العرق من الجسم يخرج معه شيء كثير من الفضلات الضارة ، وهو يمتزج بالمادة الدهنية التي تفرزها الغدد المذكورة سابقا ، ويختلط كذلك ببعض خلايا البشرة التي انفصلت عنها وهذه الخلايا فيها كثير من مادة الكبريت ، وهذه هي احدى الطرق لاخراج هذا العنصر من الجسم

أما العرق فيشتمل على ماء كثير وأملاح متعددة أشهرها ملح الطعام ، وحوامض دهنية ومادة البولينا وهي التي تخرج بكثرة في البول وهي من أشهر

فضلات الجسم المتخلفة عن احتراق المواد الزلالية فيه - كما سبق -
 ومما سبق تعرف العلاقة بين افراز الكلى وافراز الجلد ، فاذا كثر العرق قل
 البول وبالعكس . وهذا هو السبب في قلة افراز البول اذا امتد الحر في زمن الصيف .
 لذلك كان من أحسن طرق علاج المصاب بمرض في الكلى أن تكثر عرقه بالتدفئة
 أو بالحمامات الساخنة أو ببعض الادوية التي يعرفها الاطباء ، وبهذه الوسيلة تخرج
 بعض الفضلات الضارة من الجسم بطريق الجلد فتسريح الكلى حتى يتم شفاؤها
 وتوجد مواد كثيرة اذا تعاطاها الانسان خرجت بكثرة في العرق مثل الجاوي ،
 وبعض الادوية حين خروجها من الجسم تهيج الجلد وتحدث فيه طفحا مخصوصا
 كالزرنينج مثلا . ومثل ذلك سموم بعض الامراض فانها تحدث طفحا في الجلد .
 وسياتي الكلام عليها في الجزء الثاني ان شاء الله

وتم مواد أخرى غير ما ذكر تخرج مع العرق في بعض الاحوال ، فقد شوهد
 أن بعض الناس يتلون عرقهم بلون مغاير للون الطبيعي بسبب خروج دم فيه أو
 بخروج المادة الحمراء الملونة للدم . وقد يخرج في العرق مادة زلالية وذلك في مرض
 الرثية (الروماتزم) الذي يكون فيه العرق أشد حموضة من المعتاد ، وقد يخرج
 فيه أيضا حامض اللبنيك وذلك في الحمى النفاسية أو في داء الكساح أو الخنازير
 الاستحمام : علم مما سبق أن الاغتسال ضروري للانسان لان تركه يسبب
 تراكم تلك المواد المدكورة آنفا على سطح الجلد فتسد قنوات الغدد وتعوق افرازها
 واذا قل افراز الجلد كثر مجهود الرئتين والكليتين فتصاب بالعطب . زد على ذلك
 كون القنطرة نحت من قدر المرء وتنفر الناس منه وتحدث بعض أمراض في الجلد
 نفسه كالحكة

ومن فوائد الاستحمام غير ما ذكر أنه ينشط الجسم وينبه المجموع العصبي
 والدوري ، ولذلك أوجبه الشارع الحكيم بعد الجنابة لازالة ما يحدث للجسم من
 الفتور بعد الجماع . والاستحمام يقوي المرضى والضعفاء ، ومن ذلك تظهر حكمة
 اغتسال الحائض والنفساء لان هاتين الحالتين هما - من غير شك - مرضيتان
 واحسن طريقة لازالة أوساخ الجسم هي استعمال الماء الفاتر أو الساخن مع

الصابون والدلك بالليف أو نحوه، ولا يخفى أن الدلك من أحسن الوسائل المستعملة في الطب الحديث لتقوية الاعصاب والعضلات وإزالة بعض الآلام، ولذلك يمدح بعض أطباء الأفرنج الإمام مالكاً رضي الله عنه لجعله الدلك من فرائض الغسل فإنه أكثر تقوية للجسم من الغسل وحده

أما الصابون فإنه يتولد من تأثير البوتاسيوم والصوديوم في المواد الدهنية أو الزيتية

أنواع الحمامات هي : —

(١) البارد وحرارته تكون أقل من حرارة الجسم بكثير

(٢) الفاتر وحرارته أقل بقليل

(٣) الساخن وحرارته مثل حرارة الجسم

(٤) الحار وهي مثل حرارة الجسم إذا أصابته الحمى الشديدة

والمياه الساخنة منبهة للجسم مزيلة لآلام الروماتزم وغيرها ، ويصح لكل انسان أن يستعملها

أما المياه الباردة فالأولى أن لا يستعملها الإنسان إلا في زمن الصيف بشرط أن يكون صحيح البنية سليم الكليتين والرئتين . وإذا أحس الإنسان بعدها بجمرة في جسمه كان ذلك دليلاً على أن بنيته تتحملها بشرط السلامة من المرض

وينبغي أن يستعمل الإنسان بعد الحمام البارد الدلك الشديد والتدفئة بالملايس الكافية والرياضة البدنية نحو نصف ساعة

وكذلك يجب في جميع الحمامات تنشيف الجسم من الماء تنشيفاً جيداً فإن في ذلك وقايته من البرد، ويجب في الحمام الساخن أن لا يخرج الإنسان منه دفعة واحدة إلى الهواء البارد ، وأحسن وقت للاستحمام أن يكون في الصباح قبل الفطور أو بعد تناول لقيات قليلة جداً مع فنجان من القهوة أو الشاي، ومن الضرر البالغ أن يغتسل الإنسان بعد الجوع الشديد أو التعب الكبير أو بعد امتلاء المعدة بالطعام ، ولا يصح دخول الحمام عقب الأكل إلا بعد مضي ساعة أو ساعتين على الأقل

ولا يجوز استعمال الماء البارد للشيوخ والمجانز ولا للمصابين بضعف القلب
والماء البارد نافع جدا في الحميات وكذلك الفاتر، وهذا مصدق للحديث القائل
«الحمي من فتح جهنم فأبردوها بالماء» - كما سبق - والمعالجة بالماء Hydrotherapy
نجحت نجاحا عظيما في شفاء كثير من الامراض الضعفية والامراض التي تهك القوى
العقلية ولازالة مضار الحياة الجلوسية

أما السبب في احساس الانسان بالحرارة عقب استحمامه بالماء البارد فهو تمدد أوعية
الجلد وامتلاؤها بالدم بعد انقباضها عند استعمال الماء البارد وهو ما يسمى «برد الفعل»
والواجب أن يكون زمن الحمام البارد قصيرا جدا (أي بضع دقائق) فان
الفرض منه ليس تنظيف الجسم بل تقويته ، ويجب أن لا يكون الحمام الساخن في
مكان فاسد الهواء كأن توضع فيه النار مثلا

وينبغي الاستحمام في الصيف مرتين في الاسبوع على الاقل ، وفي الشتاء مرة
واحدة ، وينبغي تغيير الملابس بعد الاستحمام ، ومن هنا نفهم حكمة الشارع في سن
غسل الجمعة ولبس أحسن الثياب يومه ، وفي فرض الغسل بعد كل جنابة ولو
بالاحتلام ، وفرض طهارة الثوب

الملابس

الفرض من الملابس حفظ الجسم من البرد والحر والرياح والمطر والقاذورات
وهي تدقته وتحفظه من بعض العوارض وكذلك تزينه
وتتخذ الملابس إما من الحيوان أو من النبات
(١) ما يتخذ من الحيوان

فهو الصوف والوبر والشعر: وهي تؤخذ من الانعام كما هو معروف. وهذه الاشياء
جمعا تغزل ثم تنسج ما عدا اللباد فانه يصنع بلاغزل ولا نسج ولتميز هذه الاشياء
عن المواد النباتية يوضع جزء منها في محلول القلويات (١) الكاوية فاذا ذاب علم
(١) كمحلول الصودا الكاوية أو البوتاسا الكاوية وعمما عبارة عن
هيدرات البوتاسيوم أو الصوديوم

أنه من أصل حيواني

والكشمير يتخذ من شعر معز بلاد التبت

وهذه الاصناف جميعا موصولة رديئة للحرارة وتمتص الرطوبة بسهولة وسرعة ولكنها تبخر منها ببطء ، فلذلك كانت نافعة جدا في التدفئة . ومن معايها أنها تيبس وتنكش بالغسل

الحريير : يفرز من غدتين بأسفل جسم دودة القز ، ولها فتاتان تفتح في الشفة السفلى لفم الدودة . والخيط الواحد عبارة عن خيطين دقيقين جدا ملتصق أحدهما بالآخر وطوله نحو ٤٠٠٠ ياردة

وتفرز الدودة هذا الخيط لتبني به بيتا حولها يحيط بها ويخفيها عن الأعين ويحفظها من كل مايؤثر فيها مدة تحولها الى فراش ، ويسمى هذا البيت بالشرقة ، فاذا تحولت الى فراش ثقب هذا البيت وخرج منه ، فتزواج ذكوره بانائه وتضع الاناث أيضا صغيرا جدا كحجم رأس الدبوس الصغير يشبه بزور الخشخاش (أبي النوم) وهذه البويضات تنفقس فتخرج منها ديدان دقيقة وهي ديدان القز ، ولا تفرز الحريير الا بعد كبرها وتعام نموها ، وتتغذى هذه الديدان بورق التوت ، وفي بلاد المغول نوع آخر منها يتغذى بورق البلوط . وهالك تفصيل حياة هذه الدودة كما عاتته بالمشاهدة أثناء تربيتها له : -

يبدأ بيض القز ينقس في أواخر شهر فبراير أو أوائل مارس وقت ظهور ورق التوت ، ويكون الدود صغيرا جدا كالنمل ثم يكبر حتى يصير طول الواحدة نحو ٦ - ٨ سنتي متر . ويخرج الحريير في أوائل شهر ابريل ، ويقال إنه يمكن تربيته أيضا على ورق الخس ولكن حريره يكون أقل . وتتكون الشرانق فاذا تمت خرج الفراش منها بعد نحو ١٨ أو ١٩ يوما ، وتبدأ الاناث بوضع بيضها بعد نحو ٢٤ ساعة من خروجها . وعدد بيض كل نحو ٢٠٠ على الأقل . ويموت الذكر والانثى من الفراش بعد خروجه بنحو عشرة أيام . والانثى أكبر قليلا وأصغر بيضا

أما لون البيض الجديد فهو مصفر فاذا قدم صار رماديا . وهو مفرطح ومنبعج في وسطه . ولا يأكل الدود داخل الشرقة شيئا ولا يشرب ، وكذلك الفراش

ولون الشرنقة أبيض أو مصفر قليلا أو كثيرا، وشكله بيضاوي مخصر، وطول الشرنقة من اثنين ونصف الى ثلاثة ونصف سنتي مترا وعرضها واحد ونصف تقريبا . وقد يفتس البيض مرة أخرى في مايو

أما خيط الحرير فله قلب محاط بمادة شمعية زلاية. وتتميز هذه الخيوط الحريرية عن الخيوط النباتية بوضع عليها حامض البكريك Picric^(١) ولونه أصفر فاذا تلونت به كانت حريرا صحيحا والا فلا

وتتميز الحرير عن الصوف مثلا بوضع القماش في محلول قلوي من أكسيد الرصاص فاذا تلون باللون الاسود دل ذلك على أنه صوف لوجود مادة الكبريت فيه فتتحد مع الرصاص وتحدث هذا اللون الاسود، أما الحرير فليس فيه هذه المادة الكبريتية.

والحرير يمتص الرطوبة بكثرة وهو موصل رديء للكهرباء، ويقال انه يحفظ الروائح وجراثيم الامراض

ولا يحتاج الجسم الى لبس الحرير الا اذا كان مصابا بداء الحكمة، ولا شك أن الشارع يبيحه في مثل هذا المرض فقد لبسه بعض الصحابة بأمر رسول الله (ص) في ذلك المرض، لان الضرورات تبيح المحظورات

ويؤخذ من الحيوانات أيضا الفرو والريش والجلود . أما الفرو فيستعمل في البلاد القطبية ، والریش يستعمل للزينة غالباً، والجلود تستعمل في الاحذية وغيرها (٢) ما يتخذ من النبات

القطن : وهو خيوط تحيط بزرور شجرة معروفة تنبت في البلاد الحارة والمعتدلة كمصر ، وهذه الشجرة هي حقيقة شجرة مباركة. فتطنها ضروري للملابس والاثاث وغير ذلك، وبزورها يستخرج منها زيت جيد نافع في التغذية يسمى في مصر بالزيت الخلو . وهذه البزور تستخرج منها خلاصة تدر لبن المرضع ، وكذلك اذا أعطيت للانعام كترابها ، وهذه الخلاصة تباع باسم (Lactagol) تصنع في المعامل الاوروبية . وتستعمل سيقان هذه الشجرة في الوقود وقشر جذورها مجفف للحبلى

(١) كلمة يونانية معناها « مر »

والقطن كالصوف يغزل أولاً ثم ينسج لصناعة الأقمشة منه، وهو عبارة عن مادة السلولوز المتقدم ذكرها

وإذا وضع القطن في محلول الصودا الكاوية تحول إلى مادة تشبه الحرير، وهي التي تصنع منها أكثر الأقمشة المسماة كذبا حريرا

وخيوط القطن تتحمل الغسل والغلي، وهي تمتص الرطوبة امتصاصا رديئا وتتوصل الحرارة جيدا ولذلك كانت للملابس القطنية مبردة

الكتان : يؤخذ من سيقان شجرة مخصوصة بأن نخمر هذه السيقان في مكان رطب ثم تدق إلى أن تفرق خيوطها ثم تمشط، ومن بزور هذه الشجرة يستخرج الزيت المسمى بالزيت الحار. وهو فضلا على كونه مغذيا مدر للبول ومنفث للباغم، وتستعمل هذه البزور أيضا في عمل الضمادات (اللبخ) . وللمسوجات الكتانية موصلة جيدا للحرارة وامتصاصها للرطوبة رديء كالقطن ولكنها أعلى ثمنًا منه لنعومتها وبريقها

التنب : يؤخذ من سيقان شجرة أخرى كما يؤخذ الكتان ولكنه خشن جدا وقل ان يستعمل الا في الجبال والقلاع والا كياس الخيشية. ومن هذا النبات يؤخذ الخشيش، وهوتلك المادة المغيبة الملعونة . وبزر التنب يستعمل اغذاء الطيور

ألوان الملابس وسعتها

أما ألوان الملابس فتأثيرها في الحرارة كما يأتي : الأبيض يمتص الحرارة امتصاصا رديئا جدا فهو أبرد هاء، ويليه الأصفر فالأحمر فالأخضر فالأزرق فالأسود، ولذلك اذا وضعت قطعة من الثلج في قماش اسود وقطعة أخرى في قماش أبيض ذابت الأولى أسرع من الثانية لان الأبيض يطرد الحرارة والاسود يمتصها وتنفذ منه إلى الثلج، وكذلك يرتفع زئبق الترمومتر درجات أكثر اذا وضع على قماش اسود ومن الخطأ لبس الملابس الملونة فوق الجاد مباشرة فإن أكثر الألوان تشمل على مادة سامة فتبهيج الجلد، واذا امتصت منه افسدت الصحة

ويجب أن تكون الملابس غير ضيقة والاعاقت الدورة والتنفس وشوهت شكل الاعضاء كمشدرات الافرنج وأحذية أهل الصين . ولبس الأحذية الضيقة ضار جدا

بالاقدام فقد يفوس بعض الاظفار في اللحم ويحدث قروحا والتهابات تؤذي الشخص أذى بليغا، زعل هذا ما تحذره الاحذية الضيقة في بشرة القدم من الحلمات الصلبة المؤلمة

نظافة الملابس

أما نظافة الملابس فهي واجبة طبا وشرعا لقوله تعالى (وثيابك فطهر) فهي فرض على المسلم وإن لم يشترطها بعضهم في صحة الصلاة

واما المضار الناشئة من قذارة الثوب فهي عديدة واليك بيان بعضها :

(١) اذا تراكم العرق والأفراز الدهني في الملابس منعها امتصاص العرق وعاق الجلد عن تأدية وظيفته وأحدث حكة فبشورا أو دمامل . وهذا هو أهون المضار .
(٢) اذا تسخت الملابس كثر فيها القمل والبراغيث وهما من أشد الحيوانات فتكا بالانسان ، فان القمل ينقل الى الانسان الحمى التيفوسية والحمى الراجعة ، والبراغيث تنقل اليه الطاعون فللوقاية من هذه الامراض القماتكة يجب تطهير الملابس من سائر الحشرات

(٣) الملابس القدره كثيرا ما تكون سببا في نقل العدوى من شخص الى آخر اذا تناقلاها أو لمسها ، فمثلا الجرب والارضة الجلدية (تينيا) كثيرا ما تنقل بهذا الطريق . واذا تنجس الثوب بالبول أو البراز أو الصديد أو الدم كان سببا في نقل الحمى التيفودية والدوسنطارية والديدان الخيطية والرمم الصديدي والزهري وغير ذلك . واذا كان الشخص من حاملي الامراض — وسيأتي بيان ذلك — كانت بعض مفرزاته معدية ولو كانت صحته جيدة

وحيث ان طهارة الثوب فرض وهذه الطهارة لا تكون تامة الا اذا خلا الثوب من البول والبراز وغيرهما وخلوه منهما لا يكون الا بالاستنجاء فينتج من ذلك أن الاستنجاء فرض على المسلم

وأحسن طريقة لتطهير الثوب أن يغلى غليا جيدا نحو من نصف ساعة ثم بعد ذلك يغسل بالماء والصابون ثم ينشر في الشمس كالعتاد . ولا عيب في هذه الطريقة الا انها تجمد المواد الزلالية كالدم والصديد فيتمسرا لهما تماما من الثوب ، أما غسله

بالماء البارد قبل الغلي فيذهب تلك المواد بسهولة ولكنه يلوث الايدي والماء، فاذا اتبعت هذه الطريقة الاخيرة وجب غسل الايدي غسلا جيدا وتطهيرها بوضعها في مادة مطهرة كالغول (الكحول) وغيره، والواجب ان يغلى الماء الذي غسلت فيه قبل ان يلتقى منعاً لانتشار الامراض بين الناس

فصل

في تنظيف الجسم كله تفصيلا

﴿ مع بيان فوائد ذلك وتطبيقها على الدين الحنيف ﴾

نظافة الرأس تكون بحلقه أو قصه ثم يغسل بالماء الساخن والصابون مع الفدالك بشيء خشن كالليف . ولم ينه الشارع عن الحلق الا في الاحرام ولكنه أباحه لمن به مرض أو أذى من رأسه. والحلق واجب طبيا لإزالة الحشرات ولتمكين الأدوية من براء أمراض الشوأة (جلدة الرأس) ولعلاج جروحها أو كسور عظامها ولوضع الضمادات الباردة فوقها في الصداع أو ضربة الشمس أو النزف الحمي أو غير ذلك . وإذا أبت امرأة حلق رأسها لوجود قمل أو صئبان فيه أمكن اذهاب ذلك بهصب زيت البترول فوق شعرها فإن ذلك قاتل للقمل ، وحض الخليك بنسبة ١ - ٤ يسهل استخراج الصئبان من الشعر - كما سبق -

وإذا تركت نظافة الرأس أضرت الانسان القمل وحدث برأسه قروح وبثور وأمراض أخرى كالقراع فيتسمم دمه بما في رأسه من القروح وقد تصيبه الحمرة أو تلتهم العقدة اللقفاوية في العنق أو يصيبه داء الخنازير

غسل الوجه واجب كذلك وخصوصا لتنظيف العينين فإن ذلك يقيهما من أرماد كثيرة، والاحسن ان تغسل العينان في كل يوم مرة أو مرتين بمحلول حامض البوريك المشبع (أي بنسبة ٤ في المائة) بعد الغسل بالماء والصابون

أما نظافة الاذن فيكفي أن تغسل كما تغسل في الوضوء ولا يجوز اللعب في داخلها بشيء فإن ذلك قد يحدث التهابا فيها أو يثقب طبقتها. وحركة الفكين في

المضغ وغيره كقيلة باخراج أظفارها (وسخ الآذان) وعندئذ يسهل غسله، وإذا أهملت الآذان من الغسل يعرض لها صمم من تراكم الأوساخ فيها وظنين مع دوارة، وقد يحدث ألم فيها، وسعال مستمر

غسل الأنف يكون بالاستنشاق والاستنشاق، أما تنف شعره فمذموم وقد ورد في بعض الآثار ما يفيد مدح نبات شعر الأنف، وحكمته أن هذا الشعر ينقي هواء التنفس من التراب والميكروبات وغيرها

نظافة الفم هي من أكبر المهمات وتكون بالمضمضة والسواك ولذلك كاد الشارع أن يفرضه، ويرى بعض أطباء الأفرنج الآن أن السواك خير من مسفرتهم (فرشتهم) لأن السواك يمكن تجديد طرفه المستعمل مرارا كثيرة أرخص منه، أما الفرشة فلا يمكن تجديد شعرها فتراكم فيها أنواع الميكروبات الضارة بالاسنان ولذلك قال بعض أطباء الاسنان أن السبب في انتشار أمراضها بينهم هو استعمال هذه الفرشة ونصحهم باستعمال السواك وتجديده كثيرا أو بغلي الفرشة بعد كل استنساك

أما مرض الاسنان فإنه مؤلم جدا ومفسد للهضم ويحدث منه تسمم في الدم فيصفر لون الشخص وتضعف قواه، وقد يصيبه داء الخنازير أيضا، وإذا مرض ضعفت مقاومة جسمه عن احتمال الأمراض فلذا كان الواجب العناية بنظافة الاسنان نظافة تامة أما الشارب فالأفضل قصه فإنه تراكم فيه الأوساخ والميكروبات فتصل إلى طعام الانسان وشرابه. ولا بأس بترك اللحية لأنها بعيدة عن ذلك وهي مظهر من مظاهر الرجولية

الابطان يجب تنقيها أو حلقيها منعاً لتراكم القمل أو الميكروبات فيهما، وقد تتولد عفونات فيهما تحدث روائح كريهة، ومن الميكروبات التي تنمى في الابطان ما يحدث العرق الأحمر

وكذلك يجب تقليم الأظافر وتخليل ما في الأيدي من الثنيات فإن وجود الميكروبات فيها ونحت الأظافر ضار جدا لسهولة وصولها إلى طعام الانسان وشرابه ومن أشهر الأمراض التي تحصل بهذا الطريق هي الحمى التيفودية ولذلك يجب

غسل اليدين غسلا جيدا قبل كل طعام. ومن الامراض التي كثيرا ما تصيب الايدي داء الجرب، فان حيويته اذا وصل الى الايدي ولم يطرد عنها بالتنظيف المتوالي ثقب الجلد وأحدث هذا الداء. وأحسن الوسائل المتبعة لوقاية الطعام من كثير من الميكروبات الاكل بالشوكات والملاعق واستعمال السكاكين

ويجب حلق العانة وكذلك الختان منعا لتراكم القمل والصئبان في شعر العانة وتجمع القاذورات تحت القلفة؛ وقمل العانة هذا هو قمل الابط والحية وغيرها فاذا يمكن انتشاره من العانة الى مواضع أخرى من الجسم حتى الحواجب واهداب العين، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر العظيم. وفي حلق العانة شيء من تحريك داعية الوقاع لتبيح هذا المكان عند نبات الشعر

ومن مستلزمات نظافة السيلين الاستنجاء، وذلك للمحافظة على طهارة الثوب المفروضة ومنع الروائح الكريهة وانتشار الامراض، وقد بقي الانسان أيضا من السيلان والافرنجي. ويكون الاستنجاء باليد اليسرى، ولا ينبغي الاكل بها. ويتحتم غسل الايدي بعد كل استنجاء غسلا جيدا، وكذلك يجب بلها بالماء قبله لمنع تشرب اليد للمواد الكريهة وللميكروبات بقدر الامكان

ومن الواجب أيضا نظافة القدمين وتكون بالغسل الجيد المتكرر والتخيل، فان ذلك مانع لتسلخاتهما ولروائحهما الكريهة. فانه اذا تراكت الاوساخ فيهما فقد يعرض للاخصبين ولما بين الاصابع تسلخات ربما ادت الى التهاب في العقد الأربية ونشأ عنه حمى وخراج في ذلك الموضع، وتلك التسلخات مؤلمة وتعوق الانسان عن المشي وتعطله عن أعماله

وبعد ذكر هذه النظافة التفصيلية يجب علينا تكرار الحوض على تنظيف سائر الجسم ودلكه جيدا بالماء والصابون، فان نفع ذلك معلوم مما سبق. ويجب علينا تكرار ذكر ما للقمل من المضار - خصوصا قبل الجسم أو الملابس - فانه فضلا عن نقله للحميات المذكورة قد يكون هو وحده سببا في احداث حمى شديدة - كما قلنا - وذلك اما بسبب تهيج اعصاب الجسم بلدغه أو بحقن سموم

في الجسم من افرازه، فقد شوهد ان بعض الناس قد أصابته حمى في منتهى الشدة حتى زادت حرارته عن أربعين، وعند البحث في جسمه لم يوجد به مرض ولم يكن هناك سبب لتلك الحمى سوى وجود قمل كبير، وبعد النظافة التامة زالت عنه الحمى في الحال

زد على ذلك ما للقليل من المضار الأخرى كإفلاق راحة الإنسان ومنع النوم عنه وأحداث بثور في الجسم من الحك

القاذورات والنجاسات

القاذورات التي نعتبرها ضارة طباً هي عين النجاسات المعروفة شرعاً، وأشهرها البول والبراز والدم والقيح أو الصديد والقيء والمني. ولم يعتبر اللعاب والمخاط من الشخص السليم ضاراً في الشرع لأنه حقيقة لا يوجد فيه ميكروب يضر الإنسان ضرراً بليغاً اللهم إلا ميكروب التهاب الرئوي والميكروب العنقي (الذي ذكر في صفحة ٦٩ من هذا الكتاب) ولكن هذين الميكروبين وغيرهما يسكنان عادة في فم كل شخص، ولا يضرانه إلا إذا ضعفت بنيته عن مقاومتها، ولذلك كان الاحتراس من لعاب الشخص السليم ومخاطه لا فائدة كبيرة فيه أما البلغم فهو شيء غير المخاط العادي إذ أنه يشتمل على شيء من الصديد وغيره كبلغم المسولين وهو خطر جداً، فيجب اعتباره نجساً لاشتماله على الصديد أو الدم كما ثبت ذلك بالبحث المجهري. وقد نص الفقهاء على أن كل ما يخرج من الصدر من مخاطة وغيرها نجس

وقال فقهاء الحنفية إن ما زاد من هذه النجاسات عن قدر الدرهم يجب تطهير الثوب وغيره منه، ولا يفتنى. أن المصاب بالسلس وغيره من الأمراض الصدرية يخرج من فمه كثيراً من الصديد الذي قد يزيد عن قدر الدرهم فلذا كان الواجب عندهم أن يتطهر الإنسان من البلغم إذا أصاب ثوبه بهما المقدار كما يتطهر من البول والبراز فإنه لا فرق بينهما وكلاهما ضار ضرراً بليغاً. على أن الإمام الشافعي يرى أن القليل والكثير من النجاسات سواء، فيجب التطهر

حتى من قليل البلغم الذي يخرج من الصدر

نظافة البيوت ونشر وطها الصحية

من مقتضى الطهارة في الاسلام ان يكون مكان الشخص نظيفاً طاهراً لئلا يتنجس ثوبه فطهارة البيوت — فضلاً عن كونها واجبة طبياً — هي واجبة شرعاً ومن أكثر الاسباب نشراً للأمراض أن يدوس الانسان في الطريق على ما يلتقى فيه من القاذورات وميكروبات الامراض ثم يأتي الى بيته ولا يخلع نعليه فان ذلك مما ينشر في البيوت أكثر الامراض كالذئب والسرطان والحمى والكثير من الحيات العفنة فالواجب أن تكون أرض البيت وفرشه وحيطانه وسقفه وكل ما حوى في غاية النظافة بحيث لا تتلوث بشيء من النجاسات المذكورة آنفاً . وكذلك يجب أن تتنظف من القمل والبق والبعوض (التاموس) والذباب والفيضان والبراغيث وغير ذلك بأن تسد جميع شقوقها ويتكرر تنظيفها خصوصاً بالجير أو نحوه ، تغسل أرضها ويصب في مراحضها شيء من البترول^(١) لقتل العلق (صفار التاموس) ويبيضه وينبغي ان تكون المساكن طليقة الهواء ذات منافذ كثيرة معرضة لاشعة الشمس بعيدة عن الاماكن الرطبة . والافضل أن تكون مراحضها في الجهة الجنوبية بمصر — أو ما يقابل الجهة التي يكثر الهواء منها في كل بلد — وتكون حيطان هذه المراحض مصقولة صقلاً جيداً بحيث لا تنفذ المياه منها الى أرض المنزل فتملاء بالرطوبة والروائح الكريهة وتفسد هوائه ، ويجب ان يكون للمثل هذه المراحض منافذ كالمدخن تعلو فوق سطح المنزل من الجهة الجنوبية لتصرف الروائح الكريهة . فاذا اتبعت جميع هذه الشروط وكانت الشوارع ممتعة كانت المساكن صحية .

ومن الناس من يجمع المواد البرازية وغيرها في أواني مخصوصة ثم تحمل الى خارج المدن ، وذلك خيراً من تلويث أرضها بها . والافضل من ذلك كله أن يعمل لها مجار صقيلة (كقنوات مواسير) الحديد لتحمل هذه المواد الى مستودع بعيد عن المدينة (١) وذلك بنسبة أوقية من هذا الزيت لكل ١٥ قدماً مربعة من سطح ماء المرحاض أو غيره كالمستنقعات

كلها بعدا شامعا. وينبغي الانتباه الى هذه المواسير جيدا بحيث لا ينفذ منها شيء الى ما يجاورها عادة من قنوات الماء والسكني في الاماكن الرطبة العفنة مضعفة للصحة بافسادها الهواء واحداها البرودة واكثر الميكروبات فيصاب الشخص بالتهلات الشعبية والرئوية ونزلات الأنف والحلق والتهاب اللوزتين بل الدفتيريا أيضا والروماتزم وغير ذلك والواجب أن تكون أفواه المراحيض حيث يبرز الانسان مسدودة بمثل المنجنيق أو السيفون^(١) Siphon المستعملين الآن وماء السيفون يذيب الغازات ويمنع أكثرها من الدخول في البيت ، وكذلك يعوق خروج البعوض والخنافس والصراصير والفيران. ويجب تجديد ماء السيفون مرارا حتى في اليوم الواحد وأعظم ضرر للنوع المسمى (Anopheles) من البعوض - الناموس - هو احداث حمى التفاض (الملاريا أو الحمى الاجمية) ومن الناموس ما ينقل أيضا الحمى المالطية والجذام - كما سيأتي - وأما أهم ضرر للجذان (الفيران الضخمة) فهو أنها تصاب بالطاعون الذي ينقل منها الى الانسان بواسطة بعض أنواع البراغيث وأما البق فقد ينقل الطاعون أو الجذام وغيرها وأما الخنافس والصراصير والنمل فضررها الاكبر أنها تنقل القاذورات والميكروبات من المراحيض وغيرها الى طعام الانسان وشرابه وملبسه وفرشه وكفى بذلك ضررا عظيما

المطهرات

علمما سبق أن أصل جل الامراض - ان لم نقل كلها - هو القاذورات بما فيها من الميكروبات^(٢) وسمومها ، فلذا يجب معرفة بعض الاشياء القاتلة لهذه الاحياء

١ كلمة يونانية معناها الاجوف أو الفارغ (٢) لفظ يوناني معناه حرفيا الاحياء الصغيرة يطلق في الاصطلاح على الاحياء الاولى التي تتركب في الغالب من خلية واحدة. وعبر عنها المنار بالجنة والجن - بالسكس فيهما - لدلالة مادتها على العوالم الخفية

الديبئة ، وهي المسماة بالمطهرات

وأشهر هذه المطهرات وأكثرها استعمالا ما يأتي : -

(١) الشمس فان أشعتها تقتل الميكروبات

(٢) النار وهي أقوى المطهرات وأسهلها وتستهلك كثيرا في غلي الاشياء الملوثة .

ولما كان بعض بزرور الميكروبات (حبيباتها) قديقاوم درجة الغليان (أي درجة ١٠٠)

لمدة ٥ أو ١٠ دقائق فلذا يجب اطالة مدة الغلي فوق ذلك . فاذا أصيب شخص

بمرض معد فالوقاية منه يجب غلي ملابسه وفرشه وجميع ما استعمله في مرضه كالأواني

وغيرها . أما الاشياء التي لا يمكن غليها كقطن الفراش ونحوه فبذة تطهر بوضعها في

افران مخصوصة يسلمط عليها البخار في درجة الغليان مدة ساعة حتى ينفذ الى باطن

ما فيها من الاشياء

(٣) الحوامض كحامض الهيدروكلوريك والنيتريك (ماء النار) وهي كلها

مطهرة تطهيراشديدا ، ولذلك جعل الله تعالى في عصير المعدة حامض الهيدروكلوريك

- بنسبة ٢ في الالف - فان من أعظم فوائده تطهير الطعام والشراب

(٤) الجير ويستعمل لطلاء الخيطان والسقف وغير ذلك . واذا وضع في

سنتول (جرادل) المواد البرازية نفع نفعا عظيما ، ويستعمل لهذا الغرض بنسبة واحد

أو اثنين منه الى عشرة من الماء

أما ماء الجير - وهو الذي يتحصل عليه بإذابة الجير في الماء المقطر حتى يتبع به

سم يصفى - فانه مطهر ، مانع للقيء والاسهال ، مصلح لهضم اللبن في معدة الاطفال

مقو لعظامهم ، ويمكن مزجه باللبن بنسبة واحد الى واحد أو واحد الى اثنين من

اللبن ، ويمكن أيضا شربه بدون مزج باللبن بمقدار أربع أوقي . واذا مزج مع

الجير بزيت الزيتون أو زيت بزر الكتان بنسبة واحد الى واحد من كل جزء

كان دهانا نافعا في الحروق - كما سيأتي -

(٥) الغول القوي (الكحول الخالص) مطهر عظيم يسهل الحصول عليه فغسل

لايدي كلها مست مريضا

(٦) البوريك بنسبة ١ في ١٠٠ مطهر لطيف اللابن - كما سبق - واذا وضع في

اللبن بنسبة واحد الى ألف مثلا حفظه من الفساد مدة، ولذلك يستعملونه في حفظ كثير من الاطعمة، ولكن استعماله لمدة طويلة قد يضر بالجسم وينقص وزنه (٧) الفنيك يستعمل بنسبة واحد الى عشرين لغسل الايدي وغيرها (٨) الليزول — ولونه وقوامه كالعسل الاسود — يستعمل بنسبة واحد الى المئة عادة

(٩) الايزال — ولونه كالطحينة المضاف إليها شيء من الماء — يستعمل بنسبة واحد الى مئتين أو واحد الى أربع مئة. ويستعمل في الاسهال باضافة ١٥ نقطة منه على كل رطل مصري من اللبن، فانه نافع فيه وكذلك في الدوسنطاريا وهذه المواد الثلاثة الاخيرة تستخرج من قطران الفحم الحجري ومن المطهرات أيضا السليمانى (وهو مركب زئبقي يستعمل عادة بنسبة ١ الى ٢٠٠٠) واملاح النحاس (كالتوتيا الزرقاء) واليود والغلسرين. وغير ذلك كثير، وكما مطهرات عظيمة النفع

النظافة والعلاج

كما أن النظافة عليها مدار حفظ الصحة هي أيضا الاصل الاصيل لعلاج جميع الامراض والجروح وسائر العوارض الجراحية فان علاج ذلك كله مبني على النظافة والتطهير، اذ يكفي لعلاج أي جرح وعمل أي عملية جراحية أن يكون كل ما تستعمله مطهرا طهارة تامة حتى اذا بقرت البطن بألة طاهرة أمكن درء الموت عن المصاب بكل سهولة بالتمزام النظافة، ويكفي في علاج جميع الاصابات والحروق ونحوها أن تنظف نظافة تامة ويتكرر ذلك يوميا حتى يبرأ الجرح. ويكفي في الغالب أيضا لعلاج أي جرح أو سحج أن يغسل بالماء المغلي وأن يضمد بالقطن والاربطة المطهرة — إما بالتعلي أو بالبخار الساخن — بدون احتياج الى أي دواء آخر وفائدة تضييد الجروح هي منع كل ما يوصل الميكروبات الى الجرح كالاتربة والذباب والهواء والايدي والماء غير المغلي، وبالضماد أيضا يقف النزف بسبب الضغط على الجرح، وبه أيضا تحصل راحة المكان المجروح من الحركة. وهذه

الاشياء كلها هي اهم ما يطلبه الجرح من العلاج ، وأسها كلها النظافة التامة
 وخلاصة ما تقدم كله أن العاقل يجب عليه أن يكون نظيفا في جسمه وملبسه
 وفراشه ومسكنه وما كاه ومشربه وفيما يعالج به أمراضه وإصاباته
 تدبيل للفصول السابقة في الذباب ومضاره

لا يخفى ان من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات ثم ينتقل
 منها الى طعام الانسان أو يسقط في شرابه أو يقف حول عينيه وبذلك تنتقل جراثيم
 الأمراض الى الانسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع، ومن أمثلة ذلك وقوفه على
 أعين المصابين بالرمم الصيدي ثم انتقاله الى العين السليمة فتصاب بهذا الرمد،
 ومن أسباب انتشار الحمى التيفودية بشكل وبائي وقوف الذباب على البراز
 مثلا اذا لم يدفن في الأرض دفنا جيدا - فيتلوث الذباب بمكروب التيفود وبعد
 ذلك يقف على الخبز مثلا . ومثل التيفود الهيمضة (الكوليرا) والدوسنتاريا
 ومن الذباب ما يلدغ بعض الحيوانات المصابة بالجذرة الخبيثة ثم يأتي الى
 الانسان فيلقحه بهاء ومنه ما ينقل بلدغه مرض النوم وغيره من شخص لآخر. ويقال
 ان البلاغرا تنتقل أيضا بلدغ بعض أنواعه - كما سبق - ومن المحقق ان حمى ثلاثة
 الايام وسبعة الايام والحمى البسيطة المستمرة في الهند كلها تنتقل بلدغه ، وحمى
 ثلاثة الايام تسمى أيضا پاپاتسي وسميت بذلك من اسم الذباب الذي يخدمها
 [Phlebotomus pappatasi] وميكروب هذه الحميات وراه المجهر على ما يظهر
 ومن مضار الذباب أيضا انه قد يضع بيضه في الجروح أو في الأذان أو في
 تجاويف الأنف فيفقس هذا البيض ويخرج منه النصف (وهو ما يسمى الآن
 بالبرقات ويشبه الدود) وهذه الديدان تأكل من جسم الانسان وتحدث
 فيه التهابا شديدا، واذا أصابت جرحه آلمته ايلاما شديدا ويحصل بنسبها أيضا
 التهاب الجرح وحمى ، وتعوق برء الجرح مدة مديدة حتى أن الجرح لا يشفى
 الا اذا خلى منها . ومن أنواع هذه الديدان ما يأكل جثث الموتى
 وقد قرر أطباء الانكليز ان من أعظم أسباب انتشار الحمى التيفودية بين

الجنود في حرب الترنسفال (من سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٢) كان الذباب وساعده في ذلك الريح بنقل الاتربة الملوثة بالبراز الى طعام الجنود فلذا يجب ازالة جميع القاذورات من حول الانسان ودفن المواد البرازية ونحوها دفنا جيدا أو إبادتها بأية طريقة بحيث نأمن وقوف الذباب عليها وانتقاله اليها وأحسن الطرق حرق القاذورات أو وضع الفنيك أو الفورمالين عليها وإذا وقف الذباب على العين وجب طرده في الحال، وإذا وقف على الطعام أو سقط في الشراب فالاسلم تطهيرهما بالنار. وكما كثر الذباب وجب السعي في إبادته بقدر الامكان، واعلم أن الذبابة الواحدة تضع نحو ٩٠ بيضة، وحياتها لا تتجاوز ثلاثة أسابيع أما ما رواه البخاري عن أبي هريرة من ان النبي (ص) قال « اذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء » فهذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحا فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها كحديث « خلق الله التربة يوم السبت » مثله وغيره مما ذكره المحققون، وكم فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهيبهم فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلا قاطعا على أن النبي (ص) قاله بلفظه مع إفاقة العلم وعدم امكان تأويله، على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن النبي سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال (إن كان جامدا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي وإن كان ذاتا فأريقوه أولا تقر به) فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشيء اذا وقع فيه الذباب فان ضرر كل من الذباب والفيران عظيم. على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بن الصحابة أنفسهم خصوصا فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته. (١) وغاية ما تقتضيه صحة السند

(١) اليك شيئا من تاريخ حياته : -

أسلم رضي الله عنه سنة (٧) هجرية ، فصحب النبي ثلاث سنين ولم يكتب شيئا من الحديث ، وقال عن نفسه إنه كان كثير النسيان فدعى له الرسول - كما قال - فذهب عنه ذلك . وكان قصيرا أو كولا يطعم كل يوم من بيت النبي أو من بيت أحد أصحابه ، فكان يحب أن يتودد الى الناس ويسليهم بكثرة التحديث والاعراب في القول ليشتد ميلهم إليه. وربما كان مصابا بالصرع - كما استفاد =

في أحاديث الآحاد الظن فلا قطع بأن هذا الحديث من كلام النبي (ص) وكانوا يروون الحديث بالمعنى فيجوز أن يكون لفظ الراوي لم يؤد المعنى المراد والله أعلم وهب أن الرسول قال ذلك حقيقة فمن المعلوم أن المسلم لا يجب عليه الأخذ بكلام الأنبياء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع ، بل الواجب عليه أن يمحصها ويعرضها على العلم والتجربة فان اتضح له صحتها أخذها والاعلم أنها مما قاله الأنبياء عليهم السلام بحسب رأيهم ، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك = من بعض الروايات الواردة في ترجمته - والصريح مرض مشهور عند الأطباء يورث ضعف العقل أو الجنون

روى بعد وفاة رسول الله (٥٣٨٤) حديثاً حتى ضج منه كبار الصحابة رضي الله عنهم وملوا كثرة حديثه ، وقالت له عائشة (إنك أتحدث بشيء ما سمعته) ولما سمع الزبير بعض حديثه قال (صدق كذب لأنه سمع هذا من رسول الله ولكن منه ما وضعه في غير موضعه) - راجع تاريخه في كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر -

وروى ابن عساكر في تاريخه عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لابي هريرة (لتترك الحديث عن رسول الله أو لأخفك بأرض دوس) وما روي عنه أنه قال (لقد حدثكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة) يعني السوط . وروى الطبراني في الكبير عنه أنه قال قال رسول الله (إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس) وقال أيضاً إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من حدث عني حديثاً هو لله عز وجل رضا فانا قاتله وان لم أكن قاتله) كما رواه ابن عساكر في تاريخه عنه مع أن المروي بالكـ واطر عن رسول الله أنه قال (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في النار) رواه مئتان من الصحابة وهو يتأفي ما قاله ابو هريرة ، وهذا الحديث اضطر عمر لتذكيره به حينما بلغته كثرة حديثه كما في « الاصابة » أيضاً مات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٥٧ هجرية

هذا وإما نقلنا ما نقلناه هنا من تاريخ أبي هريرة ليكون تذكرة وهداية لأهل العقول الراجحة الحرة والنقد الصحيح ، لكيلا يغتر أحد بمثل تلك الأحاديث المنافية للعلوم المصرية المبنية على الحس والمشاهدة والبحث الدقيق . ومن شاء زيادة الايضاح فليقرأ ما كتبت في مجلة الحياة في الجزء الخامس من المجلد الرابع الصادر سنة ١٣٢٥ هجرية

وقد حقق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه من شاء . ومما رواه فيه عن النبي (ص) قوله « إنما أنا بشر فإحدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فأنا بشر أخطئ وأصيب » (*)

(*) المنار : إذا كان حديث الذباب مرويا بلفظه فيحتمل ان يكون مبنيا على رأي كان متقولا فذكر على ظاهره ، ويحتمل أن يظهر بعد ما يزيل ما فيه من الاشكال . وهو على كل حال ليس من عقائد الدين ولا من أحكامه ، بل هو من قبيل مسألة تقيح النخل فقد رآهم (ص) يلتفحون فقال « ما أظن ذلك يعني شيئا » فتركوه ، فأخبر بذلك فقال « ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله » وفي حديث رافع بن خديج انه (ص) انكر ذلك لما قدم المدينة مهاجرا ، أي ولم يكن يعلم من أمر النخل شيئا ، وأنه قال لهم « لعلمكم لو لم تفعلوا الكان خيرا » فتركوه فتمضت أو فنقصت فذكر والله ذلك فقال « إنما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فأنا بشر » وفي حديث عائشة و أنس أنه قال « لو لم تفعلوا الصلح » فخرج شيبسا (أي خرج التمر رديئا) فربهم فقال « ما لنخلكم ؟ » قالوا له قلت كذا وكذا . قال « انتم أعلم بأمر دنياكم » روى ذلك كله مسلم في صحيحه

وأما كلام الكاتب في أبي هريرة (رض) فهو كلام من يسيء الظن فجمع من الأقوال ما يؤيد ظنه . وفي قوله نظر . فاما الصرع أو الاغماء فقد صح أنه كان من الجوع لا من المرض ، وأما ما روي عن الطبراني وابن عساكر من أسناده حديثين يدلان على استحلاله ان يقول علي النبي (ص) ما لم يقله فمنع أن يكون قد صح عنه ، وقد رووا عنه أنه كان يبدأ بحديثه بحديث « من كذب علي متعمدا » الخ وأما استغراب بعض الصحابة لكثرة حديثه فقد بين هو لهم سببه . وهو ملازمته للنبي (ص) أي مع جودة حفظه وأما عمر فقد أذكر على غيره كما أنكر عليه كثرة التحديث لحكمة ليس هذا محل بيانها

وقد ثبت أنه كان من أجود الناس حفظا . ولا يسهل الحكم فيما روي عنه من المشكلات التي انفرد بها الا اذا جمعت واحصيت اسانيدها . وكان يروي عن كعب الاحبار مصدر الغرائب الاسرائيلية الكثيرة . وقد كان من أسباب الغلط في الحديث حسبان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه من قبيل المرفوع ، وقد يغلط بعضهم فيسندوه الى النبي (ص) وهو من الاسرائيليات لا من الرأي ، فينظر في ذلك وغيره عند تمحيص تلك المشكلات .

الحرق

الحرق يحصل عادة إما بالنار أو بالسوائل المغلية وهو خطر جدا على الحياة، وخطره يختلف بحسب اتساعه وعمقه ومكانه وعمر المصاب؛ فإذا أصاب الشخص حرق بسيط وعم جسمه كان خطرا على الحياة خصوصا في زمن الصفر، وحروق الرأس والصدر والبطن هي أشد الحروق خطرا. والغالب أن الحروق النارية أشد أذى بالجسم من حروق المياه المغلية لان المياه تبرد بسرعة وتسيل من على الجسم. أما السوائل التي كالزيت أو المعادن المصهورة، فلالتصاقها بالجسم تفتك به فتكا ذريعا. ويتميز الحرق الناري عن الحرق المائي بأن الاول يمتزق فيه الشعر والملابس بخلاف الثاني

والحرق أعراض موضعية وأعراض عمومية

أما الاعراض الموضعية فتقسم الى ست درجات :-

- (١) احمرار الجلد بدون اتلافه، والاحمرار يحصل بسبب كثرة ورود الدم اليه
- (٢) تكون الفقاع بالجلد، وذلك بانسكاب بعض السوائل من أوعية الدم تحت الطبقات العليا للبشرة. وعند شفاء مثل هذه الدرجة تتولد طبقات جديدة للبشرة من الطبقات التي تحتها وقد يتلون الجلد بلون يخالف المعتاد
- (٣) احتراق البشرة كلها وبمض الأدمة، وهو أشد الحروق ألما
- (٤) احتراق الأدمة مع البشرة كليهما. وعند شفاء مثل هذا الحرق يحصل انكماش شديد في الجلد مكان الحرق

(٥) احتراق الجلد كله مع بعض الأنسجة التي تحته حتى العضلات

(٦) احتراق العضو كله وصيرورته فخما

وقد شوهد أن بعض النساء السمينات المدمنات شرب الخمر يمتزقن بسرعة عجيبة بحيث يتعذر أطفائهن ولو بالماء الى أن يمتزق الجسم كله تقريبا، ويحصل هذا الاحتراق عند وجود أقل سبب له كالاتراب من فتيلة مشتعلة حتى ظن بعض الأطباء أنه يحصل بلا نار مطلقا، ويسهونه (الاحتراق الذاتي)

وأما اعراض الحرق العامة فهي ثلاث درجات : -

- (١) الصدمة العصبية - فيصاب الشخص ببرودة شديدة وذهول حتى إنه قد لا يشعر بشيء من الألم وتضغف ضربات قلبه ونبضه وقد يقع في الغيبوبة ويموت
- (٢) رد الفعل والالتهاب - وذلك يحصل بعد مضي يوم أو يومين، فترتفع حرارة الشخص وتصيبه الحمى ويقوى نبضه ويسرع، وقد يحصل له التهاب في الاحشاء كالتهاب الرئتين أو البريتون أو سحايا المخ، وفي هذه الدرجة قد يصاب أيضا بقرحة ثاقبة للاثني عشري
- (٣) تكوّن الصديد - وهو اذا طال وكان المكان متسعاً أدى الى الاضمحلال فالموت

(المعالجة)

يظن المحروق أولاً بأن يلف جسمه في الحال بشيء سميك ليمنع وصول الهواء اليه فقططاً النار، والاحسن أن يبيل هذا الشيء الذي يلف به. ويشترط أن لا يلف الوجه بشيء خوفاً من الاختناق. وإن لم يوجد شيء يتألف به يمرغ الشخص على الارض، وإن وجدت قطعة لا تكفي الاجزاء من الجسم فينبغي التلطف بهامع التمرغ وبعد اطفاء النار يجب الاحتراس التام من أن يمس جسم المحروق أي شيء غير مطهر ثم تُبَطِّق الفقاعات إن وجدت ويصفى السائل منها، ولكن الاحسن ترك البشرة بدون إزالتها فانها تكون كالوقاية للجسم ثم يدهن الجسم كله بزيت بعد غليه وتبريده، أو يستعمل مروخ الجبر الذي تقدم ذكره

وهناك عدة طرق لتضميد الحروق تذكرفي فن الجراحة، ومن أحسنها استعمال حامض البكريك (وهو مادة متبلورة صفراء اللون مركبة من الفنيك مع حامض النيتريك) يذاب في الماء بنسبة ٥ الى ١٠٠٠ أي يكون الماء مشبعاً به ثم يدفأ ويفمس فيه الموصل (الشاش) أو قماش آخر يسمى لنت Lint ويلف به المحروق، ويوضع فوق ذلك ورق زيتي أو حبة زيتية فقطن، ويترك هذا الضماد نحو ٣ أو ٤ أيام ثم يحدد ويترك لمدة أسبوع. وفائدة حامض البكريك هذا هي أنه مطهر

محجف للحرق مسكن للالم وذلك هو كل مانبغي

ولعلاج حالة المصاب العمومية في الطور الاول (طور الهبوط والرجة العصبية)
يجب استعمال المنعشات ، فيلف الشخص بالملابس والاعطية السميكة حتى يدفأ ،
وتوضع زجاجات الماء الساخن حول رجليه وجنبه ، ويعطى له مثل القهوة أو الشاي
الساخنين أو بعض الخمر — اذا لم يوجد ما يعني المسلم عنها — ويمنع عن الاغذية
ماعدا اللبن وغيره من السوائل كالمرق ولا بأس من اعطائه جزءا من الافيون — قدر
قنحة أو قنحتين — ان كان الألم شديدا . ويجب بعد ذلك أن يتولى باقي علاجه
الطبيب حتى يشفى أو يموت

وأسباب الوفاة في الحرق عند حدوثه مباشرة متنوعة منها الاختناق بالدخان
والغازات ، أو الفزع الشديد ، أو الرجة العصبية بسبب ألم الحرق

أصناف الاقلام العربية في الاسلام

(نموذج من كتاب انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي) (*)

بقي الخط العربي على حالته القديمة غير بالغ مبلغه من الاحكام والاتقان في
زمن الرسول والخلفاء الراشدين لاشتغال المسلمين بالحروب حتى زمن بني أمية
فابتدأ الخط يسمو ويرتقي وكثر عدد المشتغلين به . وفي أواخر ايامهم تفرع الخط
الكوفي وكانت تكتب به المصاحف منذ أيام الراشدين الى أربعة أقلام اشتقها
بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة المحرر كان اكتب أهل زمانه ، ثم اشتهر بعده
في أوائل الدولة العباسية رجلان من أهل الشام انتهت اليها الرئاسة في جودة الخط
وهما : الضحاک بن عجلان كان في خلافة السفاح فزاد على قطبة ، واسحاق بن
حماد وكان في خلافة المنصور والمهدي فزاد بعد الضحاک وزاد غيره حتى بلغ عدد

(*) المنار : تجد تهر يظ هذا الكتاب في مكان آخر

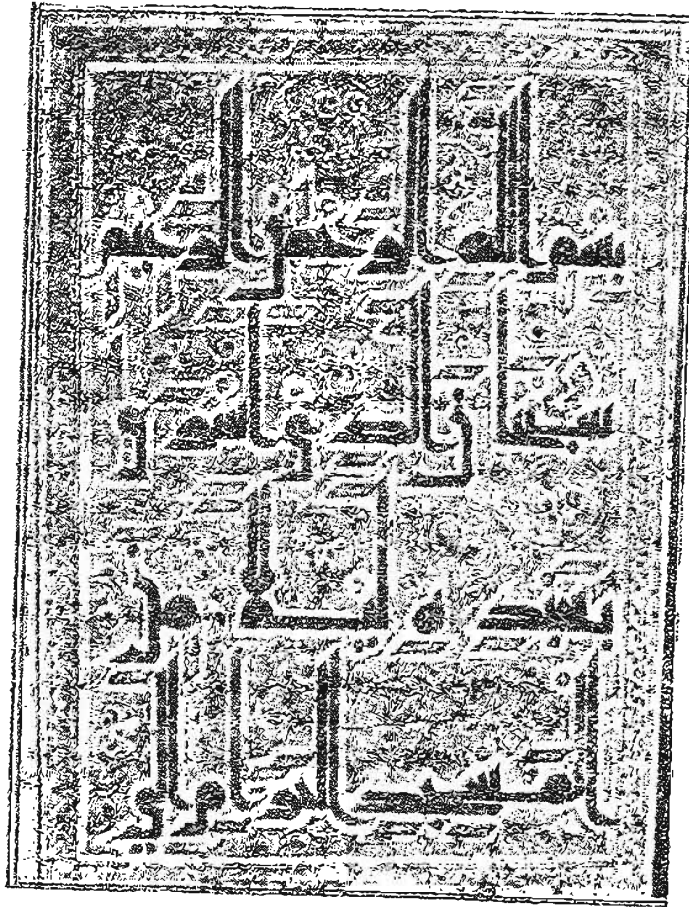
الأقلام العربية الى أوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً كان لكل قلم عمل خاص وهي:

(١) قلم الجليل كان يكتب به في المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور ونحوها وهو ما يسميه العامة الآن بالخط الجلي (٢) قلم السجلات (٣) قلم الديباج (٤) قلم اسطومار الكبير (٥) قلم الثلثين (٦) قلم الزنبور (٧) قلم المفتح (٨) قلم الحرم كان يكتب به الى الاميرات من بيت الملك (٩) قلم المؤامرات، كان لاستشارة الامراء ومناقشتهم (١٠) قلم اليهود كان لكتابة اليهود واليهود (١١) قلم القصص (١٢) قلم الخرفاج . ولما ازدان عصر العباسيين بأنوار العلوم والعرفان وخصوصاً في أيام المأمون أخذت صناعة الخط تنمو وتنتشر وتتقدم كسائر العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهام نافذة لاحتياجهم اليها فتنافس الكتّاب في أيامه في تجويد الخط فحدث القلم المرصع وقلم النساخ وقلم الرياسي^(١) نسبة الى مخترعه ذي الرئاستين الوزير الفضل بن سهل . وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة^(٢) وكان يكتب به بطائق حمام الرسائل، وهكذا كان كل قلم معداً لنوع من الكتابة كما تكتب الآن الانعامات بالرتب بقلم خاص، والاوراق الديوانية بقلم خاص، والواح الحجر بخط آخر وكتب التعليم بأخو

فزادت الخطوط العربية على عشرين شكلاً وكأها تعد من الخط الكوفي فهو اذ ذاك كان خط الدين والدولة. وقد كان يكتب به القرآن منذ أيام الراشدين كما أسلفنا حتى أواسط العصور الاسلامية (ش ٤) . وأما الخط النسخي فقد كان مستعملاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى نبغ الوزير أبو علي محمد بن مقله الصفدي سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسيناً كبيراً بعد ان كان في غاية

(١) يصح ان يقال ريس في رئيس قال الكمييت يمدح محمد بن سليمان الهاشمي تلقى الأمان عن حياض محمد ثولاء مخرفة وذئب أطلس لاذي تخاف ولا لهذا جرأة تهدي الرعية ما استقام الريس والثولاء النعجة والمخرفة لها خروف يتبعها، ضرب لذلك مثلاً لعدله وانصافه حتى انه يشرب الذئب والشاة من ماء واحد - استشهد به الجوهري والزيدي (في تاج العروس) وغيره على ما قلناه ان الرئيس يقال فيه ريس (٢) كشف الظنون ٤٦٦ ج ١

الاختلال، وأدخله في المصاحف وكتابة الدواوين . وقد اشتهر بعد ابن مقلة جماعة كثيرة من الخطاطين هذبوا طريقته وكسوها حلاوة وطلاوة، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ١٣٤ هـ ١٠٣١ م وقد اخترع عدة أقلام . وياقوت ابن عبد الله الرومي المستعصي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وغيرهما كثير، وقد تفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الاعوام الى فروع كثيرة وأصبحت الاقلام الرئيسية في الخط العربي اثنين : السكوفي والنسخي، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام بين المتأخرين وهي : الثالث والنسخ والتعليق والريحاني



ش ٤ : الخط السكوفي الجميل

آية من مصحف كتبه أبو بكر الفزروي سنة ٥٦٦ هـ ، وتوضيحها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى . . . »

والمحقق والرقاع ، برز في هذه الاقلام جملة من العلماء . وما زال الخط يتفرع الى الآن . فقد ظهر بعد هذه الستة الاقلام القلم الديواني والقلم الدشني والقلم الفارسي

وغيره ، وبقي الأمر تابعا لارتفاع الدولة وانخفاض شأنها (انظر شكل ٥) فانه لما تضرمت خلافة بغداد وانتقلت الخلافة الى مصر والقاهرة انتقل الخط والكتابة والعلم اليها وسرى منها الى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها والى ما جاورها ، وما زال الخط في جميع هذه الاماكن آخذا في الجودة الى هذا العهد وصار للحروف قوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بين الخطاطين ، وقد حفظ لنا القلقشندي بيانات صحيحة عن أواسط عصر المماليك (أواخر القرن الثامن للهجرة) فذكر في الجزء الثالث^(١) من كتابه صبح الاعشى أنواع الخطوط المستعملة في الدواوين وعلق عليها معتمدا على نماذج منها نشرت في هذا الكتاب وهي ستة أنواع :

- (١) الطومار الكامل ويشتمل على جملة أنواع وكان يكتب به السلطان علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع .
- (٢) مختصر الطومار وهو على نوعين : الثلث والمحقق وكان يكتب به في عهد الملوك من الخلفاء والمكاتبة الى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق .
- (٣) الثلث وهو نوعان الثقيل والخفيف .
- (٤) التوقيع وهو على ثلاثة أنواع ، وكانت توقع به الخلفاء والوزراء على ظهور القصص .

(٥) الرقاع وهو على ثلاثة أنواع أيضا وكان يكتب به في الرقاع جمع رقعته وهي الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص وما في معناها .

(٦) الغبار وهو نوع واحد وكان يكتب به بطائق الحمام والملطبات وما في معناها . ونرى من الكتابات المنقوشة على الاحجار في أيام المماليك جمال هذا الخط وبهائه وهو وان كانت حروفه مستطيلة فهي ربما أجمل مما كانت عليه في أيام العباسيين

ولما آلت الخلافة الى الاتراك بمد زوال دولة المماليك بمصر ورثوا بقايا التمدن الاسلامي فكان لهم اعتناء خاص بالخط وقد أخذوا في اتقائه على أيدي الاساتذة

الفارسيين الذين اعتمدوا عليهم في الآداب والفنون . وقد حفظ الأتراك عدة قرون في مصالح حكومتهم ودوائرهم الملكية والعسكرية أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في القرون الوسطى فكان يعرف عندهم في القرن الحادي عشر للهجرة ٣٥ نوعا تقريبا الا انه أهل أكثرها أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولم يبق مستعملا منها في الوقت الحاضر الا ما سنفد ذكره في الفصل الآتي ، والاتراك هم الذين أحدثوا الخط الرقعة والخط الهمايوني واليهم انتهت الرئاسة في الخط على أنواعه الى عهدنا هذا وقد أخذنا عنهم الخط المعروف بالاسلامبولي . ولن يزال الخط يتفرع الى ما شاء الله عملا بسنة الارتقاء

الاقلام المستعملة الآن

(١) الخط النسخي — أما الآن فقد أهل الخط الكوفي وصار الخط النسخي هو الاكثر استعمالا في كتابة اللغة العربية أينما وجدت وكذلك في كتابة اللغة التركية والتركية والافغانية والهندية وغيرها من لغات العالم الاسلامي ، فانه يستعمل فيها الخط النسخي في الكتب العلمية وغيرها وعلى الخصوص في المواضيع الدينية والشرعية كما سيأتي .

(٢) القلم الفارسي — وهو مشتق من الخط القيروان من الخط الكوفي في صدر الاسلام وتكتب به الآن اللغة الفارسية ويستعمل غالبا عند الهنود في كتابة لغتهم الهندستانية (الأوردية) . وسيأتي تفصيل تاريخه وفروعه عند الكلام على اللغة الفارسية

(٣) القلم المغربي — المستعمل في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس لكتابة العربية والبربرية معا وسيأتي ذكره بالتفصيل عند الكلام على لغات المغرب .

(٤ و ٥) القلم الرقعة والقلم الثلث — الرقعة هو خط الدواوين في تركيا وغيرها ويغلب استعماله أيضا في المراسلات الاعتيادية وقد أسلفنا انه والقلم الهمايوني من مستحدثات الأتراك وهما يستعملان عندهم الى الآن . وقد انتشر الرقعة بسلطة الأتراك في جزء من البلدان العربية، ومع انه مكروه من بعض العرب الخالص لانه

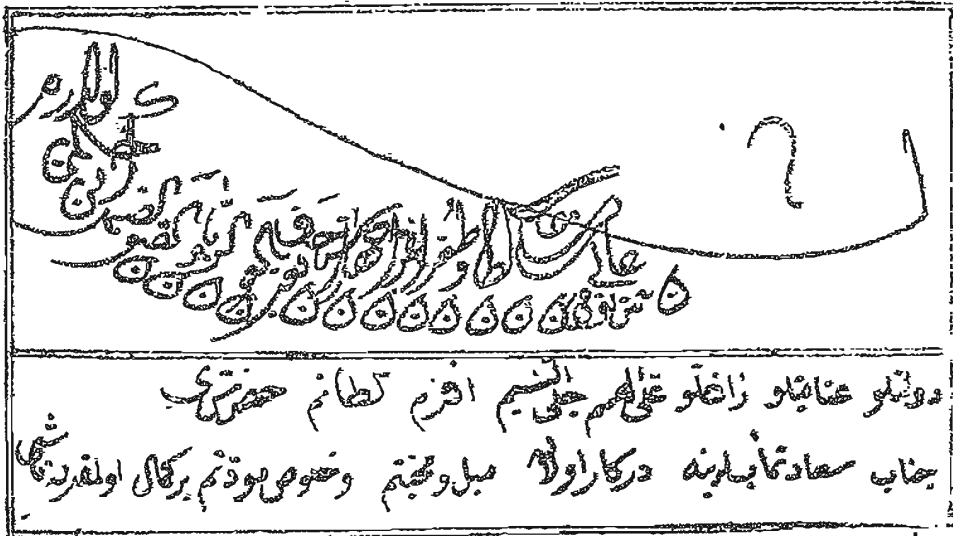
خط تركي (١) فهو مستعمل في مصر والعراق وسوريا مثل القلم الثلث المستعمل عند الجميع ، إلا أن الثلث يستعمل في الزخرفة والتزييق أكثر من استعماله في الكتابة العادية .

(٦) قلم التعليق — أو الكتابة الفارسية المحرفة وهو يستعمل في تركيا لكتابة الأوراق والأعمال القضائية الشرعية وكذلك في الكتب وخصوصاً في كتب الأشعار والدواوين (ش ٦) كما سترى عند الكلام على الخط الفارسي .



ش ٦ : قلم التعليق
يت من أرقام الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور ويقرأ هكذا :
« همين چشم دارم زخوانندگان که نام به نیکو برند بر زبان »

(٧) القلم الديواني — الذي اشتق مباشرة من خط التوقيع القديم وهو على



ش ٧ : القلم الديواني الجلي (القسم الاعلى) والقلم الديواني (القسم الاسفل) ويقرأ القسم الاعلى هكذا :
« نشان شریف عالیشان سامی مکان و طفرای غرای جهان ستان خاقانی نغد بالعون الربانی والصون الصمدانی حکمی اولدیرکه »

نوعين : أحدهما كبير قليلا وهو المستعمل في الدواوين السلطانية بتركيا لكتابة

المراسيم والدبومات Les diplômes (الفرمانات والبرآت) على جميع أنواعها .
والآخر أصغر منه وهو وان يكن قد قل استخدامه بعض الشيء إلا أنه مستعمل
كثيرا في المحاكم الدينية والشرعية التي تستعمل أيضا خط التعليق . أما الهمايوني
المتقدم ذكره فهو نفسه الخط الديواني الكبير ويسمى عندهم « جلي ديواني » أي
القلم الديواني الجلي (ش ٨٧) وهو يستعمل لكتابة الفرمانات السلطانية
المتعلقة بالوسامات

وتتمد الحروف النهائية في الخط الديواني وخصوصا الجيم والخاء والعين
والعين إذا جاءت في أواخر الكلام وكذلك أطراف السين والشين والصاد والضاد
كما ترى في شكل ٩

(٨) القلم نستعليق - أو الخط الفارسي المنسوخ وهو يستعمل عند الفرس
وسياقي ذكره عند الكلام على الخط الفارسي وفروعه
(٩) قلم الاجازات - وهو يتألف من الخط النسخي والخط الثلث بتصرف مع
بعض زيادات لا توجد في غيره وهو يستعمل عند الاتراك أحيانا .
والخط في تركيا لم يزل مشرفا وأعمال الخطاطين الكبار أمثال حمد الله المتوفى
سنة (٩٣٦ = ١٥٣٠) وحافظ عثمان المتوفى سنة (١١١٠ = ١٦٩٨ - ١٦٦٩)
لم تزل معتبرة كنماذج تقلد ، أما في البلدان العربية وخصوصا في مصر فإن الاعتياد
بالخط أخذ في الضعف والاهمال بسبب سرعة انتشار المطابع .

حروف الهجاء العربية

وترتيبها

أما ترتيب حروف الهجاء العربية فهو مخالف لترتيب الحروف الأخرى المرتبة
على إجمد هوز الخ وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم السامية . وأما
العربية فتبتدى هكذا : اب ت ث الخ ، مع ان التاء في اللغات الأخرى هي آخر
حروفها . وهذا الترتيب حديث في اللغة العربية وضعه نصر ابن عاصم وبجى ابن
يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان وهو مبني على مشابهة الحروف في

الشكل فابتدأ بالالف والباء لانهما أول الحروف في ترتيب ابجد وعقبا بالتاء والتاء
لمشابهتهما الباء ثم ذكر الجيم من حروف ابجد وعقبا بالحاء والحاء للمشابهة ثم ذكر
الدال وعقبا بالذال ، ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الحاء أخراها معها لا آخر
الحروف ، وقبل ان يذكر الزاي ذكر الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي
أحرف الصفيرو لذلك ذكر السين بعد الزاي وعقبا بالسين للمشابهة ، ثم ذكر
الصاد وعقبا بالضاد ثم رجعا للطاء من ابجد وعقبا بالظاء وأخرا أحرف « كلن »
حتى يفرغا من الأحرف المتشابهة ، وذكرا العين وعقبا بالعين ثم ذكر الفاء وعقبا
بالقاف ، ثم ذكر أحرف كلن والهاء وأحرف العلة .

ولكون ترتيب ابجد يختلف عند المغاربة ^(١) عن ترتيبها عند المشارقة كان
ترتيب الحروف عند المغاربة بعد ضم كل حرف الى ما يشابهه في الشكل هكذا :
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي

الأحرف الخاصة بالعربية

واللغات الأخرى

وفي الخط العربي فضلا عن الحروف الشرقية الأخرى ستة أحرف هي : التاء
والحاء والذال والضاد والظاء والعين « نخذ ضظغ » وقد اقتضتها طبيعة اللغة العربية.
وهذه الأحرف لا يخرج لها في اللغات الأخرى الا بتركيب مع حرف آخر . والضاد
منها خاصة باللغة العربية دون سواها وهذا هو سبب تلقيب العرب أو المتكلمين
بالعربية بلقب « الناطقون بالضاد » وتميزهم بها ، وفي الحديث « انا أفصح من
نطق بالضاد » إشارة الى ذلك .

وهنا ملاحظة ينبغي الإشارة اليها وهي ان هذه الأحرف الستة لا تستعمل غالبا
في اللغات الإسلامية الآتية (التي تكتب بالخط العربي) الا لكتابة الكلمات

(١) ترتيب المغاربة في ابجد يختلف قليلا عن ترتيبها عند المشارقة فيقولون :
« ابجد هوز حطي كلن صغفض قرست نخذ طغش » وسبب هذا الاختلاف ان
المغاربة يرون الترتيب عن الامم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة

العربية الدخيلة في لغاتهم ولذلك فبسم لا ينطقون بها تماما اذا قرأوها في نصوص عربية بل يشركونها مع حرف آخر، فمثلا اذا أرادوا النطق (بالطاء) أو (بالضاد) تكلفوهما ، فانطأء تخرج بين التاء والطاء كالسلطان والطوفان، والضاد تخرج كالأزاي المنخمة في نحو رمضان وهكذا : ولما كانت هذه الاحرف معدومة عندهم فهم يستعملون حروفا^(١) أخرى معدومة في العربية تنضيا طبيعة لغاتهم ولذا كان من الضروري لنا ان نذكر هذه الاحرف عند ذكر لغاتها لانها تكون بمثابة تكملة لحروف الهجاء العربي عندهم .

النقط والحركات

في الخط العربي

الحركات

لما اقتبس العرب الخط من الانباط والسريان كان خاليا من الحركات والإعجام، فالحركات فيه حادثة في الاسلام، والمشهور ان أول من وضعها أبو الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ لما كثرت اللحن في الكلام ، لاختلاط العرب بالاعاجم في صدر الاسلام ، فكانت الحركات اذ ذلك تقطا يميزون بها بين الضم والفتح والكسر فكانت النقطة فوق الحرف دليلا على الفتح والى جانبه دليلا على الضم وتحت دليلا على الكسر . ولم تشتهر طريقة أبي الاسود هذه الا في المصاحف حرصا على اعراب القرآن ، أما الكتب العادية فكانوا يفضلون ترك الحركات والنقط فيها لان المكتوب اليهم كانوا يعدون ذلك نجيبا لهم قال بعضهم :

« شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه »

أما استبدال النقط بالحركات الحديثة فالغالب انه حدث تنويعا للحركات عن

(١) هذه الاحرف عربية شكلا لا نطقا وهم يميزونها بالكتابة عن أشباهها بوضع نقط أو علامات فوق الحرف أو تحته كما سترى بعد .

النقط التي يميزون بها الباء عن التاء خوفاً من الالتباس ، فالحركات الحديثة وضعت بعد ذلك لتقوم مقام حروف العلة لمشاكلة الحركات لها فجعلوا للضمة التي يشبه لفظها الواو علامة تشبه الواو والتي يشبه لفظها الالف وهي الفتحة علامة تشبه الالف سكنها مستقيمة ومثلها للكسرة من تحت وهكذا (١)

الإعجام

وضبط الحروف العربية

أما الإعجام أو النقط فيظن أنها كانت موجودة في بعض الحروف قبل الاسلام وتوسيت ، ولكن المشهور ان اختراعها كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وذلك لما كثرت التصحيف خصوصاً في العراق والتبست القراءة على الناس لتكاثر الاعاجم من القراء والعربية ليست لغتهم ، فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة ففرغ الحجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف المتشابهة علامات ودعا نصرأ ابن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر المدواني (تلميذ أبي الاسود) لهذا الامر فوضعا النقط أو الاعجام أزواجاً وأفراداً بعضها فوق الحروف وبعضها تحتها . وسمي الإعجام إعجاماً لأن الاعجام في المعنى الاصلي هو التكلم على طريقة الاعاجم كما ان الاعراب هو التكلم على طريقة العرب . وكان الجمهور يكره كما قلنا الإعجام والحركات في الكتابة وينفر منها ولكن الناس رجعوا بعد ذلك على هذا الرأي حتى كانوا يمدون أهمال الإعجام خطأ في الكتابة ، واستمر الامر على اتباع هذا الإعجام الى الآن .

الكتابة

واتجاه السطور فيها

لم يتقرر لاتجاه السطور في الكتابة نظام الا بعد ترقيتها ولذلك كانت الكتابة يدونها الاولون أنى اتفق لايراعون لها نظاما في اتجاه سطورها كما كان عند قدماء

(١) راجع محاضرات الاستاذ حفني بك فاصف « تاريخ الادب أو حياة اللغة

اليونان فانهم كانوا يكتبون تارة من اليسار الى اليمين وطورا من اليمين الى اليسار وأحيانا يجمعون بينهما .

فلما ترفت الكتابة وتقرر نظامها عند الامم اتخذت كل أمة منها طريقاً مخصوصاً في كيفية سيرها : فأهل الصين وأتباعهم صاروا يكتبون من الأعلى الى الأسفل ومن اليمين الى اليسار على الخط الرأسي ولذلك سميت كتابتهم « بالمشجر » ولهم في ذلك اعتقاد خاص حيث يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى موجود في السماء العليا فكل شيء لا بد وان يأتيهم من جهته ولذلك صاروا يكتبون من أعلى الى أسفل .

وأهل أوروبا صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين لكون الدورة الدموية تتدفق من القلب الموجود في الجهة اليسرى والقلب في بعض الروايات مركز العقل فوجب أن تكون الكتابة من الجهة المقابلة للعقل الذي يستمد منه البنان فلذلك صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين .

أما العرب والسريان وغيرهم من الامم السامية فصاروا يكتبون من اليمين الى اليسار بالنسبة لكون الطبيعة قضت بأن كل شيء لا يعمله الانسان الا بيده اليمنى كما وانه لا ينتقل من جهة الى أخرى الا بالرجل اليمنى فلذلك صاروا يكتبون من اليمين الى اليسار (١)

فالكتابة العربية الحالية متصلة من القديم وتكتب أينما وجدت من اليمين الى الشمال على السطر الاقضي وقد روى الدكتور بشاره زلزل في كتابه تنوير الاذهان انه « لم تنزل بعض الامم كالصومال تكتب الخط العربي من أعلى الى أسفل (اي على السطر الرأسي) وتقرأه من اليمين الى اليسار » (٢) وهذا غريب يحتاج الاثبات .

(١) الكتابة والكتاب للشهيد وانظر صبيح الاعشى (ج ٣ ص ٢١)

(٢) تنوير الاذهان في علم حياة الحيوان والانسان ص ٢٣٨

الدولة والامان

والسكتان المتضادتان ، الشبهتان بالجمع بين الكفر والايان

للسلطان عبد الحميد حسنة عظيمة في البلاد العربية ، لا يصدنا عن الاعتراف بها ، ما قيل من نيته فيها وغرضه منها ، الا وهي سكة الحديد الحجازية . التي كان يظن ويقال انه كان الباعث له على انشائها جعل الحجاز كسائر البلاد العثمانية في الخضوع لحكومته ، والتمكن من سوق الجيوش اليها عند الحاجة ، والمعروف من رأي كثير من رجال الدولة ازالة ايمارة الشرفاء من الحجاز منهم احمد مختار باشا الغازي . ولا يكون ذلك سهلا مأمون العاقبة الا باتمام هذه السكة . وهذا هو السبب فيما اشتهر من معارضة شرفاء مكة لمذ هذه السكة بين الحرمين الشريفين . كنا ولا نزال نرى أن هذه السكة من أكبر الحسنات ، على علمنا بما هنالك من الاقوال والظنون والنيات ، ولكن للسلطان عبد الحميد سيئة من جنس هذه الحسنة يزيد وزرها على أجر هذه — ان حسنت النية فيها — اضعافا كثيرة لعلها تزيد على سبع مئة ضعف ، الا وهي سكة الحديد الالمانية بين الاستانة والعراق من شروط هذه السكة أن الشركة الالمانية تملك عشرين ألف متر (٢٠ كيلو) عن جانبيها ملكا خالصا ، فعشرون الف متر تمتد من أقصى مغرب المملكة الشمالي الى أقصى مشرقها الجنوبي ، يكون مملكة كبيرة في قلب المملكة العثمانية ، مساحتها ضعفا مساحة الارض التي تزرع في المملكة المصرية ، وهي منها في أعز مكان ، كالقلب من بدن الانسان ، فكما ان القلب مصدر الحياة للبدن كذلك تكون هذه السكة مصدر الثروة والقوة والمران في المملكة ، فكيف يعيش من يكون قلبه في قبضة أجنبي عنه . وقد كانت بريطانيا العظمى على قوتها تعد وصول هذه السكة الى الكويت أو البصرة خطرا على مصالحها التجارية في العراق وخليج فارس ، بل خطرا على ممالكها الهندية . أفلا تكون هذه السكة في قلب مملكتنا

خطرا عليها؟ بلى انها وهي لغيرنا أعظم الاخطار لو كانت غفلا من ذلك الشرط ، فكيف تكون مع ذلك الشرط ؟

قرأنا في أثناء هذه الحرب أخبارا عن الألمان تدل على ان امتلاكهم لقليل من الارض في غير بلادهم أعظم خطرا عليها مما كان لا يستنبطه الا أبعده السياسيين رأيا وأشدهم فطنة وحذرا .

قد امتلك بعض الالمانيين أرضا في فرنسا وبلجيكة فظهر بعد الحرب أنها أعدت في وقت السلم لحرب أهل البلاد التي هي فيها، فكان منها خنادق وسراديب ومواقع لنصب المدافع الضخمة ، حتى قيل إن مكانا أعده رجل ألماني في بلجيكة للعب الكرة في داره ظهر بعد الحرب انه أعد لنصب أثقل المدافع وأقواها، وانه وضع على البعد المناسب بينه وبين الحصون البلجيكية وما كان يمكن دكها وتدميرها الا منه كنا قرأنا في المقطم ان من شروط التحالف بين ألمانيا والدولة العثمانية أن الاولى لا ترضى بعقد صلح الا اذا اشترط فيه سلامة أملاك الثانية ، وأنها تعطياها خمس الغرامة الحربية التي ترجو أن تأخذها ، على كونها هي التي تقدم لها السلاح والذخيرة والمال لاجل الحرب . وقرأنا وسمعنا أنها وعدتها ببلاد القوقاس وغير القوقاس من البلاد الاسلامية . وكنا نفضل على كل هذه العطايا الغيبة لو اشترطت عليها الدولة أن تبطل من شروط سكة الحديد البغدادية امتلاك عشرين ألف متر عن جانبها . اذا لم يمكن ان تترك لها هذه السكة كلها ، فان كون قلب بلادنا خالصا لنا أهم وأنفع لنا من ضم بلاد أخرى إليها . فلأن أملاك مئة فدان من الارض ملكا خالصا أستطيع أن أعمرها كما يجب ، أفضل وانفع لي من ألف فدان فيها حقوق للاجانب الذين يستطيعون من عمارتها ما لا أستطيع ، ويخشى أن يوول أمرها كلها اليهم . على ان بلاد الدولة أوسع من بلاد عدة دول من الدول الكبرى ، فلو عمرت لسكانت غنية بها عن سواها

فنحن نتمنى لو تقترح الدولة على حليفها القوية ان تعطيا هذه السكة أو تلغى من شروط امتيازها ذلك الشرط لتجمل هذا دليلا على اخلاصها في محالفتها ، ورغبتها في بقائها مستقلة قوية بعد انتصارها معها ، والا كان الخوف منها أكبر من الرجاء فيها .

تقريظ المطبوعات الجديدة*

(المطبوعات التي باسم دار الكتب الخديوية^(١))

١ - صبح الاعشى في كتابة الانشا

هو تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي المصري. والمراد بكتابة الانشاء الكتابة الرسمية للملوك والسلاطين، وما يحتاج اليه القائم بها من العلوم والفنون، فهذا الكتاب تاريخ للسياسة والادارة العامة وجميع العلوم والفنون والآداب، ولا يمكن بيان كليات فوائده والتعريف بمجموع مزاياه الا في مقال طويل لعل المنار يقوم به بعد إتمام طبع الكتاب. وهو يطبع في المطبعة الاميرية بحرفها الجديدة الجميلة على أجود ورق يوجد بمصر. وقد تم من طبعه أربعة أجزاء من القطع الكامل. صفحات (الاول) ٤٨١ والثاني ٤٧٧ والثالث ٥٣٢ والرابع ٤٨٧ وهو يباع في دار الكتب نفسها، وفي مكتبة المنار وغيرها، ومن كل جزء منه ١٥ قرشا

وهو لا يكاد يزيد عن نفقة الطبع الا قليلا، فنحث كل محب للعلم والأدب والتاريخ الى المبادرة لاقتنائه ومطالعه، أو الإحاطة بما في كل باب وكل فصل من المباحث النفيسة لاجل الرجوع اليها عند الحاجة لمن لا يتيسر له مطالعة الكتاب كله - أو مطالعة ما يرى نفسه أحوج الى معرفته.

ولما كان هذا الكتاب من قبيل الموسوعات التي يطلقون عليها اسم (دائرة المعارف) تقترح على دار الكتب أن تجعل له فهرسا تاما مرتبا على حروف المعجم

(* عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح تخلص رضا

(١) أسست دار الكتب العامة في عهد الخديو اسماعيل باشا بعناية محمود سامي باشا البارودي وسميت الكتبخانة الخديوية ثم سميت المكتبة المصرية ثم دار الكتب الخديوية - ثم دار الكتب السلطانية

٢- الإحكام في أصول الأحكام

تأليف الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي ابن أبي علي الآمدي
المتوفى سنة ٥٥١ للهجرة

طبع في مطبعة المعارف طبعاً نظيفاً على ورق جيد في أربعة أجزاء صفحات الجزء
الأول ٤٠٧ والثاني ٤٩٥ والثالث ٤٣٧ والرابع ٣٩٣ وعنه $\frac{٤٨}{١٢}$ لكل جزء
الآمدي رحمه الله من أعلام العلماء وأساطين الحكماء له اليد الطولى في الحديث
وعلم النظر والخلاف والفلسفة. قال ابن خلكان: ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه
العلوم. وكان العزيز بن عبد السلام يقول: ما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه
كأنه يخطب، وإن غير لفظاً من (الوسيط) - للغزالي وكان يحفظه - كان لفظه
أحسن بالمعنى من لفظ صاحبه. وقال العز أيضاً: ما علمنا قواعد البحث إلا سيف
الدين. وقال أيضاً: لو ورد على الإسلام مترندق يشكك ماتمين لمناظرته غير
الآمدي. وله مؤلفات في غاية الاتقان والتنقيح منها كتابه هذا (الإحكام) في
أصول الفقه. وهو من أبسطها عبارة، وأكثرها تقسيماً، وأحسنها ترتيباً، وأجمعها
لمسائل الخلاف ودلائلها

وهو كالكتابين المذكورين بمده من الكتب التي طبعت بعناية أحمد
حشمت باشا في عهد وزارته للمعارف، وتطلب كلها من دار الكتب السلطانية
ومن مكتبة المنار وغيرها

٣- الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز

تأليف « السيد الامام، إمام الائمة الكرام، أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن
علي بن ابراهيم العلوي اليمني » المتوفى سنة ٤٥٩ للهجرة طبع في مطبعة المقطف
بمصر طبعاً جيداً على ورق أبيض جيد في ثلاثة أجزاء صفحات الجزء الأول
٤٣٥ والثاني ص ٤٠٨ والثالث ٤٦٦ وعنه $\frac{٣٦}{١٢}$ قرشاً صحيحاً لكل جزء

١٢ قرشاً

هذا الكتاب من كتب البلاغة المتمعة، التي ينفق مؤلفوها من سنة ٤ ضم بين

قطرية علوم البيان ، وجمع بين دفتيه دلائل اعجاز القرآن ، والمراد بعلوم البيان علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبدیع ، رتبته مؤلفه رحمه الله أحسن ترتيب وجاء على مسأله بالشواهد والامثلة ، حتى سهل ما تناول من مسائل الفن من أقرب السبيل ، ولذلك قال أنه يرجو أن يكون متميزا عن سائر الكتب بأمرين : أحدهما ترتيبه العجيب وتنسيقه الذي يطالع قارئه من أول وهلة على مقاصد هذا الفن ، وثانيهما ما فيه من التسهيل والتيسير والايضاح المباحث الدقيقة . فهو يجري في الايضاح والبسط على نسق امام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اعترف المصنف رحمه الله تعالى بأن عبد القاهر هو الواضع لهذا الفن وأنه لم يطالع على كتابيه فيه ، ولعله لو اطالع عليهما كان أحسن بيانا وأغزر فوائد . قال : « وأول من أسس من هذا العلم قواعده . وأوضح براهينه وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد . وهدى من سور المشكلات بالتسوير المشيد . وفتح أزهاره من أكامها ، وفتح أزواره بعد استغلاقتها واستبهاها ، فجزاه الله عن الإسلام ، أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما لقبه « بدلائل الاعجاز » والآخر لقبه « بأسرار البلاغة » ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بجهما ، وشدة إعجابي بهما ، إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما » . اهـ

ثم بين موضوع الكتاب وطريقته فيه فقال :

« ولما كان كل علم لا ينفك عن مبادئ ومقدمات تكون فاتحة لاسره . ومقاصد تكون خلاصة لاسره ، وتكلمات تكون نهاية لحاله . لاجرم اخترت في ترتيب هذا الكتاب أن يكون مرتباً على فنون ثلاثة ، ولعلها تكون وافية بالمطلوب محصلة للبغية بعون الله

فالن اول منها مرسوم المقدمات السابقة نذكر فيها تفسير علم البيان ، ونشير فيها الى بيان ماهيته وموضوعه ومنزله من العلوم الادبية ، والطريق الى الوصول اليه وبيان ثمرته وما يتعلق بذلك ، من بيان ماهية البلاغة والفصاحة والتفرقة

بينهما . ونشير الى معاني الحقيقة والمجاز وبيان أقسامهما ، الى غير ذلك مما يكون تمهيدا وقاعدة لما نريده من المقاصد

الفن الثاني منها مرسوم المقاصد الثلاثة . نذكر منه ونشير فيه الى ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بالمعاني وعلومها . ونردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان وأقسامها . ونشرح فيه ما يتعلق به من المباحث بعلم البديع ونذكر فيه خصائصه وأقسامه وأحكامه الثلاثة به بمعونة الله تعالى ولطفه

الفن الثالث نذكر فيه ما يكون جارياً مجرى التسمية والتكلمة لهذه العلوم الثلاثة ، نذكر فيه فصاحة القرآن العظيم وأنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها ، وأن شيئاً من الكلام وإن عظم دخوله في البلاغة والفصاحة ، فإنه لا يدانيه ولا يماثله . ونذكر كونه معجزاً للخلق لا يأتي أحدٌ بمثله . ونذكر وجه اعجازه ، ونذكر أقوال العلماء في ذلك ، ونظهر الوجه المختار فيه ، الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة ، والنكت الغزيرة ، التي نلحقها على جهة الردف والتكلمة لما سبقها من المقاصد

فالفن الثالث للثاني على جهة الإكمال والتتيم . والفن الاول للثاني على جهة التمهيد والتوطئة والسر واللباب . والمقصد لذوي الالباب . ما يكون مودعا في الفن الثاني وهو فن المقاصد . وأنا أسأل الله تعالى بجوده الذي هو غاية مطلب الطلاب . وكرمه الواسع الذي لا يحول دونه ستر ولا حجاب . أن يجعله من العلوم النافعة في إصلاح الدين . ورجحانا في ميزاني عند خفة الموازين . إنه خير مأمول ، وأكرم مسئول .

٤ - الخصائص

تأليف أبي الفتح عثمان بن جني طبع الجزء الاول منه بمطبعة الهلال سنة ١٣٣٢ هـ صفحاته ٥٦٩ منه ١٥ قروش

ابن جني من أساطين أئمة اللغة وفحولها وقد قال فيه البخارزي في دمية القصر : ليس لاحد من أئمة الادب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ، ما لأبي الفتح ، ولا سيما في علم الاعراب . ومن قول المتنبي فيه أيضا : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . وقال الأستاذ الامام من كتاب يعرض فيه بصاحب له وقع

فيه عندما أخذ بتهمة المسألة العراية : وأما فلان فقد أكننته كني ، وأدنيته مني ، وجعلته في مكان النحو من ابن جني ، ثم هو يصرح بسببي ولا يكني .

وكتابه هذا [الخصائص] علم وأدب وفقه لغة وفلسفة ، لأنه يعطي المطالع علماً باللغة العربية وأساليبها وآدابها ويلهمه بلاغة بأسلوبه الذي هو في أعلا ذروة منها ومن رأيه في (باب القول على أصل اللغة إلهام أم اصطلاح) ما نصه :

« وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدويّ الريح . وحنين الرعد ، وخريير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفهرس ، ونزيب ^(١) الظبي ونحو ذلك ، ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب متقبلٌ

« وعلم فيما بعد ، أنني على تقادم الوقت ، دائم التقير والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات القول على فكري ، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاق والرقّة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلتهم ، فعرفت بقتابته وانقياده ، وبعد مرآيته وآماده ، صحة ما وقفوا لتقديمه منه ، ولطف ما أسعدوا به ، وفرق لهم عنه ، وانضاف إلى ذلك وارد الاخبار الماثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحي

ثم أقول في ضد هذا كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا ، على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة . كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ، وإن بعد مداه عنا ، من كان أطف منا أذهانا ، وأسرع خواطر وأجراً جناناً ، فأقف بين تين الخلتين حسيراً ، وأكأثرهما فأنسكفي مكشوراً ، وإن خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف بأحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتهما ، قلنا به ، وبالله التوفيق » اهـ

(١) النزيب « صوت تيس الظباء عند السقاة »

أما المذهب الذي تقبله أولافهو الذي يرجحه الباحثون في فلسفة الخلق ولغاتهم،
وأما ما تعارض رأيه فيه بمد ذلك فهو موضوع آخر، وهو أن ارتقاء اللغة العربية في
أبنية كلماتها وقوانين جملها وأساليبها هل كان بمواضعة واصطلاح من أناس من
الأولين بدؤوا من بعدهم في العلم والفلسفة والذوق؟ أم كان بوحي إلهامي من الله
تعالى؟ ولكل رأي وجه، والمعقول أن الله تعالى ألهم تلك النفوس ذات الذكاء
والذوق أن تجري في كلامها على سنن ترتقي فيها بالتدريج إلى أن وصلت إلى تلك
الدرجات العلى التي بين المصنف خصائصها في كتابه

٥ - الاعتصام

كتاب الاعتصام للإمام أبي اسحق ابراهيم اللخمي الشاطبي ثم الفرناطي
الاندلسي المتوفى سنة ٧٩٠

طبع طبعاً حسناً على ورق جيد في مطبعة المنار في ثلاثة أجزاء صفحات الأولى
منها ٣٨٨ ماعدا الفهرس ومقالة التعريف بالكتاب وترجمة مؤلفه. وصفحات الثاني
٣٥٦ ماعدا الفهرس، وصفحات الثالث ٢٨٠ ماعدا الفهرس وخاتمة الطبع. وثمان
كل جزء منها ١٠ ويطلب من دار الكتب ومن مكتبة المنار

قد سبق تقيظ هذا الكتاب وبيان مزاياه في منار العام الماضي. ونقول الآن
اننا لانعلم ان أحدا ألف مثله في بيان حقيقة البدع وأقسامها وأحكامها. فهو ركن من
أركان الإصلاح الاسلامي لعله لا يقرؤه مسلم الا ويكره البدع وينفر منها، ويجب
السنة ويرغب في الاعتصام بها، على علم وبصيرة تنتقي بهما الشبهات التي راجت
والتبست على كثير من المشتغلين بالفقه لا على العوام وحدهم، فهذا الكتاب
أعم مطبوعات دار الكتب نفعا لا يستغني عنه عالم ولا عامي من المسلمين

طبعت هذه الكتب للمرة الاولى فهي كنوز علم وأدب قد فتحت لطلابنا
ورياض فضل أدنيت للناس اجمعين ليحفظوا يانغ نمراتها فجرى الله الساعين بطبعها
خير الجزاء ونفع بها آمين

(انتشار الخط العربي)

تأليف عبد الفتاح افندي عباده صاحب كتاب (سفن الاسطول الاسلامي)
مزيننا بالرسوم والخرط طبع سنة ١٣٣٣ في مطبعة هندية ص ١٦٨ ويطلب من
مكتبة المنار بمصر ومثمه $\frac{12}{12}$

لعبد الفتاح افندي عباده عناية بالمباحث التاريخية والفنية المتككرة التي لم
تفرد في التأليف في لغتنا من قبل . وقد أتحف أبناء العربية بكتابه (سفن الاسطول
الاسلامي) ثم أبرز لهم اليوم هذا المؤلف النفيس الذي أبان فيه منشأ الخط العربي
وتطوره بتطور المسلمين وما تفرع منه . وأحصى عدد الذين يكتبون بالخط العربي من
البشر فاذا هم ٢٤٣ مليوناً ، ولعلمهم يزيدون فان وثني الهند يكتبون بها كالمسلمين ؛
فكتابه هذا كتاب أدب لا تاريخ .

نعم انه قد اعتمد في معظم مباحثه على ما كتبه علماء أوربة وغيرهم ، وربما
أخطأ بعض هؤلاء العلماء أوربياً أخطأ هو في بعض النقل كتسمية الخط الديواني
الجلبي [الخط الديواني الجلي] (انظر شكل ٧ و ٨) ولكنه خطأ يقع في مثله كثير
من الناس . وقد نشر في المنار نموذج من مباحث هذا الكتاب

﴿ تصحيح خطأ ﴾

في ص ٢٣٢ سطر ٤ من الجزء الرابع من آية « وارزقهم الثمرات » والصواب
« وارزقهم من الثمرات » وفي الصفحة الاولى من الجزء الخامس غلط في عنوان
التفسير صوابه هكذا (علاوة في بيان أن الزيادة على نصوص الشارع) الخ
وفي الصفحة ٣٨٧ منه عبارة لم تؤد المعنى المراد منها وهي قول حسن افندي
كمال في السطر الرابع من مقالة « وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه
على ما يقابلها » الخ . والمراد انه بين موافقة الكثير من ألفاظ الأثر للغة العربية .
وكلمتي (من حكمه) من ص ٣٨٨ س ٢٥ هما زائدتان أي وربما كان فيه
ألفاظ أخرى موافقة للعربية تعلم بمراجعة معاجم هذه اللغة

فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فبتهون أجنته
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

يقول الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« مناراه كمنار الطريق »

مصر ٣٥ رمضان ١٣٣٣ - ١٨ الأسد (ص ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٢ أغسطس ١٩١٥

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان^(*)

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنعم علينا بالاسلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي قام بتبليغ الدين خير قيام
أما بعد فان الصلاة والزكاة أهم أركان الدين ، وأعظم الشعائر للمسلمين ،
يهما تزكية النفوس ، وصلاح حال الجمهور
جمع الله تعالى كل الخير فيهما ، لأن من اتصف بهما يتصف بكل
فضيلة سواهما

فمن تركهما فلا حظ له في الإسلام ولا الايمان ، فهلم اسمع في ذلك
نصوص القرآن

(*) المنار : قرأنا هذه الرسالة كلها ، وانتقدنا على كاتبها مسائل منها ، وبيننا رأينا في
تصحيحها واصلاحها ، قولاً وكتابة ، على أن يكون مستقلاً في ذلك ، ياخذ ما ياخذ
ويترك ما يترك عن بيته ، كما هو شأننا مع تلاميذنا ومرتدينا ، لأجل هذا نشر في حواشي
الرسالة الى المهم مما بقي من خطأ أضعف فيها

ولا قدم لك تعريف الصلاة والزكاة ، ومقصود الشارع الحكيم
منهما ، على طريق السؤال والجواب ، عسى أن تأنس به ، وترتاح نفسك
الى تدبره ، فارغني سمعك ، واستعمل عقلك
س ما حقيقة الصلاة ؟

ج هي مناجاة الله تعالى وذكره ودعاؤه والخضوع له بالصفة الماثورة
عن النبي صلى الله عليه وسلم

س لم جمعت الصلاة بالكيفية المخصوصة ، ولم تترك الى اختيار المؤمنين ؟
ج لثلاث شعب الخلاف بين الناس فيها ، فيفوت غرض الدين من
اتحادهم عليها ، المساعد لهم على الاتحاد في غيرها

فالناس كلما أكثر ما يشتركون فيه كان اتحادهم عليه أقوى ،
وانجذابهم بعضهم الى بعض أقرب وأمتن

س ما دليل وجوبها ، وحكمة مشروعيتها ؟
ج قال الله تعالى في سورة العنكبوت (وأقم الصلاة ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر)

س كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟
ج أنظر الى نفسك حين تواجه القبلة وتتهياً لإقامة الصلاة ،
فتستفتحها بقولك : الله أكبر ، ألا تراك ملئت خشية لذكرك ربك
وكبريائه ، وغشيتك السكينة لو توقفتك بين يدي سيدك ، مستصغراً كل
شيء دونه ، وغاضاً الطرف نهما سواء

فاذا قرأت الفاتحة ذكرتك معانيها بالهك الذي خلقك بقدرته ،
وربك الذي ربك على نعمه - ربك لا يستبد بك ، ولا لينتفع منك ، بل

ليجعلك موضع رحمته ، ومحل فضله واحسانه، وهناك ترى سيداً عظيماً ،
ومالكا للجزاء وحيداً، جميع الكون في قبضة يده ، وكل العالم تحت تصرفه
وقهره ، لا إرادة فوق ارادته ، ولا ينفع أحد أحدا عنده ، فيبينا
أنت ترجو رحمته، اذا بك تخاف عذابه ، قوته فوق الاسباب ، فلا تجد
ملجأ الا اليه ، ولا تستعين الا به ، فهو الذي يهديك طريقه المستقيم ،
ويأخذ بيدك فيه ، ما دمت فيه ، مرافقا لاهله الذين أنعم عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، بعيدا عن طرق المعاندين والخيرانيين ،
المنضوب عليهم والضالين ؛ أضف الى ذلك ما في ركوعك وسجودك ،
وقيامك طوع أمره وقعودك ، كل هذا يقيم الصلاة يؤثر فيك تأثيراً ،
ويأخذ منك مأخذاً كبيراً ، فلا تلبث أن تتربى في نفسك مائة المراقبة لله ،
تثبتك على صراطه ، وتقيدك الوقوع في عصيانه ، فاذا مسك طائف من
الشیطان، أو دعاك داع من الشهوة الى العصيان، ناداك صوت من ضميرك:
اذكر ربك واتقه، واحذر أن يراك، حيث نهاك ؛ فاذا انت من المبصرين
س يظهر من هذا أن المرء اذا حافظ على اقامة الصلاة تصفو نفسه ،
وتحسن أخلاقه ؟

ج من غير شك ، وذلك هو مقصود الدين من تكرار الصلاة كل
يوم خمس مرات ، وتدبر القرآن فيها

وقد علمت أن الله لم يسقطها عن المؤمنين وهم في مقاتلة أعدائهم ،
ولا عن المرضى وهم في مرض موتهم ، وما ذلك الا لحاجتهم اليها، وعدم
استغنائهم عنها، فانها تشجعهم ، وتجعلهم اكثر تحملاً للمشاق ، واقوى
صبراً على الشدائد ، واقرب الى الرجاء ، وأبعد عن اليأس

س صلينا كثيرا فلماذا لم تنهنا صلاتنا عما نحن فيه من المنكرات ؟
 ج سبب ذلك أننا لم نلاحظ المقصود منها ، فغفلنا عن التدبر
 والخشوع فيها ، فما لنا من الصلاة الآن الا اسمها ، وليس في مساجدنا
 منها الا صورتها ورسمها

وان شئت فقل : انها أصبحت عندنا عادة من العادات ، التي يقلد
 فيها الولد ابيه وغيره ممن ينشأ فيهم

وقد وصل الجهل بناس الى أن يتركوا الصلاة طول حياتهم ، اعتمادا
 على أنه يمكن اسقاطها عنهم بعد مماتهم بالطريقة المشهورة باسقاط الصلاة
 - ذلك بأن يؤتى بمن يسمونهم فقهاء ، وهم قراء القبور ، الذين
 اتخذوا القراءة على القبور ، والصياح في الجنازات بنشيد البردة وغيرها
 صناعة فيحسبوا ما ترك الميت من الصلوات في سني عمره ، ثم يطاف عليهم
 بصرة فيها عدد من النقود ، فيقبل كل منهم أن يتحمل عددا من تلك
 الصلوات عن الميت نظير مبلغ يأخذه مما في الصرة ، حتى اذا تحمل الجميع
 ما على الميت من الصلوات ، فرق عليهم عدد النقود ، وبهذا يزعمون أن
 الصلاة سقطت عن الميت ، وان الله عفا عن تحملوها

وفي هذا من العجب ما ترى ، وقد ذكرته ليظهر لك كيف يؤدي
 الجهل بحكمة الله الى اضاعة شرعه والاستهزاء بدينه ، وكأن هؤلاء لم
 يعقلوا أن تارك الصلاة قد صدت نفسه ، وتلوثت روحه ، فلم يعد يستحق
 مقام الكرامة ، و (أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان الا
 ما سعى) فهل للقبوريين عهد من الله أن يقبل منهم ما يقبلون ، ويحط عنهم
 ما يتحملون ؟ فرحمك اللهم ! فان القوم لا يعلمون ، وعساهم عن ذلك يرجعون

س عرفنا الصلاة ! فما معنى الزكاة ؟

ج الزكاة جزء من مال الاغنياء ، يصرف في مصالح المسلمين ، كالفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل والغارمين ، وغير ذلك من مهمات الدين .

س ما دليل وجوبها ، وحكمة شرعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة براءة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم

وتزكهم بها)

س ما معنى التطهير والتزكية بها ؟

ج (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فكلمة أكثر جمعه للمال ، زاد

حبه له ، وطمعه فيه ، حتى لا يؤثر شيئاً عليه ، ولا يكون له هم في سواه ،

فتقطع العلائق بينه وبين الله ، فتخبث نفسه ، فيكسب المال من أي

وجه حلالات كان أو حراماً ، فاذا هو جعل نصيباً من ماله لله على حبه

إياه ، استحي أن يكسبه من طريق يبهضه الله ، وكان حب الله في نفسه

متغلباً على حب المال ، فهذا ينظف النفس من الأرجاس العالقة بها ،

ويتزكها بأسماء الفضائل فيها

وهذه تزكية روحية ، وهناك تزكية أدبية اجتماعية - وهي أن

الاغنياء الذين يقبضون أيديهم عن الفقراء يعرضون أموالهم للسلب ،

وأعراضهم وأنفسهم للإهانة ، لأن الفقراء يبخسونهم ، ويكيدون لهم ،

وإذا اشتد الجوع بهم ولم يجدوا وسيلة لسد الرمق إلا بالاعتداء على

الأموال والأنفس اعتدوا ، ولا يخفى ما في ذلك من اختلال الأمن

وتزعزع النظام ، فيمسي الاغنياء ويصبحون لا يهدأ لهم بال ، ولا يرتاح لهم

ضمير ، فيموتون أو يموت الفقراء جوعاً وذللاً ، وكل ذلك - كما تعلم -

سبب في ضعف الامة وانقراضها ، فاذا هم بذلوا وأنفقوا حفظوا حياتهم ،
وهدهوا روعهم ، وجعلوا الفقراء إخوانهم ، يهتمون لهم ، ويتعاونون
معهم ، فيسقط أيديهم يتبدل ضعفهم قوة ، وتنقلب قلوبهم كثرة ، أضف
الى ذلك ما يتوفر للامة فيصرف في منافعها العامة ، ومصالحها المدنية ،
وما يعود عليها من بسط الامن في ربوعها ، وتوثيق عُرى المحبة بين
أفرادها . وحسبك دليلا على ذلك أن المسلمين لما تهاونوا في إخراج
الزكاة انحلت رابطتهم ، وتأخرت مدنيهم

س اذا كان في الزكاة ما ذكرت من رابطة الود بين الافراد ، ومن
مصالح جماعة الامة ، وكانت بذلك من أعظم أركان العمران ، فما بالنا
نرى الإفرنج وقد استبحر عمرانهم ، وليس عندهم زكاة مثلنا؟

ج لعلك لم تنظر الى ما عندهم من الجمعيات الخيرية ، والملاجئ
والمستشفيات المجانية ، وغير ذلك مما يصبه تحسین حال الايتام والفقراء ،
وغير ذلك من المنافع والمصالح ، وهل هذا الا بمعنى الزكاة عندنا؟ وهل تقوم

لامة قائمة من غير أن يكون فيها هذا الركن الاقتصادي العمراني الجليل؟
ألا تعجب حينما ترى الإفرنج يعرفون قيمة هذا الركن ، وقومنا

عنه غافلون؟ ألا يزيد حجبك عند ما تسمع مقلدة الفقهاء يهلمون الناس

إسقاط فرضية الزكاة بما يوحي اليهم الشياطين من الحيل؟ ولعلك شاهدت

كثيرا ممن تجب عليهم زكاة المال ، يأتي قبل الحول الذي تجب بحلوه

الزكاة فيتنازل لامرأته عن ماله ، ثم بعد أن يفوت الحول يستوهبها

إياه ، ويرغم أنه بذلك قد خرج عن دائرة المالكين فلم يكلف ، وأن

حيلته صحت عند الله

وأغرب من ذلك أن الرجل يضع زكاة ماله تقودا في داخل كمية من الحبوب ، ويأتي بيمض المستحقين فيعرض عليه تلك الكمية من الحبوب من غير أن يريه المال المدفون فيها ، فيقول له : هذه زكاة ، الي فاقبلها. وبعد قبوله إياها يبتاعها منه بضعف ثمنها، فيفرح المسكين، ويرجع المكاف بدفع الزكاة زاعما أنه قد تخلص منها، ولم يعد يسأل عنه

فياحسرة على هؤلاء الذين فضلا عن تضييعهم للشريعة ، وقضائهم على أحكامها ، قد هزئوا بربهم ، وسخروا بخالقهم ، فاكتسبوا جريمتين بعملهم هذا ، إحداهما تضييع دينه ، والاخرى الاحتيال عليه ، (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يوم يتفاضم الفقراء والمساكين ، ويحكم الله بينهم وبين المستحقين ، يوم يحى على أموالهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وقال لهم : (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكزون)

حكم تارك الصلاة والزكاة

س حسبنا ما وقفنا عليه من معنى الصلاة والزكاة ، وما وراءها من المنافع ، وما انطوتنا عليه من الحكم . فما حكم تارك الصلاة ، أو مانع الزكاة؟
ج كلاهما معرض عن الاسلام ، هادم لأعظم أركانه ، وقد ذهب جماهير العلماء الى وجوب قتله ان لم يتب - قيل كفرا وقيل عقوبة ، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانعي الزكاة ، والخلاف في كفر تارك الصلاة أقوى

س كيف يعد تارك عبادة من عبادات الاسلام مرتداعن الدين ،

تاركاله؟

ج لأن الاسلام ليس له معنى الا الانقياد لله تعالى ، فيما يزكي النفوس ، ويصلح الاجتماع ، وذلك لما يتجلى في الصلاة والزكاة — كما علمت — وغيرهما تابع لهما ، بل من أقام الصلاة وحدها ، أقام كل أمر بعدها

س هذا صحيح وفهمناه مما سبق ، فإين الادلة ، على أن تارك الصلاة أو مانع الزكاة خارج عن الملة الاسلامية ؟

ج ذكر الله سبحانه الصلاة والزكاة في أكثر من خمسين موضعا من كتابه ، وكلها يدل على الاهتمام بهما ، وبناء الاسلام عليهما ، غير أننا نكتفي هنا بذكر الصريح من الآيات في موضوعنا فنقول :

ما جاء في الصلاة وحدها

من ذلك قوله تعالى في سورة الروم (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم) الآية ، وفي قراءة « من الذين فرقوا دينهم » فانظر كيف أراك عز شأنه أنه لا يعدل عن إقامة الصلاة الا المشركون^(١) ولا يتصف بها الا المتقون ، من أقامها صاحب الدين ، ومن لم يقمها فارق الدين ، فهي الصفة المميزة ، والحد الفاصل بين المسلم والمشرك

(لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على هذا الحصر ، ولا هو صحيح في نفسه ، ولا تدل على الحصر الذي ذكر بعده وان كان معناه صحيحا

مَدِينَةُ دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٩

الراحة والتعب

النوم والرياضة الجماعية

النوم - جميع أعضاء الجسم تحتاج للراحة بعد العمل ، ذلك بأن المواد الضرورية لحياتها تقل شيئاً فشيئاً بسبب العمل ، وكذلك تتراكم فيها فضلات الاحتراق ، فبالراحة تجمع من الدم مواد أخرى صالحة لتغذيتها وتخرج إليه تلك الفضلات المؤذية . وأعظم أنواع الراحة وأشدّها نفعا للجسم النوم ، ففيه يبطل عمل المنخ الأفيما ندر (كالأحلام) ويقل ورود الدم إليه وتقل مرات التنفس والنبض فتستريح الرئتان والقلب ، وكذلك يقل إفراز جميع الأعضاء الأخرى كالبول مثلاً وترخي جميع العضلات ، وبذلك تحصل الراحة لها ولجميع الأعصاب والأعضاء فتجدد قوى الجسم ويتعش سببه

قال بعض العلماء ان المنخ في أثناء النوم يكون محتقنا بالدم ، ولكن هذا غير صحيح فإن الدم إنما يكثر وروده الى الأعضاء وقت العمل ، وأما في زمن النوم فيقل الدم من المنخ وغيره ويهرب السائل الذي تحت الغسكوتية الى القناة الفقرية وإذا أريد جلب النوم لشخص مصاب بالارق فأحسن طريقة له أن يجتهد الانسان في تحويل الدم عن المنخ بأن يترك الشخص التفكير ويصب الماء البارد على دماغه ويغسل جسمه بالماء الساخن أو يضع قدميه فيه أو يتعب نفسه بمثل

المشي وغيره فان ذلك يجذب الدم الى العضلات والاطراف، ولمثل هذا السبب يميل الشخص الى النوم عادة بعد الاكل بسبب ذهاب الدم الى المعدة ومدة النوم تختلف بحسب السن ففي الاطفال المولودين حديثا تستغرق اليوم كله تقريبا ١٢ ساعة وفي الغلمان قد تمتد الى ١٢ ساعة وفي الفتيان تكون نحو ٩ ساعات، وفي الشبان من ٧ الى ٨ ساعات، وفي الشيوخ تكون من ٥ الى ٦ ساعات. وأحسن وقت للنوم هو الليل بين ذهاب الشفق وطلوع الفجر أي بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر، فان هذا الوقت تكون الظلمة فيه أشد والسكون شاملا للبلاد فلا ينبه المخ بمنبه يقلق راحته. ولا يحتاج الانسان للنوم في النهار الا في زمن الصيف وذلك لقصر الليل وطول النهار واشتداد الحر فيه فيتوارد بسبب ذلك الدم الى الجلد، ولذلك يميل الانسان الى النعاس في الحر. ويستحسن أيضا أن يكون هذا النوم بعد الظهر في مكان بعيد عن الضوضاء وأن يوجد الانسان فيه ظلمة بقدر الامكان بارخاء ستائره مثلا. وهذا النوم هو ما يسمى بالقيولة

وفي التبكير في القيام فوائد عظيمة منها فوائد اقتصادية كزراوة الاعمال المختلفة قبل فوات الوقت بسبب قصر النهار في الشتاء أو فواته بسبب اشتداد الحر في الصيف وعدم تمكن الانسان من العمل، ومنها فوائد صحية أهمها الخروج من المكان الذي بات فيه الانسان الى هواء أصح فينتعش جسمه بشم نسيم السحر. ومن ذلك تجدون أن فرائض الشريعة الاسلامية في الصلاة موافقة لمصالح الناس الاقتصادية والصحية، على فوائدها الروحية التهذيبية ويجب أن تكون غرفة النوم خالية من الاثاث بقدر الامكان، وأن تكون أرضها خشبية وطلاؤها بالجير فقط، وتكون بعيدة عن الروائح الكريهة وتمخلها الشمس بالنهار وكذلك الهواء ليلا ونهارا. ولا يصح طلاؤها بغير الجير أو نحوه فان المواد الاخرى البيضاء أو ذوات الالوان تشتمل عادة على الرصاص أو الزرنيخ والنحاس، وهذه المواد تنتشر في هواء الغرفة فتسمم جسم الانسان وباستمرار استنشاقها تحدث له أعراض قد تكون خطيرة. ويجب أيضا أن تكون الغرفة جافة فان استنشاق هواء الغرف الرطبة يؤدي الى اعتلال الصحة حتى قد تصاب الاطفال

بالدقير يا اذا سكنت في بيوت حديثة البناء حديثة الطلاء . فيجب اتقاء السكى في هذه المنازل الا بعد تمام جفافها

هذا ولا يخفى أن الهواء الذي يستعمل في التنفس أو في الاحتراق هو أخف لسخوته من الهواء الذي لم يستعمل فلذا يصعد الى أعلى الحجرات . ولذلك كان من الواجب أن تفتح بعض النوافذ بقرب السقف . والنجربة المشهورة المثبتة لصحة هذه النظرية أن يأتي الانسان بشمعة مشتعلة ويمسكها بيده ويقف على باب الغرفة المسكونة ويضعها عند الباب بقرب الارض فيجد أن الشعلة تندفع الى داخل الغرفة بسبب دخول الهواء من هذا المكان ، فاذا أمسك الشمعة في أعلى الباب وجد أن الشعلة تندفع الى الخارج بسبب خروج الهواء من الغرفة ، واذا أمسك بها في منتصف الباب وجد أن الشعلة تثبت في مكانها

ومن ذلك يعلم أن الهواء يدور في الغرف ويخرج من أعلاها — كما قلنا — وينبغي أن لا ينام الانسان في تيار الهواء امام النافذة التي يدخل منها فان ذلك يحدث برودة عظيمة في الجسم تؤدي الى بعض الامراض . ويستحسن أن تكون النوافذ التي يدخل منها الهواء أعلى من رأس الانسان أي على علو نحو تسع أقدام ، وأن تكون نوافذ التصريف ملاصقة للسقف

وينبغي أن لا يبقى أحد في غرفة النوم نهارا المثالي فسد هوائها وأن تترك نوافذها مفتحة ليدخل منها الهواء والشمس ، ولا يجوز أن يوضع فيها ليلا أزهار ولا أشجار ، وكذلك لا يجوز أن تكون محاطة بمحاذق غناء ، فان النبات من نجم وشجر — وان كان ينقي الهواء في النهار — يتنفس في الليل تنفس الحيوان فيمتص أكسجين الهواء ويفرز ثاني أكسيد الفحم وبذلك يفسد الهواء . ويجب عدم وضع حيوانات في غرفة النوم فانها أيضا تفسد الهواء بتنفسها وقد تنقل الى الانسان بعض الامراض كالقرع والارضة الجلدية فانهما يصيبان القطط والكلاب ، والدقيريات تصيب القطط كثيرا ، وفي بعض الكلاب ديدان تخرج بيضا اذا وصل شيء منها الى بطن الانسان أحدث عنده أكياسا عظيمة في الكبد أو غيره ومن أوجب الواجبات أن بطفأ السراج وقت النوم كما وصى بذلك رسول

الله (ص) فان النار من أشد ما يفسد الهواء بل قد تقتل الشخص بالاختناق ،
على أنها قد تحدث الحريق ، وفي إيقادها اسراف وضرر فان مجرد وجود النور في
الغرفة مما يقلق راحة المخ

أما النور الكهر بائي الصادر من بعض المصابيح — وهي المغلقة اغلاقا تاما —
فانه لا يحدث أي إفساد للهواء وهو أيضا أهدأ عن إحداث الحريق من سائر أنواع
النور الا أن في الاستضاءة به اسرافا كبيرا وهو يقلق راحة النائم أيضا
ومن القواعد الصحية أن لا ينام الانسان الا على الاسرة ، وحكمة ذلك أن
يكون أهدأ عن الرطوبة والاقذار وعن الدواب المؤذية كالعقارب وكذا عن استنشاق
الهواء الفاسد ، فان غاز ثاني أكسيد الفحم الذي يتولد من الاحتراق والتنفس
هو أثقل من الهواء ولذلك يكثر بقرب الارض . وينبغي أن يحيط بالاسرة
ما يسمى عندنا بالناموسية (الكلمة) وذلك لمنع البعوض فانه يذهب النوم عن الانسان
وقد ينقل اليه الملاريا — كما سبق — ولا بد أن يكون الفراش نظيفا جدا خاليا من
جميع الحشرات لما سبق بيانه في باب النظافة

وللانسان أن ينام على أي جنب شاء بحسب راحته، ولكن التزام جانب
واحد قد يؤدي الى ضرر، فاذا التزم الانسان الجانب الايمن مثلا حصل احتقان
في أجزاء الجسم اليمنى فتختل الموازنة التي بين جهتيه وتتعب الرئة اليسرى وتكون
الجهة اليمنى من الدماغ عرضة للاحتقان وربما أدى ذلك الى الفالج اذا كان الشخص
مستعدا له كأن كان كبيرا وشرايينه متصلبة ، وكذلك الحال اذا التزم النوم على
الجهة اليسرى. فالاحسن ان يتقلب الانسان في الفراش، ولكن يفضل الاكثر
من النوم على الجهة اليمنى خصوصا اذا كان في المعدة طعام فان ضغط الكبدة والمعدة
على الحجاب الحاجز وعلى القلب يعوق حركة التنفس ويضايق الانسان ، ويتعسر
أيضا خروج الطعام من المعدة لان البواب في جهتها اليمنى . والنوم على الظهر
يسبب الشخير والاحتلام فالأولى تركه الا قليلا ، ولا يجوز النوم على الوجه فإن
ذلك يسبب ضغطا على الاجشاء يضر الانسان ويضايقه. ولا بد من وضع الرأس
على شيء عال كاللحمة بحيث تكون في محاذاة الجسم لمنع احتقان الدماغ

وكذلك ينبغي للانسان أن لا ينام على طعام كثير فان النوم يعوق حركة الهضم وإفراز العصير المعدني ويتمب المعدة في وقت يجب أن تستريح فيه جميع الاعضاء، هذا فضلا عن كون ضغط المعدة وهي ممتلئة بالطعام على الحجاب الحاجز يحدث ضيقا يتسبب عنه الكابوس والاحلام المزعجة أو الاستيقاظ فجأة كأن الانسان يخاف من الموت العاجل ولا سيما اذا كان مصابا بالربو (ضيق النفس) أو بمرض في القلب أو الرئتين ، والأحسن أن يكون النوم بعد تمام الهضم في المعدة أي بعد نحو أربع ساعات

وينبغي أن يكون الرأس مغطى بغطاء خفيف لمنع توارد الدم بكثرة الى المخ، ويرى بعض الناس ان الاحسن كشفه . ولا يجوز بحال من الاحوال ان يغطى الوجه . أما الجسم والاقدام فيجب ان تدفأ جيدا فان ذلك يمنع تأثير البرد الضار ويجلب النوم أيضا

وإذا عرق النائم يجب عليه تغيير ملابسه بغيرها عقب الاستيقاظ مباشرة ولا بأس من وضع إناء في حجرة النوم للتبول فيه (بمئولة) كما كان يفعل ذلك رسول الله (ص) فان القيام الى مكان بعيد لاجل البول قد يحدث أرقا ويعرض الانسان لضرر البرد وغيره ، وذلك الضرر - لاشك - أعظم من استنشاق بعض تلك الرائحة التي تنبعث من البول

ومن المستحسن أن يبيت الانسان في فراش وحده لما تقدم بيانه ، وأيضا فإن المبيت مع الزوجة في فراش واحد يحرك الشهوة فيضطرب الانسان الى الاسراف في الجماع وفي ذلك ضرر عظيم

هذا ومن الناس من يقوم ويمشي في أثناء نومه ويأتي بأعمال عديدة لا يقدر أن يأتيها في اليقظة كالمشي على حائط مرتفع، وهذه الحالة قلما تحدث الا للمصابين ببعض الامراض العصبية كالمريض المسمى بالهستيريا^(١) ويسمى هذا النوع من النوم (بالجولان النومي) (Somnambulism)

(١) مرض يصيب النساء كثيرا وكان القدماء يظنون أنه من آثار أمراض جهازهن التناسلي فلذلك سموه بهذا الاسم المشتق من اسم الرحم باليونانية

الاحلام وعلم الغيب

الاحلام معروفة والظاهر من الكتب المقدسة خصوصا القرآن أن ما يراه الانسان في النوم قد يكون مطابقا للواقع أو لما سيقع كما استفاد من سورة يوسف مثلا، وورد في حديث أن الاحلام ثلاثة (١) هو اجس النفس و (٢) وسوسة الشيطان و (٣) الرؤيا الحق، وقال صلى الله عليه وسلم « رؤيا الرجل الصالح جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة » أي فهي تشبه أن تكون جزءا من الوحي وسبب الاحلام الفسيولوجي هو بقاء بعض خلايا المخ يقظة في أثناء النوم هذا واعلم أن الغيب حقيقي واضافي - فالحقيقي هو ما ليس له وجود في السكون مطلقا ولا يمكن الاستدلال عليه بشيء موجود. وهذا الغيب الحقيقي هو الذي استأثر بعلمه الله تعالى فلا يعلمه أحد الا باعلام من الله. وليس كل ما غاب عنك وهو موجود يعتبر غيبا حقيقيا فإن الانسان خصوصا في العصر الاخيرة أمكنه العلم بأشياء غير واقعة تحت حواسه، ومن أمثلة ذلك تلغراف ماركوني^(١) (Marconi) أو التلغراف اللاسلكي، وهو مبني على نظرية شهيرة في العلم الطبيعي وهي أن هذا العالم مملوء بالاثير، ولولا وجود هذا الاثير ما أمكن الجسم أن يؤثر في جسم آخر بعيد عنه، ففي هذا الاثير تحصل موجات عديدة ينشأ منها النور والكهرباء والجذب وغير ذلك. فلهذا التلغراف آلتان آلة تحدث التموج الكهربي والاخرى تتأثر به مهما بعدت عنها. فان هذا التأثير الكهربي يسري في الاثير

وكذلك عرفت الآن أشياء تخترق حجب المادة الكثيفة وتصل الى باطنها بواسطة الاثير أيضا مثال ذلك أشعة الراديوم وأشعة رونتجن Röntgen وهو عالم ألماني من مدينة ورزبرج Würzburg اكتشفها في سنة ١٨٩٥م وهي عبارة عن أشعة لم يعرف كتبها تنبعث من القطب السالب اذا مرت الكهرباء في أنبوبة مفرغة وهي لا تضيء فلا ترى ولسكنها تخترق كثيرا من الاجسام فترسم صورها على حائل يوضع خلفها، وهذا الحائل مصنوع من لوح زجاجي مغطى بمادة كيمياوية هي بلاتينو - سينور - الباريوم Platino-cyanide of Barium أو البوتاسيوم

بدل الباريوم أو غيره، وفوقها غطاء من الورق يوضع عليه الجسم المراد رؤيته. ومن خواص هذه المادة أنها تضيء إذا مرت فيها تلك الأشعة المظلمة، فإذا وضعت اليد مثلاً امام هذه الأنبوبة المفرغة خرجت الأشعة منها واخترقت اللحم والشحم وغيره فيرتسم ظل العظم على الوجه الزجاجي للحائل لان العظم يقاوم مرور الأشعة فيه أكثر من غيره من الانسجة الرخوة فيظهر مظلماً. ويمكن طبع الظل وحفظه بطريقة التصوير الفوتوغرافي حتى بدون واسطة الحائل المذكور. ومثل هذه الأشعة في تأثيرها أشعة الراديوم وهو عنصر اكتشف حديثاً تنبعث منه أشعة متنوعة كالسكراب والحرارة والنور وأشعة تحترق الحجب كاختراق أشعة رونتجن. ولجليل مكتشف هذه الأشعة الأخيرة بحقيقتها سماها أشعة X أو الأشعة المجهولة كما تقول في اللغة العربية لكمية الحساب المجهولة في بعض المسائل الرياضية الكمية (س)

إذا علم ذلك أمكننا الآن أن نشبه مخ الانسان بألة كهر بائية تنبعث منها في أثناء العمل تموجات مخصوصة كتموجات تلغراف ماركوني وهذه التموجات قد تتلقاها مخاخ بعض الناس بعد ان تنفذ الى باطن جماجمهم، ومن المعلوم في علم الفسيولوجيا أن جميع أعمال الجسم الكبيرة والصغيرة ليست الا حركات متنوعة في ذراته وفي جواهره الفردة. ففي أثناء النوم اذا انقطع عن الانسان ما يشغله مما يوجد في هذا العالم واستراح مخه كان حينئذ صالحاً لتلقي بعض تموجات أثرية مما ينشأ من حوادث هذا العالم، فرؤية شخص لشخص يمشي في مكان خطر أو يسقط في البحر مثلاً قد تكون مطابقة للواقع ونفس الامر، هذا في الاشياء الحاصلة في العالم، وقد يستدل من بعضها المخ على البعض الآخر الذي لم يوجد فيخبل له أنه واقع بالفعل فبراه، ولكن كل ذلك لا يدل على انه علم الغيب بمقتضى التعريف السابق

أما حوادث العلم في المنام بالغيب الحقيقي فلا يمكن تعليلها بهذا التعليل السابق وإنما هي من إلهام الله لبعض النفوس الصافية فان الغيب الحقيقي لا يعلمه الا الله كما نص على ذلك القرآن وهو الذي يطلع من يشاء من عباده على ما يشاء فلا يعلمه أحد من ذاته بل باعلام الله، ومثل ذلك الوحي والنبوة (اقرأ آخر سورة الجن)

والاحلام منها ما يحدث بسبب وداعية ومنها ما يحدث بفيز سبب معروف .
والسبب اما أن يكون كثرة اشتغال العقل بشيء في اليقظة واما أن يكون شيئاً طرأ
على الانسان في نومه، كأن توضع شمعة مشتعلة أمام عين النائم فانه ربما يحلم بحريق
أورعد أو برق أو نحو ذلك

ويؤيد ما قلناه في الاحلام وما تنبى به من الغيب مسألة التنويم المغنطيسي

التنويم المغنطيسي

يحدث هذا التنويم لانواع الحيوانات المختلفة اذا انحصر فكرها في شيء واحد
مخصوص وأطاعت النفس شعورها بالميل لهذا النوع من النوم، فاذا حصر الانسان
أو غيره فكره في جسم مضيء مثلاً حصل له هذا النوم ، وكذلك يمكن تنويم
مثل الديكة والخيل وغيرها ، ويتوم الديك برسم خط طويل امام عينيه ويوضع
منقاره عليه ويمسك برأسه في هذا الوضع مدة فإنه ينام نوماً مغنطيسياً . ويمكن
أحياناً تنويم الاطفال الرضع بإيقاظهم على ظهورهم
والنائم هذا النوم يمكن إيدأؤه بأشياء كثيرة وهو لا يشعر بها حتى قد تفعل له
بعض العمليات الجراحية وهو لا يدري

وهذا النوم له درجات ست (وقسمها بعضهم الى ثلاث فقط) وآخرها من أغرب
ما يكون ، فان النائم يرى فيها البعيد كما يرى القريب ويسمي الافرنج تلك الحالة
[Clairvoyance] ومعناها الحرفي « الرؤيا الواضحة » وفيها يشعر الانسان أيضاً
بالاشياء وإن كانت عيناه مغمضتين بل يمكنه القراءة بأي جزء من جسمه فقد حدث
في محام مصر بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ أن نومت فتاة قبطية نوماً مغنطيسياً
فكانت تقرأ الساعة معدتها أمام القضاة وكانت ترى من خلفها ورأت ما بيد أحد
المحامين وأعينها معصوبة ويد المحامي مقبوضة

ومن فوائد هذا التنويم أنه قد يستعمل لشفاء بعض الامراض، فمثلاً اذا أصيب
الانسان بمرض جلد عميرة (الاستمناء باليد) حتى إنه لم يقدر على كبح جماح نفسه
ونوم وأمر أن لا يأتيه فانه يشفى من ذلك شفاء تاماً، وكذلك من تعود التدخين أو
تعاطي الافيون مثلاً

وفي التويم المغنطيسي يمكن للانسان أن يخاطب غيره اذا كان نائما مثله على بعد شاسع ويسمى ذلك بالتعريف الانساني أو انتقال الافكار، وتسميه الافرنج [Telepathy] ومعناه الحرفي « الشعور على بعد » وهذا التأثير على البعد قد يحصل حتى للإيقاظ، فإذا اتفق شخصان على التخاطب على بعد في وقت ومكان معينين أمكن ذلك بالمزاولة والرياضة الطويلة . وقد يؤثر الشخص في شخص آخر بعيد عنه بدون اتفاق بينهما أيضا ولكن ذلك نادر جدا

وهذه المسألة تفهمنا تأثير العين ^(١) الذي ورد فيه بعض الأحاديث النبوية وتواترت روايات أم العالمين على حصوله وإن أنكره بعض المتأخرين. على أن إنكار تأثير العين مطلقا مكابرة، فمن ذا الذي ينكر تأثير نظرة الرضا والحقد أو المحبة والبغض في النفوس وتأثير النظر إلى الجميل والقبيح أو الفرح أو الحزين وإلى النشيط والكسلان المثائب إلى غير ذلك مما هو معروف . ولذلك قال (ص) « العين حق » وأما ما زاد عن ذلك القدر من الحديث فإما أنه لم يثبت عنه عليه السلام أو أنه يراد به تأكيد ما للعين من التأثير في النفس أو المبالغة فيه

ومثل التأثير على البعد أيضا بعض أنواع السحر كالتنوع المسمى بمصر (بالشيشبة)

ومن النوادر التاريخية التي لا تبعد صحتها ما روي أن عمر رضي الله عنه كان يخاطب بالمدينة فصاح في أثناء خطبته (ياسارية، الجبل، ياسارية الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم) ثم عاد إلى الخطبة حتى قال فيه بعض الصحابة إنه جن، ولما سئل رضي الله عنه عن ذلك أجاب بأنه رأى جيوش المسلمين تكاد تفتك بها الأعاجم على أبواب (نهاوند) فصاح بقائدهم - ولم يمالك نفسه -- ليحصن بالجبل . وبعد ذلك جاءت الأخبار بأن المسلمين كادوا يهزمون، لولا أن سارية القائد سمع مع بعضهم هاتفا يرشدهم إلى الجبل، فدهش الناس لذلك وعلموا

(١) هذا التأثير قاصر على التأثير النفساني أو العصبي فقط، والذي نعتقده أنه لا يحدث مباشرة مرضا جوهريا عضويا فهو كتأثير وسوسة الشياطين

منه مقدار نفس عمر وكبر روحه . وهذه من أعظم مناقبه (رض) .
واعلم ان جميع هذه التأثيرات تصل بين النفوس بعضها ببعض بواسطة
الأثير - كما سبق - والظاهر أن جميع المخلوقات ليس فيها شيء آخر سوى المادة
الكثيفة أو اللطيفة ، وهي التي تأتي بكل ما في هذا العالم من المشاهد العجيبة
أما اعتقاد عامتنا وبعض خاصة الملايين بأن في الانسان أو في هذا العالم شيئاً
آخر مخلوقاً يغير مادة الكون فأرى أنه بعيد عن الصواب بعيد عن القرآن ،
فان هذا الكتاب الشريف لم يثبت وجود شيء مما يغير مادة الكون سوى الله
(٢ : ١١٤) حتى أنه نص على أن بعض ما يسمونه بالأرواح كالجن مخلوق من
مارج النار، وهو من مادة هذا الكون (١)

(١) المنار : مادة الكون مؤلفة من عناصر كثيرة ما أحاط البشر بها علماً ،
ولما اكتشفوا من سنين قليلة الراديوم بدا لهم من العلم الجديد بها ما لم يكونوا يتصورون
ولا يصدقون ، فرجعوا به عن كثير مما كانوا يظنون . ولا يبعد أن يكون في غير
هذه الأرض من عوالم الكون ما ليس فيها . ولم أرفأئدة لحرص الكاتب على
إثبات ان أرواح البشر والملائكة والجن من مادة الكون التي يعد منها الأثير
الذي عرف بالعقل لا بالحس . ولم يقل أحد من علمائنا ان هذه الأشياء ليست
من مادة الكون ، وكيف يقولون ذلك وهم مجمعون على أن الوجود قسمان : واجب
أزلي وهو خالق الكون ، وممكن مخلوق وهو الكون . وأكثرهم يعرف الملائكة
بانهم أجسام نورانية . فاذا كانوا يعبرون عنهم بالأجسام فهل يمكن ان يقولوا انهم
ليسوا من الكون ؟ أما النسبة بين الملائكة والجن فهي العموم والخصوص
المطلق ، فكل الملائكة من الجن وليس كل الجن من الملائكة . وليس المراد
بكونهم من الجن ان كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة ، بل معناه ان كل
ذلك من العوالم الخفية المجتمة . واما القرآن فانه يثبت ان العالم قسمان : عالم الغيب
وعالم الشهادة ، والملائكة والجنة واليجيم من عالم الغيب الذي لا نعلم من أمره
الا ما عرفنا الوحي ، وانما نعرف بكسبنا شيئاً قليلاً من أحوال عالم الشهادة ،
فعلينا ان نجتهد لنزداد علماً فيما ينفعنا منه ، ونكتفي من أمر عالم الغيب بما صح
خير الوحي به ، ولا تقيس ما تجهل كنهه ، على ما لا نعلم الا بعض الشيء عنه

وإذا لاحظنا أنه نص على أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ثم استثنى الشيطان أمكننا الاستدلال بذلك على أن الشيطان كان أحد الملائكة، وقد نص في آية أخرى (٥٠: ١٨) على أنه كان من الجن؛ فيستنتج من ذلك أن لفظ الجن يطلق على جميع ما استمر من هذه العوالم، فإن مادته تطلق على كل ماخفي كالجنين مثلا. ومما يؤيد كون الملائكة من الجن قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) مع أن العرب أشركت بالله الملائكة، فلولا أن لفظ الجن يطلق عليهم أيضا لما صح هذا التعبير في الآيتين السابقتين

ولا ينافي ذلك نسبة الذرية للشيطان مع العلم بأن الملائكة لا توصف بالذكورة ولا بالانوثة (قر ٤٣ : ١٩) فإن الذرية قد تكون بغير اجتماع الذكـر بالانثى — كما سيأتي بيانه في علم الميكروبات —

نعم ان لفظ الجن اذا اطلق انصرف غالبا الى عالم مخصوص معروف في الذهن غير الملائكة كما في قوله تعالى عن لسان الملائكة (بل كانوا يعبدون الجن) الآية

أما مسألة استحضار الارواح فكثير من العلماء الى الآن يشكون فيها، وهي اذا صحت لاتنافي مذهبنا اليه، فان هذه الارواح التي تستحضر لم تخرج عن كونها من عالم الاثير باعتراف مستحضرها أنفسهم، حتى زعم بعضهم امكان تصويرها بالآلة الفوتوغرافية، بل حاولوا ذلك فعلا، وقد رأيت بنفسي هذه الصورة في بعض المجالات العلمية

والارواح التي تستحضر منها ماهو للبشر ومنها ماهو من العوالم الاخرى كالشياطين

ومسألة استحضار الارواح — اذا صحت أيضا — كانت دليلا بينا على صحة ما ورد في القرآن الشريف وصحة الاخبار والآثار عن الكهانة، فان الكاهن العربي أو غيره كان يسعى في إحداث علاقة بينه وبين الشياطين فيخبرونه عن بعض أشياء غيبية أو يعملون له بعض الأعاجيب كأن يحضر واه شيئا بعيدا عنه ويؤيد ذلك أيضا ماورد في أسفار موسى (ص) كما في سفر التثنية ١٨ : ١١

وكذلك القصة الواردة في سفر صموئيل الاول ٢٨ : ١١ و ١٢ فكل هذه الاشياء تضافرت على القول بإمكان الاتصال بذلك العالم الاثيري وليس ثم مانع في العلم الحقيقي منه

واعلم ان الاثير هو مادة العالم الاصلية التي خلقت منها العناصر والا كون وهي لاشك حادثة كما سيأتي اثباته ان شاء الله تعالى في الجزء الثالث

الرياضة البدنية

من قوانين الكون أن العضو المستعمل ينمو ويحسن حاله ، والعضو الذي يهمل يضمر شيئا فشيئا حتى قد يزول من النسل بعد حين من الدهر ، لذلك كانت الرياضة البدنية من أوجب الواجبات لبقاء الجسم في الصحة والعافية ، حتى ان الأطفال يجدون أنفسهم مدفوعين بالهام إلهي الى كثرة اللعب ، لما في ذلك من الرياضة لابدانهم

وتأثير الرياضة أنها تسرع في دورة الدم فيقوى القلب والعروق، وتكثر تغذية جميع الاعضاء ويتم الاحتراق بها وتذهب عنها الفضلات الضارة التي يكثر إفرازها في البول والعرق وفي الهواء الخارج من الرئتين، ولذلك يحتاج الانسان الى الاكثار من الطعام والشراب واستنشاق أكسجين الهواء ، وتقوى جميع عضلات الجسم وتسمن ويزول التشحم الذي قد يتراكم على القلب حتى يضعفه بل قد يكون سببا في الموت الفجائي بالسكتة القلبية

وتمام الاحتراق الذي يحصل بالرياضة يمنع تراكم حامض البوليك في الدم ، وهذا الحامض هو الذي يسبب أعراض المرض المسمى بالذقرس وقد يرسب في بعض الاعضاء كالكليتين فيتكون فيهما حصيات ضارة جدا وكثيرا ما تؤدي الى الهلاك. وبالجملة فان الرياضة تقوي جميع أعضاء الجسم وتذهب عنها المواد الضارة فتصح ويجب أن تكون الرياضة في الهواء النقي والا لاستنشاق الانسان ما يضره من العفونات

ولا يصح أن تعمل في وقت الحر الشديد ، فان الحر كثيرا ما يقتل الانسان . ولا يجوز أن يتعرض الانسان بعد الرياضة وكثرة العرق للهواء فان ذلك من

أعظم الاسباب لاحداث التهاب الاعضاء والنزلات المتنوعة، كذلك لايجوز شرب الماء البارد عقبها ، فان من الناس من مات بسبب ذلك لحصول سكتة فلبية له
 واذأ أحس الانسان بتعب منها فالواجب أن لا يأكل الا بعد الراحة فان المعدة تشترك مع الجسم في التعب ، فاذا وضع فيها الطعام حينئذ فانها لا تقدر على الهضم ، وكثيرا ما يحصل القيء بسبب ذلك ، وان لم يتقايأ الشخص نزل الطعام الفاسد الى الامعاء فأحدث فيها تهيجا من آثاره المغص والاسهال
 ومن الخطأ الكبير الجماع أيضا عقب الرياضة مباشرة فان ذلك يزيد في إنبالك قوى الجسم ، فالواجب أن يتبع الرياضة الراحة أو النوم فان ذلك نافع جدا .
 ولا يجوز عمل الرياضة الشاقة عقب الاكل مباشرة كما سبق بيانه
 والاعتدال في الرياضة ضروري جدا — كما في سائر الاشياء — ومدتها للشبان الاصحاء نحو من ساعة في اليوم نصف في أوائل النهار ونصف في آخره ، هذا اذا كانت بالمشي السريع ، أما اذا كان المشي معتدلا فتكون ساعتين . ومن الامراض مالا توافقه الرياضة كأمراض صامات القلب
 وأنواع الرياضة عديدة منها المشي ومنها العدو ومنها السباحة وركوب الخيل وغير ذلك ، ولا يتوهم أحد أن المشي لا يكفي ، وكيف لا يكفي وبه تتحرك جميع العضلات تقريبا ويسرع القلب والتنفس

النبذة الرابعة

في علم الانسجة أو التشریح الدقيق

Histology الميستولوجيا

الميستولوجيا كلمة يونانية ومعناها [علم الانسجة] وبمباراة أخرى علم التشریح الدقيق للجسم ، وقد سبق ذكر أشياء كثيرة منه في النبذة الثالثة
 وهذا العلم لا يمكن دراسته الا بالمجهر المسمى بالميكروسكوب أي المنظار الدقيق

لينسّر للانسان الوقوف على جميع دقائق الجسم
أما المجهر فهو مبني على الحقيقة الطبيعية الآتية وهي أن الجسم اذا وضع على
بعد مخصوص من العدسة المحدبة تجمعت الاشعة المنبعثة منه ورسم كبيرا في الجهة
الأخرى، وهذه الصورة الكبيرة تمكن رؤيتها بالعين المجردة، وقد ترى بعدسة أخرى
قترداد كبيرا، لذلك كان الميكروسكوب عبارة عن أنبوبة معدنية في طرفها عدسة محدبة،
وكذلك في الطرف الآخر، الأأن الغالب أن تكون العدسة التي في الطرف الاول
محدبة من الجانبين وفي الطرف الثاني محدبة من الجهة الداخلية فقط

وتكون العدستان على أبعاد مخصوصة معروفة في علم الطبيعة، فإذا أريد رؤية
أي جزء من أجزاء الجسم قطعت منه طبقات رقيقة بالآلة كالموسى وتوضع القطعة
منها على لوح من الزجاج بعد أن تلون بألوان مخصوصة أو بدون تلوين
ثم يوضع هذا اللوح على حامل في المجهر له ثقب مستدير في وسطه وتحت هذا
الثقب مرآة لعكس الاشعة لتنفذ خلال القطعة الرقيقة التي فوق اللوح الزجاجي
فتكبر صورتها العدسة الاولى ثم تكبر هذه الصورة العدسة الثانية فيراها الانسان
كبيرة جدا

وبهذه الآلة أمكن الوقوف على دقائق عالمي الحيوان والنبات وبها اكتشفت
الميكروبات، فلها الفضل الاكبر في علم الطب الحديث
فاذا نظر بالمجهر الى أجزاء الجسم المختلفة وجد أنها تتركب من الانسجة الآتية:—
(١) ابيثيليوم [Epithelium] وهذه كلمة يونانية معناها الغطاء لان هذا
المنسوج يغطي جميع أجزاء الجسم من الظاهر والباطن كما في الجلد وفي قناة
الهضم وغير ذلك

(٢) المنسوج الضام وهو الذي يربط أجزاء الجسم بعضها ببعض
(٣) المنسوج العضلي وهو الذي تحصل به الحركة — كما سبق —
(٤) المنسوج العصبي وهو المخ والنخاع وسائر الاعصاب
وكما أن جميع المنسوجات كالأشعة مثلًا تتركب من أجزاء دقيقة جدا وهي الخيوط
كذلك هذه الانسجة تتركب من خيوط تسمى الالياف، ومن كتل صغيرة جدا

تسمى الخلايا، وبينها مواد تربط الواحد منها بالآخر. وأصل جميع ما في الجسم من الألياف وغيرها ناشئ من الخلايا. فالخلايا في الحقيقة هي عنصر الأجسام الحية نباتية كانت أو حيوانية. إذ من الثابت أن الانسان يتكون من بيضة واحدة، وهي في الحقيقة خلية حية

ففي بعض أجزاء الجسم نجد أن هذه الخلايا منضودة صفوفًا بعضها فوق بعض ويتكون منها الأيشيليوم المذكور، وفي الأجزاء الأخرى تمتط هذه الخلايا فيتكون منها العضلات أو الأعصاب أو المنسوج الضام بتغيرات مختلفة تحصل فيها، وقد يتكون في داخلها مواد دهنية فينشأ من ذلك منسوج الشحم

ومن الناس من يعتقد أن ألياف المنسوج الضام كانت خلايا فامتطت — كما قلنا — ومنهم من يرى أنها إفرازات من الخلايا ترسب فيما بينها كما ترسب بعض الأملاح في السوائل. والقول بأنها رواسب هو الراجح الآن عند العلماء

أما الخلية فهي الأصل لجميع الأحياء — كما سبق — وتركب من البروتوبلازم^(١) Protoplasm وهو مادة يدخل في تركيبها جميع ما ذكرناه سابقًا من العناصر التي في جسم الانسان فهي ككائنات صغيرة. ففيها الماء والزلال والدهن والمواد الكربوهيدراتية وأملاح عديدة وغير ذلك. ولها جميع خواص الحياة وهي التنفس والتغذية والإفراز والحركة. وجميع هذه الأعمال يمكن لكل جزء من أجزاء جسمها أن يقوم بها على حد سواء، فمثلاً التغذية يحصل بجميع جسمها، وفي حركتها ترسل من أي جزء من جسمها أذناناً تتحرك بها كالمجاديف. وكلما ارتقت الحيوانات تخصصت بعض هذه الخلايا بعمل مخصوص كما نرى في الانسان؛ فمثلاً نرى أن الحركة في الانسان خصت بها أعضاء، وكذلك القول في التغذية إلا أن الخواص المذكورة للحياة تبقى لكل خلية وإن لم تظهر فيها ظهوراً بيناً، بمعنى أن بعض الوظائف قد يبقى كما في الخلايا وتظهر بعض الخواص الأخرى ظهوراً بيناً كالاحساس مثلاً فإن جميع الخلايا الحية تحس إلا أن الاحساس في المجموع

(١) كلمة يونانية معناها المكون الأول لاعتقاد العلماء أنها أول مظهر من مظاهر الحياة في هذا العالم

العصبي أظهر بكثير مما هو في المنسوج الضام مثلا
وأول الأحياء كانت قِطَماً بروتوبلازمية مجردة من كل شيء آخر ، وفي
الأحياء التي أرقى من ذلك يتكون في وسط الخلية بقعة قائمة تسمى «النواة» وهي
تغاير في تركيبها بعض التغاير لمواد البروتوبلازم ويصير لهذه النواة التأثير في تغذية
الخلايا وفي انقسامها فلا يبدأ الانقسام في الخلية الا اذا انقسمت نواتها واذا فصل
جزء منها عن النواة أصابه الفساد ، وفي وسط هذه النواة نواة صفراء تسمى النوية
ويتصلب الجزء الذي على سطح البروتوبلازم حتي يصير كحائط للخلية
والخلايا تتكاثر بالانقسام وهذا الانقسام يبدأ بانقسام النواة ثم ينقسم
البروتوبلازم فتصير الخلية الواحدة خليتين ، والخلايا التي لانواة لها لا يكون جزء
منها مسيطرا على الباقي

ومن الخلايا ما ينقسم داخل الفشاء الكاذب المحيط بالخلية، ومنها ما ينقسم
مع نفس هذا الفشاء فمثال الاول جين الانسان فان البويضة تنقسم بدون انقسام
الغلاف، ومثال الثاني الحيوان المسمى (الامبيا^(١)) وهو مركب من خلية واحدة
تنقسم كلها فيصير الواحد اثنين ثم أكثر فأكثر وهو يوجد في بعض المياه الآسنة
والفرق بين أبسط النباتات وأبسط الحيوانات هو عسر التحديد الا أنه يمكن
أن يقال فيه ما يأتي (١) ان خلايا النباتات محاطة بطبقة من مادة السلولوز وهي
المادة التي يتركب منها الخشب وتشبه في تركيبها الكيماوي النشاء، ولكن من
الحيوانات ما فيه هذه المادة أيضا (٢) في خلايا النباتات الراقية مادة خضراء تسمى
(الكلوروفيل) وهي كلمة يونانية معناها «خضرة الورق» (٣) ان الخلايا
النباتية تكون - بواسطة الكلوروفيل مع تأثير أشعة الشمس - من بعض العناصر
البسيطة أجساما عجيبة التركيب مثل السكر الذي تولده النباتات من غاز ثاني
أكسيد الفحم الموجود في الهواء ، والنباتات تولد أيضا من الاملاح النيتروجينية
البسيطة - مثل نترات الصوديوم - مواد زلالية متقدمة التركيب . أما الحيوانات فلا
يمكنها هذا العمل وهي تعتمد في غذائها بالمواد الزلالية وغيرها كل الاعتماد على

(١) كلمة يونانية معناها المتغير لتغير شكله دائما كما سبق في حاشية ص ٦٨

النباتات التي لولاها لهلك جميع الحيوانات
هذا وقد سبق ان الجسم الانساني كله مولد من البويضة بانقسام نواتها
وبروتوبلازمها كله، ومن الحيوانات كالذجاج مثلا ما يتولد بانقسام النواة مع جزء
صغير مما يحيط بها من البروتوبلازم وتتغذى بالباقي منه
والايشليوم مركب - كما قلنا - من خلايا مرصوص بعضها بجانب بعض، وقد
يتكون منها عدة طبقات أو طبقة واحدة كما في ايشليوم البريتون، وفي الجلد طبقات
عديدة منه، وفي غشاء المثانة تكون الطبقات أقل من طبقات الجلد. وفي بعض أعضاء
الجسم يكون لخلايا الطبقة العليا منه أهداف تتحرك بنفسها وهي عبارة عن زوائد
ممتدة من نفس البروتوبلازم - كما تقدم -
أما المنسوج الضام فيراد به أشياء كثيرة، منها أربطة المفاصل وأوتار العضلات
والعظام والغضاريف والشحم؛ ومن الناس من يعد الدم من المنسوج الضام أيضا.
وأعظم ما يتميز به العظم عن غيره رسوب مواد جيرية في المادة التي بين خلاياه
وأما المنسوج العضلي - وهو اللحم - والمنسوج العصبي فقد سبق الكلام
عليها فلا حاجة الى التكرار. وتبارك الله الذي خلق الخلق في هذه الاطوار

﴿ انتهى الجزء الاول ﴾

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة ، ومعلم الحكمة ، وعلى آله وصحبه هداة الأمة (وبعد) فقد جعلت هذا الجزء الثاني من محاضراتي خاصا بالكلام على الأحياء التسليقية من ميكروبات وديدان وغيرها وما ينشأ عنها من الأمراض المعدية وأعراضها وعلاجها وطرق إلتقائها - إلى غير ذلك من المباحث العالية الضرورية لحياة الأفراد والامم ولما كانت لغتنا العربية في أشد الحاجة إلى مثل هذه المباحث الراقية التي قتلها الأفرنج بحثا وتمحيصا - لم أقصر في هذا الجزء على ما ألقى منها على طلبة مدرستنا (دار الدعوة والارشاد) بل توسعت فيها بما سيكون إن شاء الله نافعا حتى للخاصة، وقلت إلى لغتنا الشريفة أهم ما كتبه الأفرنج في هذه المسائل راجيا بذلك خدمة اللغة والامة بارشادها إلى ما يجب اتباعه لاتقاء شر تلك الامراض المعدية التي تقتي كثيرا من الناس في كل يوم، وتضعف الامم التي لم تلتفت إلى سنن الله تعالى فيها وأهملتها إهمالا شديعا

وقد جريت في هذا الجزء على طريقتي في الجزء الأول من التدقيق في التعريب واختيار أوضح العبارات وأقربها إلى تناول جمهور القراء ليسهل على كل مطلع على الكتاب فهم المراد منها، مراعيًا في كل ما أكتب نصوص الشريعة الإسلامية الغراء وأساليبها ممحصا لها ، وموفقا بين تلك النصوص وبين الحقائق العلمية ، والله الهادي إلى أقوم طريق

البكتريولوجيا

Bacteriology

علم الأحياء الدقيقة الخفية

البكتريولوجيا لفظ يوناني معناه علم البكتيريا . والبكتيريا معناها العصي (جمع عصا) ويراد بها غالبا الأحياء الدقيقة النباتية التي أ كثرها مركب من خلية واحدة ، وأما سميت بذلك لكون شكل كثير منها مستقيما كالعصا . ولفظ ميكروب معناه الحبي الدقيق ^(١) والذي وضع هذا اللفظ شخص يسمى سيدلوت Sédillot في سنة ١٨٧٨ م ويطلق على جميع الأحياء الدقيقة سواء أ كانت نباتية أم حيوانية أم في المنطقة التي بينها . وجمهور العلماء يطلقون لفظ (البكتريولوجيا) على علم الميكروبات كلها مع اختلاف أنواعها

أما علم البكتريولوجيا الحالي فمؤسسه الحقيقي هو العلامة لويس باستور Louis Pasteur الفرنسي عاش بين سنة ١٨٢٢ و ١٨٩٥ م واشتغل كثيرا بالبحث في داء الكلب والهيضة (الكوليرا) فهذا العلم تأسس في القرن التاسع عشر ، وأما وما كتب فيه من قبل فلم يكن مما يعول عليه كثيرا ومن نبغ فيه أيضا الأستاذ روبرت كوخ الألماني Robert Koch وكان من أعلام علماء عصره واكتشف ميكروب الدرن وبحث بحثا دقيقا في الهيضة والطاعون ، عاش بين سنة ١٨٤٣ و سنة ١٩١٥

وقد عرف الآن ان الميكروبات هي السبب في أ كثر الامراض . والذي هدى الناس الى العلم بهذه الأحياء هو المجهري (الميكروسكوب) ، ولكن اختراعه الذي كان في سنة ١٥٩٠ قد سبق علم البكتريولوجيا ببضعة قرون ، ولم يكن في (١) المنار: اختار بعض كتاب المصرايم الجراثيم للميكروبات ، واستحسننا من قبل اطلاق اسم الجن او الجنة عليها فخافنا

ذلك الوقت مرتقيا الى حيث يكشف لنا عن أكبر هذه الاحياء الدنيئة . وأقوى أنواعه الآن ما يكبر الشيء ١٠,٠٠٠ ضعف

كيفية دراسة الميكروبات

لدراسة الميكروبات توضع على لوح من الزجاج ، ثم تثبت باحدى الطرق المشهورة في هذا الفن ، ثم تلون بألوان مخصوصة لظهارها جيدا ، وإن كان يمكن رؤيتها حية بدون تلوين . وطريقة ذلك أن يصنع لوح سميك من الزجاج به حفرة صغيرة (تقعر) في وسطه ، ثم يؤتى بلوح آخر رقيق جدا وتوضع نقطة من السائل الذي فيه الميكروب على هذا اللوح ثم تغطى الحفرة بهذا اللوح الرقيق ، بحيث تكون النقطة متجهة الى الاسفل أي تكون في تجويف الحفرة المنفطة باللوح الرقيق . ويسمى علماء هذا الفن هذه الطريقة (بطريقة النقطة المعلقة) وفائدتها أن تحفظ السائل من التبخر وتوجد هواء محيطا به لتنفس الميكروب ، وبهذه الطريقة يمكن مراقبة نمو الميكروب وحركته - ان كان متحركا - وغير ذلك

أما المادة الملونة فهي تكون غالبا مما يسمى بالانيلين [Aniline] وهي كلمة برتغالية معناها النيلية ، وتلك المادة من مستخرجات قطران الفحم الحجري . وسميت بذلك لأنها صنعت في أول الامر من النيلية التي تستخرج من ورق شجرة معروفة وعيدانها . ومادة الانيلين هذه بنا كسدها يستخرج منها ألوان عديدة

كالاخضر والاصفر الخ

تعريف الميكروبات

أكثر ميكروبات الأمراض أحياء بين عالمي الحيوان والنبات ولكنها أميل الى النباتية منها الى الحيوانية ، وهي في الغالب مركبة من خلية واحدة لانواة^(١) لها ، ومحاطة بغلاف من السللوز^(٢) ولكنها خالية من مادة الكلوروفيل مطلقا ، ولذلك اختلفت الميكروبات عن النباتات العالية ، فلا يمكنها تحليل غاز ثاني أكسيد

(١) يرى الآن بعض العلماء أنها ليست مجردة من النواة خلافا لما كان قد ذهب اليه الجمهور (٢) كون هذا الغلاف من السللوز فيه نظر ، حتى أنكرك ذلك الان بعض العلماء

الفحم الموجود في الهواء فهي في ذلك تشبه المواد الفطرية المركبة من عدة خلايا نباتية . وأيضاً بعض الميكروبات يمكنها أن تتركب مواد أزوئية عضوية من مثل النوشادر وحامض النيتريك وهي مواد غير عضوية ، فأشبهت بذلك النبات شياً عظيماً وغازت الحيوان بذلك وبغلافها السلولوزي ، ومنها طائفة تأخذ الأزوت الضروري لها من الهواء

والمواد العضوية منسوبة الى أعضاء النبات والحيوان لانها تتولد بواسطة هذه الاعضاء ، مثال ذلك غرقى (زلال) البيض والسكر وغيره .
وأما المواد غير العضوية فهي التي توجد في الكون بدون واسطة النبات أو الحيوان كملح الطعام

فترى من هذا أن أهم مميزات النبات عن الحيوان أنه يمكنه توليد المواد العضوية من المواد غير العضوية مباشرة ، والحيوان لا يمكنه ذلك البتة . وهو في غذائه مضطر الى أكل النبات . ولتوضيح ذلك نقول : يوجد في الارض أملاح تسمى النترات أي يوجد فيها النيتروجين (الأزوت) والاكسجين متحدين معا ومع معدن من المعادن كالبوتاسيوم مثلاً ، فاذا صب عليها الماء ذابت فيه فيمتصها النبات ويتغذى بها ويحولها الى مواد زلاية ، وبذلك يمكنها أن تعيش بالاستقلال عن سائر الاحياء الاخرى ؛ وفي الهواء آثار من مادة النوشادر وهي مركبة من النيتروجين والهيدروجين وسهلة الذوبان في الماء فتذوب في ماء المطر وتسقط الى الارض فيتغذى بها النبات أيضاً ويولد منها مواد زلاية

وأما الحيوان فاذا منعت عنه المواد الزلاية فانه يهلك بسرعة .
وعليه فأصل الوجود الحيواني متوقف على النباتات وهي لاشك خلقت قبله .
ولنرجع الى ما كنا فيه :

أشكال الميكروبات

للميكروبات أشكال عديدة أهمها : —

(١) الشكل الباسيلي أي المستطيل ، وكلمة باسيل [Bacillus] لاتينية معناها

العصية (تصغير عصا) وذلك لان ميكروبات هذا النوع تحاكي خطوطا مستطيلة صغيرة جدا ، فاذا قيل باسيل الدرر فعناه عصيات الدرر أي ميكروبه الذي شكله مستطيل

(٢) البزور [Cocci] وميكروبات هذا الشكل كنقط صغيرة، وهذه النقطة قد يلتصق بعضها بجانب بعض فيتكون منها خيوط تسمى البزور السلسلية [Streptococci] وقد تجتمع ثني مثل ميكروب الالتهاب الرئوي والروماتزم والالتهاب السحائي الوبائي والسيلان إلا أن هذا الأخير شكل بزوره كلوي (أي كشكل الكلية) وقد تجتمع رباعاً ، وقد تجتمع على أشكال غير منتظمة فيتكون منها ما يسمى بالبزور العنقودية [Staphylococci]

والبزور المربعة توجد عادة في القيء الناشئ من تمدد المعدة، والبزور الأخرى السلسلية والعنقودية توجد في الالتهابات والخراجات ونحو ذلك ، وأشدها خطراً البزور السلسلية فانها هي التي تحدث المرض المعروف بالحمرة ، وهو من الاعراض المعدية الفتاكة، وتوجد أيضاً في بعض التهابات الرحم العفنة عقب الولادة

(٣) الشكل الحلزوني [Spirilla] وميكروبه يكون دقيقاً مستطيلاً ملتويًا على نفسه كالثعبان ، ومن هذا الشكل ميكروب الهیضة (الكوليرا) وهذا الميكروب كثيراً ما يشاهد مقسماً الى قطع صغيرة كل قطعة منها تشبه الضمة أو الشولة ، ولذلك يسمونه بالباسيل الضممي [Comma] فاذا اجتمع من هذا الميكروب اثنان مثلاً فقد يتكون منهما شكل يشبه حرف (S)

ومن الشكل الحلزوني أيضاً ميكروب الزهري وميكروب الحمى الراجعة . والجمهور يعد الآن بعض الحلزونيات من نوع الحيوان لان نوع النبات وهو الراجح وبعض الميكروبات لها أهداب [Flagilla] تتحرك بها، فمثلاً ميكروب الحمى التيفودية له أهداب عديدة تبلغ ٨ أو ١٢ وطول كل منها نحو من ضعف طول الميكروب نفسه ، وهو يتحرك بهذه الأهداب حركة شديدة ، ولضمة الكوليرا هذب أو اثنان في طرف واحد منها، وكذلك الأشكال الأخرى قد يكون لبعضها أهداب ويقال ان لميكروب الحمى الراجعة أربعة أهداب اثنان في كل طرف . ولا

فرق بين طرف وطرف في هذه الميكروبات بل يمكنها أن تسير بأي شاءت

تربية الميكروبات

والميكروبات يمكن تربيتها تربية صناعية ويسمى ذلك في اصطلاح هذا العلم «زرع الميكروب» أو إنباته لأنها نباتات — كما قلنا —

ومن السوائل المستعملة في تربية الميكروب المرق واللبن والبول ومصل الدم وأما المياه الجيدة فقد شوهد أن الميكروبات لا تعيش فيها أكثر من ١٤ الى ٤٠ يوما، وربما كان ذلك لقلة المواد المغذية لها فيها

ويمكن تربيتها أيضا على الجلوتين وهو مادة تستخرج بغلي العظام والانسجة الضامة كالاربطة وغيرها . وكلمة جلوتين إيطالية معناها الفالودج، ويمكن تسمية هذه المادة في لغتنا (بالودك) وهي مادة تشبه المواد الزلالية في تركيبها أي أنها تشمل

على النيتروجين

ومن المواد الصلبة أيضا التي تربي عليها الميكروبات ما يسمى (بالأجار أجار) [Agar - agar] وهو صمغ يستخرج من نباتات بحرية تنبت في الشرق كاليابان وجاوة . ومن هذه المواد أيضا البطاطس وغرقى البيض المسلوق (زلاله)

والميكروبات المرضية تحتاج في نموها الى حرارة مثل حرارة الانسان تقريبا (أي نحو ٣٥ - ٣٩) ولذلك توضع في آلة مخصوصة تسمى آلة التفريخ [Incubator] تكون الحرارة فيها مرتفعة الى درجة مخصوصة

ومن الميكروبات ما يحتاج لأكسجين خالص أي غير متحد بشيء كما في الهواء ليستنشقه ومنها ما يضره الاكسجين الخالص ويمنع نموه

وهذه المسألة من أغرب مسائل العلم الطبيعي، فان الناس كانوا يظنون أن الهواء ضروري لجميع الاحياء كضرورة الماء لها وقد ظهر بطلان ذلك، ومن آيات بيان القرآن للحقائق أنه قال (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ولم يقل في موضع مأمنه إن الهواء ضروري للاحياء

ومن الميكروبات ما يعيش في الهواء وفي غير الهواء، وهذا النوع هو والنوع الذي يضره الاكسجين يمكن زرعه (تربيته) في الفراغ

ومن أمثلة مالا ينمو في الهواء باسيل التيتانوس ، وهو مرض يحدث من دخول هذا الميكروب في أي جرح في الجسم فيصاب الجسم بالتشمج الذي يتبدئ بتقلص عضلات العنق وابتقاض الفكين حتى لا يمكن للإنسان أن يفتح فاهه ، ولذلك يسمى هذا المرض بالعربية الكزاز ، وميكروبه يعيش في الطين والوحل والأتربة المختبئة في الأماكن المظلمة وتعرض هذا الميكروب للهواء يضعفه ويمنع نموه. أما ميكروب الدفتيريا مثلاً (التي منها الخناق) فإنه يعيش في الأكسجين وفي غيره

توالد الميكروبات

وأشهر طرائق توالد الميكروبات اثنتان : الطريقة الأولى الانقسام — وهي عامة في الجميع — فتقسم كل خلية منها بالعرض (١) إلى اثنتين والاثنتان إلى أربع وهلم جرا

والطريقة الثانية تكون بتولدحيية [Spore] في داخل كل ميكروب وبعدها يفلق الميكروب وتبقى هذه الحبيبة قابلة للنمو مرة أخرى وهذه الطريقة تحصل في بعض الأشكال الباسيلية وفي قليل من الخلزونية. والحبيبات تقاوم درجة الغليان (١٠٠ ستيجراد) لمدة تختلف من خمس إلى عشر دقائق ، وهي تقاوم المواد المطهرة كالسليمانى والفنيك مقاومة كبيرة ، ولذلك يجب أن تكون نسبة السليمانى إلى الماء أكبر من النسب المعتادة لإبادة حبيبات تلك الميكروبات ، وكذلك يجب إبقاء الشيء المراد تطهيره في المحلول مدة طويلة وطريقة التوالد الأولى تكثر الميكروبات ، والثانية تبقى النوع فقط ولا تكثره

(١) هذا في الميكروبات النباتية أما الحيوانية كميكروب الزهري والحمى الراجعة فينقسم بالطول. وفي البيئة الصالحة قد يحدث انقسام الميكروبات مرة في كل عشرين أو ثلاثين دقيقة

أثار من تاريخ العرب

في الاندلس

تنبى عن هدي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وجمعه بين الدين والدنيا، ومكانة علماء الدين في عهده، وقبوله منهم الأغلاظ في وعظه، - وعن سيرة قضاة العدل وعلماء الآخرة، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يخافون في الحق صولة حاكم، على ورع يزينه ظرف واطف، ودعابة لامهانة فيها ولا سخف، يتمثل ذلك كله في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان للقاضي البلوطي في كتابه مطمح الأنس، ومسرحة التأنس، في ملح أهل الاندلس. قال عفا الله عما تكلف من إبداع، وما صنعه من اسجاع:

(الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى)

اية حركة في سكون، وبركة لم تكن معدة ولا تكون، اوية سفاهة في تحلم، وجهامة ورع في طي تبسم، اذا جد تجرد، واذا هزل نزل، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب، ولا اكتسب إثمًا ولا احتتب، ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن، وناهيك من عدل أظهر، ومن فضل اشهر، ومن جور قبض، ومن حق رفع، ومن باطل خفض، وكان مهيبًا طيبًا صار ما غير جان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراجه حق ورفع ظلم. واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله، ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي، بعد ان استعفى مرارا فما أعفى، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور، ولا عدت عليه في حكومته زلة. وكان غزير العلم كثير الادب، متكلمًا بالحق، متبينًا بالصدق، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الاهواء والبدع، وكان خطيبًا بليغًا وشاعرًا محسنًا. ولد سنة ثلاث وعشرين (وما تين) عند ولاية المنذر بن محمد. وتوفي يوم الخميس (المنار: ج ٧) (٦٨) (المجلد الثامن عشر)

للبقيتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

﴿ ومن شعره في الزهد ﴾

كم تصابي وقد علاك المشيب	وتعامى عمدا وانت اللبيب
كيف تلهو وقد أذاك ندير	ان يوم الحمام منك قريب
ياسفها قد حان منه رحيل	بعد ذلك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارنقها	لا يداويك ان أتتك طيب
كم تراني (١) حتى تصير رهينا	ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم	فاعلمن جاهدا لها يارتيب
وتذكر يوما تحاسب فيه	ان من يدك كرسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا	المنايا عليك فيها رقيب

الخطابة في الاحتفالات الرسمية

وذكر ان أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه ، ان الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، وانهر أمره ، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده ، ووصف ماتهما له من توطد الخلافة ورعي الملوك بأمالها ، وتقدم الى الامير الحكم ابنه باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه امام نشيد الشعراء ، (٢) فتقدم الحكم الى أبي علي البغدادي (٣) ضيف الخلافة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ان يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم انقطع ، وبهت فواصل الاقطع ، ووقف ساكتا متفكرا ، ونشوف لانسما ولا متذكرا

(١) كذا وربما كان الاصل « كم تواني » (٢) يعلم من هذا أن عادتهم في الاحتفالات كمادة أهل هذا الزمان في الخطابة . وكان منظم هذا الاحتفال الحكم ولي عهد الخليفة (٣) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم الغريب عن البلاد على أمثاله من أهلها اذا كان أهلا وان كان تابعاً للحكومة أخرى ، ولا يكون مثل هذا في مصر الآن ، لان التعصب للبلاد أضعف وحدة الأمة

ارتجال العلماء الخطابة حتى في السياسة

فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته ، بدرجة من مراقته ، فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب ، ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل عجيب ، وقال : اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال ، وليس يعد الحق الا الضلال ، واني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصفوا لي بأسماعكم ، وامنوا علي بأفئدتكم ، معاشر الملأ ! ان من الحق ان يقال للمحق صدقت . وللمبطل كذبت ، وان الجليل تعالى في اسمائه وتصديق بصفاته (١) أمر كريمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ان يذكر قومه بنعم الله عز وجل عندهم ، وأنا أذ كر كم نعم الله تعالى عليكم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي امننت سر بكم ، ورفعت خوفكم ، وكنتم قليلا فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولاء الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ، أيام ضربت الفتنة صرادقها على الآفاق ، واحاطت بكم نشعل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير ، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدتكم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بيمين سياسته الى كنف العافية بعد استيطان البلاء ، ناشدتكم يامعشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل منحوفة فأمنها ، والاموال متتهبة فأحرزها وحصنها ، ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتزمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد اقترافها بامائه ، حتى اذهب عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يداعلى عدوكم ، بطوية خالصة ، وبصيرة ثابتة وافرة ، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات ، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات ، وصارت وفود الروم وافدة عليكم ، وآمال الاقبيين والادنين اليكم ، يأتون من كل فج عميق ، و بلد سحيق ، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقتضي الله أمرا كان مفعولا . وان يخلف الله وعد ، ولهذا الامر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة ، دليلها قائم ، وغيبها عالم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،

(١) لعل الاصل وتقدس بصفاته

وليبدلهم من بعد خوفهم امنا) وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارتياب ،
ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وسلوه
المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة
والسداد ، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد ، فاستمعينوا على صلاح أحوالكم ،
بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخليفةتكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن
من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة ، وفر من الديانة ، فقد خسر الدنيا
والآخرة ، الا ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه
من ضروب المشركين ، وضيوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم ، وتفريق
ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين
 والمرسلين ؛ أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين . وأنشد يقول

مقال كحد السيف وسط المحافل	فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترمي جنباته	كبارق رعد عند نقش الاناصل
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي	ولا طار عقلي يوم تلك البلابل
بخير امام كان أو هو كائن	لمقتبل أو في العصور الاوائل
وقد حدثت نحوي عيون إخالها	كمثل سهام اثبتت في المقاتل
ترى الناس أفواجا يؤمون داره	وكلمهم ما بين راض وآمل
وفود ملك الروم وسط فنائه	مخافة بأس أو رجاء لسائل
فحش سالما اقصى حياة معمر	فأنت غياث كل حاف وناعل

فقال العليج: هذا والله كبش الدولة. وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه،

وثبات جناحه ، وبلاغة لسانه

خطبة ارجالية قربت عالما من الخليفة

وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه واقبل على ابنه الحكيم ولم يكن
يثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال الحكيم : هذا منذر بن سعيد البلوطي ؛
فقال والله لقد أحسن ما أنشأه (١) وأثن ابقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع

(١) لعل الاصل : أحسن ما شاء

يدك يا حاكم واستخلصه وذكرني بشأنه، فما للصيغة مذهب عنه، فلما انتهى الناصر الى الجامع بالزهراء، ولاه الصلاة فيها والخطبة. ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بترطبة وأقره على الصلاة بالزهراء

بحر القاضي بانكار اسراف الخليفة

وكان الخليفة الناصر كلفا بعمارة الارض، واقامة معاملها، وتكثير مياهها، واستجلابها من ابعدها، وتخليد الاثر الدالة على قوة ملكه، وعزة سلطانه وعلوهمته، فافضى به الاغراق في ذلك الى ابناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر في الارض أثره، واستفرغ وسعه في تمجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذوه، فاراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التأنيب، ويقص منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب، والتذكير بالانابة

فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى (أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعملون * أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعميون * أني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ووصل ذلك بكلام جزل، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على لسانه بحره، وأفضى في ذلك الى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والسرف في الانفاق عليه، فجرى في ذلك طلقا، وتلا في ذلك قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) واتي بما شا كل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء الى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب في الآخرة وبقاها، والتقصير عن طلب الدنيا، ونهي النفس عن اتباع الشهوات، وتلا من القرآن العظيم ما يوافق، وجلب من الحديث والاثم ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا، وضحجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء الى الله تعالى

فعل الخليفة أنه المقصود به، والمتعمد بسببه، فاستجدي وبكي، وندم على ما سلف منه من فوطه، واستعاذ بالله من سخطه، واستعصمه برحمته؛ إلا أنه وجد على منذر بن سعيد للفظه الذي قرعه به، فشكا ذلك إلى ولده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبه، وأسرف في ترويعي، وأفراط في تقييبي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصيائتي عن توبيخه، ثم استشاط، وأقسم أن لا يصلي خلفه الجمعة أبداً، فقال له الحكم: وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به؟ فزجره وانتهره،

وقال: أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشده، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، واني لاستحبي من الله تعالى أن لا أجعل بيني وبينه شفيماً في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد، ولكنه وقد نفسي وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبداً.

وعذله قوم من اخوانه لتسكينته ارجل كان يسبه فقال:

لا تعجبوا من أنني كنيته من بعد ما قد سبنا وهجانا
فإن الله قد كنى أبا لهب وما كناه إلا خزية وهوانا

ومن قوله في الزهد

ثلاث وستون قد حزمها
وحل عليك نذير المشيب
فإذا تؤمل أو تنتظر
تمر لياليك مرةً حيناً
فما كنت تعقل ما ينقضي
فمالك لا تستعد إذا
من العمر ما اعتضت خيراً بشر
أترغب في فجأة المنون (?)
لدار المقام ودار المقر
فاما إلى جنة أزلت
وتعلم ان ليس منها وزر
واما إلى سقر يستقر

استسقاء القاضي بالناس مع الخليفة

وتحيط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر

القاضي منذر بن سعيد بالبروز الى الاستسقاء، فتأهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تنفلاً واناقة واستجداء ورهبة، واجتمع الناس له في مصلى بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانع القصر المشرفة ليشرك الناس في الدهاء الى الله تعالى والضراعة - فلما سرح طرفه في ملائ الناس وقد شخصوا اليه بأبصارهم قال :

يأيها الناس - وكرها مشيراً بيده في نواحيهم - ثم قال (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم - أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد * ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الاصوات بالاستغفار والتضرع الى الله تعالى بالسؤال والرغبة في ارسال الغيث ، ووصل الحال ^(١) ومضى على تمام خطبته، فافزع النفوس بوعظته، وانبعث الاخلاص بتذكيره ، فما أتم خطبته حتى بلاهم الغيث

وذكروا ان الخليفة الناصر لدين الله جاء غداة ذلك اليوم، فخرجه للخروج وذكروه عزمه عليه، والسابقون مقدسابقون الى المصلى، فقال للرسول وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه: يا ليت شعري! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا؟ فقال له مارأينا قط أخشع منه في يومنا هذا، انه لمتبذحائر منفرد بنفسه لابس أخشن الثياب، مقترش التراب، قد رمى به على رأسه وعلى لحيته، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين ان يفوتك شيء مني؟ ^(٢) قال فتהלل وجه القاضي منذر بن سعيد عند ماسمع من قوله، وقال يا غلام! احمل الممطر ^(٣) معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا، اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء، وكان كما قال فلم ننصرف الا عن السقيا

(١) لعل الاصل: ووصل الكلام (٢) إنما لم يقل وانت أرحم الراحمين مع كونه المناسب لمقام الاستسقاء، لأن مراده التعذب الرعية بذنبي اذا احاكمهم، وانت الحاكم علي وعليهم، لو شئت ان تعاقبني على ذنوبي فيهم لفعلت، واذا عاملتني بالرحمة والفضل فالرعية أولى بذلك. هذا مراده قطعاً
(٣) الممطر الثوب الذي يتقى به المطر

*

استقلال القضاء وإيثار القاضي مصلحة اليتيم على رغبة الخليفة

قال وكان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما يجري على يديه، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه. ومن مشهور ماجرى له في ذلك قصته المشهورة في إيتام أخي نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية. وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة له من قيمتها بمقدار ما طابت به نفسه، وأرسل ناسا وأمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بامر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجه - منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد^(١) ومنها الغبطة^(٢)، فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع، واما الوهي فليس فيها، واما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها، ما يستبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع والأفلا. فنقل جوابه هذا إلى الخليفة فظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن تراخي رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سورتها، فأمر وصي الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك، وباع الأتقاض وكانت لها قيمة باكثر مما قومت به للسلطان، فأنصل الخبر به فمز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة؟ فقال له نعم، قال له وما دعائك إلى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

(١) الضعف كأن تكون الدار متداعية (٢) الغبطة تحقق بما فيه مصلحة

الأيتام وهو الزيادة على ثمن المثل

ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فمقومك لم يقدرها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك
فقد نص في اتقاضها أكثر من ذلك^(١) وبقيت الدار والحمام فضلا. ونظر الله
تعالى للايتام. فصبر الخليفة على ما أتى من ذلك، وقال نحن أول من اتقاد الى الحق
فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا
الوقار والديانة، مع الظرف والدعابة

قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فرجسا ساء ظن من
لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار عليه ثورة الاسد الضاري
فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم
مع أينا للافطار بداره البرانية فاذا بسائل يقول يا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا
من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة، وأكثر من ذلك. فقال
القاضي ان استعجب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد
وحكى عنه قاسم بن أحمد الجبني انه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب
من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي، قال فسرنا تقفوه وهو
أمامنا وامامه امامه يحملون خرائطه^(٢) وعلى ذويه السكنية والوقار، وكانت القضاة
حينئذ لا تراكب ولا تمشي^(٣) فعرض له في بعض الطريق كلاب مستوحمة وهي تعلق
منها وتدور حوله، فوقف وصرف وجهه الينا وقال: ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب
بالهن الذي تعلقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك!! ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا
وبقينا متعجبين من هزله

وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة

(١) يريد ان الذي قوم الدار للخليفة حبابه وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي مع
أن عن اتقاضها وحده قد زاد على ذلك، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الايتام
(٢) لعل أصله: وأمامه خدمه داغ والخرائط أوعية من الجلد أو غيره لها عرى

تشده وتربط على ما يوضع فيه من المتاع واحدها خريطة

(٣) أي كانوا يتقدمون الناس فلا يركب ولا يمشي معهم أحد مساويا لهم

ماء طافحة ، وسط روضة نافحة ، في يوم شديد الوهج ، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجهد ، وبث منه ما تجاوز الحد ، فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه ، ففعل ولم يطفىء ذلك مابه ، فقال له : الصواب ان تنغمس في وسط الصهريج انفاصة يبرد بها جسمك ، ولم يكن مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلي أمينه والحكم لارابع لهم ، فكانه استحيا من ذلك ، واتقبض عنه وقارا ، واقصر عنه إقصارا ، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهريج ليسهل الأمر فيه على القاضي ، فبادر جعفر لذلك وألقى بنفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة ، فجعل يجول يمينا وشمالا ، فلم يسمع القاضي الا انفاذ أمر الخليفة ، فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ، ولاذ بالعود في درج الصهريج ، وتدرج فيه بعض تدريج ، ولم ينبسط في السباحة ، وجعفر يمر مصعبا ومصوبا ، فدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم — فهو يمجزه في إخلاده الى القعود ، ويماتبه بإلقاء الماء عليه ، والاشارة بالجذب اليه ، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه ، الى ان كالمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتقفز معه ، وتثقل صنعه ، فمن أجلك نزل ، وبسببك تبذل ؟ فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هوجل^(١) معه وانا بهذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمغني من أن أجول معه مجاله . فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر ، وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف . وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشا كل واحد منهما

وذكر ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لا تجتهد الايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم . قال نعم وان أمكنهم . . . أمهاتهم لم يعفوا عنهم ؟

(١) الهوجل الأبحر الثقيل الذي ترسى به السفينة ، وفي العبارة من حسن الاستعارة ونزاهة التعريض ما ترى ، هذا وقد خجل منه الحاجب وغضب حتى انه لم يملك لسانه أن سب القاضي والاشراف على مسمع من الخليفة ! وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة وبعدهم عن الجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الاعجمي الاصل في فهم اللغة العربية .

قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن احني على اللؤلؤي وأبي
ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لاتسمع الا خيرا
انكار القاضي على الخليفة وانصاف الناصر وقوة دينه

ومن اخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في انكاره عليه
الامراف في البناء - ان عبد الرحمن كان قد اتخذ الى السطح العتبة الصغرى التي
كانت مائة الى الصرح المرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بان له قرامد ذهب
وفضة أنفق عيها مالا جسيما وجعل سقفا صفراء فاقعة ، الى بيضاء ناصعة ، تسلب
الابصار بطارح أنوارها المشمشة ، وجعل فيها اثر اتمامها لاهل مملكته مشهدا فقال
لقرأته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع
ما يتصل به من البدائع الفتانة : هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا أو
قدر عليه ؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين ، انك لأ وحد في شأنك كله ، ولا سبقك
في مبتدعاتك هذه ملك رأينا ولا انتهى اليها خبره ، فابوجه قولهم

ويينا هو كذلك سار ضاحك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكسا
ذقنه ، فلما أخذ محله قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه ،
فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيتيه ، وقل والله يا أمير المؤمنين ما ظننت
ان الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكن ،
مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى أنزلك منازل الكافرين !! قال فاقشعر
عبد الرحمن من قوله ، وقال انظر ما تقول ! كيف أنزلي منازلهم ؟ قال نعم أليس
الله تبارك وتعالى يقول (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
ليوتهم سقفا من فضة ومعارض عليها يظهرن * وليوتهم أبوابا وسررا عليها
يتكئون) قال فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيتيه خشوعا لله
تبارك وتعالى ، وندهما اليه ، ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي
خيبرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو والله
الحق . وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد
قرامدها ترابا اه

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^{*}

٤

الكلمات المبدوءة بهذا الحرف **ا** وهو نسر يقرأ ألفا أو كسرة أو همزة أو واوا وهذا الأخير نادر

أب — أبًا وأبابةً وأبابًا : اشتاق الى الشيء . قالوا « أب لي لمثك »
أي اشتاق قلبي الى رؤيتك (قرطاس رند لوحة ١٢ سطر ٢٢) ومنها
ابابة — قصد

أبخ — يقابلها في العربية عَبَقَ لأن الخاء تنوب عن القاف والكاف ،
فيقولون خَبُّ وَكَبُّ لكف اليد : عبق المكان بالطيب وانتشرت رائحته
فيه ، فيقال في المصرية « أبخ شماماتها » أي عبق وانتشر كل ما يشم من
الروائح الطيبة . عبق به : لزع ، وقالوا « عبق المعبود متوفي حدثك » أي
لمك . و « عبقت المشاة بالمشاة » أي التصقت والتحمت (عن حجر الملك
يعنخي الزنجي) وعبق بالمكان : أقام ، نحو قولهم « عبق الأرضان في عيشة
الملك السليمة » أي بقي القطران وهما الوجه القبلي والبحري في عيشة راضية
أبخ — يقابلها في العربية أُبِقَ : هرب ، قالوا « تَأْبِقُ مُطَوَّلُ الرَّثْوَةِ »
أي تأبق حال كونك مطولا الخطوة في سيرك (عن نقوش الملك تيتي)
آبدة — ج أو ابد وهي الطير المقيمة بأرض شتاها وصيفها ، يكثر

(*) مختارات من معجم أحمد كمال بك الأثري المصري للغة المصرية القديمة فيما
واقفت فيه اللغة العربية بالنص أو بضرب من القلب والابدال ، فالكلمة الأولى
من هذه الكلم المرتبة على حروف المعجم هي المستعملة في النصوص المصرية القديمة
مما هو عربي فان كان فيه قلب أو إبدال يذكّر بعده الأصل العربي ، وما بعد
النقطتين هكذا : تفسير لما قبلهما

ذكرها في النصوص المصرية ولا سيما فيما كان على صفايح القبور. ومنه قولهم «آبة دئصة» أي سمينة، و«آبة مائنة» والآثريون يصفونها إلى جماعة الطير إذ وجد بجانبها رسم طيور متنوعة اتباعا لقاعدة الخط عندم، لأن كل اسم جنس يرسم بعده بعض أنواعه للدلالة عليه، مثال ذلك كلمة حمس - وأصلها في المصرية حمت لأن التاء تنوب عن السين - واحده حمسة اسم لدواب البحر، فترسم يرسمون بعده ثلاث سمكات متنوعة، كما أنهم يرسمون بعد كلمة «أعضاء» بعض أجزاء الجسم. وبعد كلمة «كراع» - وهو السلاح في اللغتين - بعض أنواع الاسلحة وهلم جرا

آبي - قيل عنه في كتب اللغة العربية انه اسم للأسد، وصوابه النمر لوجود صورة هذا الحيوان مرسومة بعد الكلمة في النصوص المصرية
اتا - عتا عتوا: استكبر وجاوز الحد

اث - وبالعبية أث اثانا وأثونا وأثانة: التف وكثر. ويقال لها بالقبطية أنا

اتف - وبالعبية عطاق ج عطف وأعطفه: السيف (عن العدد ١٣٧٧ من الجزء الأول من كتاب الجغرافية)

اجاب - وبالقبطية أجب - وجب وجوبا: سقط ومات، وأصل الوجوب السقوط والوقوع. والوجبة السقطة

اجاب - اجابة وجاب جوابا: رد الجواب (عن لوح قبر موجود في متحف مدينة مٲرنينخ)

اجر - وأجراء وأجربة واحده جرؤ - وهو ولد الكاب
إجانة - ج أجاجين هو صركن من خشب، ومنه قولهم «إجانة

ماء تخمد اللوب « أي الظمأ (عن قرطاس پريس اللوحة ١ والسطر ٥)
 آخ . أش — مقلوبة ومعرفة عن شيء بالعربية (عن قاموس بروكش
 الجزء ١١ والصفحة ١١٧ والجزء الخامس الصفحة ١٢) وفي الغالب
 يقولون : خ — أو — ش بالامالة بمعنى شيء »

اخ — وفي العربية آق عليهم أوتقأ : أتاهم بالشؤم فيقولون « معت
 (أي العدل) يؤخ عليك لو مشى عن سأوه »^(١) والمعنى : لو حاد العدل
 عن وطنه لآق عليك أي لأتاك بالشؤم (عن شكايه الفلاح الصحيفه ٩٢)
 اخط — وفي العربية خطا خطوا واختطى (عن قرطاس في متحف فينا)
 أخط — ويقال له في العربية خطّ خطا : رسم . وخط : كتب ويقال
 بالمصرية خطّ أيضا وهو الأكثر في آثارهم^(٢)

أخف — قفيه : طعام، ومثلها كفيه ج كفي
 أدأبه — لغة في أتأبه : أغضبه (عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١)
 أد — الرجل في الارض أدّا : ذهب وسار سيرا شديدا (عن رحلة
 أسنوهيت الصحيفه ٤٤)

أذا — ابذاء : أضرّ (عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١)
 أر — ألؤ : البعيدة المرعى . ويقال انها عين واحد العليين وهو اسم
 لأعلى الجنة ، وفي المصرية تكتب بالراء وباللام (عن نقوش هرم أناس
 السطر ٥٨٨)

(١) المنار : في هذ الجملة المصرية ثلاث كلمات عربية وهي يؤخ المحرف عن
 يؤق ومشى والسأو وهو الوطن (٢) علم من هذه الأمثلة وإنما سيأتي ان معتل
 العين أو اللام وكذا الفاء أو المضاعف بالعربية يقبل حرف العلة أو المضاعفة فيه
 بالمصرية همزة وينقل الى الفاء ان لم يكن هو الفاء

ارجا - أرجاء جمع رجا وهو الجانب والناحية ، وبالقبطية أفريجوا
(راجع قاموس بيبره الصحيفة ٣ نقلا عن كتاب پريس)

أرض - ج أرضون وأروض وأراض

أرّف - (وتكتب عند المصريين بالعين أيضا لأن الالف عندهم
تنوب عن العين) عرّف يقال أرّف الجبل أي عقده . ويقرب منها في
العربية أرب العقدة : شدها لان الباء تنوب عن الفاء . ويقابلها في القبطية
أرّف . أرب (عن نقوش منتوحيتب)

أراق - وريق : أسال وأهرق

اسد - ويقابلها في العربية زاد - فهي مقلوبة وسينها زاي - رادًا
وزوذا : أفزع (عن نقوش هرم أناس السطر ٣٧٩) ويقابلها في اللغتين
ششف وجأف : خاف . وهاد في الشيء هيدا أفزع وأكرب . وحذر :
أرهب . كلها ألفاظ عربية ومصرية

أسن - هي مقلوب ساء سأوا : عدا . وسأي يسأي سأيأ : عدا في
المشي (عن نقوش هرم يبي السطر ٢٩٦)

أس - أسنا : سلح (عن قرطاس برلين الطبي ١٩ ٢٦) وساح أيضا
كلمة مصرية وعربية كالألفاظ أخرى بمعناها

أسي - : خرنى الدار أي متاعه (عن نقوش إدفو)

أشي - أوشي المكان : ظهر فيه وشي من النبات

أشي - وبالعبية عشاوعسى الليل : أظلم واغشى يغشي : اظلم

أصب - وبالعبية عصب عصبًا : احمر في النار (عن كتاب

(الموتى)

اطاب - للضيف إطابة : قدم له طعاما طيبا (قاموس ليفي الجزء ٨ ص ١٢)

إطل - وإطالته . وإطل : الخاصرة ، الجنب . قال امرؤ القيس في وصف ناقته * لها أبطلا ظبي وساقا نعامة *

افا - مقصور . وبالمرية فاء فيثا : اخذ الغنيمة واغتتمها (عن جريدة السيتشرفت لسنة ١٨٧٢ ص ٢٥)

أفت - أبت الشمس وآفت لفة في غابت (عن قاموس بروكش الجزء ١ ص ٧)

أف - أوفأ : اضرّ وافسد

أفيه - كثير الاكل ، وبالمرية فية وفيه . والفوه النهيم الذي لا يشبع ، واستفاه الرجل اشتد اكله بعد قلة يستفيه في الطعام والشراب (راجع قرطاس پريس اللوح ١ ص ٨)

أقح - وبالمرية او كح : حفر (عن قرطاس ايرس الطبي عدد ٢ اكهي - حجر لاصدع فيه

اقس - عكس . قلبت عينه همزة ونحمت كاهه فصارت قافا . يقال بالمرية عكس البعير اذا شد حبالا في خطمه الى رسغ يده لينزل . وعكس الخيل اقدعها (عن تابوت سيني المحفوظ بمتحف لندرة)

أق - عج . يقال : عجت المرأة صببها عجا لفة في عجته عجوا ، اي اسقته اللبن . ورسم بعد الكلمة امرأة ترضع ابنها

اكن - الشيء - وكنه كنا وكنونا وكنته : ستره في كنه وغطاه وأخفاه وصانه . واكتني : استتر (عن نقوش الملك يبي الأول السطر

(١٤٦) ومنها الكنّ وجمعه أكنان واكنة
 أكَ - : ضاق صدره ؛ ومنه قولهم « أكَ لبّه وخسّ حُرّه » أي ضاق
 صدره ونقص لحمه (عن ورقة بريس اللوحة ٨ والسطر ١٢)
 ألب - ولبّ لبّاً أقام (عن ص ٤٣ من رحلة سنوهيت لماسيرو)
 ألق - وتألّق : لمع وفي المصرية تكتب بالراء أيضا (عن جريدة
 مجموعة أعمال الماديات جزء ٥ صحيفة ٩٤)
 ألكة - وبالقبطية أليكو وبالمرية عُليقٌ عُليقي : نبت يتعلق بالشجر
 (عن القرطاس الثاني السحري)
 ألّ - ألهُ ألاً : طمنه بالآلة اي الحربة (عن قرطاس اسوريس
 بمتحف فينا)

أماً - (بين القوم) : أفسد ، مقلوب ماى ماياً وماواً (واوي يأي
 بالمرية) (عن رحلة سنوهيت السطر ١ من الصفحة ٢ لماسيرو)
 امرّ - الشيء : شده بالمرار وهو الحبل . وبالقبطية مُوز
 أماه - ماه الشيء وأماهه : خلطه ، كلمة تذكر كثيرا في قرطاس الطب
 القديمة فيقولون : « يُنحز ويماه في المروخ » أي يُصحن في الهاون^(١)
 أيمي - عمي يعمى : ذهب بصره كله من عينيه ، قلبت العين همزة
 أنأى - إناءٌ أبعد (عن القرطاس السحري السطر ٧ من ظهره)
 أنأى ونأى واتأى - حفر أو عمل النؤيا أي الحفرة (عن نقوش
 مقبرة في الكاب)

(١) نحز الشيء دقه بالمنحاز وهو الهاون ، والمروخ (كصبور) مايمرخ به البدن
 من دهن وغيره

أهد - وفي العربية هود تهويدا : رجع الصوت في لين . وغنى (عن تنية قاموس ليني ج ٢)

أهد - وفي العربية هدّ البناءهداً وهدوداً هدمه : ويقال هدته المصيبة أي أوهنت ركنه (عن كتاب نافيل في ابادة الجنس البشري بالشمس)
اهط - وهط وفي العربية وهط : الارض المطمئنة التي تزرع .
(عن نقوش معبد دندره)

أه - أهأ وآهآ : توجّع (عن نقوش دندرة وقرطاس پريس - السطر ١ من اللوح ١٥)

اوقم - وقم الرجل ووكه : قهره وأذله، وحزنه أشد الحزن فهو موقوم .
ووكم له : اغتم وجزع (عن جريدة السيشرفت لسنة ١٨٧٨ الصفحة ٤٩)
ومنه قولهم « أقوال موكة لا ختلال سخت »^(١)

آوى - (المنزل أو الى المنزل) وغيره أويًا نزل به ورجأ اليه . وتأوي .
اجتمع (عن قرطاس برلين اللوح ١ $\frac{١٥}{١٦}$)

إي - حرف جواب بمعنى نعم (يقع قبل القسم في العربية) ويقابله في اللغة العامية (إيو)

أيا - ثأيا (المتعمدي بعلي) : انصرف في تُوْدَة (عن نقوش الملك مرزوع السطر ٧٤٨)

أيل - وأيل : الايل (وبالقبطية إيول) وهو الحيوان المعروف الذي يشبه الوعل

(١) سخت معبودة من معبوداتهم

الخطب الدينية

اشتغالنا بانتقادها واصلاحها

قد كان مما وفقنا الله تعالى له في أثناء الاشتغال بطلب العلم انتقاد خطباء المساجد ودواوينهم التي يحفظون خطبها ويقرؤونها على المنابر غيباً أو في الاوراق المخطوطة او المطبوعة؛ فان كل هذه الخطب أو جلها في ذم الدنيا والتزهيد فيها والتذكير بالموت ومدح الشهور والمواسم حتى المبتدعة منها، وأكثر ما فيها من الاحاديث ضعيف أو موضوع، وقد عقدت في كتاب (الحكمة الشرعية) الذي ألفته في ذلك العهد فصلاً طويلاً في الخطابة بينت فيه حكمتها ومنفعتيها وكيفية تحصيل ملكة الارتجال فيها، وما ينبغي أن تشتمل عليه الخطب الدينية في المساجد، وأنشأت عدة خطب خرجت فيها من المضيق الذي حبس خطباءنا فيه أنفسهم، واخترت لاحد الخطباء أحاديث صحيحة وحسنة لديوان أنشأه عزوتها الى مخرجيها فكان أول خطيب سمعناه في بلادنا يلتزم الاحاديث الصحيحة والحسنة في خطبه معزوة الى مخرجيها، على ان التزام الاحاديث في آخر الخطبة غير واجب ولا مسنون، بل هو عادة ينبغي تركها احياناً لتلايظن أنها مشروعة فيكون الالتزام من البدع التي سماها صاحب الاعتصام البدع الاضافية

ثم اننا بعد انشاء المنار نوهنا فيه بهذه المسألة مراراً، واتفق لنا أن خطبنا في بعض المساجد خطبا مرتجلة مناسبة لحال عصرنا موافقة لما كان عليه سلفنا الصالح فكان هذا وذاك باعثاً لكثير من محبي الاصلاح

على مطالبتنا بإنشاء خطب اصلاحية تنشر في المنار عسى أن يقتبسها أو
يقتبس منها الخطباء، فلم نجبهم الى ذلك لاعتقادنا ان الغرض منه لا يتم
الا اذا جاء من جانب السلطة الرسمية

مثال ذلك أننا أنشأنا خطبة في الاقتصاد في المال وقضاء الدين
اقترحها علينا الشيخ علي يوسف وأخذها منا . ثم علمنا انها نشرت في
القطر بأمر الحكومة بعد استحسان شيخ الازهر وإجازته .

وكنا قد مهدنا السبيل الى مثل ذلك في ديوان الاوقاف ولكن
علمنا أنه لا ينفذ الا اذا اقتنع به الامير واحب تنفيذه، فكنا ننتظر
الفرصة لعرض ذلك عليه واقناعه به ولم تسنح لنا، ثم شرعنا فيما هو
خير من ذلك اصلاحاً وهو مدرسة الدعوة والارشاد التي يتربى فيها
الخطباء المرتجلون، ولا تزال نعاني في هذه السبيل من تمهيد العقبات،
ومكافحة الحساد واعداء الاصلاح، ما نرجو أن ينتصر فيه الحق على
الباطل والاخلاص على النفاق

ديوان خطب المصلح القاسمي

اطلعنا في هذه الايام على ديوان خطب عالم الشام صديقنا المرحوم
الشيخ جمال الدين القاسمي نغمده الله تعالى برحمته، وكان أهدي الينا
مطبوعاً منذ اعوام فلم يتح لنا التأمل فيه، فرأيناه أفضل ما نشر من
دواوين الخطب، بخلوه من البدع والخرافات، ومن الاحاديث الواهية
والموضوعات، واشتماله على الموعظة الحسنة التي يحتاج الناس اليها في جميع
الاقوات، ولو كان للخطابة والتأليف حرية في بلاد الشام ايام انشاءه رحمه
الله تعالى لتلك الخطب لأودعها كثيراً من المسائل الاجتماعية والادبية

التي اشتدت الحاجة اليها في هذا العصر ، وقد رأينا أن نقتبس بعض مقدمات هذا الديوان النفيس وخطبه فيما يلي فهاكها بنصها :

« المقدمة الاولى في الهدي النبوي في الخطبة »

قال الامام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد في هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه : كان صلوات الله عليه اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كانه مندر جيش . وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر ويقصد الكلمات الجوامع . وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعها . ويأمرهم وينهاهم في خطبته اذا عرض له أمر أو نهي . وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته ، فاذا رأى منهم ذافاة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها . وكان يهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس ، فاذا اجتمعوا خرج اليهم . فاذا دخل المسجد سلم عليهم . فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس ويأخذ بلال رضي الله عنه في الاذان ، فاذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب ، وكان في الجمعة يعتمد على عصا أو قوس . وكان منبره صلوات الله عليه ثلاث درجات . وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالانصات . وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة دخل الى منزله فصلى ركعتين ، وفي رواية كان اذا صلى في المسجد صلى أربعاً وان صلى في بيته صلى ركعتين . انتهى ملخصاً

« الثانية في سنن الخطبة »

قال الامام النووي في الروضة في سنن الخطبة : منها أن تكون على منبر . والسنة أن يكون المنبر على يمين الموضع الذي يصلي فيه الامام . ويكره المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين اذا لم يكن المسجد متسع الخطبة ، فان لم يكن منبر خطب على موضع مرتفع ، ومنها أن يسلم على من عند المنبر اذا انتهى اليه . ومنها اذا بلغ في صعوده الدرجة التي تلي موضع القعود أقبل على الناس بوجهه وسلم عليهم . ومنها أن يجلس بعد السلام . ومنها انه اذا جلس اشتغل المؤذن بالاذان ، ويديم الجلوس الى فراغ المؤذن . ومنها أن تكون الخطبة بليغة غير مؤلفة من الكلمات المتبدلة ولا من الكلمات

الوحشية بل قريية من الافهام . ومنها أن لا يطولها ولا يحقها بل تكون متوسطة .
ومنها أن يستدبر القبلة ويستقبل الناس في خطبته ولا يلتفت يمينا ولا شمالا .
ومنها انه يستحب أن يكون جلوسه بين الخطبتين قدر سورة الاخلاص . ومنها أن
يعتمد على عصا أو نحوه . ومنها أنه ينبغي للقوم أن يقبلوا على الخطيب مستمعين
لا يشغلون بشيء آخر، حتى يكره الشرب للتلذذ ولا بأس به للعطش لا للخطيب
ولا للقوم . ومنها أن يأخذ في النزول بعد الفراغ ويأخذ المؤذن في الإقامة ويتمدر
ليبلغ المحراب مع فراغ المقيم . اهـ

« الثالثة فيما يكره في الخطبة وفروع أخرى »

قال الامام النووي رحمه الله في الروضة . يكره في الخطبة أمور ابتدعها الجهلة
منها التفاتهم في الخطبة الثانية . والدق على درج المنبر في صعوده . والدعاء اذا
انتهى صعوده قبل أن يجلس ، ومنها مباغتهم في الاسراع في الخطبة الثانية .
ويستحب اذا كان المنبر واسعا أن يقوم على يمينه ، ويكره للخطيب أن يشير
بيده . ويستحب أن يحتم الخطبة بقوله : أستغفر الله لي ولكم . وذكر بعضهم
انه يستحب للخطيب اذا وصل المنبر أن يصلي تحية المسجد ثم يصعد ، وهو قول
غريب وشاذ مردود . فانه خلاف ظاهر المنقول عن فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخلفاء الراشدين فمن بعدهم، ولو أغمي على الخطيب فهل يني غيره على خطبته
أو يستأنفها؟ قولان . اهـ ملخصا

ويكره أن يتخطى المصلي رقاب الناس لما فيه من سوء الادب والأذى .
ويحرم الكلام في الخطبتين والامام يخطب . وله الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم اذا سمعها، ويسن سرا، ويجوز تأمينه على الدعاء . ورفع الصوت قدام بعض
الخطباء مكروه اتفاقا . كذا في الاقناع (١)

(١) المنار : لأهل هذا العصر بدع ومنكرات أخرى كثيرة قبل الخطبة
وبعدها وفي أثنائها ، بعضها من البدع الحقيقية وبعضها من الاضافية ، فمنها التزام
ذكر الخطباء الملوك والسلاطين في الخطبة الثانية بالتعظيم ورفع المؤذنين أصواتهم
بالدعاء لهم وإطاعتهم في ذلك والخطيب مسترسل في خطبته وفي ذلك عدة منكرات =

الرابعة (حكم تعدد الجمعة)

الحاجة في هذه البلاد في هذه الاوقات تدعو الى أكثر من جمعة اذ ليس للناس جامع واحد يسعهم ولا يمكنهم جمعة واحدة أصلا الا أن خروجها الى حد أن لا فرق بينها وبين بقية الصلوات في كثير من المساجد الصغيرة التي لم تشيد لمثلها قد هوّل فيه السبكي في فتاويه لانه مما تأباه مشروعيّتها وما مضى عليه عمل القرون الثلاثة بل وتسميتها جمعة فان صيغة فُعللة في اللغة للمبالغة وبالجملة فالجوامع الكبار التي تؤمها الافواج يوم الجمعة، ويحتاج لاقامتها فيها حاجة بينة لمجاورتها ، هي التي لاخلاف في جوازها مهما تعددت ، والتي لاتعاد الظهور بعدها ، كما أشار له العلامة البجيرمي رحمه الله تعالى . وقد بسطناها في كتابنا [اصلاح المساجد من البدع والعوائد]

الخامسة مايسن يوم الجمعة

يسن تنظيف يوم الجمعة وتطيب ولبس أحسن الثياب واكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليذكر الرحمة بعثته ، والفضل بهدائته ، والمثمة باقتفاء هديه وسنته ، والصلاح الاعظم برسالاته ، والجهاد للحق بسيرته ، ومكارم الاخلاق بحكمته ، وسعادة الدارين بدهوته ، صلى الله عليه وعلى آله ما ذاق عارف سر شريعته ، وأشرق ضياء الحق على بصيرته ، فسعد في دنياه وآخرته ، آمين

﴿ فواتح الخطب النبوية ﴾

٩

ان الحمد لله محمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله — رواه الامام أحمد ومسلم عن ابن عباس — مبتدعة ، ومنها ان بعض الحاضرين يقومون في أثناء الخطبة الثانية فيصلون ، ومنها الدعاء برفع الايدي بين الخطبتين والاستمرار على ذلك بعد شروع الخطيب في الخطبة الثانية ، ومنها صياح بعضهم في أثناء الخطبة باسم الله أو أسماء بعض الصالحين ، ومنها المصافحة عقب السلام من الصلاة — الى غير ذلك

٢

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونستهديه ونستنصره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفى الى أمر الله - رواه الشافعي والبيهقي عن ابن عباس -

٣

ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله يا أيها الذين آمنوا (اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) - رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن مسعود -

السيد محمد شفيع آل رضا

في ضحوة يوم الاثنين أول أيام العشر الاخير من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٣ هجرية قمرية - وأواخر العشر الأول من شهر الصيف الأول (الدرجة التاسعة من برج الأسد) سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية - الموافق لليوم الثاني من شهر يوليو (عوز) ١٩١٥ مسيحية - وهب الله تعالى لصاحب هذه المجلة غلاما سويا أطلق عليه اسم (محمد شفيع) ولد محمد شفيع تام البنية، ممتلئ الجسم، أبيض اللون مشوبا بصفرة كما هي العادة، أحمر الشعر، أسود العينين الى زرقة بارز الجبهة ، طويل العرة ، رافعا أصبعه السبابة، ولم يلبث أن رضعها ، ولم ينقض الاسبوع الاول الا وقد تبدلت الصفرة حمرة فصار أزهر اللون ،

فالله أسأل أن ينبتة نباتا حسنا ، ويوقنا لثريته تربية صالحة ، ويجعله قرة عين لوالديه وآل بيته وأمه ، ويستجيب لنا به ويغيره ، ما دعوناه وندعوه به من أدعية كتابه (ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماما)

المعجم

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فبئس
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوتى و « مناراه كمنار الطريق »

مصر ٣٠ شوال ١٣٣٣ - ١٧ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٠ سبتمبر ١٩١٥

حال المسلمين مع غيرهم في العصر الاول

ان حالة الامم الاجتماعية والسياسية والادبية لها شأن كبير في تطبيق الاحكام على الوقائع وهو ما يسميه علماء الاصول « تحقيق المناط » ومن عرف التاريخ وفقه قواعد علم الاجتماع منه فانه هو الذي يفقه سبب اعراض الفقهاء والحكام عن قبول شهادة غير المسلمين عليهم . وأحق ما يجب فقعه من تلك القواعد أربع ينبغي التأمل فيها بعين العقل والانصاف

(أحدها) ما كان عليه المسلمون في القرون الأولى للإسلام من الاستمسك بعروة الحق ، وإقامة ميزان العدل ، وعدم المحاباة والتفرقة في ذلك بين مؤمن وكافر ، وقريب وبعيد ، وصديق وعدو ،

(ثانيا) ما كانت عليه جميع الامم التي فتحوا بلادها ، وأقاموا شريعتهم فيها ، من ضعف وازع الدين ، وفساد الأخلاق والآداب ، وقد قرر ذلك مؤرخو الأفرنج وغيرهم وجعلوه أول الأسباب الاجتماعية لسرعة الفتح الإسلامي في الخلفين

(ثالثا) ما جرى عليه الفاتحون من المسلمين من المبالغة في التوسعة على أهل ذمتهم في الاستقلال الديني والمدني ، اذ كانوا يسمعون لهم بأن يتحاكوا الى رؤسائهم في الامور الشخصية وغيرها - فكان من المعقول مع هذا أن لا يشهدوهم على قضايا

أنفسهم الخاصة ، وان يمنهم نظرم الى ما يفهما من التفاوت في الاحوال الدينية والادبية التي أشرنا اليها آنفاً من قبول شهادتهم على أنفسهم ، مع عدم ثقتهم بتدينهم وعدالتهم

(رابعها) تأثير عزة السلطان وعهد الفتح الذي كانت الاحكام فيه أشبه بما يسمونه الآن بالاحكام العسكرية . واعتبر ذلك بأحكام دول الافرنج في أيام الحرب ، بل في المستعمرات التي طال عليها عهد الفتح أو ما يشبه الفتح ، يتبين لك ان أشد أحكام فقهاء المسلمين وحكامهم على غيرهم هي أقرب الى العدل والرحمة من أحكام أرقى أمم المدنية من دونهم

وقد علم من حال البشر ان الغالب قلما يرى شيئاً من فضائل المغلوب وان كثرت ، فكيف يرجي ان يرى قليلاً الضئيل الخفي ؟ والجماعات الكبيرة والصغيرة كالافراد في نظر كل الى نفسه والى أبناء جنسه بعين الرضا والى مخالفه بعين السخط . مثال ذلك ان امرأة من فضليات نساء سويسرة دينا وأدبا وعلماً راقبت أحوال الاستاذ الامام وسيرته مدة طويلة اذ كان يختلف الى مدرسة (جنيف) لتلقي آداب اللغة الفرنسية ، وكلمته مرارا في مسائل من علم الاخلاق والتربية - وكانت بارعة ومصنفة فيهما - فأعجبها رأيه ، كما أعجبها فضله وهديه ، ثم قالت له بعد ذلك : إنني لم أكن أظن قبل ان عرفتك ان القداسة توجد في غير المسيحيين

فمن تأمل ما ذكر تجلت له الاسباب المعنوية والاجتماعية التي صدرت الاحكام والفقهاء عن قبول شهادة غير المسلم على المسلم ، وتعجب من سعة أحكام القرآن ، التي يتوهم الجاهلون انها ضد ما هي عليه من الاطلاق وموافقة كل زمان ومكان ، فتراهم ينسبون الى القرآن كل ما ينكرونه على المسلمين من آرائهم وأعمالهم وأحكامهم بالحق أو بالباطل ، ولو كان المسلمون عاملين بالقرآن كما يجب لما أنكر عليهم أحد ، بل لا تبهمهم الناس في هديهم ، كما اتبعوا سلفهم من قبلهم ، بل لكانوا أشد اتباعاً لهم ، بما يظهر لهم من موافقة هدايته لهذا الزمان ، وموافقتها لأرقى ما وصل اليه من نظام وأحكام ، وهذا من أجل معجزاته التي تتجدد بتجدد الازمان .

﴿ إعراب الآية الثانية الذي اضطرب فيه النحاة ﴾

قد تبين مما فصلناه ان الذين عدوا الآيتين في غاية الصعوبة لخالفه مذاهبهم لها مخطئون ، وان الواجب رد المذاهب اليهما لا تأويلهما لتوافقا المذاهب ، وأما الذين استشكلوا اعراب جملة من الآية الثانية ، وعدوا لاجلها الآية أو الآيات في غاية الصعوبة — فانما أوقعهم في ذلك احتمال التركيب لعدة وجوه من الاعراب ، بما فيها من تعدد القراءات ، مع اعتيادهم تقديم الاعراب على المعنى وجعله هو المبين له ، وقد استحسننا بعد ايضاح تفسير الآيات بما تقدم ان نذكر ملخص ما قيل في إعراب تلك الجملة نقلا عن (روح البيان) الذي يلتزم تحقيق المباحث النحوية في جميع الآيات ، عسى ان يستغني القارئ به عن مراجعة تفسير آخر . ونبدأ بجواب الشرط لانه مبدأ ما استشكلوه من الاعراب . قال المؤلف رحمه الله تعالى :

(فأخران) أي فرجلان آخران وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يقومان مقامهما) والفاء جزائية وهي إحدى مسوغات الابتداء بالنكرة ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وصفته وهو قوله سبحانه (من الذين استحق عليهم الاوليان) وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أي فالشاهدان آخران ، وجملة يقومان صفته والجار والمجرور صفة أخرى . وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من ضمير يقومان وقيل هو فاعل فعل محذوف أي : فليشهد آخران . وما بعده صفة له . وقيل مبتدأ خبره الجار والمجرور والجملة الفعلية صفته وضمير مقامهما في جميع هذه الأوجه مستحق للذين استحقا ، وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي توليها ولم يؤديها كما هي بل هو مقام الحبس والتخليف . واستحق بالبناء للفاعل على قراءة عاصم في رواية حفص عنه وبها قرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وأبي رضي الله تعالى عنهم ، وفاعله «الاوليان» والمراد من الموصول أهل الميت ، ومن الاولين الاقربان اليه الوارثان له الاحقاف بالشهادة لقربهما واطلاعهما ، وهما في الحقيقة الآخران القائم مقام اللذين استحقا اثما ، الا أنه أقيم المظهر مقام ضميرها للتنبية على وصفهما بهذا الوصف ، ومفعول استحق محذوف

واختلفوا في تقديره فقدره الزمخشري أن مجردوها للقيام بالشهادة ليظهروا بهما كذب الكاذبين، وقدره أبو البقاء وصيتها . وقدرة ابن عطية ما لهم وتركهم، وقال الامام : ان المراد بالاوليان الوصيان اللذان ظهرت خياتهما وسبب اولويتها أن الميت عينها للوصية . فمضى «استحق عليهم الاوليان» خان في ما لهم وجنى عليهم الوصيان اللذان عثر على خياتهما، وعلى هذا لاضرورة الى القول بحذف المفعول، وقرأ الجمهور «استحق عليهم الاوليان» ببناء استحق للمفعول واختلفوا في مرجع ضميره والا كثرون انه الاثم والمراد من الموصول الورثة لان استحقاق الاثم عليهم كناية عن الجنابة عليهم، ولا شك ان الذين جنى عليهم وارتكب الذنب بالقياس اليهم هم الورثة، وقيل انه الايصاء، وقيل الوصية لتأويلها بما ذكر . وقيل المثل . وقيل ان الفعل مسند الى الجار والمجرور، وكذا اختلفوا في توجيه رفع الاوليان فقيل انه مبتدأ خبره «آخران» أي الاوليان بأمر الميت آخران، وقيل بالعكس، واعترض بأن فيه الاخبار عن النكرة بالمعرفة وهو مما اتفق على منعه في مثله، وقيل خبر مبتدأ مقدر أي هما الآخران على الاستثناف البياني، وقيل بدل من آخران، وقيل عطف بيان عليه، ويلزمه عدم اتفاق البيان والمبين في التعريف والتكثير مع أنهم شرطوه فيه حتى من جوز تنكيره، نعم نقل عن نزر عدم الاشتراط، وقيل هو بدل من فاعل يقومان وكون المبدل منه في حكم الطرح ليس من كل الوجوه حتى يلزم خلوتك الجملة الواقعة خبراً أو صفة عن الضمير على انه لو طرح وقام هذا مقامه كان من وضع الظاهر موضع الضمير فيكون رابطاً، وقيل هو صفة آخران، وفيه وصف النكرة بالمعرفة والاختفش أجازته هنا لأن النكرة بالوصف قربت من المعرفة، قيل وهذا على عكس * ولقد أمر على التثيم يسبني * فانه يؤول فيه المعرفة بالنكرة . وهذا أول فيه النكرة بالمعرفة أو جعلت في حكمها للوصف، ويمكن - كما قال بعض المحققين - أن يكون منه بأن يجعل الاوليان لعدم تعيينهما كالنكرة، وعن أبي علي الفارسي انه نائب فاعل «استحق» والمراد على هذا استحق عليهم اتداب الاوليين منهم للشهادة كما قال الزمخشري، أو اثم الاوليين كما قيل . وهو تثنية الاولى قلبت ألفه ياء عندها، وفي علي في «عليهم» أوجه الاول انها على بابها، والثاني انها بمعنى في، والثالث انها بمعنى من . وفسر استحق بطلب الحق

وبحق وغلب . وقرأ يعقوب وخلف وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر عنه « استحق عليهم الاولين » بينما استحق للمفعول والاولين جمع اول المقابل للآخر وهو مجرور على انه صفة الذين أو بدل منه أو من ضمير عليهم أو منصوب على المدح . ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة وقيل التقدم في الذكر لدخولهم في (يا أيها الذين آمنوا) وقرأ الحسن « الاولان » بالرفع وهو كما قدمنا في الاوليان ، وقرئ « الاولين » بالتثنية والنصب ، وقرأ ابن سيرين « الاولين » بياءين تثنية أولى منصوبا وقرأ « الاولين » بسكون الواو وفتح اللام جمع أولى كأعين واعراب ذلك ظاهر

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد على أبو زيد

الطاب بكية دار الدعوة والارشاد

٢

يزيدك بياناً لهذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة » خرج مسلم^(١) ولا يحتاج بمده الى شرح وبيان،

(١) المنار : رواه مسلم عن جابر بن عبد الله من طريق أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس وهو ثقة عند الجمهور روى له الا البخاري فإنه لم يرو له الامتامة . وكان ابن حزم يرد من حديثه ما يقول فيه : عن جابر ، لأنه مدلس . وههنا صرح بسماعه منه . وطعن فيه شعبة ونهى عن الكتابة عنه قال لأنه لا يحسن يصلي ، ولكونه سيء صلواته . بل قال انه كذب على رجل واعتذر عن ذلك بأنه أغضبه . واحتج =

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها
لكبيرة الاعلى الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون)
تراه في هذه الآية جمل الصلاة يستعان بها ، ولم يذكر ما يستعان
عليه ، ليشمل كل الامور الدينية والدنيوية ، وذلك - كما بينا قريبا - أنها
تشغل النفس بذكر الله تعالى فتصقلها كصقل الجلاء للمرأة ، فيرى صاحبها
بقره من ربه ما لا يراه صديء النفس ، فتقوى فيه الروحانية ، والمرء

= على الشافعي بحديثه فضضب وقال: أبو الزبير يحتاج الى دعامة. وقال أبو زرعة وأبو حاتم
لا يحتاج به. ورواه أيضا من طريق أبي سفيان طلحة بن نافع وقد روى له الجماعة الا
أن البخاري لم يرو له في الصحيح الا مقرونا بغيره ، وقال سفيان بن عيينة : حديثه
عن جابر إنما هو صحيفة. أي لم يسمع منه مع أنه صرح بالسماع في رواية مسلم . وقال
ابن معين فيه : لا شيء . وقال ابن المديني . كانوا يضعفونه .

أما لفظ الحديث من الطريق الاول فهو « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر
ترك الصلاة » ومن الطريق الثاني « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »
قال النووي في شرحه : هكذا هو في جميع الاصول من صحيح مسلم - الشرك
والكفر بالواو - وفي مخرج أبي عوانة الاسفرايني وأبي نعيم الاصبهاني - أو الكفر
باو . ولكل منهما وجه . وممضى بينه وبين الشرك ترك الصلاة - ان الذي يمنع
من كفره كونه لم يترك الصلاة فاذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل . ثم ان الشرك
والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص
الشرك بعبد الاوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ،
فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم . وذكر قبل ذلك أن الجمهور من السلف
واختلف لا يقولون بكفر تارك الصلاة الا اذا جحد وجوبها ، وحملوا مثل هذا الحديث
على ما رأيت في تفسيره له من كون تركها قد يفضي الى الكفر أو اذا كان جاحدا .
وقال بعض السلف بكفره وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه وعن عبد الله بن
المبارك واسحق بن راهويه ، قال النووي : وهو رواية عن أحمد ، ووجه لبعض أصحاب
الشافعي ، وسيأتي جمعنا بين الاقوال

متى قويت روحه ، قويت إرادته واشتدت عزمته ، فتسهل أمامه كل صعوبة ، ويفوز في كل عمل تطالبه الحياة ، وهذا كله هو حظ الشارع الحكيم ، ممن يخضع لأمره ، ويؤمن بثوابه وعقابه

وقد أفاد جل شأنه بقوله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملائكة ربهم) الآية ان الصلاة إنما تكبر وتثقل على من لم يؤمن بالآخرة ، ومن لم يصدق بملاقاة ربه وجزائه ، (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله) وحده

وهاهنا نكتة بليغة في قوله (يظنون) فإنه لم يقل « يوقنون » ليفيد أن الظن — وإن كان لا يعني من الحق شيئاً — يكفي حاملاً للمرء على العمل احتياطاً ، ما دام يرجح عنده أنه سيرجع الى الله فيحاسبه ويمجازهه . فكأنه تعالى يقول : إن من يعتقد اعتقاد ظن ورجحان^(١) لم يصل فيه الى درجة اليقين بالبرهان ، انه سيلاقي ربه فيحاسبه ويمجازهه ، لم تثقل عليه الصلاة ولا تشق ، بل يقيمها بنشاط على خشوع وراحة

وهذا مبني على سنة الله تعالى في النفس ، متى ترجح عندها الاجر والمنفعة في العمل نشطت اليه ، وهشت له ، وإن كان سخرة أو ضراً ، كبر عليها ، وجزعت منه . واذا كان ذلك حال الظان — لا يترك الصلاة ولا تثقل عليه اقامتها ، بل يحافظ عليها ، ويرتاح بها — فما بالك بالموقن هل يترك الصلاة ، أو يتقل عليه شيء منها ؟ أم ينتظر أوقاتها ، ويقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرحنا بها يا بلال » ؟

ومنه قوله تعالى في سورة الانعام (وهذا كتاب أنزلناه مبارك

(١) الظن الاعتقاد الراجح ، ولا يشترط فيه تصور مقابل مرجوح

مصدق الذي بين يديه ، ولتنذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)

جعل سبحانه المحافظة على الصلوات شأنًا من شؤون أهل الإيمان
بالآخرة وبالقرآن ، وجعل هذا الإيمان داعيًا إليها ، وباعثًا عليها ، وذلك
أن قوله « وهم على صلاتهم يحافظون » يفيد أن الذي يؤمن باليوم الآخر
ويصدق بأن فيه الجزاء الأوفى — الطيب للطيب ، والخبيث للخبيث ،
لا بد أن يصدق بالقرآن ، ولا بد أن يكون على تلك الحالة ، ومتصفا
بتلك الصفة — المحافظة على الصلاة

واختيار التعبير بالفعل « يحافظون » على الوصف « يحافظون » يدل
على الدوام والاستمرار . أي أنه لا ينفك عنها في وقت من الأوقات .
والآية وما قبلها نص في أن الإيمان بالآخرة يستلزم الإيمان بالقرآن ،
والإيمان به يستلزم إقامة الصلاة ، ومفهومه أن من لم يحافظ عليها كافر ،
وعلى هذا يكون القرآن قد بين أن الصلاة هي الفارق بين المؤمن والكافر .
ويجلي لك هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة »
رواه مسلم و أبو داود والترمذي ، وفي رواية « بين العبد وبين الكفر ترك
الصلاة » وقوله (ص) « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »
رواه الترمذي والنسائي وصححه ، فتأمل هذه التصريحات في هذه الأحاديث ،
وانظر التحقيق من النبي (ص) بلفظة « فقد كفر » وكلها في معنى الآيات
التي سمعت

وأزيدك أن النبي (ص) قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط
عمله » رواه البخاري والنسائي ، ومن المعلوم في الشرع أن الذي يحبط

عمله هو الكافر، قال تعالى في سورة المائدة (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) فإذا كان تارك المصر كافراً، فما ظنك بتارك جميع الصلوات؟ ولما جاء وفد ثقيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلموا، قالوا: اسمح لنا في أن ندع الصلاة، وألا نكسر أصنامنا بأيدينا. فقال صلى الله عليه وسلم «أما كسر أصنامكم بأيديكم فقد عفوناكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه» وأبى صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم الإسلام إلا بالصلاة، وأنت ترى أن في قوله «لا خير في دين لا صلاة فيه» أن تارك الصلاة لا يعتمد بتدينه - وعلى هذا قد درج الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق^(١) أنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفراً إلا الصلاة، وذلك لما قدمنا من أن الصلاة أصل، فالمحافظة عليها تستلزم المحافظة على كل الدين

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة. رواه مالك وغيره

س ان ما تقدم من الأدلة كله صريح في أن تارك الصلاة غير مسلم مطلقاً، ولا أراني أشك بعد في ذلك، إذا ما معنى قول بعضهم: من

(١) المنار: قد كان عبد الله هذا ناصبياً يبغض علياً عليه السلام وقد صح الحديث عن مسلم أنه لا يحببه إلا المؤمن ولا يبغضه إلا المنافق. فاخذ الكاتب بظواهر مثل هذا الحديث يقتضي ألا يخرج بما يرويه عبد الله بن شقيق ولا يعتد بإيمانه، وما تقدم عن النووي يفيد أن جمهور الصحابة لا يعدون مجرد ترك الصلاة كفراً بمعنى الردة عن الإسلام، وحسب التارك لها أنهم اختلفوا في إيمانه، وسيأتي الجمع بين الأقوال في ذلك

تركها كسلا لا يكفر . وما معنى التفريق بين من يتركها بكسل أو غيره؟
 ج لا معنى لذلك الا مخالفة النصوص الصريحة ، وعدم تدبر القرآن
 والسنة الصحيحة^(١) وما دمنا نقول كما قال القرآن : ان المحافظة
 على الصلوات من شأن المؤمن ، ومن صفاته الملازمة له ، فالجهد منها ،
 المتخلى عنها ، غير مؤمن ضرورة ، لكونه عربي من صفة الايمان الفعلية .
 على أن الله سبحانه قد صرح بأن الكسل في الصلاة من شأن المنافقين
 وصفاتهم ، فقال عز شأنه في سورة النساء (ان المنافقين يخادعون الله وهو
 خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)

وليس المنافقون بأقل من الكافرين ، قال تعالى في سورة براءة
 (ان المنافقين هم الفاسقون - أي الخارجون عن الدين - وعد الله
 المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله
 ولهم عذاب مقيم)

قرن الله تعالى في هذه الآية المنافقين مع الكافرين ، ووعد الجميع
 معاً الخلود في جهنم والعذاب الدائم ، بل قد حطهم عنهم فقال في سورة
 النساء (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً)

الى هنا انتهى من أدلة الصلاة وحدها

فاليك ما جاء في الزكاة أختها

قال الله تعالى في سورة فصلت (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما
 ألهكم إليه واحدا فاستقيموا اليه واستغفروا ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون
 الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فتأمل كيف جعل منع الزكاة من صفات

(١) المنار: هذا تهور عظيم والصواب أن سببه تعارض النصوص كما سنبينه بعد

المشركين وشأنهم ، وإنما كان منعها من شأن المشرك بربه لأنه يؤثر المال على حبه، وقد قرن منع الزكاة بالكفر بالآخرة، لانهم لو كانوا واثقين بخبر الله ، ومؤمنين بجزائه ، لأنفقوا من مالهم رغبة في ثوابه ، وخوفا من الكيِّ بناره . قال تعالى (يوم يحمى عايبها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (وقال) جل ثناؤه في سورة آل عمران (لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون) علق نيل البر على الاتفاق مما يجب ، فمن لم ينفق مما يجب ، لا حظ له من البر ، والبر نعيم الله ورضوانه . فمانع الزكاة — وهي أول مقصود بالاتفاق — محروم من نعيم الله ورضوانه كافر^(١)

ولعلك تلاحظ الحكمة في تقييده الاتفاق بأن يكون المنفق منه محبوبا عند المنفق، إذ المرء لو أتفق لله ما يكره ، لا يكون اتفاقه له بسبب حبه إياه ، بل يعتبر غرما ومظلمة ، أو شيئا كريها رغب الخلاص منه بهذه الطريقة رياء ، أما لو أتفق من شيء محبوب له ، يكون حبه الله قد رجح في نفسه على حبه المال ، فدعاها الى بذل المال على حبه إياه ، وهناك يظهر الفضل بالتوحيد والاخلاص

(وقال) تعالى في سورة الأعراف (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) بين أن رحمته واسعة، ولكنها لا تكتب لكل الناس ، بل كتابها وإيجابها خاص بالأتقياء المعطين الزكاة ، فالذي يمنع الزكاة ، تمنع كتابة الرحمة له، فلا يكون له حظ فيها ، بل يكون بعيداً عنها ، ومحروماً منها

(لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على ذلك فالعمل بها يتم بما دون الزكاة الشرعية

مَدِينَةُ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٠

سموم الميكروبات

تحدث بنمو كل نوع من الميكروبات مواد عديدة في السائل الذي تربى فيه. ومن أضرها مواد زلالية ومواد آزوتية تشبه المواد الآزوتية النباتية المسماة [Alkaloids] أي الشبيهة بالقلوية كمادة الاستر كينين، وهي مواد تفتك بالاحياء فتكاد زريعا مهما تكن قليلة. وهذه المواد تتولد بطريقتين: الأولى أنها تتولد في نفس جسم الميكروب ثم تخرج منه شيئا فشيئا، والثانية أنها تتولد في السائل نفسه وذلك بافراز الميكروب مادة (خميرة) تشبه الخمائر - المذكورة في الجزء الاول - وهذه الخميرة لها تأثير كيميائي مخصوص في المواد المحيطة بها، فتحدث فيها تركيبا وتحليلا ينشأ منه مواد متنوعة ومن الميكروبات ما يبقى جل سمه في جسمه ولا يخرج الا اذا استخلص منه بعض الطرق العلمية، وذلك مثل ميكروب الطاعون والسكوليرا والحمل التيفودية، ويسمى مثل هذا السم « بالسم الكامن » [Endotoxin] وفي الجسم المريض تنحل بعض هذه الميكروبات فتخرج منها سمومها وتسري فيه فتحدث المرض ومن المواد التي تتولد في السائل الذي يربي فيه الميكروب ما يقتل الميكروب نفسه، فانها قد تولد حامض الفنيك أو الفول (الكحول) أو الخل الى غير ذلك من المواد التي تستعمل مطهرات لقتل الميكروبات

الميكروبات والبيئة

تنقسم الميكروبات - باعتبارها تعيش فيه - الى ثلاثة أقسام: فمنها ما لا ينمو عادة الا في الحي (١) ومنها ما لا ينمو الا في الميت، ومنها ما يمكنه أن ينمو في الاثنين (١) هذا لا ينافي أن أكثرها يمكن تربيته تربية صناعية على أشياء غير حية كاللرق - كما تقدم -

ماء، فمثال الاول ميكروب الحمى الراجعة ، ومثال الثاني بعض ميكروبات الحمى
النفاسية وهي التي تعيش في الدم والسوائل المنتنة التي تتخلف أحيانا في الرحم
عقب الولادة

ومن هذا النوع الميكروبات التي تحدث تحليل جثث الموتى والتي تفسد اللبن
فيختر ، ومنها ما يحول البولينا الى كربونات النوشاد والخر الى خل . ولهذا
الميكروبات فائدة كبرى في العالم فانها تحول الاجسام المركبة الى بسائط فتعود
الى عالمي الحيوان والنبات فينتفعان بها . ولذلك وجد العلماء طريقة عظيمة لتحليل
المواد البرازية ، فانها تلقى في مستودعات مخصوصة فيتسلط عليها في اولها الميكروبات
التي لا تنمو في الاكسجين ، وفي الثانية الميكروبات التي تنمو فيه ، فبذلك تتحلل
جميع المواد البرازية وتستهيل الى ماء وغاز ثاني أكسيد الفحم وأملاح النترات
وهذه الاشياء كلها صالحة للنبات فيسقى بها الزرع وفيه تتحول مرة أخرى
الى مواد مضاعفة التركيب ضرورية للحيوان والنبات ، فكان نظام هذا العالم موقوف
على عمل الميكروبات والنبات ، ولولاها لفسد وبطل

فالنباتات الدنيئة (البكتيريا) تركب قليلا وتحلل كثيرا ، والنباتات الكبيرة
تركب كثيرا وتحلل قليلا كتحلليها بعض غازات الهواء ، فعلى النبات مدار الحياة
ومثال الميكروب الذي يعيش عادة في الحي والميت باسيل التيتانوس ، وكذلك
باسيل الدفتيريا (والتي منها الخناق) فان هذين الميكروبين يعيشان كثيرا في الطين ، وقد
ينقلان منه الى الانسان ، الا ان ميكروب التيتانوس لا يعيش في جسم الانسان
بعد ظهور أعراض هذا المرض الا قليلا . ومن طرق وصول ميكروب الدفتيريا الى
الانسان أنه يكون مختلطا بالطين فاذا زادت المياه التي في جوف الارض كما يحصل
عند فيضان الانهار ضغطت على الهواء الموجود خلال الطين فيندفع منها الى جوف
المدن حاملا لهذا الميكروب الخبيث فيصاب كثيرون بهذا المرض

والميكروبات لا تموت مالم يقتلها شيء ، واكثرها مقاومة للطوارئ ما كان له
حييات ، وهذه الحبيبات نفسها تعيش مدة طويلة من الشهور أو السنين حتى
في الاحوال غير المناسبة للحياة كالجفاف والبرد . ولاعجب في ذلك ، فقد عرف

أن بعض حبوب النباتات الكييرة عاش نحو مئة سنة ولا يعلم بالتحقيق أن الحبوب يمكنها أن تعيش (أعني تبقى حية) أكثر من ذلك وما قيل من أن حبوب بعض الهياكل أو القبور القديمة نبت بعد ألوف من السنين فهو كذب محض، وقد ثبت أن حبوب القمح تعيش نحو سبع سنين على الأكثر، وعليه فالقمح الذي خزته المصريون في زمن يوسف عليه السلام كان يمكن انباته في نهاية السنة السابعة. وأكثر الميكروبات التي لا حبيبات لها تقتل عادة بحرارة ٦٥ سنتغراد في نحو نصف ساعة

وميكروبات التعفن تقتل الميكروبات المرضية عادة، وهذه الميكروبات التعفنية تكون في الغالب من النوع الباسيلي (المستطيل) فإذا أصيب انسان بالتسمم الهميدي الناشئ على الأكثر من البذور السلسلية ومات فأراد طبيب أن يشرح جسمه عقب الوفاة مباشرة كان من أشد الخطر على هذا الطبيب أن يُجرخ ويتلفح جسمه بشيء من الجثة، وأما إذا تركت هذه الجثة زمنا حتى تعفن فإن ميكروبات المرض التي فيها تقتلها ميكروبات التعفن شيئا فشيئا حتى تزول من الجثة، وحينئذ لا يكون في تشریحها خطر على حياة الطبيب

أبواب دخول الميكروبات الى الجسم

لدخول الميكروبات في الجسم أبواب عديدة، وهي الرئتان (لمثل ميكروب الحمى القرمزية) والجهاز الهضمي (لمثل ميكروب الحمى التيفودية) والجلد (لمثل الزهري) والأغشية المخاطية كأغشية اعضاء التناسل أو العين وغيرها (لمثل السيلان والدفثيريا)

ولا يشترط أن يكون سطح الجسم أو الأغشية المخاطية مجروحة، فقد يدخل الميكروب من الاماكن ذات العجامة الرقيقة أو من مسامها، ولكن الجرح أو السحج مما يسهل دخوله كثيرا كما هو ظاهر

فإذا دخل الميكروب الجسم من هذه المنافذ فنه ما يبقى في مكان دخوله، ومنه ما يصل الى الدم أو المادة اللعفاوية ويدور معها حيث دارت. وفي كلتا الحالتين يولد الميكروب سمًا زعافًا وهو الذي يقتل الحيوانات ويحدث فيها جميع الحميات،

الآن بعض هذه الميكروبات يحدث أمراضا ليست الحمى شرطاً فيها، مثل مرض (الكزاز) فتال ما يدور في الدم ميكروب (التسمم الصيدي وميكروب الحمى الراجعة) ومثال الذي لا يدور في الدم (التيتانوس والدفتيريا) فان ميكروبهما يبقى على الأكتاف في مكان التلقيح الا انه بعد الموت قد ينفذ الى جميع أجزاء الجثة ، واذا نفذ الى الدم في أثناء الحياة التهمت كريات الدم البيضاء أو بقي في بعض الاعضاء التي تعمله فيها وتقتله غالباً بخلاياها ، كالكبد والمخاطبات

زمن التفريخ

اذا دخل الجسم أي نوع من الميكروبات لا يحدث المرض فيه في الحال ، بل لا بد من أن يمكث زمناً يتراوح بين يوم أو عدة أسابيع أو عدة سنين (كما في داء الكلب والجدام) فانهما أطول الامراض مدة^(١) وفي هذا الزمن يتكاثر الميكروب في الجسم ويحمل عليه بسمومه فاذا بلغت درجة مخصوصة ابتداء المرض في الظهور . فمن الناس من يختلط مثلاً بمصاب بالجدري ولا يظهر فيه المرض إلا بعد نحو ١٢ يوماً عادة . وهذا الزمن يختلف باختلاف الامراض فان لكل منها زمناً مخصوصاً ، ويسمى هذا الزمن بزمن التفريخ أو الحضانة

وقد عرفت ميكروبات كثير من الامراض ، ولبعضها ميكروبات لم تعرف الى الآن (كالخصبية) فان الدلائل تدل على أن لها ميكروبا لم يكشف الى الآن وهذه الامراض التي عرفت ميكروبا منها ماله ميكروب مخصوص كمرض الدرن ومرض الحمى التيفودية . ومنها ما يشترك فيه عدة ميكروبات كمرض (التهاب الفشاء المبطن للقلب) و (الخراجات) فإنهما يحدثان من ميكروبات مختلفة

امارات اختصاص الميكروب الممين بالمرض الممين

يدل على اختصاص بعض الميكروبات ببعض الامراض أمور كثيرة منها :

(١) وجود الميكروب دائماً في هذا المرض (٢) اذا حقن حيوان بهذا الميكروب وكان مستعداً للمرض حصل له ، ووجد هذا الميكروب الخصوص في جسمه

(١) قد تمتد مدة التفريخ في الجدام الى عشر سنين وفي الكلب الى عشرين

(٣) عدم وجود هذا الميكروب في الجسم السليم ، أو المريض بغير هذا المرض ؛ ويستثنى من ذلك بعض الميكروبات كالغزور المزدوجة المسببة للتهاب الرئوي ، فانها توجد في فم الصحيح وأنفه ، وتوجد أيضا في غير التهاب الرئوي كما في التهاب الشَّاف (الغشاء المحيط بالقلب الذي يسمونه الآن بالتامور) وكذلك تستثنى مسألة حاملي الامراض التي سنفصلها

مصادر الميكروبات

تتصل الميكروبات بالانسان من عدة جهات (١) الهواء (٢) الشراب (٣) الطعام (٤) التراب (٥) سائر أجسام الاحياء والجادات كالاباس مثلا ، وسيأتي ان شاء الله في باب الحميات بيان طرق وصول الامراض المختلفة الى الانسان تفصيلا

شرط تأثير الميكروبات والوقاية منها

ما كل أحد يتصل به ميكروب مرض يصاب بذلك المرض ، بل هناك وقاية للحيوانات من فتك هذه الميكروبات بها دفعة واحدة ، ولولا ذلك لهلكت الاحياء في زمن قصير

وهذه الوقاية (وتسمى أيضا المناعة) منها ما هو فطري (أي يولد بها الانسان) ومنها ما هو مكتسب . أما المناعة الفطرية فقد تكون خاصة بالجنس أو النوع كبعض الامراض فالجدام مثلا خاص بالانسان لا يصيب أي حيوان آخر ، وبعض الامراض يصيب بعض الانواع دون بعض ، كالحمى الصفراء ، فانها لا تصيب السود الا قليلا ، وبعض الامراض تصيب بعض البيوت (الاسر) أو الافراد دون البعض الآخر ، وكل ذلك لاسباب لا نعلمها على وجه التحقيق . وخبر الوقاية ما كان فطريا :
وقاية الله أغنت هن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم
ومما يهيب الجسم للعدوى التعب والجوع والبرد وكل ما ينهك القوى والادمان على الخمر ، الا أن بعض الاشخاص قد يكونون سليمين من كل عيب ومع ذلك يصابون ببعض الامراض : فمثلا قد نجد أن أسمن الاطفال وأحسنهم صحة يصابون بالقرمزية وتفتك بهم كثيرا . يا اطفال الآخرون الضعاف لا يصابون بها أو اذا أصيبوا كانت اصابتهم خفيفة

أما المناعة المكتسبة وما في معناها كالمعارضة بسبب يشبه الكسبي فتكون بما يأتي:

(١) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان مرة واحدة حتى جسمه من الإصابة بهذا المرض مرة أخرى كالزهري والحصبه والجدرى مثلا

(٢) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان حتى جسمه من أمراض أخرى تغايره بعض المغايرة، فمنها جُدَرِي البقر إذا أصاب الإنسان أو أُنْتَح به حماه من الجدرى الإنساني، ومنها الحمى الراجعة إذا أصيب بها شخص حتمه غالبا من التيفوس ولكنها لا تحميه من نفسها

(٣) بحقن سم الميكروب أو مصل يستخرج من الحيوانات بطريقة مخصوصة كما في مرض الدفتيريا مثلا. ويبان ذلك أن يزرع ميكروب الدفتيريا في سائل (كارق) ثم يصفى هذا السائل من الميكروب ويحقن حصان بجزء صغير من هذا السائل المصفى، ونظرا لوجود سم ميكروب الدفتيريا في السائل المحقون به يصاب الحصان ببعض أعراض مرضية خفيفة تزول سريرا كالحمى وورم في مكان الحقن، ثم يحقن هذا الحصان بمقدار من السائل أكبر فأكثر حتى يصل الحصان الى حالة لا يتأثر معها بهذا السم المحقون فيه، وعندئذ يتولد في دمه مادة مضادة لسم الدفتيريا. فاذا أخذ دم هذا الحصان واستخرج مصله كان هذا المصل نافعا لإفساد سم الدفتيريا، وإذا حقن به الإنسان وقت انتشار هذا المرض حفظه منه لمدة ثلاثة أسابيع عادة، وكذلك إذا حقن به المصاب بالدفتيريا نفعه نفعاً عظيماً وأدى الى شفائه

(٤) حقن ميكروب المرض نفسه ميتا أو بعد اذ اف تأثيره بطرق سيأتي الكلام عليها في داء الكلب، ونسئ المادة المحقونة « باللقاح » ومن ذلك حقن ميكروب التيفود بعد قتله وحقن ميكروب الكلب بعد إضعافه، وان كان ميكروب الكلب الى الآن لم يكتشف بمعنى أنه لم يره أحد ولكننا موقنون بوجوده، فاذا لقح الشخص تولدت في جسمه مادة مضادة لهذا الميكروب المحقون، وبذلك لا يكون له تأثير في احداث المرض. وقد يحقن الميكروب بدون اضعافه ولكن بمقادير قليلة جدا تزداد تدريجيا

والميكروبات التي تزرع بقصد الحقن منها ما يفرز سما في السائل المزروع فيه

ومنها ما يكون سمه كامنا في جسمه - كما تقدم - وذلك مثل سم ميكروب الطاعون ولا بد من ملاحظة هذه المسألة قبل الحقن، فإذا أريد حقن حصان لاستخراج مصل منه نافع للطاعون فلا يجوز حقنه بالسائل الذي يربي فيه الميكروب فإنه يكاد يكون خاليا من السم اذ لا يخرج منه شيء يذكر من جسم الميكروب، ولذلك يجب أن تستعمل طريقة أخرى للوقاية من الطاعون كأن يحقن الشخص المراد وقايته بنفس السائل بدون تصفيته بعد قتل ميكروب الطاعون الذي فيه، وذلك بتعريضه مدة ساعة لحرارة درجتها ٦٥° بالقياس المئوي، ولا يصح قتل الميكروب بالظلي فإن ذلك يفسد سمه أو يغيره تغييرا يجعله غير صالح لما نريد

وقد ذهب علماء هذا العلم في تفسير مسألة الوقاية مذاهب عديدة، نذكر هنا أشهرها: -

(١) مذهب القائلين (بنفاد السماد) ومعنى ذلك أنهم يقولون ان في جسم الانسان بعض مواد لازمة لحياة الميكروبات تكون كالسماد لها فاذا أصيب الانسان بمرض ما كالجدري مثلا فقد نفد هذا السماد الضروري لحياة ميكروبه من جسم الانسان ولذلك لا يصاب به عادة مرة أخرى. وهذا التفسير أصبح الآن مردودا عند جمهور العلماء

(٢) مذهب القائلين باحتباس سم الميكروب في جسم الانسان، وذلك أن الانسان اذا أصيب بمرض ما تولد من الميكروب سم يهلك نفس هذا الميكروب ويفسرون بذلك سبب شفائه من المرض، ويقولون ان هذا السم يبقى في جسمه بعد ذلك ويقتل هذا الميكروب الخاص اذا دخل في جسمه مرة أخرى

(٣) مذهب الفرنسيين، وهم يقولون ان الكريات البيضاء في دم الانسان تقتل الميكروبات لا سيما اذا تعودت لكل نوع مخصوص منها فانها تلتهمه بشراهة قوية

(٤) مذهب الألمانين، وهم يقولون: ان الانسان أو الحيوان اذا أصيب بمرض ما أفرزت منسوجات الجسم المختلفة مواد تجري في دمه، وهذه المواد منها ما يهلك الميكروب ومنها ما يفسد سمه، كالمادة المتولدة في مصل الحصان التي ذكرت سابقا للوقاية من الدفتيريا أو لشفائها

والحق شائع بين مذهبي الفرنسيين والالانيين . وأحسن المذاهب مذهب من يجمع بينهما كذهب بعض علماء الانكليز وغيرهم بأن يقول : ان الانسان اذا أصيب بمرض تولدت في جسمه تلك المواد التي قال بها الأليانيون، وهذه المواد تفسد سم الميكروب أولا وتضعف نفس الميكروب أو تقتله ثانيا حتى تقوى عليه كريات الدم البيضاء فيسهل عليها أن تنتهمه وتهضمه هضمًا

وقد عرف من عهد قريب أنه يوجد في دم الانسان في الحالة الطبيعية مواد تسمى المواد الإدامية [Opsonins] وهذه المواد تؤثر في الميكروبات تأثيرا مخصوصا حتى تجعلها كأنها طعام لذيذ للكريات البيضاء، ولذلك سميت بهذا الاسم تشبيها لها بالادام

ومقدار هذه المواد يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال، وكلما كثرت كانت البنية أشد مقاومة للميكروبات . وهي تزيد بالحقن باللقاح وبالمرض اذا قاومته البنية أو غلبته

ومدة الوقاية من الامراض تختلف كثيرا ، فاذا أصيب الانسان بالزهري أو الجدري فقل أن يعود اليه هذا المرض طول حياته واذا أصيب بالدفتيريا أو الالتهاب الرئوي فقد يعاوده المرض

ومن الناس من يجتمع في جسمه مرضان أو أكثر كاجتماع الدفتيريا مع الحمى القرمزية. وكانوا يظنون سابقا ان ذلك غير ممكن ولكن الحقيقة ان الجسم اذا أصيب بمرض كان أكثر تعرضا للامراض الاخرى مما اذا كان سليما وذلك لضعف قوة المقاومة

ومن الامراض ماتورث إما بنفسها كالزهري وإما بالاستعداد لها كالسل، فاذا كان أب الانسان مثلا مصابا بالزهري ولد ابنه مصابا به أيضا ، واذا كان مصابا بالدرن الرئوي (السل) كان ابنه غالبا خاليا من ميكروب هذا الداء ولكن جسمه يكون مستعدا له كل الاستعداد فيصاب به عادة عاجلا أو آجلا

حاملو الامراض

اذا أصيب المرء بمرض كالحى التيفودية أو كان جسمه ممتنعا عليه لسبب ما

ودخلت الميكروبات في أمعائه فن الجائز أن تعيش في جوفه أشهراً عديدة أو سنين كثيرة ربما بلغت الخمسين بدون أن يشعر بمرض منها ؛ ولكنه يكون خطر على غيره من المستعدين لهذا الداء ، وذلك لان الميكروب يتكاثر في بعض أحشائه كالأمعاء أو المرارة أو الكلى والمثانة ويخرج في برازه أو بوله فيصل الى طعام الآخرين أو شربهم ويوردوهم موارد الهلاك . ويسمى العلماء أمثال هؤلاء الناس [حاملي الامراض] ومنهم من يتكون عنده حصيات في المرارة بسبب هذه الميكروبات . ولبعض الامراض الاخرى حاملون كالدفتيريا والكوليرا وغيرها ومن ذلك يعلم أن الحاملين نوعان : (١) الحاملون الاصحاء ، وهم الذين لم يصابوا بالمرض مطلقاً وإنما كمن فيهم ميكروبه من غير أذى و (٢) الحاملون الناقمون ، وهم الذين يوجد فيهم الميكروب في أثناء النقاة من المرض أو بعدها بمدة مديدة ، ويسمون حينئذ بالحاملين المزمنين

الفطر

نوع من الميكروب له خلايا عديدة وهو أيضا من فصيلة النبات الا انه خال من الكلوروفيل ، ويتركب من خيوط دقيقة جدا مشتبك بعضها ببعض الآخر بغير نظام - وهو الاكثر - كميكروب القرع ، أو بعض نظام - كما في الفطر الشعاعي [Ray - fungus]

وبين هذه الخيوط أو عند مركزها توجد حبيبات كالتى ذكرت في الميكروبات السابقة وهي بزور الفطر ومن الفطر ما يصاب الجلد فيحدث فيه أمراضا متنوعة كالقرع ومنه ما يصاب الفم أو الرئتين وغير ذلك مما سيأتي بيانه في باب الامراض المعدية وتخلو الفطر من الكلوروفيل لا يمكنه تحليل غاز ثاني أكسيد الفحم فهو بذلك يشبه البكتيريا

ضرورة الكلوروفيل والشمس للحياة

إعلم أن الكلوروفيل من أوجب ضروريات الحياة في هذا العالم اذ بوجوده في (المنار : ج ٨) (٧٦) (المجلد الثامن عشر)

النبات يمكنه تركيب النشاء الضروري لتكوين مواد أخرى كثيرة مما في النبات وهي ضرورية للحيوانات أيضا ، وذلك بتأثير أشعة الشمس معه في الأجسام . ويحتاج الكلوروفيل لوجود مادة الحديد في الارض وان كانت لا تدخل في تركيبه بخلاف حمرة الدم فإن الحديد داخل فيها

وإذا تأمل الانسان في هذا العالم وجد أن الحياة تتفاعل في قوى المادة كتفاعل النار تبعا لسنن مخصوصة ، ومن الصعب أن يضع الانسان تعريفا لها جامعا مانعا لدخول مثل النار فيه فانها تشبه الاحياء في احتياجها الى غذاء (وقود) وتخرج منها أجسام كما تخرج إفرازات الاحياء وتقسم كأنقسامها وتتحرك كحركتها الى غير ذلك من الصفات المشتركة إلا أن حركتها لا تدل على شئ من الارادة كحركة بعض الاحياء (راجع صفحة ٤٢ و٤٣ من الجزء الاول)

هذا — وكان المتقدمون يرون أن الشمس ضرورية لتكوين الكلوروفيل في النبات ولكن وجد أنه قد يتكون بجمرة عالية في الظلام التام ، ومن هذا نرى أن الحرارة أو النار سواء أكانت من الشمس أم من غيرها هي الاصل الاصيل للاحياء قاطبة ويصعب فصل مفهوم أحدهما (الاحياء والنار) عن الاخرى بالدلائل المقنعة

الملائكة

كان القدماء لصغر عقولهم لا يقدرّون على الاعتقاد بأن إلهًا واحدًا يمكنه تدبير هذا الكون العظيم كله فلهمذا أشركوا به تعالى غيره فجعلوا لكل شيء إلهًا وكذلك لكل قوة من قوى هذا الوجود حتى جعلوا لبعض أعمال الانسان آلهة . ومن ذلك ما نراه من أساطير اليونان مثلا فان لهم إلهًا للرياح وآخر للحرب وثالثا للنوم ورابعًا للنار وخامسا للزواج الى غير ذلك من الآلهة التي تكاد لا تعد . ولكل من هذه الآلهة اسم باليونانية يعرفه العالمون بتلك اللغة

ولما جاءت الرسل الى الناس كان من أكبر مقاصدهم أن يردوهم عن الشرك الى التوحيد فأبى أكثرهم ترك ما هم عليه ، ومن آمن منهم صعب عليه أن يترك جميع هذه الآلهة مرة واحدة ، فأخذوا يسمونها بأسماء أخرى ولكنهم بقوا معتقدين بوجودها

وتديرها لهذا الكون العظيم ، ومن ذلك ما نراه في اسرائيليات اليهود فانهم ذهبوا الى أن لكل شيء في هذا العالم ملكا قائما بتدييره فقالوا ان للعرض ملكا وكذلك للنار والماء وللوحوش وللطيور ولسائر الحيوانات وللريح وللرعد وللشجر لكل منها ملك ، وللموت ملكان واحد يتبض أرواح القاطنين بأرض اسرائيل وآخر يتبض أرواح غيرهم من الساكنين في سائر البقاع الاخرى . ولم يكنهم ذلك بل زعموا أن الرباء (الطاعون) اذا انتشر فيهم كان بسبب ملك يرسله الله تعالى اليهم ؛ ومن ذلك ماروي في سفر صموئيل الثاني (اصحاح ٢٤ : ١٥ - ١٧) ان داود رأى الملاك الذي ضرب بني اسرائيل بالوباء فمات منهم ٧٠ ألف رجل

وقد دخلت هذه الاسرائيليات في الاسلام مع من دخلوا فيه من أهل الكتاب ، وقال المسلمون بملائكة كالملائكة اليهود مع أن القرآن الشريف لم يثبت الا وجود القليل منها كما هو معلوم . على أن لنا في فهم معنى كلمة « ملك » وجها آخر غير ما يفهمه أكثر الناس ، وذلك أن هذا اللفظ مشتق من (مألک) بضم اللام وقدحها ، وهو اسم الرسالة ، وقيل مأخوذ من لفظ (لأك) اذا أرسل ، وعليه فكلمة ملك تطلق على كل رسول (١)

(١) النار : مقاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعا ، الا انه مذهبه واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لأجلها اجزنا نشره ، وهي أن المفروضين بما أصابوا من علم البشر القليل بشؤون الكون يتوهمون أنهم بذلك القليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وبخالفه أيضا ، وان مالا ينطبق على علمهم لا يكون صحيحا وان كان ممكنا في نفسه . فمثل هذه التأويلات تقطع السنة هؤلاء الواهمين المفروضين دون الاعتراض على النصوص ، أو تزيل شبهاتهم فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولأن يكون أحدهم متدينا مؤولا ، خير من ان يكون زنديقا معطلا

أما بيان ضعف ما ذكر لغة فلان الألفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية لا يجوز أن يدخل في مفهومها كل ما يناسب الأصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب على كل مؤمن الايمان به كما ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكنا عقلا ، والايمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والأول هو الايمان بالله =

فما يرسله الله تعالى الى هذا العالم من المادة أو قواها يصبح لفة أن يسمى ملكا بلا نزاع ، فالريح يسمى ملكا أو رسولا من الله ، ولذلك قال تعالى في الرياح (والمرسلات عرفا) والرعد كذلك ملك لأنه يرسله الله تعالى لتخويف عباده وهكذا مما في هذا الكون من قوى المادة العظيمة كالمنظف والكهرباء ، والى هذا الرأي يشير قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) فان الواجب أن تكون بين المعطوفات مناسبة فعطف الملائكة على الرعد يشير الى ان المراد منها بعض القوى الطبيعية كالكهرباء التي تحدث الرعد والبرق ولعدم فهم المفسرين هذه المناسبة في هذا العطف زعموا أن للرعد ملكا بالمعنى الذي يفهمونه (١)

ونحن اذا سمعنا قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) لا يتعين عندنا ان نفهم منه ما يفهمون فعزاءيل (٢) لم يرد ذكر اسمه في القرآن ولا في سنة صحيحة ، وانما هو اسم مشهور عند اليهود كانوا يسمون به بعض الناس وله عندهم عدة صيغ أخرى ولذلك لا تؤمن بوجوده

والذي أراه أن الميكروبات هي من رسل الله في هذا العالم فيجوز أن تسمى ملائكة ، ومنها ما يحدث الامراض المختلفة ، ولا تتحلل بحث جميع الموتى الا

تعالى ، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها الكاتب بالدينئة الجفية ؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس ببعيد لفة ولا ممنوع شرعا قد ورد في الآثار ان الجن أنواع ومنه ماهو من خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلا ببعض شؤون الكون وسببها . وتفصيل هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية

(١) ان قول بعض المفسرين بان الرعد ملك لم يكن مخترعا ومستنبطا بسبب عدم فهم ما فهمه الكاتب بل هي رواية نقلها أهل التفسير الماثور الذين يتقلون كل ما بلغهم وتلك منة لهم علينا وهم لم يصححوها . وتسييح الرعد من قبيل تسييح الجبال في سورة ص وتسييح كل شيء في سورة بني اسرائيل
(٢) معناه في العبرية من يمينه (يهوه) أي الله

الميكروبات، فاذا انحلت الجثث خرجت منها غازات وعناصر وأجسام متنوعة؛ وإذا ذهبنا الى أن الروح عبارة عن جزء من مادة الاثير متحد بالجسم لانستبعد خروج الروح عند انحلال الجسم بسبب عمل الميكروبات فيه، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم — أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون) الآية

فغمرات الموت من (غمر) ومعناها وجود الجسم في أشد دركات الموت التي تغمره وهو وقت انحلال الجنة، وبسط اليد كناية عما تفعله الميكروبات بها من التحليل والافساد، وقد ورد مثل هذه العبارة كناية أو مجازا حتى في حق من هو منزه عن الاعضاء والجوارح فقال تعالى (بل يدها مبدوستان) (وراجع ١٧: ٣٠) وقوله (أخرجوا أنفسهم) هو ما تقوله الميكروبات بلسان حالها كما قالت السموات والارض (أتينا طائعين) والتعبير عن الميكروبات بضمير العاقل هو سنة القرآن من أوله الى آخره فإنه يعبر غالباً عن كل ما يعمل عملاً من أعمال العقلاء بضميرهم، ومن ذلك قوله تعالى في الكواكب وهي أجرام جامدة (وكل في فلك يسبحون) وقوله في الاصنام (فراغ عليهم ضرباً باليمين) لان المشركين كانوا يعتقدون أنها عاقلة مدبرة

ولرفع التناقض الظاهري بين قوله تعالى (ملك الموت) بالافراد وبين قوله تعالى (توفته رسلنا) بالجمع نقول إن المفرد المضاف يعم كقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام) أي ليلاته فكذلك يصح أن يكون المراد من ملك الموت ملائكته أو رسله أي ميكروباته، وهي عادة من النوع الباسيلي — كما تقدم —

ومن أمثلة ذلك قولهم «حات دودة القطن بأرض فلان» أي دوده فالمراد

الجنس لا الفرد

ولا يقوم أحد مما ذكر أننا نشكر وجود بعض أنواع أخرى من جنود الله التي لا يعلمها الا هو، كلا! ثم كلا! فان الايمان بالملائكة بالمعنى المشهور فرض على المسلم. وما يجب علينا الايمان به أن للوحي ملكاً (جبريل) وهو ليس من قبيل ما ذكرناه، وإنما مرادنا أن الميكروبات مما يدخل تحت لفظ الملائكة وليسوا هم كل الملائكة وآية فاطر التي ورد فيها ذكر الاجنحة للملائكة يمكننا أيضاً تطبيقها على

الميكروبات ، فقد سبق أن لبعض الميكروبات أهداباً مثنى (كما في ميكروبات الكوليرا) فإن لها هدبين أحياناً في طرف منها وإذا اجتمع اثنان منها والتصقا معا جاز أن يكون لهما ثلاثة أهداب ، وللميكروب الحمي الراجعة أربعة أهداب ، ولتيفود أهداب عديدة ، يزيد في الخلق ما يشاء ، ولا شك أن الجناح يطلق على الجنب واليد والعضد والابط ومنه قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) فلا مانع من إطلاقها على هذه الأهداب التي هي بمثابة الأيدي للميكروبات . على أننا لسنا في حاجة الى تطبيق هذه الآية على الميكروبات ، فإنه ليس المراد من كون الميكروبات من الملائكة أن كل ما يسمى ملكاً يكون له أجنحة ويكون عاقلاً مكرماً عند الله بل المراد أن كل ما هو خاضع لأمر الله يرسله متى شاء فهو من ملائكته أي رسوله

هذا — ولا يتوهم من قوله تعالى في سورة العنكبوت مثلاً عن لسان الملائكة - (إنا مهلكو أهل هذه القرية - ونحن أعلم بمن فيها - إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) الآيات أن القرآن — ككتب الأمم الأخرى — ينسب الى الملائكة الأعمال التي تجري في هذا العالم حسب السنن الإلهية المعتادة كنسف القرى وقلب الأرض بالثورات البركانية ، فإن هؤلاء الملائكة كانت وظائفهم قاصرة على اخبار إبراهيم ولوط بما قدره الله لقوم لوط ولزوجته وعلى ارشاده الى ما يجب عمله حتى ينجو مما سيحل بهم ، وإنما عبروا بتلك العبارات التي يفهم منها أنهم هم أنفسهم هم الفاعلون لكيت وكيفيت لانهم رسل الله أرسلوا بأمره وارشاده ليكونوا ناثبين عنه تعالى في تبليغ ما أراد لوط فهم متكلمون عن الله ولسانه جل شأنه ، فالمهلك والعالم بحال الناس والمنزل الرجز هو الله الذي أمرهم أن يقولوا عنه ذلك ، وقد تقدم لهذه المسألة نظير في قصة مريم وجبريل عليهما السلام (راجع صفحة ١١٨ من الجزء الاول) ولذلك قالت الملائكة لوط (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) كما في سورة الحجر مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الذي قدر كل شيء ، وإنما هم مبلغون بأمره عن قدره وعليه فالتقدير في سورة العنكبوت هو هكذا : (ولما جاءت رسالتنا إبراهيم بالبشرى قالوا) تبليغنا (إنا مهلكوا أهل هذه القرية قال ان فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها) أي قالوا عنا اننا نعلم بمن فيها (وقالوا لا تخف ولا تحزن انا

منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون على أهل هذه القرية
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون) فالتكلم
الحقيقي في كل هذه الآيات هو الله تعالى كما هو ظاهر من آخرها ، والملائكة أما
يرددون هذه العبارات لتبليغها الى لوط بالنيابة عن الله تعالى ، فافهم ذلك ولا تكن
من الجاهلين

الجن

هذا اللفظ مشتق من مادة الجيم والنون، وهذه المادة تفيد معنى الستر ومن
ذلك قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي ستره ، وأجن الشيء في صدره أي
أكنه ، والجنين المخلوق مادام في البطن ؛ والجنة السترة والجنان القلب لاستتاره
واستجن أي استتر بسترة ، والجن الترس وكلها تفيد معنى الحفاء والاستتار، فلفظ
الجن يطلق أيضا على الميكروبات لاستتارها فهي ملائكة مرسله من الله ومستترة
عن أعين البشر

ومن ذلك حديث (الطاعون وخز أعدائكم من الجن) وفيه إشعار بأن
للإنسان أعداء من غير الجن وهو صحيح

ونقول في خلقها إنا اذا لاحظنا أن الميكروبات نباتات والنباتات سابقة
لجميع الحيوانات فهي مخلوقة من الأرض بعد أن أخذت في البرودة
واذا لاحظنا أن القرآن الشريف نص على أن الله تعالى جعل من الماء كل
شيء حي أمكننا أن نقول إنها خلقت باتحاد بعض العناصر مع الماء أو بخارها في
وقت كانت الأرض فيه شديدة الحرارة أو آخذة في البرودة

ولا يخفى على المطلعين على العلوم الطبيعية أن الراجح أن الأرض كانت شعلة من
النار مشتقة من الشمس، فاذا قلنا ان هذه النباتات هي أول ما كوّن من الاحياء في
الأرض فهمنا معنى أنها مخلوقة من النار اذ ليس معنى هذا الخلق أنها خلقت مباشرة
منها بل خلقت أطوارا كما أن الانسان لم يخلق مباشرة من التراب بل خلق منه طورا
بعده طور. فالسوق أن جميع الاحياء مخلوقة من الأرض والأرض مخلوقة من النار،

ولما كانت النباتات أول المخلوقات كانت أسبق منا الى طور النار وأقرب بها عهدا منا ، على أنه ليس المراد بكون الميكروبات أو غيرها من الجن أن كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة بل معناه أن كل ذلك من العوالم الخفية المجتنة

العدوى

قبل الكلام في هذا الموضوع يجب أن نذكر ماورد من الاحاديث المثبتة للعدوى والنافية لها ثم نجمع بينهما بما يفتح الله به علينا

فمن الاحاديث المثبتة للعدوى :- (قوله ص) « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين »^(١) وقوله (ص) « ان كان شيء من الداء يعدي فهو هذا » يعني الجذام (وقوله ص) « اتقوا المجذوم كما يتقى الاسد » وقوله (ص) لرجل مجذوم كان في وفد ثقيف « ارجع فقد بايعناك » وقوله (ص) « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » وهذا الحديث يصح أن يعتبر مبدأ يجري عليه الناس في مسألة الحجر الصحي المسمى باللاتينية (Quarantine) ومعناه الأصلي « أربعون » لان السفن الآتية من البلاد الموبوءة كانت تمنع من الاقتراب من شاطئ البلاد السليمة مدة أربعين يوما . فالرسول (ص) يريد بهذا الحديث أن يعمل المسلمون أيضا مثل هذا الحجر على البلاد الموبوءة فلا يدخلوا فيها لئلا يصابوا ، ولا يخرج الناس منها لئلا ينشروا العدوى بين الآخرين

وورد أن أبا عبيدة قال لعمر حينا خاف من طاعون الشام : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة : نعم فرارا من قدر الله الى قدر الله . وورد أن النبي (ص) قال « لا يُورَدَنَّ مُرَضٌ عَلَى مُصْحَحٍ » وفي لفظ « لا يوردن ذو عاهة على مصحح »

(١) يقول الاطباء إن ميكروب السل ينذر وجوده في الهواء حول المصاب بعد متر ونصف منه ، وربما كان الامر كذلك في الجذام

ومن الاحاديث النافية للعدوى: - قوله (ص) « لا يعدي شيء شيئا فمن أجرب الاول؟ لا عدوى ولا صفر، خلق الله كل نفس فكتب حياتها ووزقها ومصائبها » وفي حديث آخر « فمن أعدى الاول؟ » وقوله (ص) « لا عدوى ولا هامة ولا صفر، ولا يحل المرض على المصح، ويحل المصح حيث شاء - قيل: ولم ذاك؟ قال - لانه أذى » وقوله « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة - قيل: يا رسول الله! أرايت البعير يكون به الجرب فيجرب الابل كلها؟ قال - ذلكم القدر، فمن أجرب الاول؟ »

هذا شيء مما ورد في هذه المسألة؛ وقبل الخوض فيها يجب أن نتذكر ما روي عن أنس أن الرسول قال * أنتم أعلم بأمر دنياكم * فعلى فرض أننا لا يمكننا تأويل الاحاديث النافية للعدوى فالمسلم لا يتحتم عليه أن يأخذ بها - كما سبق في صفحة ١٦٥ من الجزء الاول - فانه أدري بامور دنياه يأخذ منها ما ثبت عنده بالبرهان، على أننا اذا راجعنا جميع هذه الاحاديث ظهر لنا أن النبي (ص) وأصحابه (رض) كانوا يعتقدون بالعدوى كما هو صريح ما ذكرناه منها أما نفي العدوى فيقال فيه ما يأتي: -

العدوى لغة هي انتقال المرض من شخص الى آخر، وكانت العرب تعتقد أن المرض لا يأتي الا من مريض ولذلك قال (ص) لهم * فمن أعدى الاول؟ * ولا يخفى أن المرض عرض لا يمكن أن يقوم بذاته وعليه فيستحيل أن ينتقل المرض من شخص الى آخر، وهذا مما يفهم من قوله (ص) * لا عدوى * أي لا ينتقل المرض، وهذا حق

أما انتقال جراثيمه فهو أمر كانت تجهله العرب فلم يكن حديثهم ولا حديث الرسل فيه. وأيضا قد ينتقل الميكروب ولا يحدث المرض كما سبق في باب الوقاية، فليس انتقال الميكروب شرطا لحدوث المرض. ومن الميكروبات ما يكون منتشرا في الهواء أو الطين أو غيرها وهي التي أصابت الاول المذكور في الحديث^(١) والميكروبات التي تصل الى الانسان لا تحدث فيه المرض الا اذا كان

(١) المنار: أن من يمرض بوصول الميكروب اليه من الهواء أو الطين =

مستعدالة ، والاستعداد يكون بأسباب وأحوال أرادها الله تعالى وجعل السبب فيها على قدر المسبب وذلك ما يسمى بالقدر في الاحاديث ، فالاساس الاصيل في حدوث الامراض هو القدر ولولاه لما فعلت الميكروبات بالجسم شيئا مطلقا .
وحكمة ذكر هذه الاحاديث بعد نصه (ص) على وجوب الابتعاد عن المرضى وتعليله ذلك بأنه أذى أي ضرر - هي أن الانسان يجب عليه أن لا يتغالى في أمر العدوى بمجرد اقترابه من المريض فان ذلك يحدث في الجسم وهما ووسوسة قد يؤديان الى ضعف حقيقي في الجسم أو العقل ، ويؤدي الناس الى الامتناع عن تمرير المريض أو معالجته لمجرد الوهم وفي ذلك ما فيه من الضرر

ولذلك تجدد الاطباء لا يزالون بالوسوسة في أمر العدوى ويقابلون كل مريض ويقتربون منه أشد القرب بل ويمسكون بأيديهم ما فيه الميكروبات ولا يجبنون فان العاقل يجب أن لا يكون جباناً ولولا ذلك لما تقدمت الابحاث العلمية كل هذا التقدم والخلاصة أن الخوف من العدوى يجب أن يكون في دائرة العقل فلا يجوز أن يفرض الانسان فيها ولا يجوز أن يفرض من الرعب منها فان ما قدر الله للانسان من حيث قوة بنيته أو ضعفها ومقاومتها للامراض لا بد أن يكون واذا فرض أن أمراً كان مستعداً لمرض ما أتاه المرض من حيث لا يحتسب، فلذا كان الواجب الاعتدال في العدوى كما هو واجب في كل شيء

وعبارة عمر (رض) السابقة في القدر صريحة في وجوب العناية بأوامر الطب وعدم مخالفتها اعتماداً على القدر وهي من أعلى الحكم الفلسفية ومن مضار شدة الوسوسة في مسألة العدوى ان الموسوس يمتنع عن ملامسة كل شيء مما في هذا العالم الا بشروط مخصوصة توجب الاعياء والاعنات ، فمثلاً

= لا ينطبق عليه تعريف العدوى السابق

فان قيل: ان الميكروب الذي كان في الهواء أو الطين قد انتقل اليهما من شخص مصاب - تقول : ومن أعدي أول من أصيب بذلك المرض من البشر أو من الحيوان ؟ لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الابنفي حصر المرض بالعدوى المعروفة وإثبات أن من المرض ما حدث بأسباب أخرى، الا إن امكن اثبات أن أول البشر مثلاً كان مصاباً بجميع الامراض المعدية ولن يثبت هذا أبداً

يتجنب لمس النقود ونحوها كالأوراق المالية ، ويتجنب محادثة الناس واستنشاق الهواء خوفاً من أن يكون مرّ على مرضى أو موتى ، ويتجنب الأكل أو الشرب أو النوم أو الركوب في الحضر والسفر حيث يفعل الناس كل ذلك ، وفيه من الضرر البليغ ما لا يخفى على المفكر

أما الصَّفَرُ (بفتحين) فهو ما كانت تزعمه العرب من أن في البطن حية تعض الانسان إذا جاع ، والذع الذي يجده عند الجوع من عضها . وهذه الحية لا وجود لها في الانسان السليم وإنما قد يوجد في البطن أنواع كثيرة من الديدان ، منها نوع يشبه الثعبان الصغير ولكنه غير موجود في جميع أفراد الانسان كما توهموا ، وليس هو السبب في الاحساس بالجوع كما كانت تزعم العرب ، وقيل : ان معنى (لاصفر) ان الامور الرديئة لاتقع في صفر دون غيره من الشهور بل هو كغيره ، ولاعتقاد العرب ان هذا الشهر مشؤوم كانوا يجرمونه ويستحلون المحرم بدله

فأنت ترى من كلا التفسيرين أن ليس المراد نفي (صفر) مطلقاً بل نفي ما كان تعتقده العرب فيه ، سواء أكان اعتقادهم أنه دودة في بطن كل امرئ تحدث عنده الجوع أم كان شهراً مشؤوماً دون الشهور ، فكذلك ليس المراد من نفي العدوى نفيها مطلقاً بل نفي ما كانت تعتقده العرب فيها من أن الامراض تنتقل بنفسها وأنه يتحتم حصول المرض بمجرد الاقتراب من المريض وأنه لامرض يحصل الا من مريض سابق ، وكلها أوهام باطلة نفاها رسول الله (ص) وهو محق في ذلك كل الحق كما نفي الصفر وكما نفي الهامة

وأما الهامة فهي لغة الرأس وطير من طيور الليل يسمى الصدى وهو ذكر البوم وهو المراد في الحديث ، وكانت تزعم العرب أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة وتصيح على قبره — : اسقوني ! اسقوني ! فاذا أدرك بثأره طارت ، وهذا أيضاً من الخرافات التي جاء الاسلام بتطهير العقول منها

(استدرارك على حياة الميكروبات)

ظهر مما سبق أن العلماء يعتقدون أن الميكروبات خالدة — كما يعبرون — وهم كذلك يعتقدون أن المادة وقواها خالدة ، أفليس من أعجب العجب بعد ذلك

أن يعتقدوا أن الانسان غير خالد مع أنه أرقاها ولم تمنن الطبيعة^(١) بمخلوق اعتناها به؟ - كما يقولون - أليس في محافظة الميكروبات على نوعها بالحبيبات (Spores) اشارة لنا الى أن روح الانسان هي كحبيبة الميكروب؟ وكما أن الميكروب ينتقل بذلك من طور الى طور فكذلك الانسان ينتقل بروحه من طور الى آخر فهل بعد ذلك يكون في عقيدة البعث شيء من الغرابة أو المنافاة لسنن الكون حتى ينكرها المنكرون؟

الاحياء الطفيلية أو التسليقية

هي التي تنسلق غيرها (أي تلوه) وتطفل عليه فتغذى منه ، وهي نباتية وحيوانية ، والنباتية أكثرها فتكا بالانسان وغيره واشدها خطرا

النباتية

تشمل بعض أنواع البكتيريا التي يتركب أكثرها من خلية واحدة - كما سبق - والفطر الذي يتركب من خلايا متعددة - وقد تقدم البيان الشافي ههنا - ويلاحظ في هذه الاحياء النباتية والحيوانية أنها كلما دقت وصغرت كانت أشد خطرا من الكبيرة ، والله في خلقه شؤون فكأنه تعالى قد وضع سره في أصغر خلقه (كما تقول العامة)

الحيوانية ، وأشهر انواعها : -

- (١) ذوات الخلية الواحدة وتسمى بالافرنجية [Protozoa] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي « الحيوانات الاولى » وأشهر أمثلتها جرثومة (الملاريا) - وتسمى بالعربية [النافض] أي ذات الرعدة - وأحد نوعي (الدوسنطاريا) - وتسمى بالعربية [الزحار] أي التي تحدث الزحير - وبعض الخلزونيات كحلزوني الزهري والحلي الراجعة وهذه هي التي تنقسم بالطول - كما قلنا - بخلاف البكتيريا فانها تنقسم بالعرض ، وذلك من أهم ما يميز الواحد منهما عن الآخر
- (٢) حشرات صغيرة مركبة من خلايا عديدة ، تكوّن حيوانا صغيرا

مثل أكروس الجرب والقردان كما في بلاد السودان [Ticks] وهو جمع قُرَاد وكلاهما من الفصيلة الضنكبوتية

(٣) حشرات كبيرة كالقمل والبراغيث والبق

(٤) السنف وهو الذي يسميه الأطباء المحدثون [اليرقات] وهي الدود الذي

يخرج من بيض بعض أنواع الذباب ويعيش في جلد الانسان أو أذنيه أو أنفه

(٥) الديدان بأنواعها والأكياس الدودية، ومن أشهر أنواع الديدان : —

(أ) المعوية كالدودة الشريطية

(ب) الدموية كالبلهارزية وهي دودة اكتشفها في مصر الباحث الشهير

ثيودور بلهارز [Theodor Bilharz] سنة ١٨٥١ وهي توجد في بعض أوردة

الانسان (كالوريد الباب) وهي السبب في ما يصيب أكثر المصريين من البول

الدموي أو البراز الدموي أيضا

(ج) اللمفاوية كالفلاريا [Filaria] وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية

ومعناها الخيط ، وهذه الدودة هي السبب في البول اللبني وداء الفيل

(د) الصفراوية كالدودة الورقية [Distoma Hepaticum] التي توجد

في مرارة البهائم ومجري المرّة (الصفراء) فيها، وقد توجد في الانسان نادرا، وهي

تشبه الورقة الصغيرة شبيها تماما وطولها نحو ٢٥ مليمترا وعرضها ١٢ مليمترا وتكون

مطوية على نفسها وقد تسد مجرى الصفراء في الانسان فتحدث عنده اليرقان وتنزل

الصفراء في بوله

(هـ) الجلدية كالعرق المدني وهو نوع من الفلاريا يسكن تحت جلد الانسان

خصوصا في أرجله، وهي كثيرة الوجود في سكان المدينة المنورة وبلاد الهند وغينيا

(بأفريقية) والسودان

(و) المضطية كدودة الشعرة الحلزونية [Trichina Spiralis] طول

الذكر منها ٥ و١ مليمترا وطول الأنثى نحو ٣ مليمترات وهذه الدودة تسكن كبارها في

أمعاء الانسان وصغارها في عصلاته. وإنما ذكرت على حدة لان وجودها في الامعاء

لا ينشأ عنه ضرر يذكر وكل الضرر من وجود صغارها في العضلات فانها تحدث

أما شديدا وحى تشبه الحى التيفودية، والمرض الناشئ منها شديد الخطر على الحياة. وصغار هذه الدودة التي تسكن العضلات ترى فيها بالعين المجردة كنقط مبيضة صغيرة جدا طولها جزء من ثمانية وسبعين جزءا من البوصة، وهذه النقطة هي الديدان وما أحاط بها من الغلف. وتصل هذه الدودة الى الناس من أكل لحم الخنزير. ويكثر وجودها بعض الكثرة في بلاد ألمانيا لكثرة أكل أهلها لحم الخنزير. وتصاب الفيران بهذه الدودة أيضا فتنتشر في عضلاتها، والفيران يأكل بعضها البعض الميت فتنتشر الدودة بينها، وهي تأوى الى زرائب الخنازير وتموت فيها، والخنازير مولعة بأكلها أيضا فينتشر فيها المرض لذلك، ومنها يصل الى الانسان، وسيأتي ان شاء الله البيان الشافي عن جميع هذه الديدان وتواريخ حياتها والامراض التي تنشأ عنها تفصيلا

الامراض التي تنشأ من الاحياء الطفيلية

﴿ مقدمة في الحى ﴾

ذ كرنا في الجزء الاول (صفحة ١١ و ١٢) حقيقة الحى ومنشأها وغير ذلك مما يتعلق بها اجمالا ونريد الآن أن نفصل القول فيها تفصيلا فنقول : —
الحى هي ارتفاع حرارة الانسان عن الدرجة الطبيعية، وتكون مصحوبة بأعراض كثيرة تصيب أجزاء الجسم المختلفة واليك تفصيلها :
الجلد — يكون ساخنا وجافا غالبا وقد يندى بالمرق وفي بعض الحميات يكون العرق غزيرا ولون الوجه حمرا. وفي بعضها يظهر في الجلد ما يسمى « بالطفح » وهو أنواع كثيرة، منها نقط حمراء تزول بالضغط عليها أو تقط ناشئة من نزف تحت الجلد وهذه لا تزول بالضغط ومنها بثور كما في الجدري. والظاهر أن سموم الميكروبات تحدث شللا في الاوعية الدموية للجلد أثناء محاولتها الخروج من البنية أو تحدث تهيجا أو التهابا في الجلد فينشأ من ذلك الشلل أو ذلك التهيج أو الالتهاب أنواع من الطفح تختلف باختلاف كل مرض وسيأتي بيانها. وفي بعض الحميات التي يكثر فيها العرق كالحى التيفودية والرثية (الروماتزم) تشهد

حبوب صغيرة جدا في الجلد ممتلئة بسائل رائق وهي تتكون من ارتفاع الطبقات العليا للبشرة بتراكم العرق تحتها

الجهاز الهضمي - يكون اللسان مغطى في أول الامر بطبقة بيضاء ثم يجف وتزول هذه الطبقة من مقدم اللسان وحوافيه فيرى لونه أحمر ، ثم يشتد الجفاف ويسمر لون اللسان ويتشقق وتجتمع عليه وعلى الأسنان والشفتين أوساخ مسودة . ويفقد المصاب شهوة الطعام ، وقد يصيبه القيء ويكون الهضم ضعيفا جدا ويمسك البطن ويعظم حجم الطحال

الدورة الدموية - يسرع القلب في ضرباته في أول الامر ثم يضعف ، ويصل النبض الى ٨٠ أو ١٢٠ فأكثر في الدقيقة، وتمدد عضلة القلب بسبب الضعف التنفس - يسرع أيضا التنفس فيصل الى ٣٠ أو ٤٠ مرة في الدقيقة وإذا طالت مدة الحمى تحتن قاعدتا الرئتين وتكثر النزلات الشعبية أو الرئوية

البول - يقل مقداره ويشتد لونه وترسب فيه أملاح حمراء من حامض البولييك وتكثر البولينا وتكون أملاح الكلوريد (كملح الطعام) قليلة عادة خصوصا في التهاب الرئة ، أما في الملاريا فتزيد هذه الأملاح عند ارتفاع الحرارة فيها

الجهاز العصبي - يكثر الصداع في أول الحمى ويشعر الانسان بتكسر في جميع الجسم ويسأم كل عمل جسماني أو عقلي وبعد قليل يصيبه ضعف في قواه العقلية ويميل الى النعاس وإذا نام ابتداء يهذي ، وبعد ذلك يكثر الهيجان ويزول النوم ويشتد الهذيان فيكثر المريض من اللغو ويصاب بما يشبه الجنون ، وقد يقوم من فراشه ويتشاجر مع ممرضيه أو أطبائه وقد يحاول أن يلقي بنفسه من نافذة المكان ، ثم تهدد قواه ويصاب بالغيوبة فيفقد كل شعوره وقبل تمام الغيوبة يصاب بارتعاش في حركاته وتقلص في العضلات (يسمى بالاهتزاز الوتري) ويلتقط أشياء وهمية يراها امامه في الهواء . وينتهي الامر به الى أن يتهرز بدون شعوره ، ولعدم احساس المانة بما فيها يتراكم البول حتى تفعم به

(اختلاف الحرارة اليومي)

كما أن الحرارة الطبيعية تختلف في المساء عن الصباح^(١) كذلك حرارة المحموم تكون غالباً في المساء أعلى منها في الصباح ، وفي بعض الأمراض تكون بالعكس فترتفع صباحاً وتنخفض مساءً . ويسمى ذلك (بالطراز المقلوب) [Typus Inversus] كما في الدرن العام المسمى بالدرن الدخني

ومن الحرارة ما يكون دائماً الارتفاع بكثير عن الدرجة الطبيعية ومنها ما يقرب في الصباح من الدرجة الطبيعية ، ومنها ما تصل في الصباح الى الدرجة الطبيعية أو تحتها ولكن ترتفع في المساء كثيراً . وعند ارتفاعها يزداد التنفس والنبض كما سبق ، وقد تحصل للمحموم قشعريرة لا إحساسه بالبرد وإن كانت درجة الحرارة في الحقيقة عالية، ولكن لا تقباض أوعية الدم التي في الجلد يحصل له هذا الإحساس بالبرد

ومن الحميات ما يزول بالتدرج فتأخذ الحرارة في النقص يوماً بعد يوم حتى تصبح طبيعية، ومنها ما يزول دفعة واحدة فيدشفي الإنسان في ظرف ١٢ ساعة أو ٣٦ ساعة ، وعندئذ قد يصاب الإنسان بالاسهال أو بالعرق الغزير أو يحصل له الرعاف ويسمى انخفاض الحرارة الفجائي (بالبحران) وبعد انخفاض الحرارة قد تبقى بضعة أيام أقل قليلاً من الدرجة الطبيعية

(درجات الحرارة المختلفة)

درجة الممود أو الهبوط	٣٥ و ٥ أو أقل
الدرجة التي تحت الطبيعية	٣٦ و ٤
الطبيعية	٣٦ و ٥ الى ٣٧ و ٢

(١) سبب ذلك أن عمل جميع أعضاء الجسم في هذا الوقت يكون أقل بكثير من عملها في سائر الاوقات . وإذا عكس الحال فإن اشتغل الناس ليلاً تصير الحرارة مرتفعة صباحاً منخفضة مساءً . ويتبدى الارتفاع عادة من الساعة السابعة صباحاً الى الثانية بعد الظهر وتبقى على حالتها الى الساعة أو الثامنة مساءً ثم تنخفض الى الثانية بعد نصف الليل وتبقى كذلك الى الساعة السابعة صباحاً

الحمى الخفيفة ما كانت فوق 37.9° بقليل

الحمى الشديدة 39° الى 40°

الحمى الأشد 40° الى 43° وفي النادر جدا 44°

فاذا زادت الحرارة على 44° درجة فلا أمل في الحياة غالبا ما لم تستعمل أشد

المعالجات الفعالة وهي التبريد السريع بالماء والثلج

(الموت بالحميات)

يحصل الموت — إما من نهك الحمى للقوى بسببها مع طول المرض أو بسبب

تسمم الدم في أيام قليلة — أو من زيادة الحرارة زيادة فاحشة كأن تصل الى 44°

مثلا ، واعلم أن طول التعرض لحرارة فوق 40° سفتجراد يقتل (البروتوبلازم)

ويجمده ، ويسمى ذلك بتيبس الحرارة [Heat Rigor] (أنظر ص ١٥ من

كتاب فسيولوجيا هليبرتون) [Halliburton] — أو من شلل القلب —

أو من المضاعفات الرئوية ، أو غيرها

ويكون الدم بعد الوفاة رقيقا مسودا ، وثقل كرياتة الحمراء وتكثر البيضاء ،

وتشاهد أنزفة نقطية كلدغ البراغيث [Petechiae] أو أكبر في الأغشية

المصلية كاليلورا أو الشغاف . أما الأحشاء (الكبد والطحال والكليتان) فتكون

كبيرة رخوة ويحصل في خلاياها استحداث^(١) حبيبية أودهنية وكذلك تصاب

العضلات بتلف في منسوجها سنتكلم عليه في بحث الحمى التيفودية

(المضاعفات والعواقب)

كثيرا ما يطرأ على الانسان في أثناء الحمى بعض أعراض أخرى مرضية تزيد

المرض شدة فوق شدة ، وقد يصاب الانسان أيضا بعدها ببعض أمراض تكون

كالنتيجة لها . ويسمى النوع الاول بالمضاعفات ، ومثاله التهاب البريتون في الحمى

(١) وذلك بتحول بروتوبلازم الخلايا الى حبيبات دقيقة جدا ، وهي خطوة

في سبيل الاستحالة الى شحم وبذلك يبطل عمل هذه الخلايا

التيفودية. ويسمى النوع الثاني بالعواقب أو العقابيل ، كالشلل عقب الدفتيريا فإنه يصيب المريض بعد شفائه منها بيضعة أيام أو أسابيع

(معالجة الحصى)

يوضع المريض على فراشه ليسترخ راحة تامة في مكان صحي طلق الهواء وتخفف عنه أغطيته وملابسه - بعكس ما يتوهم الجاهلون - نعم ينبغي أن تدفأ الأطراف السفلى خصوصا اذا ضعفت قوى المريض وأصابتها البرودة والغذاء يكون من السوائل المغذية السهلة الهضم مثل اللبن والمرق (١) وماء الشميرة ولا بأس من طبخها بقليل من دقيق بفض الحبوب أو بمسحوق ناعم من الخبز الاسفنجي المش. ويحسن تحلية اللبن بالسكر أو غسل النحل المصفي . ويعطى للمريض أيضا المياه الغازية فإنها نافعة للمعدة . ومن المستحسن أيضا إعطاؤه بعض الاشربة الحلوة كشراب النمر الهندي والسكر مع الليمون وعصير البرتقال المصفي . ويشترط في هذه السوائل الحامضة أن يفصل بينها وبين تعاطي اللبن بنحو ساعتين ثلاثيتين فيتقيا به المريض . ويشرب من الماء ما يريد فإنه منعش مفد غاسل للسموم . واللبن المثار (لبن الزبادي) نافع جدا . ومن أسهل الأغذية هضما وأنفعها أن يمزج بياض بيضتين بنحو ربع لتر من ماء راسح ويحلى بهسل النحل النقي ويضاف عليه جزء من عصير الليمون ثم يبلج ويشرب منه المريض . ويجب أن تعطى هذه السوائل المغذية بمقادير صغيرة في فترات قصيرة متعددة كأن يعطى له اللبن قدر مل خمسة فناجين كل ساعتين مرة ، ويكون مقداره في اليوم نحو ثلاثة أرطال (مصرية) أو أربعة . وتبريده بالثلج محمود كثيرا

ولا يتوهم أحد انه يوجد لاكثر هذه الحيات الآن دواء قاطع لسيرها في

(١) يقال أن المرق قد يزيد الاسهال في بعض أحوال الحصى التيفودية . وإنما تستعمل السوائل السهلة المغذية في الحيات لضعف المريض عن المضغ والبلع ، ولجفاف الاعضاء وضعفها وقلة العصارات الهاضمة

الحال^(١) بل لا بد أن تتم أطوارها ، وإنما يمكننا تخفيف وطأتها وإضعاف شدتها لكيلا تفسد الاحشاء ، وكذلك يمكننا ملافاة كثير من أعراضها الخطرة كالتهاب الرئة أو ضعف القلب أو ما ينشأ من بعضها من الانزفة كالنزف المعوي في الحمى التيفودية

ومن الادوية ما يخفض الحرارة مؤقتا بعد استعماله بساعتين أو ثلاث ككبريتات الكينين (من ٢٥ الى ٣٠ قمحة) ولكن استعمال الماء البارد أفضل من جميع هذه الادوية . وطريقة ذلك أن تؤخذ حرارة المريض كل ٣ ساعات مرة وكلما وجدت ٣٩° فأكثر يوضع في الماء البارد مدة ١٥ دقائق أو ١٥ دقيقة ، ثم يرفع منها وينشف جيدا ويوضع على فراشه بالراحة . فنجد أن الحرارة صارت طبيعية أو أقل ولكنها لا تلبث الا قليلا وترتفع وكلما عادت عدنا . ويجوز أن يلف المريض مدة ربع ساعة بمثل الالة بعد غمسها في الماء الثلوج . ولا يخفى من استعمال الماء البارد الا أشياء قليلة جدا وهي الهمود الشديد والنزف المعوي والمضاعفات الرئوية البالغة ، وظاهر أنه في حال الهمود أو النزف الشديد تكون الحرارة منخفضة وإذا يكون استعمال الماء البارد لا مسوغ له من أول الامر . وفائدة هذا التبريد تحسين الاعراض عموما وتقليل حدوث المضاعفات والاستحالة الحبيبية للاعضاء

وإذا أصاب المريض همود في قواه يتعين استعمال المنعشات ، وأقر بها المينا القهوة والشاي والخر ، ولكن يشترط في استعمال الخمر أن لا تعطى بمقادير كبيرة لايام كثيرة والا حدث منها سرعة في النبض وشدة في الهذيان ، ومقدارها المعتاد من ٢ - ٨ أوقي (أو فناجين قهوة) في اليوم

ومن الادوية التي يستعملها الطبيب النافعة في الهمود الديجيتالا^(٢) والنوشادر والايثر

(١) ولكن في مثل الحمى الراجعة تقطع سيرها حقنة ٦٠٦ في ٧ - ٢٠ ساعة ، والكينين يزيل حمى الملاريا في الغالب
(٢) هي كلمة لاتينية معناها الاصبع لأن أزهار هذا النبات كالاصابع

٦٢٠ اللبن الخاثر. الحقن الشرجية المغذية. وجوب البعد عن المحموم [المنار: ج ٨ م ١٨٤]

والاستركتين، ويستحسن اعطاء شيء من اليبسين مع حامض الهيدروكلوريك^(١) لتهوية هضم المعدة لقلة إفراز هذين الجوهرين في الحميات. ويجب عند ابتداء المرض في جميع الحميات أن يعطى مسهلا كالمح الانكليزي أو زيت الخروع لتنظيف القناة الهضمية والجسم

وإذا تعذر تغذية المريض في أثناء الغيبوبة غذي بالحقن الشرجية المغذية، وحقن بالمنبهات وبمحلول ملح الطعام الطبيعي فإنه منعمش مدر للبول مزيل لبعض سموم الميكروبات. وغرقى (بياض) البيضة اذا حقن في الشرج مع جرام ملح امتص منه ونفع المريض

(تنبيهان)

(الاول) في جميع الحميات يجب عزل المريض في مكان خاص بحيث لا يختلط به أحد من الناس مطلقا الا القاطنون بتمريضه أو مداواته ، ولا يسمح لأحد بزيارته ، وذلك واجب طبيا وقانونا منعا لانتشار العدوى بين الناس ، وليس فيه مخالفة لآداب الاسلام في عيادة المريض . فقد ذكرنا من الاحاديث ومن أقوال الصحابة كعمر (رض) ما يدل صريحا على أن الانسان اذا خشي العدوى وجب عليه أن يتقي القرب من المريض . على أن الحميات اذا اشتدت أحدثت ذهولا عند المريض بحيث لا يقدر على تمييز زائريه أو محادثتهم بالعقل والحكمة . وأيضا فن آداب عيادة المريض في الاسلام أن لا يطيل العائد المكث عنده حتى لو كان مرضه غير معد لان ذلك قد يكون سببا في مضايقة المريض . وفي الحديث أن قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم وباء أرضهم فقال «تحولوا فان من القرى التلف»

(١) لذلك كان اللبن الخاثر (لبن الزبادي) من أفضل الاغذية للمحموم لوجود حامض اللبنيك فيه فيسهل هضمه لذلك ولقلة مائه فلا يضعف العصير المعدني ، وهو مطهر بحوضته ونافع لنزلات المثانة. والميكروبات التي تحدث حوضته مطهرة للأمعاء نافعة في أمراضها خصوصا في التهاب الامعاء الغليظة فتمنع نمو الميكروبات فيها. وما تحدثه من حامض اللبنيك بتأثيرها في سكر اللبن أو العنب قاتل للميكروبات أيضا. وسكر العنب هذا يوجد في الامعاء بعدأكل النشاء أو سكر القصب (راجع صفحة ٨٢ من الجزء الاول)

[المنار: ج ٨ م ١٨] الميكروبات المحبة للحرارة . شذرة من الخطب النبوية ٦٢١

والقرف مداواة المريض فصرح هذا الحديث يدل على وجوب البعد عن المرضى
لاجتناب التلف

(الثاني) الواجب أن يطهر الطعام الذي يعطى للمرضى بالغلي جيدا ثم يبرد
بسرعة فإن من الميكروبات ما يسمى « محب الحرارة » [Thermophilic]
وذلك لأنها تتكاثر في حرارة ٩٠° الى ٧٠° سنتجراد فاذا لم يطهر اللبن مثلا بالغلي
ولم يبرد سريعا انتهزت هذه الميكروبات فرصة سخونة اللبن اذا ترك يبرد بنفسه
فتتكاثر فيه وتحدث مواد تؤذي الصحة . وهذه الميكروبات توجد في الطين والماء
وغيرها ومنهاما تصل الى اللبن . فلذا يجب قتلها بالغلي

الخطب الدينية

٢

﴿ شذرة من الخطب النبوية ﴾

مقتبس من مقدمة ديوان خطب القاسمي، والحواشي له الا ما زدناه بعد اسم « المنار »

١

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى ،
وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله تعالى ،
وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ،
وأحسن الهدى هدى الانبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة
بعد الهدى ، وخير العلم مانفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب .
واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة
حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الصلاة الا
دبرا (١) ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا (٢) وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ،

(١) بفتحيتين وتسكن الباء وضمها لحن كما في القاموس . أي في آخر وقتها
(٢) بضم فسكون وهو القبيح من الكلام (المنار : ضبطوه بفتح الهاء وفسروه
بالترك) والاستثناء منقطع

وخير الفنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله تعالى ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ؛ والارتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جئ جهنم ^(١) والكنزكي من النار ، والشعر من مزامير ابليس ^(٢) والخز جماع الأمم ، والنساء جائل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع ، والأمر بأخيه ، وملاك العمل بخواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ^(٣) وكل ماهوآت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، واكل لحمه من معصية الله ، ^(٤) وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألى على الله يكذبه ^(٥) ومن يظفر يظفر الله له ، ومن يعف يظفر الله عنه ، ومن يكظم الفيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به ^(٦) ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله . اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، أستغفر الله لي ولكم . رواه البيهقي عن عقبة بن عامر والسعدي عن أبي الدرداء ، وابن أبي شيبة عن ابن مسعود

٢

أما بعد فان الدنيا خضرة حلوة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فانظروا كيف

(١) الجنائ بضم الجيم وكسر هاء ثم مثناة ، ما اجتمع من الحجارة والجدوة (المنار: الجنائ الاكوام والمعنى ان ما يؤخذ من الغلول وهو الخيانة في الغنيمة إنما هو أكوام من النار أي ليس رجح بل خسارة لانه سبب لدخول النار ، كقوله تعالى « إنما يا كلون في بطونهم نارا » (٢) يعني بالشعر ميهودا من أفرادهم وهو ما يتفنى به في محرم أو عليه أو ما يدفع اليه (٣) جمع راوية مبالغة في راوه ، وهو من يروي الحديث (المنار: رجح ابن الاثير أن الروايا جمع روية وهي التروي والتفكر في الامر . واذا كان الكذب عن روية كان أشد إنما وأشد ضررا) « ٤ » كناية عن اغتيابه وذكره بما يكره وفي تصوير الاغتياب بأكل لحمه ابراز له على أحش وجهه وأشنع طبعه وعقلا وشرعاً « ٥ » تألى أي أقسم بانه يفعل كذا البتة « ٦ » السمعة الشهرة ونشر الذكر

تعملون . فائقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ؛
 الا ان الغضب جمة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ
 أوداجه؟ فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالارض الارض . ألا ان خير الرجال من
 كان بطيء الغضب سريع الرضا . وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء
 الرضا ، فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفيء وسريع الغضب سريع الفيء
 فانها بها (١) ألا ان خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب ، وشر التجار
 من كان سيئ القضاء سيئ الطلب ؛ فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب
 أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فانها بها . ألا ان لكل غادر لواء يوم القيامة
 بقدر غدوته . ألا واكبر الغدر غدر أمير عامة . ألا لا يمنع رجلا مهابة الناس أن
 يتكلم بالحق اذا علمه ، ألا ان أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر - رواه
 الامام أحمد والترمذي عن أبي سعيد -

٣

انما هما اثنتان: الكلام والهدي، فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي (٢)
 هدي محمد . ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة
 بدعة ، وكل بدعة ضلالة . ألا لا يطوان عليكم الامة فتقسو قلوبكم ، ألا ان كل
 ماهوات قريب وإنما البعيد ما ليس بات . انما الشقي من شقي في بطن أمه .
 وانما السعيد من وعظ بغيره . ألا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق . ولا يحمل
 لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة . ألا واياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح لا بالجد
 ولا بالهزل . ولا يعد الرجل صبيه ولا يفني له . وان الكذب يهدي الى الفجور
 وان الفجور يهدي الى النار . وان الصدق يهدي الى البروان البر يهدي الى الجنة ،
 وانه يقال للصادق: صدق وبره . ويقال للكاذب: كذب وفجر . ألا وان العبد يكذب
 حتى يكتب عند الله كذابا - رواه ابن ماجه عن ابن مسعود -

(١) المنار : أي واحدة بواحدة جزاء نخير الخصلتين يكفر شرها

(٢) المنار : الهدي بفتح فسكون السيرة والطريقة

٤

يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا فيها كتب ، وكأن الحق على غيرنا واجب ،
وكان الذي نشيع من الاموات سفرنا عما قليل اليانا راجعون ، وأويهم أجدانهم
ونأكل تراهم كأننا مخلدون ، قد نسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة . طوبى لمن
شغله عيبه عن عيوب الناس . طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وحسنت
علائته ، واستقامت طريقته . طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة ، وأنفق مالا
جمعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ،
طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعت السنة ، ولم يعد
عنها الى البدعة - رواه أبو نعيم عن علي -

٥

ان الحمد لله أحده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .
من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له ، ان أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينته الله في قلبه ،
وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على من سواه من أحاديث الناس ، انه
لأحسن الحديث وأبلغه . أحبوا من أحب الله . أحبوا الله تعالى من قلوبكم ، ولا
تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقسى قلوبكم ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه
حق تقاته ، وصدقوا الله صالح ماتقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله عز وجل بينكم ،
ان الله يفضب أن ينكث عهده ، فالسلام عليكم ورحمة الله - رواه هناد عن أبي
سلمة مرسل -

﴿ نخب من الخطب النبوية في يوم الجمعة ﴾

كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يخطب في غير يوم الجمعة لمصلحة تعرض ، أو
منكر يظهره ، أو أمر بصدقة أو اصلاح ، كما هو معروف في دواوين السنة ولخدمتها (١)
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
«أما بعد فوالله اني لأعطي الرجل وادع الرجل ، والذي أَدع أحب الي من

الذي أعطي . ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والملع ، وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من التقى والخير ، منهم عمرو بن تغلب — رواه الامام أحمد والبخاري وغيرهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فإبال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وأتم الولاء لمن أعتق » — رواه الشيخان في صحيحهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فإبال العامل نستعمله فإتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي ، أفلا تعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى له أم لا ؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يفل أحدكم منها (أي الزكاة) شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه » الحديث (رواه الشيخان)

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أيها الناس اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمنة الا انتم الله تعالى منه يوم القيامة » — رواه ابن حميد في مسنده —
من خطبة الصديق رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين أسخده واستعينه . ونسأله الكرامة فيما بعد الموت . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله . أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا . أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به ، فإنه جوامع هدى للإسلام بعد كلمة الاخلاص . السمع والطاعة لمن ولاء الله أمركم فإنه من يطع والي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى . فقد أفلح من حُفظ من الهوى والطمع والفتن . وإياكم والفخر . وما فخر من خلق من تراب ثم الى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاعملوا

يوماً بيوم وساعة بساعة . وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم في الموتى . واصبروا فان العمل كله بالصبر ، واحذروا فالحذر ينفع . واعملوا فالعمل يقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه . وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته ، وافهموا تفهموا ، واتقوا توقوا ، وان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يجب من الاعمال وما يكره ، فاني لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله . واعلموا انكم ما اخلصتم الله من أعمالكم فربكم اطعم ، وحظكم حفظتم واغضبتم ، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم ، تستوفوا بسلفكم ، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم اليها . ثم تفكروا عباد الله في اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه . وأحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت . ان الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه سوءاً ، الا بطاعته واتباع أمره . فانه لاخير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم واصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته —
رواه ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن موسى بن عقبة —

من خطب الفاروق رضي الله عنه (١)

أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله . الذي يبقى ويفنى ماسواه . الذي بطاعته يكرم أوليائه وبمعصيته يضل أعداءه . فليس لهالك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى ولا في ترك حق حسبه ضلالة . تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، فانه لم تبلغ منزلة ذي حق ان يطاع في معصية الله . واعلموا ان بين العبد وبين رزقه حجاباً فان صبر أتاه رزقه ، وان اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه ، فادبوا الخيل وانتضلوا واتملوا وتسوكوا وتمعدوا (٢) واياكم واخلاق العجم ومجاورة

(١) خطبها في الجابية قاعدة بلاد حوران في عهده رضي الله عنه واليها ينسب باب الجابية أحد أبواب مدينة دمشق الشام لان المسافر الى الجابية يخرج منه وقد خربت وانتقل عمرانها الى ماجاورها من قرية نوى والشيخ سعد

(٢) المنار : في حاشية الاصل « أي تزويوا بري معدني تخوشنهم وتقشفهم » والمراد كونوا مثل معدن بن عدنان فيأذرك فاستعمل التزيبي في التشبه والتزيبي في الشبه

الجبارين وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بغير مئزر .
 وإياكم والصغار ان يجعلوه في رقابكم . واعلموا أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (١)
 ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام . ومن أتى ساحراً أو كاهناً أو عرفاً
 فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . لا يخلون رجل
 بامرأة فان الشيطان ثالثهما . ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو امارة المسلم
 المؤمن . وشر الامور مبتدعاتها ، وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة .
 وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فانه أهون لحسابكم . وزنوا أنفسكم قبل أن
 توزنوا . وتزينوا للعرض الاكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية . عليكم بهذا
 القرآن فان فيه نوراً وشفاء . وغيره الشقاء . وقد قضيت الذي علي فيما ولائي
 الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحاً لكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي
 ولكم — رواه الحاكم وابن عساكر —

من خطب ذي النورين رضي الله عنه

أيها الناس اتقوا الله فان تقوى الله غنم . وان أ كيس الكيس من دان نفسه
 وعمل لما بعد الموت (٢) واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر . وليخش عبد أن
 يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً . وقد يكفي الحكيم من جوامع الكلم . والاصم
 ينادي من مكان بعيد . واعلم ان من كان الله معه لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه
 فن يرجو بعده — رواه ابن عساكر —

من خطب الامام أبي الحسن على كرم الله وجهه

أما بعد فان المضمار اليوم وغدا السباق . الا وانكم في أيام عمل . من ورائه
 أجل . فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خيب عمله . الا فاعملوا لله في
 الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا واني لم أرَ كالجنة نام طالبها . ولم أرَ كالنار
 نام هاربها . الا وان من لم ينفعه الحق ضره الباطل . ومن لم يستقم به الهدى

(١) المنار : هذا وما بعده بضعة جمل مقتبسة من الاحاديث المرفوعة الى النبي (ص)

(٢) المنار : مقتبس من حديث مرفوع عن رواه احمد والترمذي وابن ماجه

جار به الضلال . الا وانكم قد أمرتم بالظن ودلتم على الزاد . الا أيها الناس
انما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر . وان الآخرة وعد صادق، يحكم
فيها ملك قادر . الا ان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا والله واسع عليم . أيها الناس أحسنوا في عمركم تحفظوا في عقبكم ، فان
الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه وأوعده ناره من عصاه . انها نار لا يهدأ
زفيرها . ولا يفك أسيرها . حرها شديد . وقعرها بعيد . وماؤها صديد . وان
اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل . الا لا يستحي الرجل ان يتعلم
ومن يُسئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم — رواه ابن عساكر —

ومن خطبه كرم الله وجهه

حمدت وعظمت من عظمت منته . وسبقت نعمته . وسبقت غضبه رحمة .
وتمت كآمته . ونفذت مشيئته . حمد عبد مقرّ بر بوليته . متخضع لعبوديته .
ويستعينه ويسترشده ويستهديه ويؤمن به ويتوكل عليه . وشهدت له تشهد مخلص
موقن . وبعزته مؤمن . ووحدت له توحيد عبد مدعن . ليس له شريك في ملكه .
ولم يكن له وليّ في صنعه . جلّ عن مشير ووزير . وعن عون معين ونظير .
وشهدت بعث محمد عبده ورسوله . وصفيه ونبيه وحبيبه وخليفه . صلى الله عليه
صلاة تحظيه . وتزانه وتعليه . وتقرب به وتدنيه . بعثه في خير عصر . وحين فترة
وكفر . رحمة منه لعبيده . ومنة لآزاده . ختم به نبوته . ووضح به حجته .
فوعظ ونصح . وبلغ وكدح . عليه رحمة وتسليم . وبركة وتكريم .
وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم . وذكركم سنة نبيكم . فعليكم
برهة تسكن قلوبكم . وخشية تدرى دموعكم . وتقاة تنجيكم . قبل يوم يذهللكم
ويبليكم . يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته . وخف وزن سيئته . واتكن
مسلتكم وتعلقكم مسألة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع . وتوبة ونزوع . وندم
ورجوع . وليفتنم كل مفتن منكم صحته قبل سقمه . وشبيلته قبل هرمه وكبره .
وسعته قبل فقره . وفرغته قبل شغله . قبل أن تجذب نفسه . ويحفر رمسه . وينفخ
في الصور . ويدعي للشور . في موقف مهيل . ومشهد جليل . بين يدي ملك

عظيم . بكل صغيرة وكبيرة عليم . حينئذ يلجمه عرقه فعبثته غير مرحومه . وضرعته غير مسموعه . وحجته غير مقبولة . فورد جهنم بكرم وشدة . ندم حيث لم ينفعه ندمه . نعوذ برب قدير من شر كل مصير . ونسأله عفو من رضي عنه . ومغفرة من قبل منه . فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنة بقر به . وخلد في قصور مشيدة . ومالك حور عين وحفدة . وطيف عليه بكؤوس . وسكن حظيرة قدس في فردوس . وتقلب في نعم . وسقي من تسنيم . هذه منزلة من خشى ربه . وحذر نفسه ، وتلك عقوبة من عصى منشئه . وسولت له نفسه معصيته . هو قول فصل . وحكم عدل . خير قصص قص . ووعد نص . تنزيل من حكيم حميد . نزل به روح قدس على قلب نبي مهتد رشيد . صلت عليه سفرة . مكرمون بررة . يتضرع متضرعكم . ويتهلل مبتهللكم . واستغفر رب كل مرئوب لي ولكم ! ثم قرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والمعاقبة للمتقين) — رواه الخفاف في مشيخته (١)

مختارات من خطب القاسمي

﴿ خطبة في الحذر من التطير والتشاؤم يخطب بها اول صفر ﴾

الحمد لله الذي بسط لنا موائد كرمه وافضاله ، وعمنا بجوده وغمرنا بنواله ، فسبحانه من إله تاهت العقول في سبحات جلاله ، أحمده وأشكره ، وأتوب اليه وأستغفره ، وأسأله أن يجعلنا ممن وفقه لصالح أعماله ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة موحد له في غده وآصاله ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي ميز حرام الشرع من حلاله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمنح قائلها الفوز في مآله ، وسلم تسليما .

أما بعد أيها الناس فانتقوا الله واعلموا أن جميع ما يتقلب فيه الانسان طول

(١) المنار : الظاهر ان هذه الخطبة موضوعة على أمير المؤمنين كرم الله وجهه فأين هذا

السجع المتكلف من خطبه التي تعد في أعلى مراتب البلاغة بعد كلام الله ورسوله

عمره ، انما هو بمحض قضاء الله وقدره . ألا وانه قد دخل عليكم شهر مباركة أوقاته ، ميمونة ساعاته ، لا ينسب اليه شر ولا ضير ، بل هو صفر الخير ، وقد كانت الجاهلية يتشاءمون به وهو مبارك ، ويتطهرون منه وليس الله جل جلاله في مشيئته وتقديره بمشارك ، وانما هو من شركهم وشرهم ، وسخافة عقولهم ومحض كفرهم ، وكيف ينسب فعل الى شهر أو زمان ، والله خالق الزمان والمكان ، وقد بطل التطير والتشاؤم ولم يبق له أثر ، بما رواه البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر ، انه قال « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا ظنتم فلا تحققوا ، واذا حسدتم فلا تبغوا ، واذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان سبعين الفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب - فستل صلى الله عليه وسلم عنهم فقال - هم الذين لا يكتون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « الطيرة شرك » فمن اعتقد ما يتشاءم به سببا مؤثرا في حصول المكروه فقد أشرك ، ولعقيدة التوحيد والموحدين ترك ، اذ لا فاعل الا الله ، ولا مؤثر في الكائنات سواه ، وانما الزمان ليال وأيام ، تختلف بتقدير العزيز العلام ، فلا شوؤم لصفير ولا جهود لجمادى ولا بلاء ، ولا نحس ليوم أربعاء ، بل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى (ما أصاب من مصيبة فباذن الله) وقال جل جلاله (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

﴿ خطبة لاول ربيع في وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ﴾
 ﴿ وعلامة محبته ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

(١) الخطبة من أولها الى هنا من ديوان جد جدي لابي الامام الكبير والولي الشهير السيد محمد الدسوقي نسبا الدمشقي امام جامع حسان وخطيبه المتوفى في ١٢٤٦ بمزلة هدية قبيل المدينة المنورة ذهابا الى الحجاز وقد بسطت ترجمته في تاريخي « تطهير المشام في ما نرد مشق الشام »

المشركون ، ومن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته
 ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وأشهد
 أن لا إله الا الله وحده لا شريك له في جلال إلهيته ، ولا مثيل له في عز ربوبيته ،
 ولا كفوء له في أحديته ، ولا كيف له في صفات مجده وصمديته ، وأشهد أن
 سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي دعا الى ثوابه وبشر ، وحذر من عقابه وأنذر ،
 وأوضح سبيل الرشاد ، وجاهد فيه حق الجهاد ، حتى ظهر دين الله وعلت كلمته ،
 وشملت رحمته وتمت نعمته ، صلى الله عليه وعلى آله الابرار ، وصحبه الاخيار ،
 وسلم تسليما

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واعلموا ان الله تعالى اكمل الامة على المؤمنين ،
 وأتم نعمته عليهم بارسال خاتم الانبياء رحمة للعالمين ، فهداهم به من الضلالة ، وأتقدهم
 بمكانه (١) من الجهالة ، وفتح به أعينا عمياء وآذانًا صماء وقلوبا غلفا منة وطولا ، وأرشد
 به السبيل ، وأقام به معالم البرهان والدليل ، نعمة وفضلا ، ورفع به للتوحيد أعلاما ،
 ومحا به من الشرك ظلاما ، ثم جعل محبته مشروطة بمحبته ، وطاعته منوطة بطاعته ،
 وذكروه مقرونا بذكروه ، وبيعته مقرونة ببيعته ، فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله
 فاتبعوني يحببكم الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى
 (ورفعنا لك ذكرك) وقال تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ثم بين
 جل جلاله ان مخالفة أمر نبيه ضلال وخسران ، وأوعد عليه بالعذاب والخسران (١)
 فقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
 أليم) وقال سبحانه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
 في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فحذر سبحانه وأوعد ، وأقسم واكد ،
 ليعلموا أن من شعب الايمان ، وكمال الاسلام والايقان ، اتباع سنته ، والتسليم لقضيته ،
 وتوقيره وتعظيمه ، واجلاله وتكريمه ، كما قال تعالى (يا أيها النبي انا أرسلناك
 شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) قال ابن عباس
 وغيره : أي تبالغوا في تعظيمه . ألا وان من تعظيمه وتوقيره المطلوب ، ايثار حبه

(١) المنار : لعله أراد ان يقول « وافتتان » فسبق القلم ، او قاله خرفة في الطبع

على كل محبوب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) ومن توقيره وحبه ذكر شمائله التي تهز أعطاف المحبين ، ونشر فضائله التي تزيد في ايمان المؤمنين ، وإيراد سيرته وما كان عليه من الاخلاق تسليكا للمتبعين ، ثم هل تدرون من المحب للنبي صلى الله عليه وسلم . والصادق في محبته واجلال قدره المعظم ؟ المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القائم بامثال أوامره ونشر هديه الاكل ، والاعتصام بسنته والحض عليها واحياؤها بالطلب والعمل . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو المتخلق بأخلاقه الجميلة ، والمتحقق بأدابه الجميلة . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو من تظهر علامات الحب على أحواله ، من الاقتداء به واتباع أقواله وأفعاله ، فليتخلق بأخلاقه الطاهرة من كان صادق الحب ، مخلص اليقين سليم القلب ، ولكن ما اكثر للذميين وما أقل للمخلصين ، عجباً لابن آدم يفهم ما يضره مما ينفعه ، ويسمع ولكن قلما يعمل بما يسمعه ، ويحضره العزم في مجلس الذكر الا انه يقوم ويدعه . فالى كم تهزه العبر وهو كالطفل كما حرك نام ، ويقتحم المعاصي الكبر ويقول ان الله ذو مغفرة وينسى انه ذو انتقام ، فواخجل المقصرين من التوب يخ في محفل القيامة ، وياسوء منقلب الظالمين عند حلول الندامة ، وياحسرات الهالكين اذا عاينوا اهل السلامة ، ويا هو ان المتكبرين اذا حرموا دار الكرامة ، فرحم الله امرأ رجع الى ربه سريعاً ، قبل ان يقع لجنبه سريعاً ، وألقى الى الموعظة قلباً واعياً وسمعاً سميماً ، قبل أن لا يسمع في مقام السؤال الا توبيحاً وثقيراً . اللهم تداركنا برحمتك انك أرحم الراحمين ، وجد علينا بمغفرتك انك خير الغافرين

﴿ خطبة في شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة ﴾

الحمد لله الذي خلق كل شيء ، فأحسن خلقه وترتيبه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . نبي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذته صفيه وحببيه . ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه . وحرّم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . فصلى الله عليه وآله الطيبين

الطاهرين وسلم تسليماً . أما بعد فبإعباد الله اتقوا الله واعلموا أن آداب الظواهره عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطره ، والأعمال نتيجه الاخلاق ، ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ، ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية ، لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، وقد أدب صلوات الله عليه بالقرآن وأدب الخلق به ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق ، ولما أكل تعالى خلقه اثني عليه فقال تعالى (وانك لعلی خلق عظیم) فكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس ، لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه . وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، ولا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه ويضع سائر ذلك في سبيل الله ، ولا يسأل شيئاً الا أعطاه ، وكان يخفف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله ، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر . يفضب لربه ولا يفضب لنفسه . يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد . يركب ما أمكنه ويردف خلفه . يحب الطيب ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين . ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . يصل رحمه . لا يجفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر اليه . ولا يقول الا حقا . يضحك من غير قهقهة ، يخرج الى بساتين أصحابه ويعود مرضاهم ويشهد جنازتهم ، ما لعن خادماً ولا امرأة . ولا ضرب بيده أحدا الا في سبيل الله . يبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة . يكرم من يدخل عليه . حتى ربما بسط له ثوبه يجلسه عليه . وكان أفصح الناس منطقاً وأحلام كلاماً . يتكلم بجوامع الكلم . ولا يتكلم في غير حاجة . اذا سكت تكلم جلساؤه . وكان أحسن الناس نعمة . يعظ بالجد والنصيحة . وكان اذا لبس ثوباً جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً . وكان أرعب الناس في العفو مع القدرة . أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً . يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكان أزهر اللون ليس بالطويل ولا بالقصير . بين كتفيه خاتم النبوة . وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه . وبالجملة فأخلاقه الكاملة لا تحصى ، وشماله الحسنى لا تستقصى . وكل

من أصفى اليها علم علو منصبه وعظم مكانته . وقد ظهر من آياته ومجزاته ما استفاضت به الأخبار ، وكان أعظمها معجزة القرآن الكريم والذكر الحكيم . أعجز البلاء عن مماثلته في عبارته . وأفهم الحكماء عن محاكاته في عظمته وهداياته . وتشريعہ للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم مادامت الدنيا . وانتظام السعادة بالمحافظة عليها في الأولى والأخرى ، ولما لم يدع قاعدة من أصول الفضائل الا جلاها . ولا اما من أمهات الصالحات الا أحيها . ختمت النبوات بنبوۃ محمد صلى الله عليه وسلم وانتهت الرسالات برسالته . قال الله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (للخطب بقية)

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة

واللغة العربية*)

٥

وصفتان طبيتان مصريتان

(الأولى) ورد في القرطاس الطبي - الذي نقلت عنه الوصفة الطبية التي نشرت في الجزء السادس من المنار - وصفة أخرى بمعناها ، وهي الثالثة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

تميزست تمشأ عن ست لا تمشأ

بطيكا (١) ينت (٢) ويخبط (٣) على إرد (٤) التي مشأت ذكرا

(*) لعلامة الاثمار المصرية احمد بك كمال (١) بطيخ (٢) أي يلبت ، فأؤها لام ، من لت الشيء اذا دقه أو سحقه (٣) خبط يقابله في العربية شمط بمعنى خلط (٤) إرد مقلوب در وهو اللبن جعل أحد حروف المضاعفة همزة في أول الكلمة كما مر نظيره في الجزء السابع

يؤري^(١) مثل سم^(٢) تسم الست ، ان كرات^(٣) مشأت وان زعت^(٤) (٥)
لا تمشأ الى نوح^(٥)

(المعنى)

لتمييز المرأة التي تلد عن المرأة التي لا تلد — يدهق البطيخ ويخلط هلي لبن
امرأة ولدت ذكرا ويجعل طعاما تأكله المرأة المراد اختبارها فان قاءت ولدت ،
وان حصل لها رياح في المعدة لا تلد البتة

(الثانية) وورد فيه أيضا وصفة أخرى وهي الرابعة والثسعون بعد المئة وهذا
نصها ويليه تفسيره :

بطيكا يخلط على إرد التي مشأت ذكرا ويوتج^(٦) في قطاتها^(٧) فان جشأت
مشأت وان قاست^(٨) لا تمشأ

(المعنى)

بطيخ يخلط على در (أي لبن) امرأة ولدت ذكرا ويوتج في فرجها أي
يحقن فيه فان غاثت وثقايات ولدت وان وجدت في جوفها رياح لا تلد

(١) أرئى : جمع الطعام (٢) سعمه : غذاه وسعمه تسعيا : غذاؤه المسعم حسن الغذاء
والعين المعجمة لغة فيه والعين في المصرية تنوب عن العين فيقال عنى بمعنى غنى غناء
(٣) كرات يقا بلها في العربية كرمعت بمعنى أمطرت « السماء » وهنا تفيد القيء (٤) زع
فعل يقصد به خروج الريح الذي يوجد في المعدة ومنه في العربية الزعزاع وهي
الريح الشديدة (٥) نوح مقلوب حان يحين حيننا : والى حين ، اي الى دهر مديد (٦) ونج :
أعطى قليلا اي شيئا فشيئا (٧) قطة : ما بين الوركين والعجز ومقعد الرديف من الدابة
وتدل هنا على الفرج (٨) قاس اي غاث وغيث وجأش او جشأ لان القاف تقلب غينا او
جما كما ان السين تقلب تاء او شينا فيقال في العربية الدبس « عراقية » مقلوب الشدي فالسين
فيها بدل التاء وبالمصرية الشدي بالشين المعجمة ومن هنا يعلم ان التاء والشين والسين بنوب
بعضها عن بعض

عدل الاسلام

مقالة لاناكازفة مسلمة ترجمت للمؤفء عن مجلة (اسلامفك رففوف-افف مجلة الاسلامفة) الفف ففءرفف وكنف بانكفرة فنشرفنا مع ففصفف لبعض الالفاظ وهف :

اذا أخلص قلب الانسان (ضمفره) فف مطالعة فعالفم الففن الاسلامف وجرها أشء الاافان عءلا وصدقا ، وقء قفضت فعالفم هءا الففن بأن العءء فخلق مفجرا من كل فطفةة . فهو لا فرث ذنوب والفةه ، ولا فبث أءءاءه

الاسلام فعلم أهله الاستقلال الشفصف (الاعفماء على النفس) و مفجرف من نفس الانسان فكماف علفها ، فهو مفكمفه فلافص نفسه أو اهلا كها بأعماله ، فاذا عمل انفر و فمرف الصواب فنف فمار الفراء الفق ، واذا عمل سواً فمرف به

وقء قال الله فعالى فف كتابه العفرز (كل نفس بما كسبف رهفة) و ففظوف فف فمف هءه الآفة كل ما فقمضفه العءل ، لان من الظلم أن ففحمل الانسان أوزار ففره و فسئل عما اركب سواه . وقء قررف فمفم الشرائع العاءلة الفءفرة فمها الوصف أن من الظلم أن فءء أءء مفجرا بمرفمة ففره ، وهءا من أصول الشرفة المءمفة أفضا ، ولا فزال هءا المظهر مظهر السفء المسفح الفف فنظر الفه المسفحفون باعفباره الفخلص للعالم

واذا ولد الشفص من ففر ارادة فاصة ففه ، وعفر عن فرفف مواطن الصواب ، ومقاومة الفطأ ، كان فف عفاه أو ائافه كل ما ففصوره الففال من الظلم ، وكان من العبث ففخ روح العقل والضمفر ففه . ولكن فعالفم الاسلام صرفة فف أن فالف العالم - وهو رفهم الفق - فلق الانسان ارادة واففارا (وهءفناه الففءفن) وفسئل عن ففالف الفرفق الفف ففضله وسار ففه فاذا اهفءف صفا ضمفره وصفف سعاءفه ، واذا شقف وسار فف الفرفق المءوج كانت عاقبة أمره ففسرا ، ولكن الفكم على ففل صفر لا ففرق ففن الفف والسفمف لا فمكن أن فقال انه عءل . نعم انه ففس من العءل ولا من الشفعاة أن فمحمل أءء ففره فم فسئل عنها . فمف وكل الانسان بأمر نفسه فعلم وحبب الاعفماء علفها ، ومن الففممل أن العءل اذا علم بأن

غيره سيستل عما اقترفه هو أطاع هواه ولم يحترم نفسه ، فكيف يكون فخورا بمولده وحياته ؟

والجواب على هذا انه يوجد نوعان من الفخر - الفخر الوهمي الخاطيء والفخر الصحيح ، والاول منها هو فخر الفطرسة وغش النفس ، وهو مقبول الطعم يجعل صاحبه أو صاحبه ينظر الى الناس بغير العين التي ينظر بها الى نفسه ، ثم يحتقر الجار والفقير ، وهي خطيئة فظيمة طالما حض النبي صلى الله عليه وسلم على اجتنابها أضف الى هذا ان الفخر الخاطيء ، يكون مجلبة للفيرة والطمع الكاذب . ويملا أوداج صاحبه بالفخفة الخارجة عن الحد

والفرق بين هذا الفخر وبين الفخر الصحيح هو أن الذي يبذل مجهوده في أداء الواجب بارتضاء الله ومساعدة النوع البشري يثبت في قلبه حب السلام الذي لا يعطيه الله الا للمجتهدين من عباده ، واذا عمل العبد نهاية الخير لم يسأله الله أكثر من ذلك ، ولم يؤاخذة اذا قصر طوقه عما ليس في مقدور أمثاله من البشر ، وهو القائل على لسان نبيه (وما جعل عليكم في الدين من حرج)

الاسلام دين حق يعلم الناس العدل ، وأسست مبادئه على العدل ، فهو يحرم الخمر والمقامرة والزنا

تاريخ ميلاد ولدنا محمد شفيع

﴿ لصدیقی الوفی شیخ الخطباء والمحامین (وکلاء الدعای) اسماعیل بک عاصم ﴾

تاريخ ميلاد محمد شفيع نجل حضرة صديقي العزيز الاستاذ العلامة السيد محمد

رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزهراء

(بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا)

سر يا بشير التهامي للرشيد وقل

(وكوكب السعد في أفق العلاصعدا)

قد لاح نور ابنه نعم الشفيح به

أنهم بمولده أكرم بمن وُلدا

فرع نما عن أصول طاب عنصرها

كليلة القدر فيها للنفوس هدى

وكان في رمضان يمن طالعه

أب يقر به عينا وقد حمدا

محمد دام يسمو للفضائل عن

عساه يأتي بنفع مثل والده وأنه يتحرى مثله رشداً
وعاصمٌ عن رضائه عنه أرخه رشيدُ بشراك في نجل سناه بدا
سنة ١٣٣٣ ٥١٤ ٥٢٣ ٩٠ ١١٦ ٨٣ ٧

الشطران اللذان كل منهما بين قوسين هما مطلع أحسن قصيدة قيلت تهنئة
لأحد الخلفاء بميلاد ولده كما قال صاحب كتاب خزانة الأدب وقد ضمنهما هنا
أحسن تضيئين اسماعيل عاصم

* تقريظ المطبوعات الجديدة

كتاب كشف الكربة في وصف حال أهل العربة

تأليف الشيخ الامام العالم الزاهد أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي
وهو شرح لحديث « بدأ الاسلام غريباً — » وقد قام بطبعه واعتنى بتصحيحه
الشيخ أحمد محمد شاكر قطبته بمطبعة (النهضة) طبعاً نظيفاً على ورق متوسط
صفحاته ٣٠ وثمانه قرش واحد ويطلب من مكتبة المنار خاصة

كتاب المبادئ النافعة ، في تصحيح المطالعة

ألفه الاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق شيخ رواق الصعايدة بالازهر عند
ما كان مدرسا للعلوم العربية بالمدارس الاميرية . وقد قرر المجلس العالي في اللائحة
الداخلية للمعاهد الدينية تدريسه لطلبة السنة الاولى

طبع في المطبعة المصرية في الاسكندرية وصفحاته ٤٠ وثمانه قرشان
عنوان الظرف في فن الصرف

للاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق المذكور ثمنه نصف قرش
الدروس الاولى في العقائد الدينية

طبع للمرة الثانية في المطبعة السابقة الذكر سنة ١٣٢٦ هجرية وصفحاته ٤٦
بالقطع الصغير وثمانه قرش واحد

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

ومباحته هي : ١ - في حقوق الاستاذ والوالدين - ٢ - في حقوق الله تعالى
 ٣ - في حدوث العالم - ٤ - في الوجدانية - ٥ - اجمال الصفات - ٦ - أول ما يجب
 على الخلق لخالقهم - ٧ - في الوجود والتقدم والبقاء الى آخر مباحث الصفات - ١٤ -
 في الصفات والاسماء الحسنى... - ٧ - في معرفة الله وطاعته وفي بعثة الرسل وصفاتهم
 الى آخر المباحث التوحيدية المشهورة

الدروس الاولى في السيرة النبوية

طبع للمرة الثانية بمطبعة الجمالية بمصر صفحاته ٤٧ بالقطع الصغير ومباحته هي :
 نسب النبي (ص) ونشأته وبعثته وخروجه من الشعب الى دخول الانصار في
 الاسلام وبيعتي العقبة الى الهجرة والهجرة والفزوات وصلح الحديبية ومرضه (ص)
 وموته والاهتداء بهديه وخلافة الصديق وعمر وعثمان وعلي ثم دول الاسلام الكبرى
 وفي ولاية مصر من فتحها الى الآن

الدروس الاولى في الاخلاق المرضية

طبع للمرة الاولى بمطبعة جاليتي بالاسكندرية صفحاته ٤٨ بالقطع الصغير
 ومباحته هي : نصيحة الاستاذ لتلميذه ، الوصية بتقوى الله ، حقوق الله ورسوله ،
 حقوق الوالدين ، حقوق الاخوان ، آداب طلب العلم ، آداب المطالعة والمذاكرة ،
 آداب الرياضة والمشى في الطرقات ، آداب المجالس والحديث آداب الطعام
 والشراب ، آداب العبادة والمساجد وفضيلة الصدق والامانة والعفة ، المروءة
 والشهامة وعزة النفس الخ

هذه الرسائل تأليف الاستاذ الشيخ محمد شاكر الذي كان شيخ علماء الاسكندرية
 ثم وكيل مشيخة الازهر ومن كل منها ١ وتطلب من مكتبة المنار وغيرها

ديوان غصن النقا

من نظم الشاعر الذكي اللوذعي ، الشيخ رشيد مصوبع اللبناني ، طبع بمطبعة
 المقتطف سنة ١٩١٥ على ورق جيد صفحاته ٨٨ بالقطع الوسط ويطلب من مكاتب
 مصر ومن ناظمه

عرفنا الناظم من أذكي شعراء العصر، وباريس من أجل مدن العالم كما هو معلوم بالتواتر، وناهيك بشاعر ذكي عربي أم هذه العاصمة الزاهرة فجمع في مخيلته جمال التصوير المعنوي والحسي، فنظم هنالك ديواناً فاق ما نظم قبله من الدواوين جعل الناظم ديوانه هذا هدية إلى الموسيو دلكاسيه نابغة ساسة فرنسة ووزير خارجيتها وقد نظم معظمه في باريس، فن قصائده ما مدح به الموسيو بيشون والموسيو دلكاسيه ومنها ما عنوانه «باريس والجمال» و«وداع باريس» و«وصف باريس وانتقادها» و«المحل وباريس» و«باريس ووقتها» و«في مفتون في باريس» و«موحش باريس» وغير ذلك

وحسبنا نموذجاً من الديوان هذه الأبيات التي مدح بها صاحبه الموسيو دلكاسيه ناظر الخارجية الفرنسية فانها على كونها تعد من المقاطيع لا القصائد تمثل ذوق الناظم في الغزل والثناء والمدح والفخر — قال :

تحكي الامام اليازجي بطلمة	ترهو وبالقد الرشيق العادل
فاذا حزنتُ عليه قتّ مقامه	فأعدت لي فرحي بذاك الراحل
يا طرف ابراهيم اذ بك الثرى	أسفي على طرف الحبيب الذابل
قم وانظر اليوم الرشيد فانه	يختال مثل السميري المسائل
يختال في اكناف دلكاسيه النبي	هز الحسام بوجه ذلك العاهل
هذا بفضلك يا حبيب ولم اصل	لولا التفاتك للوزير الفاضل
قلدتني سيف البيان فكان لي	يوم المتى أمضى جميع وسائله
ان كان بدر الوجه عني أفلا	فبدور علمك في غير أوافل
حاكك في الشكل الوزير ودونه	في ود قلبك كان خير مشا كل
فرنا الي بأعين مملوءة	عطفاً علي وكان اكرم باذل
وأجل منزلتي وأعجب بي كما	أعجبت بي وأشدت بي بمحافل
ان كان ركن العلم مال فلاهوى	ركن السياسة والعلى والنائل

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي وه مناراه كنار الطريق

مصر ٢٩ ذي القعدة ١٣٣٣ - ١٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٤ هـ ش ٩ أكتوبر ١٩١٥

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد على أبو زيد
الطاب بكية دار الدعوة والارشاد

٣

فها أنت ذاقده سمعت من الآيات ما يدلك على أن مانع الزكاة مشرك بالله ، لأنه آثر المال على الله^(١) وكافر بيوم المعاد ، لأنه لو كان عنده جزم بل ظن به لجمه على الانفاق ، فلا إخالك تشك في أنه محروم من الجنة ، وان (مأواه جهنم وبئس المصير) وهالك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الدالة على ما قلنا ،

المؤيدة لما ذكرنا

أخرج ابن عساكر عن رسول الله (ص) أنه قال « أقسم الله تعالى ألا يدخل الجنة بخيل » وفي رواية للخطيب « يحلف الله بعزته وجلاله ألا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل »

وأخرج ابن أبي شيبة وهناد والنسائي والحاكم والبيهقي عنه (ص) « لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وفي رواية لابن عدي : « لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا »

(١) المنار : مثل هذا القول لا يمكن جملة على الشرك في الاعتقاد وإنما هو من

باب حديث « تعس عبد الدينار » وباب (أفرايت من اتخذ إلهه هواه)

فهذا رسول الله (ص) المبين للدين، الناطق عن الله، أراك أن البخل لا يدخل الجنة، ولم يأت بالخبر الا مؤكدا بالقسم عن الله تعالى ولا يخفى أن البخل خلق في النفس يمنع صاحبه من بذل فضله لمن يحتاج اليه. والشح أشد من البخل، فهو أكثر منعا منه لصاحبه، وكلاهما ضد للايمان الذي يحمل صاحبه على بذل روحه في سبيل ربه، فضلا عن بذل ماله وفضله، فكيف يكون المانع للزكاة مؤمنا وهو لم يمنع الزكاة الا حرصا على المال، وايقارا له، وشحابه على الله؟ فلا شك في كفره وحرمانه من الجنة كما أخبر الله ورسوله

وهنا ربما تقول: أتيتنا بآيات في الصلاة وصفت تاركها بالشرك والكفر والنفاق، ولم تصف آيات الزكاة مانعها الا بالشرك والكفر فقط. فأقول لك: قد جاء في القرآن أيضا وصف المنافقين بمنع الزكاة. قال عز شأنه في سورة التوبة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) فقبض اليد هو امساكها عن الانفاق الواجب من زكاة وغيرها، وقد علمت حال المنافقين ودرجتهم مما سبق، فلا حاجة الى الاعداء، والى هنا تنتهي من أدلة الزكاة وحدها واني أتلو عليك آيات في الصلاة والزكاة مما

(قال) الله تعالى في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى ان قال: وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فانظر كيف جعل البر الايمان بالله واليوم الآخر، وإقام الصلاة واتباء الزكاة والوفاء

بالعهد، والصبر في الشدائد. وتراه قد ابتدأ بالإيمان وعقبه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لانهما تابعان له، لا ينفكان عنه، ثم ذكر بعدهما الوفاء بالعهد والصبر في الشدائد، وهما من الاخلاق التي تدعو اليها الصلاة، وتثبتها في النفس، وقد عرفت ذلك فيما تقدم من الحكمة

ولما كان الإيمان يستلزم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما يتبعهما من الاعمال والاخلاق، وكان محالاً—بحسب سنة الله تعالى— أن يوجد الإيمان في قلب المرء ويستقر من غير أن يحرك الجوارح لتلك الاعمال، ذيل الآية بقوله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » أي أولئك الذين أقاموا الصلاة فأتوا بها معدلة مقومة، وآتوا الزكاة لمستحقها بنفس طيبة، واتصفوا بهذه الاخلاق الفاضلة، هم الذين صدقوا في إيمانهم، وهم الذين فعلوا ما يقيهم عذاب ربهم، دون غيرهم. وهذا نص صريح في أن من يدعي الإيمان من غير أن يكون مصلياً لله مزكياً، تكون دعواه باطلة كاذبة، اذ لم يأت عليها من أعماله بشاهد أو بينة^(١)

وقد قضت حكمة الله تعالى أن يكون الإيمان حياة الروح، كما أن الدم حياة للجسم، وكلاهما يحتاج الى ما يمدده ويقويه، فكما أن الدم يطلب بطبيعته أن تأتي له الاعضاء بمواد تجهزها له، وتمده بها ليقوى ويزاد صلاحاً لتقوية الجسم على حاجاته، كذلك الإيمان يطلب عملاً صحيحاً تقوم به الجوارح من الصلاة والزكاة وغيرهما ليغذيه ويزيده قوة فتقوى بقوته

(١) المنار: الاستدلال بعدم الاتيان بالبينه وباستلزام الإيمان للعمل يجادل فيه المشتغلون بالعلم بقولهم ان عدم الاتيان بالدليل لا يقتضي عدم المدلول وعدم البينه لا يقتضي كذب الدعوى، وعدم الملزوم يقتضي عدم اللازم دون العكس، ويعدون هذا الاستدلال من الخطايات. وستعلم ان له وجهاً صحيحاً

الروح ، وتستعد بزيادته النفس لأن تكون ملكية صالحة لجوار الله تعالى ،
وأهلاً للتمتع بجناته ورضوانه

وهذا هو السرّ في أن الايمان متى قام بالنفس صرف الجوارح في
العمل حتماً ، وأن الايمان لا يوجد في قلب امرئ لا يصلي أو لا يزكي ،
كما سمعت من الآيات التي تقرن الايمان بالعمل على الدوام ، وتكذب
من يدعي الايمان ولا يعمل ، لانه لو كان صادقاً لاتي بالصلاة والزكاة التي
تصدقه وتشهد له ، وقد علمت أن غير الصلاة والزكاة من الفضائل هو تابع
لها بالضرورة ، ولذلك تجدد الآيات تقرنهما بالايمان ، وتذكر غيرهما بمدحها ،
وفي كثير من الآيات يستغنى بذكرهما بعد الايمان ، للإشارة الى ذلك
(قال) تعالى في وصف المؤمنين في سورة النساء (والمؤمنون يؤمنون
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً)

س لم قال (والمقيمين) فأتي بها منصوبة على غير المألوف لنا من
قواعد النحو في العطف ؟

ج لتبنيه الذهن ، فهو تخصيص يظهر لك به قيمة المقيم للصلاة ، وتأکید
للناية بها ، اذ هي الاصل للفضائل كما أسلفنا ، والناحية عن الفحشاء والمنكر ،
وقد أردفها بأختها الزكاة ، وجعلهما معاً وسطاً بين الايمان بالكتب المنزلة
من السماء ، وبين الايمان بالله وبالجزاء ، ليفيد أنهما مظهر الايمانين ، وأن
المؤمن لا بد أن يتصف بالصفتين

و كأنه يقول : ان من لم يتحل بالصلاة والزكاة ، لا يكون مؤمناً
بالله ، ولا خائفاً من عذاب الله . اسمع قوله تعالى في سورة النور (في

بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) الآية

نجد أنه جعل خوف هؤلاء الرجال من يوم القيامة وهوله ، وما يلاقونهم هناك من حسابه ، سببا في ذكرهم ربهم ، وإقامة صلاتهم ، وإيتاء زكاتهم ، كما أن فعلهم الصلاة والزكاة نتيجة ثقتهم بأن الله يشكرهم على فعلهم ، ويمتعمهم بثمره أعمالهم ، فالآيات تنادي بأن من لم يقم الصلاة ولم يؤت الزكاة لا يخاف ذلك اليوم - يوم الدين ، ولا يثق بثواب رب العالمين ، إذ النفس مفطورة على فعل الشيء متى ترجح لها فيه الخير ، والابتعاد عنه إذا علمت منه الضرر ، وهذه قاعدة نفسية ، تجري عليها جميع الأعمال البشرية ، فمن ادعى خلافها فهو كاذب . ألا تراك حين تعلم أنك إذا وضعت يدك في جحر الثعبان فإنه يلدغك ، أو أكلت طعاما فيه سم فإنه يقتلك ، لا تستطيع بحسب فطرتك أن تقدم عليه البتة ، اللهم إلا إذا زال من نفسك هذا العلم بالضرر ، أو أصابك شيء في العقل فترجع لك النفع في الموت ، ولكن مادام العقل سليما ، والضرر صريحا ، فإنك لن يمكنك الإقدام عليه ، فارجع الى وجدانك ، وحقق منه ذلك ، فإنك لا تشك في أن تارك الصلاة ومانع الزكاة ، لم يمنعه من أدائهما ، إلا ما قام بنفسه من ترجيح الخير في تركهما ، وعدم يقينه بأن سيعذب على عدم المبالاة بهما ، ولو قرأت قوله تعالى عقب هذه الآية مباشرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الآية - لرأيت انه يقابل الآية التي قبلها ،

ومن المعلوم في سنة القرآن أن يذكر الكافرين ، في مقابل المؤمنين ،
فيريك أن من يتخلى عن تلك الصفات إنما هم الكفار ، ولا بد للمؤمنين
من الاتصاف بها ، فبها يعرفون ، وبها يميزون

(قال) تعالى في سورة المؤمنين (قد أفلح المؤمنون * الذين هم في
صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون)
جعل الفلاح للمؤمنين الخاشعين في صلاتهم ، الفاعلين لركابهم ، فأفهم
الآ فلاح لغير المؤمن ، كما أنه لا إيمان لمن لا يصلي خاشعاً ، ويزكي عبداً
س عهدنا من القرآن أن يذكر الزكاة بعد الصلاة من غير فصل ،
فلماذا فصل بينهما هنا بقوله « والذين هم عن اللغو معرضون » ؟

ج لينبهك الى نكتة جميلة ، وحكمة جلية ، وهي ان الصلاة التي
ليس فيها خشوع لا يعابها ، وأنها لغو يتزده المؤمنون عنها ، فليكن لك
من كلام الله عبرة ، ترجع فيما تطالبك به نفسك اليه ، وتقيس أخلاقك
وما تأتي به من الاعمال عليه ، فمالك من قسطاس مستقيم يزن الاعمال
بالضبط غيره ، ولا مقياس صحيح يحدد الصفات بالحق سواء (هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق — ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون)
(وقال) تعالى في سورة النمل (طس * تلك آيات القرآن وكتاب
مبين * هدى وبشرى للمؤمنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم بالآخرة هم يوقنون)

(وقال) في سورة لقمان (ألم تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى
ورحمة للمحسنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

تراه هنا قد حصر الفلاح فيهم؛ وأفادك أسرا آخر وهو أن الصلاة والزكاة مع ملازمتها للايمان بالآخرة، قد يأتي بهما المرء عن غير داعية الايمان، إما للرياء أو الاكراه. وحينئذ لا يكون له حظ في هداية القرآن، ولا البشرى بالجنة والرضوان، ومن كان هذا حاله، لا تنفعه صلاته، ولا تقبل منه تقفاته

(قال) تعالى في سورة براءة (وما منهم أن تقبل منهم تقفاتهم ألا أنهم كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون * فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ويزهق أنفسهم وهم كافرون)

أنزل الله ذلك في شأن المنافقين الذين لم تكن صلاتهم عن ايمان فينشطوا اليها، ويرتاحوا بها، ولم تكن تقفاتهم عن اخلاص فينفقوا عن طيب نفس ورغبة في القبول، فبذلك كفروا، وجعل الله أموالهم وأولادهم فتنة لهم، ووبالا عليهم، وسينتقم منهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) من عيوب الشرك والنفاق

هذا وقد تضافرت الآيات الناطقة بأن الصلاة والزكاة هما علامتا الايمان بالله، ودليلا الاخلاص له، وأنه لا يصح ايمان بدونهما، كما أنهما لا تقبلان من غير أن يكون الايمان باعنا عليهما، وها أنا ذا أزيدك على ما تقدم منها ما تقطع بعد تدبره بان تارك الصلاة ومانع الزكاة لم يمسه الايمان قلبه

قال العزيز الحكيم في سورة السجدة الم (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون * تتجافى

جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) (وقال) تعالى في سورة الانفال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * اولئك هم المؤمنون (حقا) وقد أتى في الآيتين بلفظ «انما» الذي يدل على الحصر، كأنه يقول سبحانه إنه لا يوجد الايمان الصحيح الا فيمن يكون هذا شأنهم، وتلك صفاتهم، فمن لم يهتز قلبه لذكر الله، ولا يخضع ويدعن لاوامره، فيرجو ثوابه، ويخاف عقابه، فليس بمؤمن وإن سعى نفسه مؤمنا، لان المؤمن يدور دائما بين خوف ورجاء، فخوفه عذاب ربه يزجره عن المنكرات، ورجاؤه ثوابه يدعو به الى المسارعة في الخيرات، فمن لم يك كذلك فاعتقد كذبه في دعوى الايمان، وحسبك شهادة الله لمن يقيم الصلاة ويعطي الزكاة بعد ما تقدم بقوله (اولئك هم المؤمنون حقا) بالحصر المؤكده بالحق . فهل بعد هذه أدلة، تشفي من الغلة، أو ينتظر برهان، أرقى من القرآن؟ ولنختم الموضوع بآيات أخرى ودلائل، لاتدع بعدها قولا لقائل فتلو قول الله الكريم (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) الآيات، ففيها يقول الله للمسلمين (فاذا انسلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وفيها يقول (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) — الى أن قال — لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون * فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)

أمرهم بالألّا يعتدوا بتوبتهم من الشرك والاعتداء الا اذا اتبعوا التوحيد باقامة هذين الركّنين للدين ، لانهم بهما يصيرون مسلمين متأخين ، وعلى هذا سار الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، وقتال الخليفة أبي بكر باجماع الصحابة لما نهي الزكاة ، وعده إياهم خارجين بتركها مشهور ، وبه علم أن الاسلام أركانه متضامنة ، لا يقام الا باقامتها جميعها ، وينهدم بهدم أي ركن منها، وقد عزز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بالحديث الذي خرجه الامام أحمد^(١) « أربع فرضهن الله في الاسلام فن جاء بثلاثة لم تفنن عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت » وقد علمت مما تقدم أن من يقيم الصلاة بالخشوع ، ويؤتي الزكاة بالاخلاص ، لا يسهه أن يترك غيرها من الفروض ، ولا يمتنع عن تقوى الله ما استطاع ، ولذلك اختصرنا عليهما اذ يوشك أن تضيع كل فضيلة بضياعهما ، وعدم المبالاة بهما فاتقوا الله يا معشر المسلمين ، واعلموا أنكم لستم بما جورين ، حتى تحذوا حذو سلفكم الصالحين ، فتكونوا بالصلاة والزكاة أمرين مؤتمرين وعلى يد التاركين لهما ضارين ، (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) تنعاونون على نشره ، وتنتكثون في احياء شعائره ، فتعملون كلمته ، وتجنون ثمرة

هذه نصيحتي أقدمها اليكم ، عسى أن تكون وسيلة لديكم ، فتطلبوا

الحق من القرآن ، ولا تستبدلوا التقليد بالبرهان

محمد علي أبو زبير

هداني الله واياكم

[المنار] عنوان هذه الرسالة والكثير من عباراتها مخالف في ظاهره لمذهب أهل السنة في عدم تكفير المسلم بترك فريضة أو فعل معصية، وموافق لمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة كترك أحد أركان الإسلام أو اقرار القتل أو الزنا أو شرب الخمر، وقد تعارضت ظواهر نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب فأطلق اسم الكفر في بعض أحاديث صحيح مسلم على ترك الصلاة وعلى الطعن في النسب والنياحة على الميت وفي حديث الصحيحين «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (وفيها) إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» وقال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسماها مؤمنين . وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجمع أهل السنة بين هذه النصوص وأشباهاها بأن لفظ الكفر — ومثله الفسق والظلم — ورد في الكتاب والسنة بالمعنى اللغوي فأطلق على كفر النعمة وعلى الشرك وما في معناه من منافيات الايمان بالله ورسوله وتصديق ما جاء به الرسول (ص) عن الله تعالى . وكذلك الفسق والظلم — قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) والكاغرون هم الظالمون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) فهذا الفسق دون ما قبله . وكذلك لفظ الشرك وهو أقبحها . أطلق على مادون اتخاذ إله مع الله فسمي الرباء شركاً وجملة القول ان أهل السنة لا يكفرون أحداً من المسلمين بمعصية يرتكبها فعلاً كانت أو تركاً وان كانت من الكبائر ، الا أن بعض أئمة أهل السنة من الصحابة والتابعين قالوا بكفر تارك الصلاة كما تقدم في تعليقنا على حديث مسلم في أول هذه الرسالة، وأطلق جمهورهم كلمة «المرتدين» على مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول (ص) كما أطلقوه على من رجعوا عن الإسلام الى الشرك أو الايمان بنبوة الكذابين مسيئة والاسود العنسي ، ولكن قال علماء السنة ان الذين منعوا الزكاة تأولوا بأن أخذها خاص بالنبي (ص) لم يسموا مرتدين الا بالتبع لغيرهم أو بمعنى الارتداد اللغوي . وان الاجماع انعقد في عهد الصحابة بأن من منع الزكاة متأولاً — ومثله من جحد ما في معناها وحكمها — تقام عليهم الحجة أولاً فان اعترفوا بوجوبها ولم يؤدوها لا يحكم بكفرهم بل يقاتلون قتال البغاة لا الكفار، كما قاتل الصحابة الخوارج ولم يكفروهم ولا عاملوهم معاملة الكفار في القتال

هذا — وان وراء هذه المسألة بحثاً آخر وهو : انه لا يعقل أن يكون المرء مؤمناً بالله تعالى و برسوله و باليوم الآخر على الوجه الحق الذي دعا اليه القرآن ، و مسلماً مدعناً في ظاهره و باطنه لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يترك الصلاة التي هي عماد الاسلام وركنه الاعظم للعبادات الشخصية ، و الزكاة وهي ركنه الاعظم الذي تقوم عليه حياته الاجتماعية ، غير مبال بنصوص الكتاب و السنة التي قرنتها بالايمان ، و عدتهما أعظم أركان الاسلام ، و قد عد السلف العمل بما أمر الله و رسوله داخل في مفهوم الايمان ، و الاذعان شرط لصحة الايمان بالاتفاق . و كيف يكون مدعناً من لا سلطان للامر و النهي على قلبه ، و لا يظهر لها أثر في عمله ؟

لقد أحسن من عبر عن المسألة بقوله « لانكفر أحداً من أهل القبلة » أي من ثبت إسلامه باذعانه لما جاء به نبينا ، بأن كان يصلي معنا الى قبلتنا ، و يلتزم أحكامنا و شعائرناء ، فاننا لانحكم بكفره لذنب يقترفه بجهالة كثورة غضب ، أو نزوة شهوة ، أو فريضة يتركها بشغل عارض ، أو برد قارس ، ثم يتوب من قريب ، إذعانا لمقتضى الوعد و الوعيد (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم) و الذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، و من يغفر الذنوب الا الله ؟ و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعملون) لا ايمان لمن لا اذعان له ، و لا اذعان لمن لا اسلام له ، و لا اسلام لمن لا عمل له ، و أعمال الاسلام قسمان أو كان كأركان البيت يتوقف عليها وجوده ، و واجبات و مندوبات يتوقف عليها كماله ، فهذا هو الاسلام الديني و هناك اسلام آخر هو عبارة عن جنسية سياسية أو اجتماعية تنال بالوراثة أو بالانتماء الى قوم يسمون مسلمين ، و هذا الاسلام لا يشترط فيه العلم بعقائد الاسلام الديني و لا القيام بأركانه و شعائره الظاهرة ، و لا ترك محرماته المجمع عليها و لا استباحها ، و لا ينافيه إنكار شيء من القرآن و لا استباح شيء من شرعه كتحریم تبرج النساء و الخمر و القمار ، و إنما يعرف بالاسم و بمشاركة المسلمين في بعض احتفالات أعيادهم و مواسمهم المشروعة و المبتدعة ، و بعدم التزام شعائر دين آخر . و اتنا نرى بعض الملاحدة من هذا الجنس يريدون هدم الاسلام الديني بالاسلام الاصطلاحي الجنسي ، حتى انهم يبيعون جحد المجمع عليه المعلوم منه بالضرورة و أولئك هم المرتدون المناقون

مكتبة دار البحوث والدراسات

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١١

أنواع أمراض الاحياء الطفيلية الميكروبية

هذه الامراض نوعان : منها ما عرف ميكروبه باليقين ، ومنها ما لم يعرف الى الآن. ومن أسباب ذلك أن جميع المجاهر أو النظارات المكبرة (الميكروسكوبات) الحالية لا تكشف الا ما يبلغ طول قطره ١٦ و٠ من الميكرومليتر أو أكثر . أما ما قل عن ذلك فلا يمكن رؤيته الى الآن مطلقا ويسمى [بما وراء المجهر] (Ultra-microscopic) وهذه الميكروبات تمر خلال أحكم النواضح (المرشحات) مثل ميكروب الكلب وجدري البقر

أما الميكرومليتر المذكور هنا - ويسمى أيضا [المكرون] - فهو جزء من الف من المليمتر، ويرمز اليه بهذه العلامة (μ) في الافرنجية وبحرفي (مك) في العربية والميكروبات المعروفة اما نباتية أو حيوانية - كما سبق -

الامراض التي تنشأ من الميكروبات النباتية

الحُمى التيفودية Typhoid Fever

لفظ التيفود يوناني معناه [شبه التيفوس] ومعنى كلمة [تيفوس] الصاعقة،

سميت بذلك الحُمى المعروفة لأنها تصعق المريض

(المجلد الثامن عشر)

(٨٥)

(المنار: ج ٩)

هذه الحُمى من الحميات الشهيرة المعدية وتمتلك عادة نحو ثلاثة أسابيع ، وقد يُنكس فيها المريض مرة أو أكثر . وأهم مميزات طفح قرنفلي واسهال مع التهاب وتقرح في بقع (بايير) وفي الغدد المنعزلة للأمعاء . ولاصابة الأمعاء فيها بالتقرح تسمى أيضا بالحُمى المعوية

الأسباب — هذه الحُمى لا تميز الا قليلا بين الذكر والانثى ، ولكن للعمر تأثيرا كبيرا فيها فهي تكثر في سن الشباب الى ٣٠ سنة وبعد ذلك تقل كثيرا غير انها قليلا ما تصيب الاطفال والشيوخ ، واذا أصابت الاطفال كانت الاصابة خفيفة ومدتها قصيرة ، واضرارها بالأمعاء أقل مما في الشبان

تكثر هذه الحُمى بين شهري أغسطس ونوفمبر ، أو في فصل الحر والجفاف . واذا أصيب بها المرء مرة وقته من الاصابة بها مرة أخرى . وميكروبيها من الشكل الباسيلي ، كثير الحركة باهدابه ، طوله ميكرونان أو ثلاثة ، ويتكاثر بالانقسام ، ولا حبيبات له . ويوجد بكثرة في البراز وفي البول^(١) وفي اللعاب أيضا (في المضاعفات الرئوية) وفي العرق ، ويوجد كذلك في قيح الخراجات التي تنشأ من هذه الحُمى . وقد ينتقل من الام الى جنينها

فاذا وصل هذا الميكروب الى أي شيء مما يأكله الانسان أو يشربه انتشر المرض بين الناس . والذي اكتشفه هو [ايبيرت Eberth] سنة ١٨٨٠ وهذا الميكروب يعيش حتى في الثلج ولا يقتله عصير المعدة الحامض ويقاوم درجة ٤٤ الى ٥٠ سنتيجماد مدة طويلة جدا ، ولذلك قد يصل الى الانسان من مثل القشدة المتلوجة وغيرها ، ويدخل هذا الميكروب كثيرا في الاسماك الصدفية أي المحار (كأم الحلول) التي تؤكل عادة بلا طبخ ويعيش فيها الميكروب وهي حية لغاية ١٨ يوما بدون أن يظهر عليها عرض مّا . واذا جف الطين وصار بحيث تثيره الريح عاش الميكروب فيه ٢٥ يوما فينتقل بذلك الى طعام الانسان وشرا به . وكذلك الذباب ينقله أيضا . وقد يعلق هذا الميكروب بالخضروات كالفجل والجرجير ونحوهما مما يؤكل

(١) وجوده في البول كثير خصوصا في الاسبوع الثالث وفي طور النقاهة بل بعدها

غضا، فكل هذي الاشياء هي مما ينقل المرض من شخص الى آخر . وكثيرا ما تلوث الآبار أو الانهار أو أنابيب المياه من المراحيض التي يلقي فيها إفراز المرضى . وقد ثبت انه يعيش في قذارة المراحيض من ٣ الى ٥ أيام ولكن يوجد في هذه المواد القدرة من الميكروبات ما يقتله بعد ذلك

وإذا عرض هذا الميكروب لنور الشمس مات بعد ٤ ساعات وقد يبقى الى ٨ ساعات ، وإذا وجد في الأرض محتبئا عاش شهرين كاملين ومن الناس من يحمل هذا الميكروب في جسمه عدة أشهر بل عدة سنوات بعد الشفاء من الحمى ويكون سببا في عدوى الكثيرين ببوله وبرازه (١) ومن المحقق ان المراءة هي غالبا مسكن الميكروب في هؤلاء الحاملة (خصوصا من النساء) وفيها يتكاثر بعد الشفاء (راجع صفحة ١٦ و ١٧ من هذا الجزء)

والطريق الوحيد للعدوى بهذا المرض هو الجهاز الهضمي فاذا وصل الى أي جزء منه — كالفم مثلا — اذا ذرته الريح فدخل غباره في جوف الانسان فمن الجائز أن يصاب بهذا المرض، وان كان الغالب في العدوى ان يزدردده الانسان في الطعام أو الشراب الاعراض — مدة التفريح تكون في أكثر الاحوال نحو أسبوعين وقد تكون ٥ أيام فقط أو ٢٢ يوما . ويبتدىء المرض بإحساس المريض تدريجيا بضعف وتكسر في الجسم ويسأم العمل ويشعر بصداع وآلام في الاطراف والظهر وبالاقهاء (فقد شهوة الطعام) وقد يحصل له غثيان أو قيء . وفي أغلب الاحوال لا يمكن للمريض أن يعين بالضبط مبدأ هذه الاعراض — بخلاف بعض الحميات الاخرى التي تبتدىء فجأة — ويكون الصداع شديدا (وأكثر شكوى المريض منه) وفي كثير من الاحوال يحصل له إسهال . وقد يحاول المريض في أول الامر أن لا ينقطع عن عمله الا أنه في أواخر الاسبوع الاول يضطر الى ذلك وياجأ الى الفراش . وكذلك تبتدىء الحرارة بالتدرج حتى تصير بعد أيام قلائل نحو ٤٠° ويسرع النبض وتزداد مرات التنفس . وفي نحو اليوم السابع أو العاشر يكون عند المريض

(١) خروج الميكروب مع البراز ليس متتابعا بل متقطعا فاذا وقف زمنا ما فقد يعود ثانية ، ولذلك فمن المتعذر القطع بطهارة الحامل منه وعدم عدواه لغيره

ذهول وضعف شديد و يمتحن خداه و يحف اللسان ولا يزال يشتكي من الصداع .
ويحصل له أحيانا عرق غزير أو رعاف . ومن اليوم السادس الى اليوم الثاني عشر
يظهر الطفح القرنفلي المخصوص وهو نقط أو بقع صغيرة وردية مستديرة مرتفعة قليلا
عن سطح الجلد تزول بالضغط عليها ولا يحصل فيها نزف كما في التيفوس ، وتشاهد
هذه النقط على البطن والصدر وقد ترى أيضا على الجنبين والظهر أو العضدين
والفخذين ، ويتراوح عددها بين ٦ الى ٢٠ أو ٣٠ وقد تزيد على ذلك بكثير .

وفي بعض الاحوال لا يكون لهذا الطفح وجود — خصوصا في مصر — وهو
لا يظهر دفعة واحدة بل تدريجيا ، وتمك كل نقطة ٣ أو ٤ أيام ثم تزول ويخلفها
غيرها حتى نهاية الاسبوع الثالث أو بعده . وبعد الموت تزول هذه النقط
وفي الاسبوع الثاني يكون البطن منتفخا وبه آلام ، وبالضغط على الحفرة
الحرقفية اليمنى يشعر المريض بالألم القليل ، وقد يحس الطبيب بقراقر مخصوصة ، ويشتد
الاسهال ، ولكن في بعض الاحوال — خصوصا في مصر — يكون البطن معتقلا
من أول المرض الى آخره ، وللبراز في هذا المرض رائحة كريهة مخصوصة ولون أصفر
يشبه حساء (شوربا) العدس المصري . وقد يحصل نزف من البطن يكون سببا
في الموت أحيانا . ويكثر الطحال ويقل البول

أما الصداع فانه لا يمك عادة بعد اليوم العاشر وقد يصاب المريض بالصمم
الوقتي . وفي أواخر الاسبوع الثاني تبتدى الحرارة في النزول تدريجيا حتى تهير
طبيعية . هذا في الاحوال الحسنة

أما في الاحوال السيئة فيشتد الهذيان والتمعاس الذي تعقبه الغيبوبة ، ويحصل
الاهتزاز الوتري ، وتجتمع الاوساخ على الاسنان والشفتين وغيرها ويضعف القلب
ويكثر السعال ويعسر الشفاء

وقد ينكس الانسان بعد الشفاء من هذا المرض ، فانه لوحظ أن نحو من ١١
مرضا في المئة ينكسون ، وقد تكون الفترة بين المرة الاولى والثانية ١١ يوما . وفي
الغالب تكون مدة النكس مثل المدة الاولى في طولها ولكنها أخف منها ، وقد ينكس
ثانية وثالثة ورابعة

وأهم تغير يحصل في الجسم بهذا المرض هو التهاب بقع (بايير) المذكورة والغدد المنعزلة. وفي اليوم العاشر أو بعده بقليل تتقرح هذه الاجزاء وقد ينقب البريتون فتحرق الامعاء ويحصل التهاب بريتوني شديد يعقبه الموت. أما التغيرات في بقية الاعضاء فهي كما ذكر سابقا في المقدمة، وكثيرا ما يشاهد في التيفود اذا طالت مدته تغير العضلات الذي ذكره [Zenker] فتستحيل اليافها الى مادة شفافة كالشمع ثم تنفتت وتصبح حبيبات صغيرة وبذلك تفسد العضلات وقد يتولد فيها خراج

المضاعفات والاشكال المختلفة - مضاعفات هذا المرض كثيرة منها النزلة الشعبية والالتهاب الرئوي أو البليوراوي أو الپريتوني أو السحائي، وغير ذلك كثير ومن أنواعها ما لا يمكث الا عشرة أيام ويسمى بالنوع المجهض [Abortive] أو يطول الى ٦ أسابيع. ومن الناس من لا يشعر بالمرض لشدة خفته ولكنه قد ثقب أمعاؤه فجأة فيموت. واذا شفي المريض لا تعود اليه قواه العقلية والجسمية الا تدريجا فيحتاج في الاحوال البسيطة الى ثلاثة أشهر من مبدأ المرض الى تمام نقاهته، أما في الحالات الشديدة أو المتضاعفة أو ذات النكس فيحتاج الى ٥ أو ٦ أشهر من مبدأ المرض

الانذار^(١) - عدد الوفيات بهذا المرض هو من خمس الى عشرين في المئة. ومن أشد الأشياء خطرا على الحياة ثقب الامعاء والنزف

المعالجة - هي كما سبق في باب الحميات، انما نذكر هنا بعدة مسائل (١) أن لا يعطى المريض مسهلا الا في أول المرض، وأفضل المسهلات عندئذ زيت الخروع، ولا يجوز بحال من الاحوال اعطاء مسهل شديد البتة (٢) يجب التزام الراحة التامة على الظهر حتى يتبرز المريض في اناء مفرطح منعا لكل حركة ويجب بقاء المريض على الغذاء السائل مدة ١٠ أيام على الاقل بعد نهاية المرض. والغرض من ذلك كله منع الانتقاب والنزف (٣) من اطباء من يعطي أدوية مطهرة للامعاء

(١) لفظ اصطلاحى يراد به الانباء بمصير المرض، وذلك مبني على ما يذكر في الكتب

الطبية - تحت هذا العنوان - من الاحصائيات والمشاهدات ونحوها

(كالسالول) والزئبق الحلو بمقادير صغيرة ، ولكن نفع هذه الاشياء قليل ، وغاية الامر انها قد تقلل الاسهال والرائحة الكريهة للبراز (٤) اذا زاد الاسهال عن أربع مرات يوميا وجب العلاج والا فلا (٥) لأبأس من شرب الماء بكثرة فانه منعش ويفسل سموم الجسم في العرق والبول . وماء الجير نافع جدا اذا مزج باللبن فانه يسهل هضمه ويمنع الفتيان والقيء ويمسك البطن ويقوي خلايا الجسم ، فان الجير لازم لحياة جميع الخلايا (٦) يعالج الصداع بوضع الماء المثلوج على الرأس أو بتعاطي الفيناستين (بقدر ٥ - ١٠ قمحات) أو غيره

للوقاية - (١) تطهر جميع مواد البراز والبول وغيرها بوضع مثل الفنيك عليها بنسبة ٥ في المئة لمدة ساعتين على الاقل قبل القائها في المراحيض
(٢) يغلى كل ما يستعمله المريض من ملابس وفرش وأواني وغيرها مدة نصف ساعة على الاقل

(٣) يجتنب إلقاء أي شيء مما يخرج من المريض أو يمسه في مجاري ماء الشرب أو تركه مكشوقاً بحيث ينقله الذباب أو الريح ، بل يجب تغطية أواني البراز أو البول بخرقة مغمسة بمحلول الفنيك - بنسبة ٥ في المئة أيضا - منعاً لانتقال الميكروب بواسطة الذباب الى أهل المنزل

(٤) يجب غسل يدي كل من خالط هذا المريض بالماء والصابون ثم بمحلول السليمانى ١ في ١٠٠٠ أو بمحلول الفنيك أو بالغول (الكحول) النقي بوضعها فيه خمس دقائق قبل أن يمسه أي شيء من طعامه

(٥) في وقت انتشار هذا الوباء يجب غلي كل طعام وشراب . وأحسن طريقة لتطهير الخبز ونحوه امراره في لهب الكحول أو وضعه على الفحم الملتهب ، وينبغي أيضا الامتناع عن أكل الخُضْر كالفجل والجرجير والفاكهة الا اذا غسلت جيدا بالماء الغالي وأزيلت قشورها وكذلك يجب اجتناب أكل الحيوانات البحرية المدكورة سابقا واللبن المثلوج

(٦) يلقح السليم بالحقن تحت الجلد بميكروب الحمى التيفودية بعد قتله ، وذلك بأن يربنى ميكروب التيفود لمدة ٤٢ ساعة ثم يوضع في محلول ملح الطعام ١ في ١٠٠

ويقتل بعد ذلك بحرارة درجتها ٥٣ سنتيجراد لمدة ساعة وليحترس من رفع الحرارة أكثر من ذلك لأنها تفسد مادة التطعيم، ويحقن المريض مرتين بينها فترة عشرة أيام. وعدد الميكروبات التي يجب أن تحقن في المرة الأولى نحو ٥٠٠ مليون وفي الثانية نحو ١٠٠٠ مليون، ويوصي بعضهم بحقنة ثالثة من ٢٠٠٠ مليون. وللحقن في زمن انتشار الوباء عيب وهو ان القابلية للمرض تزداد بعد الحقن لمدة قصيرة فيكون الانسان فيها عرضة للاصابة. وأحسن الاوقات للحقن ما كان قبل قيام المسافر ونحوه الى مكان الوباء بيضعة أيام

(٧) تطهر الاواني اذا تسر عليها بمحلول حامض الكبريتيك — بنسبة ٢ في المئة — ومزيتة أن الآثار التي تبقى منه لا تضر صحة الانسان مطلقا بل ان طعمه الحضي مما يجرض شهوة الطعام ويعين على الهضم

(٨) لا يجوز للناقين التبول أو التغوط في الطرقات، ولذا يجب تقصير الثياب وخلع المرء نعليه عند دخوله حجرات منزله. ولا يخفى أن من آداب الاسلام تقصير الثياب فان في اطالتها اسرافا وخيلاء وضررا صحيا عظيما

(٩) تتقى مخالطة الناقين مدة ثلاثة أشهر على الاقل أو الى أن يظهر البحث البكتيريولوجي طهارتهم من الميكروبات تماما بعد عمله عدة مرات متباعدة والا وجب منعهم عن مس أي طعام أو شراب وتطهير أيديهم وملابسهم وفرشهم أو مفرزاتهم دائما وغلي كل طعام أو شراب مسوه قبل تناوله

طريقة فيدال لتشخيص الحميات

Widal's Test

هذه الطريقة مبنية على أن مصبل دم المرضى بالتيفود يبطل حركة ميكروباته في بضع دقائق ثم يتراكم بعضها على بعض فيتكون منها أكوام وذلك ما يسمى بالافرجمية [Agglutination] وهي كلمة لاتينية معناها الحرفي (التفريفة) لان الميكروبات في اجتماعها تكون كأنها غريت بعضها ببعض بعد أن بطلت حركتها، والاحسن أن نسمي ذلك (بالارتكام) والميكروبات في هذه الحالة لا تكون

ميتة كما يقوم بعض الناس . وملخص هذه الطريقة عملا أن يؤخذ جزء من دم المريض في أنبوبة دقيقة مطهرة ، ثم تمزج نقطة من مصله بجزء أكبر من السائل الذي ربي فيه الميكروب بنسب مخصوصة أفضلها ما كان (من ١ الى ٣٠) وينظر اليه بالميكروسكوب بطريقة (النقطة المعلقة) فبعد نصف ساعة أو ساعة لا يشاهد غالبا ميكروب واحد منفردا ، وقد فسر العلماء ذلك بعدة تفاسير لا حاجة لذكرها لان الحقيقة مجهولة ، وهذه الطريقة لا تنجح الا بعد مضي بضعة أيام من المرض ، والاحسن أن يؤخذ الدم بعد الاسبوع الاول ، وفي بعض الاحوال لا تنجح مطلقا وتكون الحمى حينئذ شديدة ومميتة ، وفي البعض الآخر يستمر نجاحها لعدة أشهر بعد انتهاء المرض . وهي تستعمل في الحيات الاخرى التي عرف ميكروبها باليقين كالحمى المالطية ، ويؤخذ الدم من شحمة الاذن أو الاصبع بالوخز بآبرة أو نحوها ولا يتعين استعمال المصل في طريقة فيدال هذه ، بل يجوز أن تعمل بدم متجمد فيذاب بقليل من الماء المقطر ويستعمل كالمصل ، ويجوز أيضا استعمال الميكروب الميت فانه يتراكم أيضا وكذلك الميكروبات غير المتحركة

الحمى الباراتفودية Paratyphoid

كلمة [بارا] يونانية معناها « قريبة » لان هذه الحمى تقرب جدا من التيفودية في أعراضها وسيرها بل في جميع مميزاتا تقريبا غير أنها تكون عادة أخف وطأة وأقصر مدة ، والبطن يكون — في النوع الاول منها — غالبا معتقلا ، وهي غير مميتة إلا نادرا . وتنتشر أحيانا بشكل وبائي ، وقد تحصل في جميع بقاع الارض . وأم الأسباب في انتشارها الماء الملوث وميكروبها كالميكروب الحمى التيفودية الا في بعض أشياء قليلة من الوجوه البكتريولوجية . أما في الشكل والحركة فهما سيان . وهذا الميكروب لا يتراكم بمصل دم الحمى التيفودية . وهو نوعان: النوع الاول يسمى (أ) والثاني (ب) أما (أ) فانه أشد شبا بميكروب التيفود ، وأما (ب) فانه أضر . وإذا مات الشخص بسبب هذه الحمى كان غالبا مصابا بميكروب (ب) وقد تنفوخ أمعاء المصاب بسبب تفرح اللفائف ولكن تكون بقع باير سليمة وفي بعض

الحالات لا يوجد شيء في الامعاء ، وفي اصابة واحدة شوهدت ضخامة فدد المساريقا ، وفي كثير من الاصابات يكبر الطحال أما المعالجة والوقاية فهي كالتيفودية سواء بسواء . وهذه الحى تقي من أصيب بها من مثلها ولا تقي من التيفود

الحى المالطية Malta Fever

تسمى هذه الحى أيضا بحى البحر الابيض المتوسط لأنها كثيرة الحصول في شواطئه وفي جزائره ولكنها توجد أيضا في جنوب أفريقية والهند والصين وغير ذلك

الاعراض — طور التفريخ يتراوح بين بضعة أيام و٣ أو ٤ أسابيع . وتبتدى الاعراض تدريجيا كما في الحى التيفودية ولكن لا يظهر فيها طفح ويكون البطن ممسكاه ولا تتقرح فيه بقع (باير) ولا تضخم . والوفيات فيها قليلة (نحو ٢ في المئة) ولكنها تطول جدا فقد تمتد الى ٩ أشهر، ويشفى منها المريض بالتدريج ويصير ضعيفا أصفر اللون وقد تلتهب مفاصله أو خصيتاه

أسبابها — لهذه الحى ميكروب من النوع البرزى وهو لا حركة له ولا أهداب (وان ادعى بعض الباحثين أن له أهدابا) أما ما يشاهد فيه من الحركة فهي حركة برون [Brown] وهو اسم امرئ نباتي يسمى (روبرت برون) شاهدها في قطرات الندى ولكنها ظاهرة طبيعية يمكن مشاهدتها في كل سائل فيه ذرات دقيقة فتتهز هذه الذرات مع حركة رطوبة قليلة حول نقطة معينة، وسببها اختلاف درجة الحرارة في السائل بالتبخر القليل الذي يحصل من سطحه

وأعظم ما ينقل ميكروب هذه الحى الى الانسان هو لبن المعز، فان المعز تصاب كثيرا بهذا الميكروب في جزائر البحر الأبيض وفي جنوب أفريقية وغيرها بدون أن يظهر فيها عرض مآ لهذا المرض (إلا ضعفا في بعضها أو التهابا في ضروءها) ولكنها تفرز في لبنها كثيرا من هذا الميكروب

وللوقاية منه يجب اجتناب أكل أو شرب هذا اللبن أو ما يصنع منه كالزبدة أو

الجبين الحالوم الا اذا كان اللبن غلي قبل صنع الجبن منه. ويجوز أن يدخل الميكروب من جرح بالجلد اذا مسه هذا اللبن أو ينتقل بواسطة الحشرات الماصة للدم كالبعوض مثلا فان الميكروب يعيش في جسمه أربعة أيام أو خمسة وهذه الحمى تصيب الذكور والانثى على السواء تقريبا وهي أكثر حدوثا في سن الشباب منها في السكبر ويكثر حصولها في أيام الحر

الدفتيريا Diphtheria

الدفتيريا كلمة يونانية معناها الغشاء ، وهي عبارة عن مرض معد رديء ، أهم مميزاته أنه يصيب الأغشية المخاطية للحم أو الحلق أو الأنف أو الحنجرة أو غير ذلك فيتكوّن غشاء أبيض فوق هذه الاجزاء الملتببة ، وقد يصيب هذا الغشاء أيضا سحجات الجلد أو جروحه

واذا أصاب الملتحمة (غشاء العين) أتلها في ٢٤ ساعة

الاسباب — هذا المرض يصيب الاطفال خصوصا بين السنة الثانية والعاشره أو الثانية عشرة و يندر حصوله لغيرهم . وهو ينتشر بالهواء لمسافات قصيرة. ويخرج الميكروب في افرازات المصاب أثناء عطاسه أو سعاله مثلا ، أما نفسه الهادي فلا يضر . ويعيش ميكروب الدفتيريا مدة طويلة اذا سكن في طيات الثياب وهي مما ينقله الى مسافات أبعد من مسافة انتقاله في الهواء. ويعدي هذا المرض حتى في مبدئه قبل أن تظهر جميع أعراضه . ورطوبة المنازل والأهوية الفاسدة مهيئات له ، وكذلك أمراض الحلق كالتهاب اللوزتين . وقد ينتقل الميكروب بالطعام أيضا الى مسافات بعيدة. وتصاب بعض الحيوانات به خصوصا القطط والبقر فيعدي لبنا حينئذ اذا لم يغلب؛ ويصاب الحمام والدجاج والخيل والغنم بمرض يشبهه. والقول الراجح عند العلماء الآن ان مرض هذه الحيوانات المذكورة أخيرا لاعلاقة له بمرض الانسان ولا ينتقل اليه، ولكن لاختلاف بينهم في اصابة القطط والبقر به فتظهر بثور وقروح دفتيرية في ضروعها . والفيران لاتصاب به، أما تلك الحيوانات الداجنة التي لاتصاب به فقد تلوث بميكروب دفتيريا الانسان وتكون كحامل الامراض فتقله من مكان الى آخر ومن انسان الى انسان

ويرى بعض العلماء ان ميكروبها يعيش مدة طويلة في الطين، والهواء المحتبس في جوف الارض يخرج منها اذا ارتفعت مياهها — كما سبق — ويكثر هذا المرض في فصلي الخريف والشتاء وهو الزمن الذي تكثر فيه القرمزية والتهاب الحلق أو الخنجر أو اللوزتين

ويجوز أن يعود المرض للمرضى بعد شفائه . وميكروب هذا المرض يوجد في الطبقات العليا للاغشية المذكورة، واذا طال المرض وجد في الرئة والطحال والكليتين بل ربما وجد في الدم أيضا . وهو من الشكل الباسيلي اكتشفه كل من [كلبز Klebs] سنة ١٨٨٣ [ولفلر Loeffler] سنة ١٨٨٤ وهما عالمان من علماء الالمان . وطول هذا الميكروب يختلف من ٣ الى ٤ ميكرون ، وهو غير متحرك ولا حبيبات له بل يتكاثر بالانقسام، ويعيش في الهواء ولكنه يمكنه أن يعيش في غير الهواء حتى في الفراغ ، ويبقى في السوائل المغذية وغيرها من المزارع مدة شهر واذا جفف عاش ٣ أو ٤ أسابيع ويقف نموه اذا زادت الحرارة عن ٤٠° أو نقصت عن ٢٠° ستجrad واذا شفي المصاب وجد الميكروب في حلقه في نصف عدد الناقهين لمدة ٣ أيام وفي أحوال قليلة يبقى ٣ أسابيع وقد يستمر الى ٥ أشهر بل ١٥ شهرا . ومن ذلك يعلم خطر الاسراع في خلط المصاب بغيره من الاطفال قبل مضي مدة طويلة . والافضل أن يفحص حلق الطفل أو أي موضع آخر للاصابة مرتين أو ثلاثا فحصا بكثيريولوجيا بأخذ جزء من افرازاته فاذا لم يوجد الميكروب بعد الفحص مرتين أو ثلاث مرات متفرقة يؤذن للطفل بأن يختلط بغيره

ومن يختلط بالمصاب أناس (٨-٣٠٪) أصحاء يحملون الميكروب في حلقهم وأفواههم (١) لغيرهم وبقون أصحاء ولكن بعد زمن يصبح ميكروبيهم غير خطر غالبا على غيرهم لفقده قواه السامة ، ويسمي الاطباء مثل هؤلاء الناس بالحملة الاصحاء . ويرى بعض العلماء أن باسيل هوفمان [Hofmann] الكاذب الذي يوجد أحيانا في حلق الاصحاء وأنوفهم قد ينقلب فيصير صادقا أي محدثا للدفتيريا الحقيقية

(١) خصوصا في أسنانهم لاسيما اذا كانت مصابة بداء ريج (راجع ص ٦٨ من الجزء الاول) وهو الذي يحدث سيلان قيح من السنخ (الحفرة التي فيها السن)

الاعراض — مدة التفريخ تختلف من يومين الى ستة أيام، وقد تكون يوماً أو ثمانية. ويبتدى المرض بالإقياء وبسامة وصداع أو بغثيان وفي وورعدة ثم لا يلبث المريض أن يشتكي من ألم في الحلق. فاذا نظر الى حلقه في هذا الوقت شوهد احمرار فيه وفي اللهاة وانتفاخ، أو احمرار والتهاب في اللوزتين. وبعد وقت قصير يرى الغشاء يتكون على سطح الاغشية المتهبة وقد يظهر في وقت واحد على اللوزتين معاً، وقد يبدأ بواحدة منهما قبل الأخرى، ومن الجائز أن يظهر على غيرهما من أجزاء الحلق. وبسبب هذا الالتهاب تلتهب بعض الغدد اللعابية التي في العنق^(١) وقد يحدث من ذلك خراج فيها أو تموت الغدد وتسقط

وحرارة الدفتيريا لانظام لها فقد تزيد عن ٤٠° ولكن الأغلب أنها تكون أقل من ذلك، وهذا الارتفاع تصحبه الأعراض الأخرى للحمى. وفي كثير من الاصابات يشتمل البول على زلال في وقت اشتداد المرض. أما اذا أصابت الأنف فيعسر التنفس منه وينتفخ غشائه المخاطي ويسيل منه مخاط وقيح أو دم وصديد فيتقرح بذلك جانبا الأنف وما جارورها من الشفة. وخطر الالتهاب الأنفي الفشائي نادر جدا ولا عواقب له، ويندر أن يعدي الآخرين ولو أن الميكروبات تكون فيه كثيرة كغيره

وإذا أصابت الدفتيريا الحنجرة (وهذا ما يسمى بالحنثاق) كثر السعال وصار له صوت مخصوص وعسر التنفس وبج الصوت وكثيرا ما يشتد الضيق حتى يمختق المريض وفي الأحوال الحنجرية يكون هذا الضيق غالبا هو السبب في الموت. واذا عمل للمريض فتح في القصبة الهوائية فقد يموت بسبب المضاعفات الرئوية أو الضعف العام مع شلل القلب

أما في الأحوال الحلقية فالموت فيها يكون بشلل القلب وهو يحصل بسرعة عجيبة المضاعفات — كثيرة منها التهابات الرئة والبليور والالتهاب الكلوي والشلل

(١) اذا أصابت الحنجرة أو الحلق أو اللوزتين أو الحفر الاضية التهبت لها الغدد العنقية العليا الغائرة، واذا أصابت لثة الاسنان السفلى مثلاً أو مقدم اللسان (وذلك نادر) التهبت الغدد التي تحت الفك

الدفتيري، وأهم أعراضه شلل في سقف الحلق الرخو فيرجع الماء وغيره من السوائل من الأنف ويصاب المريض بالحنّة أو الفئنة - وهي خروج صوته من أنفه - وتضعف رجلاه فلا يقوى على المشي طويلا ولا القيام ويصاب بالحوك لشلل بعض عضلات العين الى غير ذلك من الاعراض التي تصيبه بسبب تأثير سم المرض في الاعصاب . وهذه الاعراض تبتدىء بعد الشفاء الظاهري بأيام أو أسابيع

المعالجة - يعزل المريض وتعطى له السوائل المفذية والمنعشات المنبهة للقلب فانه عرضة لان تحصل فيه استحالة شحمية . وتجب المبادرة الى حقن المريض بمصل الدفتيريا وذلك من اختصاص الطبيب الذي يقدر الكمية المناسبة لحالة المريض ويجري عمل الحقن طبق الاصول الطبية

والمبادرة الى حقن المريض من أوجب الواجبات لان التأخير يفسد خلايا الأعضاء وخصوصا القلب حتى اذا عمل للمريض الحقن بعد ذلك لا ينفعه شيئا . والمصل يبقى نافعا مدة سنة على الاقل اذا لم تفتح زجاجاته وحفظ في مكان مظلم بارد ويظهر الحلق بطرق كثيرة ، ومن أحسنها استعمال أقراص (الفرمانت) [Formamint] لسهولة تعاطيها عند الاطفال واذا احتيج الى تطهير أقوى ونزع تلك الاغشية من الحلق فالاولى أن يخذل الطفل بالكلورفورم لينظف حلقه تنظيفا تاما بغير اجهاد له

أما الشلل الذي يعقب المرض فانه يزول من نفسه في شهرين أو أربعة أشهر، وما يعجل في شفائه الراحة والمقويات والكهرباء والاعذية الجيدة والهواء النقي

الوقاية - تعرف من الكلام على أسباب هذا المرض ، واذا حقن الطفل الذي اختلط بمريض وقته الحقنة لمدة ٣ أسابيع تقريبا . والكمية اللازمة للوقاية هي ٥٠٠ الى ١٠٠٠ وحدة . أما الوحدة وتسمى وحدة [ارلينخ^(١) Ehrlich] - وهو عالم ألماني يهودي - فهي الكمية التي اذا مزجت بمائة ضعف للكمية الكافية لقتل خنزير الهند البالغ وزنه ٢٥٠ جراما في ٤ أيام وقته من الموت اذا حقنت تحت جلده

(١) توفي هذه السنة (١٩١٥ م) فجأة بينما هو يعمل في معمله

سوء استعمال الحقن الواقي من الدفتيريا وغيرها

سبق قولنا انه اذا أصيب طفل بهذا المرض بقي الميكروب في حلقه مدة مختلفة بعد شفائه قد تمتد الى عدة شهور، فقد روى العلامة هيولت الانكليزي [Hewlett] حادثة وجود الميكروب في أحد المصابين بعد شفائه بخمسة عشر شهراً فالواجب اذا عزل المصاب عن غيره عزلاً تاماً وتطهير كل ملامسه أو خرج منه تطهيراً تاماً وعدم السماح له بالاختلاط بغيره الا بعد فحص حلقه فحماً بكتيريولوجياً دقيقاً نحو ثلاث مرات متفرقات والتيقن من عدم وجود الميكروب أما الحقن بمصل الدفتيريا للوقاية فله عيب كبير. ذلك ان الوقاية به لا تتجاوز ثلاثة أسابيع، فاذا أصيب الطفل الذي عمل له هذا الحقن بمرض الدفتيريا بعد نهاية الثلاثة الاسابيع مثلاً وعالجناه من مرضه بالحقن فقد يصاب الطفل فوق مرضه بمرض آخر يسمى « مرض المصل » [Serum disease] أو « زيادة التأثير بالحقن » [Supersensitiveness] وهذا المرض كثيراً ما يكون خطراً ولعله أحد أسباب كثرة المتوفين من الاطفال حتى بعد الحقن بمصل الدفتيريا

وأعراضه هي : غثيان وقيء وضعف في النبض مع سرعته وإحساس بالضجر والاختناق وسرعة في التنفس مع ضيقه وهمود (هبوط) وتشنجات بل وغيبوبة. وهذه الاعراض تزول عادة بعد ساعة أو ساعتين ولكنها قد تمتد للشخص خصوصاً بالاختناق لا تقباض الشعب الرئوية الصغيرة. هذا ولو كان الشخص المحقون مرتين سليماً فما بالك اذا كان مصاباً مع هذه الاعراض بالدفتيريا فان الوفاة تكاد تكون محققة

والمراد بهذا المرض المذكور هنا هو غير ما يحدث من الحقن (نحو ٧٪) في نهاية الاسبوع الاول أو بعده مثل ظهور طفح متنوع الشكل وألم في المفاصل مع تورم فيها وهي خفيفة فان هذه الاعراض لا اهمية لها وتزول في نحو ثلاثة أيام ولا خطر منها عادة أما المرض الذي نذكره فيحدث اذا حقن شخص مرة للوقاية مثلاً من الدفتيريا ثم مضت مدة بعد حقنه نحو ١٢ يوماً أو أكثر ثم عدنا الى الحقن مرة

ثانية. وقد يحدث هذا المرض حتى اذا كانت الفترة بين الحقنين أربع سنوات أو أكثر وهذا المرض لا ينشأ عن سم في المصل بل عن نفس المصل بحيث اذا حقن مصل أي حيوان سليم مرتين متفرقتين بتلك الفترة فقد يحدث هذا المرض . لذلك ولنيره لا يجوز معالجة النزف بالحقن بالمصل أو بالدم كما سبق في صفحة ٤٩ من الجزء الأول

ومن طرائق اتقاء المرض المذكور أن يحقن نوعان مختلفان من المصل أعني أن يحقن للوقاية مصل مستخرج من الثور مثلاً وللعلاج مصل آخر مستخرج من الحصان كما هو المعتاد . وكذلك استعمال لبنات الكالسيوم قبيل الحقن أو في أيام استعماله فان هذا الملح كثيراً ما يمنع هذه الاعراض الخطرة أو يخفف من وطأها بل قد يمنع الاعراض الاخرى المذكورة كالكالسيوم وألم المفاصل وغيرها أيضاً . ومقدار هذا الملح في كل جرعة من ١٠ الى ٣٠ قمحة أي يختلف باختلاف السن وهو يذوب في الماء ويسهل امتصاصه في البنية واذا تعسر اعطاؤه من طريق الفم كما في الدفثيريا أذيب في الماء وحقن في الشرج أو أعطي مع اللبن فان المريض لا يشعر به ومن الطرق أيضاً لاتقاء تلك الاعراض التخدير العام بالايثر مثلاً وقت الحقن الثاني، ولكنها طريقة قديمة جداً وغير ميسورة في أكثر اصابات الاطفال خصوصاً اذا أصابت الدفثيريا حناجرهم

ويقال ان الحقن بالمصل الذي أزيل منه بعض المواد الزلالية الأولية [Proteins] يقلل التعرض للاصابة بتلك الاعراض. واعلم أن المصل الرقيق الذي لم يتكاثف بالتبخير أسهل امتصاصاً من الغليظ . هذا ولا يتوهم القارئ أني أنفر الناس من الحقن في الدفثيريا لمعالجها كلا ! ثم كلا ! بل الواجب المبادرة الى الحقن بالمصل المشتمل على وحدات كثيرة بحسب ما يراه الطبيب في الحالة^(١) وانما كلامي السابق هو لبيان مضار الحقن للوقاية لا للعلاج

(١) في أحوال الدفثيريا الشديدة أو التي تأخر علاجها يجب البدء بحقن ١٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ وحدة (Units) ويتكرر الحقن كل ٦ أو ١٢ ساعة بحسب حالة المريض وسرعة انفصال الاغشية ، ولا يراعى في ذلك سن الطفل

وكذلك يجب حقن 'مضول' أخرى كالمصل المضاد لسلم البزور السلسلية اذا وجدت في الحلق بالبحث الميكروسكوبي أو عرفت بمثل الأعراض الآتية وهذه الميكروبات تصاحب ميكروب الدفتيريا في بعض الاحوال فتكون الحمى فيها شديدة ورائحة الحلق كريهة جداً . فان لم يعمل هذا الحقن أيضاً كان مصل الدفتيريا وحده غير واف بالفرض

الطاعون Plague

الطاعون — وقانا الله منه — داء اشهر كثيرا حتى بين الامم الغابرة ، وكانوا يخشونه أشد خشية لشدة فتكه بهم وسرعة انتشاره بينهم . ومن أشهر أو بئته التي حدثت في أوربة ما حدث في عصر يوستينيانوس الروماني في القرن السادس بعد الميلاد الاسباب — هذا المرض ينشأ من ميكروب باسيلى اكتشفه (كيتاساتو) (Kitasato) الياباني سنة ١٨٩٤ وهو يوجد أثناء حياة المريض في الدم وفي الغدد الملتبته وفي البراز والبول وفي اللعاب اذا التهبت الرئة ، وبعد الموت يوجد في جميع أعضاء الجسم تقريبا . طول هذا الميكروب من ١ الى ١,٥ ميكرون وهو لاجييات له ولا حركة وان زعم بعضهم ان له أهداباً

ينتقل هذا الميكروب من شخص الى آخر بسرعة عظيمة ، خصوصا اذا ساءت الاحوال الصحية بالازدحام ونقص التهوية وزيادة القاذورات في الاماكن والملابس وغيرها . وهو يصيب الناس في جميع الاعمار الى سن الخمسين وبعد ذلك يقل كثيرا . والاصابة به مرة تحمى عادة من الاصابة ثانية . وشدة الحر تعوق سيره أكثر من البرد هذا المرض يصيب كثيرا من الحيوانات مثل القرود والقطط والجِرذان (جمع جِرذ وهو الفأر الكبير) أما الخيل والانعام فهي لاتصاب به الا قليلا وكذلك الطيور أهم مدخل لميكروب هذا المرض في الجسم طريقان : وهما طريق الرئة وطريق الجلد ، أما طريق المعدة أو الامعاء فهو من الندرة بمكان بحيث لا يستحق الذكر وكيفية وصوله من طريق الرئة أن يستنشقه الانسان مع الهواء الملوث به من نفثات المصاب بالطاعون الرئوي . أما طريق الجلد فهو من أعظم الطرق لنشر هذا

المرض ، ولايضاح ذلك نقول : ان الفيبران كثيرا ما تصاب به قنوت. والفيبران يأكل بعضها بعضا - كما سبق - فينتشر المرض بينها لهذا السبب ولغيره. والفيبران براغيث تنتقل منها الى الانسان فتلقحه بها وكذلك تلقح الفيبران الاخرى ، وقد تلقح شخصا من شخص ولكنه نادر. واسم هذا النوع من البراغيث بالافرنجية [Pulex Cheopis] وهو أشهر أنواع البراغيث التي تعيش بدم الفيبران في البلاد الحارة. ويتكاثر الميكروب في معدة البرغوث وأمعائه ويخرج في برازه فقط ، فاذا علق بمخروطومه ، ووخز به الانسان لقعه بالمرض ، وقد يتلوث مكان الوخز من الانسان ببراز البرغوث الذي فيه كثير من ميكروبات الطاعون . ويبقى البرغوث قادرا على التلقيح لمدة تتراوح بين سبعة أيام و ١٥ يوما . وقد ينقل البق أيضا ميكروب الطاعون . ويحتمل أيضا أن يدخل الميكروب من بعض الجروح والسحجات كما في الاقدام الحافية فان لم توقف الغدد اللعاقوية الميكروبات وصلت الى الدم وأحدثت تسما عاما كما سيأتي

الأعراض - مدة التفريخ من يومين الى خمسة

ولهذا المرض ثلاثة أشكال شبيهة وهي : الطاعون الدملي والطاعون الدموي

والطاعون الرئوي

أما أعراض الشكل الاول - وهو أكثر حدوثا - فهي الاحساس بالضعف العام والكلل والصداع والدوار والرعدة التي يعقبها ارتفاع في الحرارة ، وفي بعض الاحوال يصاب المريض في هذا الطور بشيء من الدهول مع مشية كمشية النشوان وارتماش في حديثه وقد يصاب بتهيج ورعب لا يعرف سببه أو يصاب بالغثبان والقبي أو الاسهال

وتكون الحمى في هذا المرض عالية ويصاحبها باقي أعراض الحمى كجفاف اللسان واسوداده ، ثم يصير المرء في حالة تشبه المصاب بالتيفوس فيهندي كثيرا ثم تصيبه الغيبوبة وتكثر الاوساخ على الشفتين والاسنان ويضعف النبض وتبرد الاطراف ويقل البول بل قد لا يفرز مطلقا في بعض الاحوال المميتة ، وبعد يومين أو ثلاثة تضخم الغدد اللعاقوية في الاربية أو الابط أو العنق

والغالب أن تصاب الغدد في جهة واحدة وهي الأريية، وحجم الورم الناشئ من ذلك يكون كحجم بيضة الدجاجة ويصعبه ألم شديد . وإذا طالت حياة المرء حصل له خراج في تلك الغدد في اليوم السابع عادة، وفي هذا الوقت قد تظهر دمامل في الجلد أو جهرات خصوصا في الاطراف السفلى أو الاليتين أو القفا. وفي الاحوال الشديدة جدا يحصل نرف تحت الجلد قبيل الموت أو يكون النرف كتنقط صغيرة كلدغ البراغيث وكلاهما قد يعم الجسم كله أو يكون ظاهرا حول الغدد الملتهبة . وقد يصاب المرء أيضا بالرعاف أو النرف الرئوي أو المعدي أو المعوي

والموت يحصل عادة قبل اليوم السادس . والشفاء يبتدىء من اليوم السادس الى العاشر ولكن اذا تقيحت الغدد قد تطول مدة المرض بسبب الديدئة التي فيها أما أعراض الشكل الدموي فيصاب المرء فجأة بأعراض الحمى البالغة، وقد يموت في ظرف ٢٤ ساعة لتسمم دمه . وفي هذا الشكل قد ترم الغدد قليلا ولكن لا تصل الى حجم النوع الاول مطلقا . ويسمى هذا النوع بالطاعون الصاعق فان المريض يصعق به فجأة فيغيب عن الوجود وترتفع حرارته فيموت سريريا أما أعراض الشكل الثالث فتبتدىء كالشكل الاول ولكن بعد يوم أو يومين تظهر الاعراض الرئوية فيسرع التنفس ويكثر السعال مع النفث الكثير المشوب بالدم ويزول النوم ويكثر الهيجان والهذيان ، ويموت المريض في ظرف ثلاثة أيام وتكون الرئة في هذا النوع مصابة بالتهابات متعددة في فصيصاتها

ولا توجد الخيرجالات (وهي التهاب الغدد اللمفاوية) عادة في هذا الشكل، وفيه يوجد الميكروب في القطع الملتهبة من الرئة وفي البصاق وهناك نوع آخر لا يهمننا كثيرا لقلته وفيه تكون الحمى قليلة والأعراض خفيفة بحيث يمكن للمريض أن يندو ويروح مدة من أيام مرضه . ويسمى هذا الضرب بالطاعون الجولاني

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض كثير جدا فقد تصل الى ٥٠ ٪/ بل الى ٨٠ ٪/ والموت بين الجنس الابيض في الظروف الصحية الجيدة أقل منه في غير ذلك

المعالجة - تعالج الاعراض كل بما يناسبه حسب الاصول الطبية. وللطاعون مصل كصصل الدفتيريا^(١) يحقن منه في اليوم الاول ثلاثة مقادير كل منها خمسون سنتي مترا مكعبا تحت الجلد أو في الاوردة - وهو الافضل في الاحوال الشديدة - ويتكرر بعد ذلك حقن مقادير صغيرة بضعة أيام . ومن أحسن أنواع هذا المصل مصل [يرسين Yersin] ولكن فائدته ليست بكبيرة

الوقاية - تكون بأشياء كثيرة أهمها ما يأتي :

(١) عزل المصاب

(٢) النظافة التامة في كل شيء

(٣) اباداة الفيران وأحسن طريقة لذلك أن تصطاد بالاشراك أو تسمم بالزرنيخ أو الفسفور ، أما اصطيادها بالقطط فعليه أنها هي نفسها قد تصاب بالطاعون فتكون من العوامل الناشرة للمرض بدل المقللة له

(٤) تنظيف الملابس ليتقي وجود البراغيث فيها

(٥) اباداة الحشرات الاخرى بقدر الامكان كالبق فانه قد ينقل الميكروب

من شخص الى آخر

(٦) يحقن الاصحاء مرتين اذا حصل الوباء بلقاح الطاعون وهو ميكرو به المقتول

بالحرارة فتحصل المناعة بسرعة حتى لا يخشى كثيرا من حصول المرض قبلها

(٧) يطهر كل ما يوجد في غرفة المريض بالغلي أو الحرق أو غيرها ، وقتل

الميكروب الذي يوجد في افرازاته بالأدوية المطهرة وبالحرق

(٨) لا يختلط المريض بالاصحاء الا بعد شهر من شفائه، لان الميكروب قد وجد

في دم المطعون بعد النقاهة بثلاثة أسابيع

(٩) على الممرض للمطعون بالنوع الرثوي أن يتكلم بالقطن المنفوش ليحول

دون وصول الميكروب الى رثته ثم يحرق القطن

(١٠) تسد شقوق وفروج المنازل لكيلا تأوي اليها الجرذان

(١) وإنما يختلف عنه بأنه يستخرج من الحصان بعد حقنه بالميكروب المقتول

لا بسم منه مصفى

الخطب الدينية

٣

﴿ خطبة من خطب القاسمي في النهي عن الحلف بالله والطلاق ﴾

الحمد لله الذي خلق الخلق على الاطلاق . فاطر السموات والارض وباسط الارزاق . فسبحانه هو العلي الرزاق . لا تنفذ خزائنه بكثرة الانفاق . أحده واشكره . وأتوب اليه وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الخلاق ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العالمين بالاتفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين الى يوم التلاق . وسلم تسليما . أما بعد أيها الناس عليكم بالتقوى فانها ترضي الملك الخلاق . واحذروا من ان تجعلوا الله عرضة لآيمانكم . فان ايمان الحنث تمحق بركة الارزاق ، واحذروا من الحلف بالطلاق . فانه يمين الفساق ، فمن حلف بغير الله فقد عظمه ، ومن عظم غير الله صار من أهل النفاق ، وخالف الكتاب والسنة ومن خالفهما فليس له في الآخرة من خلاق . فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأتم صادقون » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وآت الذي هو خير » واعلموا ان من حنث في يمينه فعليه أداء الكفارة وهي عتق رقبة أو اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، فان عجز فصوم ثلاثة أيام ، ولا يجب التتابع في الصيام ، ويكفي في الكسوة ثوب أو سراويل أو قميص ، يوزع من كل عشرة على المساكين الذين ورد فيهم التنصيص ، ومن طلق زوجته ثلاث تطليقات شرعيات غير بدعيات فلا تحل له الا بنكاح جديد ، ومن أمسكها بعد الثلاث فقد خالف أمر الله المجيد ، وتعرض للوعيد الشديد ، ومن لعب

بالطلاق ، أو طلق امرأته من غير ما باس فقد نقض الميثاق ، فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال اتلعبون بكتاب الله وانا بين أظهركم ، وقال صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال الى الله الطلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « ايما امرأة سألت زوجها طلاقها في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة » وقال تعالى (الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان) وقال تعالى (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي بالفراق ، فانقوا الله عباد الله في النساء وحقوق الزوجية ، وقوموا من مكارم الاخلاق مع الاهل بالسنة النبوية ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لأهلي » واشكروا نعمة الله في الازواج أيها المؤمنون ، فقد قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

﴿ خطبة أخرى له في آداب الكسب والمعاش ﴾

الحمد لله الذي رفع السماء اعباده سقفاً مبنيًا ومهد الارض بساطاً لهم وفرأشاً . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً . لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعضوا به عن ضراعة الحاجات اتمعاشاً . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد وردم عليه عطاشاً . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا (؟) في نصرة دينه تشمراً وانكاشاً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله . واعلموا ان رب الارباب ، ومسبب الاسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب . والدنيا دار التمحل والاضطراب . والتشمير والاكتساب . وليس التشمير في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش . بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها ، والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين . والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد ، من لم يلزم في طالب المعيشة

منهج السداد ، ولم ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ، ما لم يتأدب في طلبها بأداب الشريعة ، وقد ورد في فضل الكسب والحث عليه آيات وأخبار ، قال الله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) وقال تعالى (فاتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم ، « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان » وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، ويجب على التاجر أن ينصح في المعاملة ، ويجب لأخيه ما يجب لنفسه ، ولا يحل له ان يثني على السلعة بما ليس فيها ، ولا يكتنم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً ، ولا يكتنم في وزنها ومقدارها شيئاً . ومن خالف ذلك كان ظالماً غاشياً ، والفش حرام قال صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » وقال تعالى (ويل للمطففين الذين اذا اكلوا على الناس يستوفون * واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وقال تعالى (وأوفوا الكيل اذا كتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً) وعلى التاجر الرفق في التعامل والاحسان فيه ، قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » وقال صلى الله عليه وسلم « من انظر معسراً أو ترك له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله » وقال تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

﴿ خطبة له في فضل الاخوة والصحبة والالفة ﴾

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طويلاً وامتناناً ، والف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخواناً ، ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذاناً ، وفي الآخرة رفقاء وخلاناً ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واتقوا به قولاً وفعلاً وعدلاً واحساناً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله

واعلموا أن التحاب في الله تعالى والاخوة في دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات، وقد ورد في فضل الاخوة آيات كريمات وأخبار عاليات. قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن آلف مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف » وعنه صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه » وعنه صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » واعلم أن لاختيك عليك في اخوته وصحبته حقوقا يجب الوفاء بها . فمنها حق في المال بأن تقوم بحاجته من فضل مالك ، أو تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ، وحق في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات مع البشاشة واظهار الفرح ، وحق على اللسان في السكوت عن عيوبه وفي ترك مماراته ، وفي النطق بالحجاب توددا اليه وتفقدا لاحواله ، وحق في العفو عن الزلات والهفوات ، وحق في الدعاء له في حياته ومماته كما يدعو لنفسه ، وحق في الوفاء والاخلاص ، وذلك بالثبات على الحب وادامته الى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ، وحق في التخصيف وترك التكلف والتكليف ، فلا يكلف أخاه ما يشق عليه ، بل يروح سرور من مهماته وحاجاته ، وجملة حقوق المسلم أن تسلم عليه اذا لقيته ، ونجيبه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازة اذا مات ، وتبرقسه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ، ونحب له ما تحب لنفسك. وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله » فاتركوا الضغائن من قلوبكم والاحقاد ، وتصالحوا على المحبة وسلامة الصدر والايثار وصدق الوداد ، وليعتذر كل منكم لاختيه عما فرط منه ، ليفوز برضاء الله عنه. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » وقال صلوات الله عليه لمعاذ « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة، وحفظ الجار ورحمة اليتيم، ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح »

المعرفة بالله تعالى

بين ابن القيم في باب المعرفة من الجزء الثالث من (مدارج السالكين) الفرق بين المعرفة والعلم لغة وشرعا من خمسة وجوه ، ثم بين معناها في اصطلاح الصوفية وكلام أئمتهم فيها ، ثم شرح ما قاله شيخ الاسلام ابو اسماعيل الهروي فيها ، ونحن ننقل ما هو خاص بالتصوف ، أي ما بعد الفروق الخمسة وهذا نصه :

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن ان المعرفة عندهم هو العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطأقون المعرفة على مدلول العلم وحده ، بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاتها وقواطعها ، وله حال مع الله ، فتشهد له بالمعرفة ، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصوده ونياته ، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تطهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته ، ثم دعا اليه على بصيرة بدينه وآياته ، ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم ، ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة ، اذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة^(١)

وقد تكلموا على المعرفة بآثارها وشواهدھا فقال بعضهم : من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة منه ، فن ازدادت معرفته ازدادت هيئته — وقال أيضا — المعرفة توجب السكون فن ازدادت معرفته ازدادت سكينته . وقال لي بعض أصحابنا : ما علامة المعرفة التي يشيرون اليها ؟ فقلت له : أنس القلب بالله . قال لي : علامتها ان يحسن بقرب قلبه من الله فيجده قريبا منه . وقال الشبلي : ليس لعارف علاقة^(٢) ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، ولا لخائف قرار ، ولا لاحد من الله فرار . وهذا كلام جيد ، فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها ، وتعلقه

(١) في ب « فاذا سمي به غيره فعلى الدعوى والاستعارة » (٢) في ب

بمعروفه فلا يبقى فيه علاقة بغيره ، ولا تمر به العلائق الا وهي مجتازة ، لا تمر مرور
استيطان . وقال أحمد بن عاصم : من كان بالله أعرف ، كان له أخوف . ويدل على
هذا قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقول النبي صلى الله عليه وسلم
« أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » وقال آخر : من عرف الله تعالى ضاقت عليه
الدنيا بسعتها . وقال غيره : من عرف الله تعالى اتسع عليه كل ضيق . ولا تنافي
بين هذين الأمرين ، فانه يضيق عليه كل مكان لا يساعد فيه على شأنه ومطلوبه ،
ويتسع عليه ما ضاق على غيره ، لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه ، فقلبه غير
محبوس فيه ، والاول في بداية المعرفة ، والثاني في نهايتها التي يصل اليها العبد .
وقال آخر : من عرف الله تعالى صفا له العيش فطابت له الحياة وهابه كل شيء ،
وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله . وقال غيره : من عرف الله قرت عينه بالله
وقرت به كل عين ، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ، ومن عرف
الله لم يبق له رغبة في سواه ، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت
رغبته معرفته ، ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به وخافه ورجاه ، وتوكل عليه
وأناب اليه ولهج بذكره ، واشتاق الى لقائه واستحيا منه ، وأجله وعظمه على قدر
معرفته به ، وعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي
دعي الى الايمان به ، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها الله سبحانه والدار
الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما قيل :

اذا سكن الغديرُ على صفاء وجنب أن يحركه النسيم

بدت فيه السماء بلا امتراء كذلك الشمس تبدو والنجوم

كذلك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم

وهذه رؤية المثل^(١) الأعلى كما تقدم ، ومن علامات المعرفة أن يدولك

الشاهد ، وتفنى الشواهد ، وتنحل العلائق ، وتنقطع العوائق ، وتجلس بين يدي
الرب تعالى وتقوم وتضطجع على التأهب للقائه ، كما يجلس الذي شد أحماله وأزمع

(١) في ن « المثال »

السفر على التأهب له ويقوم على ذلك ويضطجع عليه ، كما ينزل المسافر في المنزل فهو قائم وجالس ومضطجع على التأهب ، وقيل للجنيدي : ان أقواما يدعون المعرفة يقولون أنهم يصلون بترك الحركات من باب البر والتقوى . فقال الجنيدي : هذا قول أقوام تكلموا بإسقاط الاعمال ، وهو عندي عظيم ؛ والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ، ان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله والى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بيني وبينها ومن علامات العارف انه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له على أحد حقا ، ومن علاماته انه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت ، لانه ينظر الى الاشياء بعين الفناء والزوال ، لانها في الحقيقة كالظلال والخيال . وقال الجنيدي : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض بطاها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، وكالطير يستقي ما يجب وما لا يجب وقال يحيى ابن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين : بكاء على نفسه ، وثناؤ على ربه . وهذا من أحسن الكلام فانه يدل على معرفته بنفسه وعبوبه وآفاته ، وعلى معرفته بربه وجماله وجلاله ، فهو شديد الازراء على نفسه ، لهج بالثناء على ربه . وقال أبو يزيد : انما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له . يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله سبحانه وتعالى فتغنيهم حقوقه عن حظوظهم

وقال آخر : لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين . وهذا يحتاج الى شرح ، فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن يكون اشتغاله بغير الله ، فذلك اشتغال به سبحانه لانه اذا اشتغل بغيره لاجله لم يشغل عنه ، قال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة أركان : الهية والحياة والانس . وقيل لذي النون : بم عرفت الله ربك ؟ قال : عرفت ربي بربي ، ولولا ربي لما عرفت ربي . وقيل لعبد الله ابن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال بانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . فأتى عبد الله باصل المعرفة التي لا يصح لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه الا به ، وهو المباشرة والمألوف على العرش

ومن علامات العارف أن يعتزل الخلق بينه وبين الله حتى كأنهم أموات لا يملكون له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً ، ويعتزل نفسه بينه وبين الخلق حتى يكون بينهم بلا نفس ، وهذا معنى قول من قال : العارف يقطع الطريق بخطوتين : خطوة عن نفسه وخطوة عن الخلق ؛ وقيل : العارف ابن وقته . وهذا من أحسن الكلام وأخصره ، فهو مشغول بوظيفة وقته عما مضى وصار في العدم وعما لم يدخل بعد في الوجود ، فهمه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية . ومن علاماته أنه مستأنس بر به مستوحش ممن يقطعه عنه ، ولهذا قيل : العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق وافقر إلى الله فأغناه عنهم ، وذل لله فأعزه فيهم ، وتواضع لله فرفعه بينهم ، واستغنى بالله فأحوجهم إليه . وقيل : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول . يعني أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته ، والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره ، وقال أبو سليمان الداراني : إن الله تعالى يفتح للعارف على فراشه ما لم يفتح له وهو قائم يصلي . وقال غيره : العارف تنطق المعرفة على قلبه وحاله وهو ساكت . وقال ذو النون : لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله

وقال بعضهم : رياء العارفين أفضل من إخلاص المرئيين . وهذا كلام ظاهره منكر جداً يحتاج إلى شرح ، فالعارف لا يرأى المخلوق طلباً للمنزلة في قلبه ، وإنما يكون رياؤه نصيحة وإرشاداً وتعلماً ليقترى به ، فهو يدعو إلى الله بعلمه كما يدعو إليه بقوله ، فهو ينتفع بعمله وينفع به غيره ؛ وإخلاص المرئيين مقصور على نفسه ، فالعارف جمع بين الإخلاص والدعوة إلى الله ، فأخلاصه في قلبه ، وهو يظهر عمله وحاله ليقترى به ، والعارف ينفع بسكوته والعالم إنما ينفع بكلامه * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق *

وقال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وسئل الجنيد عن العارف فقال : لون الماء لون إنائه . وهذه كلمة رمز بها إلى حقيقة العبودية ، وهو أن يتلون بتلون أقسام العبودية ، فبينما تراه مصلياً إذ رأته ذاكراً أو قارئاً أو معلماً أو متعلماً أو مجاهداً أو حاجباً أو مساعداً للضعيف أو مفياً للملأوف ، فيضرب في كل غنيمه من

الفنأم بسهم ، فهو مع المتسبين متسبب ، ومع المتعلمين متعلم ، ومع الغزاة غاز ، ومع المصلين مصل ، ومع المتصدقين متصدق ؛ فهو ينتقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية ، وهو مقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه الى غيره

وقال يحيى بن معاذ : العارف كأن بائن . وهذا يفسر على وجوه (منها) انه كأن مع الخلق بظاهره بائن عنهم بسره وقلبه و (منها) انه كأن بر به بائن عن نفسه و (منها) انه كأن مع أبناء الآخرة بائن عن أبناء الدنيا و (منها) انه كأن مع الله بموافقته بائن عن الناس في مخالفته و (منها) انه داخل في الاشياء خارج منها ، فان من الناس من هو داخل فيها لا يقدر على الخروج منها ، ومنهم من هو خارج عنها لا يقدر على الدخول فيها ، والعارف داخل فيها خارج منها . ولعل هذا أحسن الوجوه وقال ذو النون : « علامة العارف ثلاثة : لا يطفى نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله » وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة وهو محتاج الى شرح ، فان كثيرا من الناس يرى أن التورع عن الاشياء من قلة المعرفة ، فان المعرفة متسعة الاكثاف واسعة الارجاء ، فالعارف واسع موسع ، والسعة تطفى نور الورع ، فالعارف لا تنقص معرفته ورعه ، ولا يخالف ورعه معرفته . كما قال بعضهم (١) العارف لا ينكر منكرا ، لا استبصاره بسر الله في القدر ، فعنده ان مشاهدة القدر والحقيقة الكونية هو غاية المعرفة ، واذا شاهد الحقيقة عذر الخليفة ، لأنهم مأسورون في قبضة القدر . فمن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم ، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع ، بل ظلام معرفته قد أطفأ نور ايمانه

قوله : (٢) باطن العلم الذي ينقضه ظاهر الحكم — فانه يشير به الى ما عليه المنحرفون ممن ينسب الى السلوك ، فانهم يقع لهم أذواق ومواجيد وواردات تخالف الحكم الشرعي ، وتكون تلك معلومة لهم لا يمكنهم جحدها فيعتقدونها ويتركون

(١) كتب في هامش الاصل « قوله بعضهم أي الملاحدة القائلين بوحدة

الوجود أعادنا الله من الزينغ والضلال » (٢) أي ذو النون

ظاهر الحكم ، وهذا كثير جدا ، وهو الذي نفاء أئمة الطريق على هؤلاء وصاحوا بهم من كل ناحية ، وبدعواهم وضللوهم به ، قوله (١) « ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك محارم الله » كثرة النعم تطفي العبد وتحمله دلي أن يصرفها في وجوهها وغير وجوهها ، وهي تدعو الى أن يتناول العبد بها ما حل وما لا يحل ، وأكثر المنعم عليهم لا يقتصرون في صرف النعمة دلي التقدر الحلال بل يتعداه (١) الى غيره وتسول له نفسه ان معرفته بالله ترد عليه ما انتهت منه أيدي الشهوات والمخالفات ، ويقول : العارف لا تضره الذنوب كما تضر الجاهل . وربما يسول له أن ذنوبه خير من طاعات الجاهل ، وهذا من أعظم المكر . والامر بضد ذلك ، فيستعمل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف ، اذا عوقب الجاهل ضعفا عوقب العارف ضعفين ، وقد دل على هذا شرع الله وقدره ، ولهذا كانت عقوبة السار في الحدود مثلي عقوبة العبد ، وقال تعالى في نساء النبي صلى الله عليه وسلم (يأنساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) فاذا كملت النعمة على العبد فقابلها بالاساءة والعصيان كانت عقوبته أعظم فدرجته أعلى وعقوبته أشد

وقال أيضا (١) ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا ؟ يريد انه ليس من المعرفة ووصف المعرفة لغير أهلها سواء كانوا عبادا أو من أبناء الدنيا وقال أبو سعيد : المعرفة تأتي من عين الوجود (٢) وبذل الجهود . وهذا كلام حسن يشير الى أن المعرفة ثمرة بذل الجهود في الاعمال ، وتحقق الوجود في الأحوال ، فهي ثمرة عمل الجوارح ، وحال القلب لا ينال بمجرد العلم والبحث ، فمن ليس له عمل ولا حال فلا معرفة له ، وسئل ذوالنون عن العارف فقال : كان هاهنا فذهب . فسئل الجنيد عما أراد بكلامه هذا فقال : لا يحصره حال عن حال ، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل ، فهو مع كل أهل منزل بمثل الذي هم فيه ، يجد مثل الذي يجدون ، وينطق بمعالمها لينتفعوا ، وقال محمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله . وسئل أبو سعيد : هل يصل العارف الى حال يجفو عليه البكاء ؟ فقال : نعم ! انما البكاء

(١) مقتضى ما قبله ان يقول : يتعدونه — أو : يتعداه أحدهم الخ اي ذوالنون

(٢) كتب في هامش الاصل « لعله الجود »

في أوقات سيرهم الى الله فاذا نزلوا بمحائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك ، وقال بعض السلف : نوم العارف يقظة ، وأنفاسه تسبيح ، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل . أما كان نوم العارف يقظة لان قلبه حي فعيناه تامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفاطرها ، جسده في الفراش ، وقلبه حول العرش ، وأما كان نومه أفضل من صلاة الغافل لأن بدن الغافل واقف في الصلاة وقلبه يسبح في حشوش الدنيا والاماني ، ولذلك كانت يقظته نوم لان قلبه موات ، وقيل : مجالسة العارف تدعوك من ست الى ست : من الشك الى اليقين ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الغفلة الى الذكر ، ومن الرغبة في الدنيا الى الرغبة في الآخرة ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن سوء الطوية الى النصيحة

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ المعرفة على ثلاث درجات ، وانخلق فيها على ثلاث فرق : الدرجة الأولى معرفة الصفات والنموت ، وقد وردت أساميها بالرسالة ، وظهرت شواهدا في الصنعة ، بتبصر^(١) النور القائم في السر ، وطيب حياة العقل لزرع الفكر ، وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار ، وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين الا بها ، وهي على ثلاثة أركان : اثبات الصفات باسمها من غير تشبيه ، ونفي التشبيه عنها من غير تمطيل ، والاياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها ﴿

قلت : الفرق بين الصفة والنعت من وجوه ثلاثة (أحدها) ان النعت يكون بالأفعال التي تتجدد كقوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار — وقوله — الذي جعل لكم الارض مهدياً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * والذي نزل من السماء ماء بقدر ، أنشربنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم

(١) في المتن « بتبصير »

من الفلك والانعام ماتركبون) ونظائر ذلك . والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات كقوله تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) ونظائر ذلك

(الفرق الثاني) ان الصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النعوت كالوجه واليدين والقدم والاصابع وتسمى صفات ، وقد أطلق عليها السلف هذا الاسم، وكذلك متكلمو أهل الاثبات سموها صفات ، وأنكر بعضهم هذه التسمية كابي الوفاء ابن عقيل وغيره ، وقال: لا ينبغي أن يقال نصوص الصفات . بل: آيات الاضافات ، لان الحى لا يوصف بيده ولا بوجهه ، فان ذلك هو الموصوف ، فكيف تسمى صفة ؟ وأيضا فالصفة معنى يتم الموصوف فلا يكون الوجه واليد صفة . والتحقق ان هذا نزاع لفظي في تسميته ، فالمقصود إطلاق هذه الاضافات عليه سبحانه ونسبتها اليه والاخبار عنه بها منزهة عن التمثيل والتعطيل ، سواء سميت صفات أو لم تسم

(الفرق الثالث) ان النعوت ما يظهر من الصفات ويشتهر ويعرفه الخاص والعام ، والصفات أعم ، فالفرق بين النعت والصفة فرق ما بين الخاص والعام ، ومنه قولهم في تحلية الشيء : نعتة كذا وكذا — لما يظهر من صفاته ، وقيل : هما لغتان لا فرق بينهما . ولهذا يقول نحاة البصرة « باب الصفة » ويقول نحاة الكوفة « باب النعت » والمراد واحد والامر قريب ونحن في غير هذا

فلنرجع الى المقصود وهو انه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الايمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه ، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الاسلام وقاعدة الايمان وشجرة ثمرة الاحسان ، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الاسلام والايمان وثمره شجرة الاحسان ، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان ، وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظن به ، وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم

من الخاسرين) فاخبر سبحانه ان إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به ، وأنه هو الذي أهلكهم ، وقد قال في الظانين به ظن السوء (عليهم دائرة السوء) وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) ولم يجي مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه . وجحد صفاته وانكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به ولما كان أحب الاشياء اليه حمده ومدحه والثناء عليه باسمائه وصفاته وأفعاله كان انكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به وهو شر من الشرك ، فالمعطل شر من المشرك ، فانه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والظن في أوصافه هو والتشريك بينه وبين غيره في الملك ، فالمعطلون أعداء الرسل بالذات ، بل كل شرك في العالم فأصله التعطيل ، فانه لولا تعطيل كاله أو بعضه وظن السوء به لما أشرك به ، كما قال امام الخنفاء وأهل التوحيد لقومه (أفكنا آلهة دون الله تريدون؟ * فما ظنكم برب العالمين؟) أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟ وما (١) الذي ظنتم به حتى جعلتم معه شركاء؟ أظنتم انه محتاج الى الشركاء والاعوان؟ أم ظنتم انه يخفى عليه أحوال عبادته حتى يحتاج الى شركاء تعرفه بها كالمملك؟ أم لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم؟ أم هو قاس فيحتاج الى شفاء يستعطفونه على عبادته؟ أم ذليل فيحتاج الى ولي يتكبر به من القلة ، ويتعزز به من الذلة؟ أم يحتاج الى الولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه؟ تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً . والمقصود ان التعطيل مبدأ الشرك وأساسه ، فلا نجد معطلا الا وشركه على حسب تعطيله ، فمستقل ومستكثر

فصل

والرسل من أولهم الى خاتمهم — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — أرسلوا بالدعوة الى الله وبيان الطريق الموصل اليه وبيان حال المدعوين بعد وصولهم اليه ، فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول فعرفوا الرب المدعو اليه باسمائه وصفاته وأفعاله تعريفا مفصلا ، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه

(١) لعل الاصل « أو ما » لأنه وجه آخر في تفسير الآية

وينظرون اليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته ، ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم ، يأمر وينهى ، ويرضى وبغضب ، ويحب ويسخط ، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره ، ويجيب دعوة مضطرم ، ويفيئ ملهوفهم ويعين محتاجهم ، ويجبر كسبرهم ، ويفني قديرهم ، ويميت ويحيي ، ويمنع ويعطي ، ويؤتي الحكمة من يشاء^(١) وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء وينزل من يشاء بيده الخبير وهو على كل شيء قدير ، كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويفك عانيا ، وينصر مظلوما ، ويقسم ظلما ، ويرحم مسكينا ، ويفيئ ملهوفاً ، ويسوق الاقدار الى مواعيدها ، ويجريها على نظامها ، ويقدم ما يشاء تنديمه ، ويؤخر ما يشاء تأخيره ، فأزمة الامور كلها بيده ، ومدار تدبير الممالك كلها عليه . وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة

(القاعدة الثانية) تعريفهم بالطريق الموصل اليه ، وهو صراطه المستقيم الذي

نصبه لرسله وأتباعهم ، وهو امثال أمره واجتناب نهيه والايان بوعده ووعيده

(القاعدة الثالثة) تعريف الحال بعد الوصول ، وهو ما تضمنه اليوم الآخر

من الجنة والنار ، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصرراط
فعمدت المعطلة والجهمية على رأس القاعدة الاولى فخالوا بين القلوب وبين معرفة ربها ، وسما اثبات صفاته وعلوه فوق خلقه واستوائه على عرشه — تشبيهاً وتجبها وحشوا ، فنفروا عنه صبيان العقول ، وسما نزوله الى سماء الدنيا ، وتكلمه بمشيئته ، ورضاه بعد غضبه وغضبه بعد رضاه ، وسمعه الحاضر لاصوات العباد ، ورؤيته المقارنة لافعالهم ونحو ذلك — حوادث ، وسما وجهه الاعلى ويديه المبسوطتين وأصابه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة — جوارح وأعضاء ، مكرامهم كُبارا بالناس ، كمن يريد التفجير عن العسل فيمكر في العبارة ويقول : مائع أصفر يشبه العذرة المائعة . أو ينفرد عن شيء مستحسن فيسميه بأقبح الاسماء فعل الماكر المخادع ، فليس مع مخالف الرسل سوى المكر في القول والعمل

فلما تم للمعطلة مكرهم وسلك في القلوب المظلمة الجاهلة بمحقق الايمان وما جاء

(١) لعله سقط من هنا : ويؤتي الملك من يشاء

به الرسول - ترتب عليه الأعراض عن الله وعن ذكره ومحبهه والثناء عليه باوصاف كماله ونعوت جلاله ، فانصرفت قوى حبا وشوقها وأنسها إلى سواه وجاء أهل الآراء الفاسدة ، والسياسات الباطلة ، والأذواق المنحرفة ، والعوائد المستمرة ، فقعدهوا على رأس هذا الصراط وحالوا بين القلوب وبين الوصول إلى نبيها وما كان عليه وأصحابه ، وعابوا من خالفهم في قعودهم عن ذلك ورغب عما اختاروه لانفسهم ، ورموه بما هم أولى به منه كما قيل : رمتني بدائها وانسلت وجاء أصحاب الشهوات المعتنون بها الذين يعدون حصولها كيف كان الظفر في هذه الحياة والبنية فقعدهوا على رأس طريق المعاد والاستعداد للجنة ولقاء الله ، وقالوا : اليوم خمر ، وغدا أمر ، اليوم لك ولا تدري غدا لك أو عليك . وقالوا : لا تبغ ذرة منقودة ، بكرة موعودة

خذ ماتراه ودع شياً سمعت به في طلعة الشمس ما يفتيك عن زحل
وقالوا للناس : خلوا لنا الدنيا ونحن قد خلينا لكم الآخرة ، فان طلبتم منا ما بأيدينا أحلناكم على الآخرة

أناس^(١) يُقَضُّون عَيْشَ النِّعَمِ وَنَحْنُ نَحَالُ عَلَى الْآخِرَةِ
فان لم تكن مثلما يزعمون فتلك اذاً حكرة خاسره

فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه ، وغايته ، وهو روح السالكين ، وحاديهم إلى الوصول ، ومحرك عزائمهم اذا قفروا ، ومثير همهم اذا قصرُوا ، فان سيرهم إنما هو على الشواهد ، فمن كان لا شاهد له فلا سير ولا طلب ولا سلوك له ، وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم ، وذلك هو الصلوة الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها « من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رآه غادياً رافعاً لم يضع لينة على لينة ، ولكن رفع له علم فشمروا إليه » ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل حتى يرفع الله عز وجل له بفضلهم ومنه علماً يشاهده بقلبه فيشير إليه ويعمل عليه ، فان عطلت شواهد الصفات ووضعت أعلامها عن القلوب ، وطمست آثارها

وضربت بسياط البعد، وأسبل دونها حجاب الطرد، وتخلفت مع المتخلفين، وأوحى اليها القدر أن اقعدى مع القاعدين، فان أوصاف المدعو اليه ونفوت كماله وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب الى محبته وطلب الوصول اليه، لان القلوب انما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه وتشتاق اليه وتلتذ بقربه وتطمئن الى ذكره، بحسب معرفتها بصفاته، فاذا ضرب دونها حجاب معرفة الصفات والاقرار بها، امتنع منها بعد ذلك ما هو مشروط بالمعرفة وملزوم لها، اذ وجود الملزوم بدون لازمه والمشروط بدون شرطه ممتنع

فحقيقة المحبة والانابة والتوكل ومقام الاحسان ممتنع على المطل امتناع حصول المغل من معطل البذر بل أعظم امتناعا. كيف تصمد القلوب الى من ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا مبايناه ولا محايثا، بل حظ العرش منه كحظ الآبار والوهاد والاماكن التي يرغب عن ذكرها؟ وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها ولا يرى مكانها ولا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ ولا يقوم به فعل البتة، ولا يتكلم ولا يكلم ولا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء ولا يقوم به رافة ولا رحمة ولا حنان، ولاله حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لاجلها؟ فكيف يتصور التوكل على ذلك، ومحبته والانابة اليه والشوق الى لقائه ورؤية وجهه الكريم في جنان النعيم وهو مستو على عرشه فوق جميع خلقه؟ أم كيف تأله القلوب من لا يحب ولا يحب ولا يرضى ولا يفضض ولا يفرح ولا يضحك؟ فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته والسرور والفرح به والشوق الى لقائه وانتظار لذة النظر الى وجهه الكريم والتمتع بخطابه في محل كرامته ودار ثوابه! فلوراها أهلا لذلك لمن عليها به وأكرمها به اذ ذاك أعظم كرامة يكرم بها عبده، والله أعلم حيث يجعل كرامته، ويضع نعمته (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أليس الله باعلم بالشاكرين* واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله، الله أعلم حيث يجعل رسالته - أهم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون) وليس جحودهم صفاته سبحانه وحقائق أسمائه في الحقيقة تنزيهاً

وأما هو حجاب ضرب عليهم فظنوه تنزيها ، كما ضرب حجاب الشرك والبدع المضلة والشهوات المردية على قلوب أصحابها وزين لهم سوء أعمالهم فأروها حسنة عدنا الى شرح كلامه . قوله « وقد وردت أساميتها بالرسالة » الى آخره ، ذكر ان اثبات الصفات دل عليها الوحي الذي جاء من عند الله على لسان رسوله ، والحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة فاستدل بها على صفات صانعها ، والعقل الذي طابت حياته بزرع الفكر ، والقلب الذي حيي بحسن النظر بين التعظيم والاعتبار ؛ فلما الرسالة فأنها جاءت بأثبات الصفات اثباتا مفصلا على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء وحصل العلم اليقيني ورفع الشك والريب ، فقلجت له الصدور واطمأنت به القلوب ، واستقر به الايمان في نصابه ، ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والافعال أعظم من تفصيل الامر والنهي ، وقررت إثباتها أكل تقرير في أبلغ لفظ وأبعده من الاجمال والاحتمال وأمنعه من قبول التأويل ، وكذلك كان تأويل آيات الصفات وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد وأخباره ، بل أبعده منه لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب [الصواعق المرسله ، على الجهمية والمعتزلة] بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها كتأويل آيات الامر والنهي . فالباب كله باب واحد ومصدره واحد ومقصوده واحد ، وهو اثبات حقائقه والايمان بها ولذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم وقالوا : فعلنا فيها كفعل المتكلمين في آيات الصفات ، بل نحن أعذر ، فان اشتمال الكتب الالهية على الصفات والعلو وقيام الافعال أعظم من نصوص المعاد للابدان بكثير ، فاذا ساغ لكم تأويلها فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد ؟ وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الامر والنهي وقالوا : فعلنا فيها كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها وتنوعها . وآيات الاحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية — قالوا — وما يظن انه معارض من العقليات لنصوص الصفات فمندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه أو أقوى منه ، وقالوا (١) متأولو آيات الاحكام على خلاف حقائقها وظواهرها (٢) التي سوغ لنا (٣)

(١) لعل الاصل « قال » وما بعده فاعله (٢) وفي ب « فظواهرها » وهو غير ظاهر

(٣) هذا مقول المقول ، وصوابه : الذي سوغ لنا هذا القول القواعد الخ أي هو القواعد

هذا التاويل القواعد التي اصطلمحتموها لنا وجهلتموها أصلاً نرجع اليها فلما طردناها كان طردنا ان الله ماتكم بشيء قط ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهي ولا له صفة تقوم به ولا يفعل شيئاً ، وطرد هذا الاصل لزوم تأويل آيات الامر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب

وقد ذكرنا في كتاب [الصواعق] ان تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين . وزول المملك وتسليط أعداء الاسلام عليه انما كانت بسبب التاويل ، ويعرف هذا من له اطلاع وخبرة بما جرى في العالم ، ولهذا يحرم عقلاء الفلاسفة التاويل مع اعتقادهم لصحته ، لانه سبب لفساد العالم وتعطيل الشرائع ، ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعا بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ، فانها وردت على وجه لا يحتمل معه (١) التاويل بوجه ، فانظر الى قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب جل جلاله بإتيان ملائكته أو آياته ؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً أنه إتيانه بنفسه ؟ وكذلك قوله (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده - الى أن قال - وكلم الله موسى تكليماً) ففرق بين الأيحاء العام والتكليم الخاص ، وجعلها نوعين ، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الرفع لتوهم ما يقوله المحرفون ، وكذلك قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) فنوع تكليمه الى تكليم بواسطة وتكليم بغير واسطة ، وكذلك قوله لموسى عليه السلام (اني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ففرق بين الرسالة والكلام ، والرسالة نعمهاي بكلامه ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « انكم ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس ونة سحاب » وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوً ليس دونها سحاب » (٢) ومعلوم ان هذا البيان والكشف والاحتراز

(١) في نوح « منه » (٢) ليس من التاويل ما قالوه في شرح الحديث من أن التشبيه فيه للرؤية لا للمرئي الذي لا يشبهه قمر ولا شمس ولا شيرهما (ليس كمثلها شيء) ولا قولهم ان كيفية هذه الرؤية لا تعرف في الدنيا بل ما دونها من أمر الآخرة لا يمكن أن يعرف في الدنيا أيضا

لنأني ارادة التأويل قطعاً ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين
قوله « وظهرت شواهدا في الصنعة » هذا هو الطريق الثاني من طرق اثبات
الصفات ، وهو دلالة الصنعة عليها ، فان المخلوق يدل على وجود خالقه وعلى حياته
وعلى قدرته وعلى علمه ومشيتته ، فان الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا .
وما فيه من الاتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه ما يدل ^(١) على حكمة فاعله
وعنايته ، وما فيه من الاحسان والنفع ووصول المنافع العظيمة الى المخلوق - يدل على
رحمة خالقه واحسانه وجوده ، وما فيه من آثار الكمال يدل على ان خالقه أكمل منه .
فمعطي الكمال أحق بالكمال ، وخالق الاسماع والابصار والنطق أحق بان يكون سميعا
بصيرا متكلماً ، وخالق الحياة والعلوم والقدر والارادات أحق بان يكون هو كذلك
في نفسه ، فما في المخلوقات شيء ^(٢) من أنواع التخصيصات من أدل شيء ^(٣) على
ارادة الرب سبحانه ومشيتته وحكمته التي اقتضت التخصيص ، وحصول الاجابة عقيب
سؤال المطلوب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات وعلى سمعه
لسؤال عبده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم ، والاحسان
الى المطيعين والتقرب اليهم والاكرام واعلاء درجاتهم - يدل على محبته ورضاه ،
وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب
والسخط والإبادة والطرْد والإقصاء يدل على المقت والبنص ، فهذه الدلالات من
جنس واحد عند التأمل ، ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده الى الاستدلال بذلك
على صفاته ، فهو يثبت العلم برؤيته ووجدانيته ، وصفات كماله بآثار صنعته المشهودة
والقرآن مملوء بذلك ، فيظهر شاهد اسم الخالق من نفس المخلوق ، وشاهد اسم
الرازق من وجود الرزق والمرزوق ، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في
العالم ، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدارر لا ينقطع لحظة واحدة ، واسم
الحليم من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم ، واسم الغفور والتواب من
مغفرة الذنوب وقبول التوبة ، ويظهر شاهد اسمه الحكيم من العلم بما في خلقه وأمره

(١) « ما » زائدة إما هنا وإما في أول الجملة (٢) لعل كلمة شيء زائدة

(٣) لعل الاصل : أدل شيء - أو - من أدل الاشياء

من الحكيم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنی له شاهد في خلقه وأمره يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فانخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته، وكل سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وحقه وتبريزه على غيره وتفرد به بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعه، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلوي والسفلي وهذه المخلوقات من بعض صنعه

وإذا اعتبرت المخلوقات والأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الاسماء الحسنی، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عيى بمكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة كما قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فالوجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير الى الاسماء الحسنی وحقائقها وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بأثبات الصفات لربها فصامتها يهدي ومن هو قائل
فلمست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت
كلامه وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلاً وحملاً وفطرة
ونظراً واعتباراً (١)

قوله « بتبصير النور القائم في السر » يعني ان النور الإلهي الذي جهله الله لعبده ويلقيه اليه ويودعه في سره هو الذي يبصره بشواهد صفاته، فكما قوي هذا النور في قلب العبد كان بصره بالصفات أتم وأكمل، وكما قل نصيبه من هذا النور وطفئ مصباحه في قلبه طفي نور التصديق بالصفات واثمها في قلبه. فانه إنما يشاهدها بذلك النور، فاذا فقدته لم يشاهدها وجاءت الشبه الباطلة مع تلك الظلمة فلم يكن له نصيب منها سوى الانكار

(١) هذه الجملة من قوله « من دلالة المخلوقات » الى هنا سقطت من نوح

قوله « وطيب حياة العقل لزرع الفكر » أي يدرك الصفات بذلك النور القائم في سره وطيب حياة عقله التي طيبها زرع الفكر الصحيح المتعلق بما دعا الله سبحانه عباده الى الفكر فيه بقوله (ويتفكرون في خلق السموات والارض - وقوله - أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق - وقوله - كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) (١) فيتفكرون في الآيات التي بينها لهم فيستدلون بها على توحيده وصفات كماله وصدق رسله والعلم ببقائه ، ويتفكرون في الدنيا وانقضائها واضمحلالها وآفاتها، والآخرة ودوامها وبقائها وشرفها، وقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة يدل على اثبات صفات الكمال ونعوت الجلال ، وأما فكر مصحوب بموت القلب وعمى البصيرة فأنما يعطي صاحبه نفيها وتعطيلها

قوله « وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار » يعني انه يضاف الى نور البصيرة وطيب حياة العقل حياة القلب بحسن النظر الدائر بين تعظيم الخالق جل جلاله وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدالة عليه ، فلا بد من الامرين فانه ان غفل بالتعظيم عن حسن الاعتبار لم يحصل له الاستدلال على الصفات ، وان حصل له الاعتبار من غير تعظيم الخالق سبحانه لم يستفد به اثبات الصفات ، فاذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه أمرا له اثبات صفات كماله ولا بد ، والاعتبار هو أن يعبر نظره من الأثر الى المؤثر ومن الصنعة الى الصانع ومن الدليل الى المدلول ، فينتقل اليه بسرعة لطف ادراك ، فينتقل ذهنه من الملزم الى لازمه ؛ قال الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الابصار) والاعتبار افتعال من العبور وهو عبور القلب من الملزم الى لازمه ومن النظر الى نظيره ، وهذا الاعتبار يضعف ويقوى حتى يستدل صاحبه بصفات الله تعالى وكماله على ما يفعله لحسن اعتباره وصحة نظره ، وهو اعتبار الخواص واستدلالهم ، فانهم يستدلون بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وانه يفعل كذا ولا يفعل كذا ، فيفعل ما هو موجب حكمته وعلمه وغناه وحمده ، ولا يفعل

(١) كذلك حذف هذه الآيات منهما فنقلت من ب

ما يناقض ذلك ؛ وقد ذكر سبحانه هذين الطريقين في كتابه فقال تعالى في الطريق الاول (سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق — ثم قال في الطريق الثانية^(١) — أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فمخلوقاته دالة على ذاته وأسمائه وصفاته ، وأسمائه وصفاته دالة على ما يفعله ويأمر به وما لا يفعله ولا يأمر به مثال ذلك ان اسمه الحميد — سبحانه — يدل على انه لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، واسمه الحكيم يدل على انه لا يخلق شيئا عبثا ، واسمه الغني يدل على انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، واسمه الملك يدل على ما يستلزم حقيقة ملكه من قدرته وتدييره وعطائه ومنعه وثوابه وعقابه ، وبث رسله في اقطار مملكته ، وإعلام عبيده بمراسيمه وعهوده اليهم ، واستوائه على سرير مملكته الذي هو عرشه المجيد ؛ فتمى قام بالعبء تعظيم الحق جل جلاله وحسن النظر في الشواهد والتبصر والاعتبار بها صارت الصفات والنعوت مشهودة لقلبه قبله له

قوله « وهي معرفة العامة التي لا تتمقذ شرائط اليقين الا بها » لا يريد بالعامية الجهال الذين هم عوام الناس ، وإنما يريد ان هذه هي المعرفة التي وقف عندها العموم ولم يتعدوها ، وأما معرفة أهل الذوق والمحبة الخاصة فأخص من هذا كما سيأتي قوله « وهي على ثلاثة أركان اثبات الصفة من غير تشبيه » الى آخره — هذه ثلاثة أشياء

(أحدها) اثبات تلك الصفة فلا يعاملها بالنفي والانكار

(الثاني) انه لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة فلا يعطل الصفة ولا يغير اسمها ويغيرها اسما آخر ، كما تسمى الجهمية والمعطلة سمعه وبصره وقدرته وحياته وكلامه أعراضا ، ويسمون وجهه ويديه وقدمه سبحانه جوارح وأبعاضا ، ويسمون حكمته وغاية فعله المطاوعة عللا وأعراضا ، ويسمون أفعاله القائمة به حوادث ، ويسمون علوه على خلقه واستوائه على عرشه تميزا ، ويتوصلون بهذا المكر الكبار الى نفي ما دل عليه الوجود والعقل والفطرة وآثار الصنعة من صفاته ، فيسطون بهذه الاسماء التي سموها هم واباؤهم على نفي صفاته وحقائق أسمائه

(١) الطريق يذكر ويؤنث وما أرى التانيث هنا والتذكير قبله الا لمن النسخ

(الثالث) عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فان الله سبحانه ليس كمثل شيء لاني ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فالعارفون به المصدقون لرسوله المقرون بكلامه يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل ، فذهبهم حسنة بين سنيتمين ، وهدى بين ضلالين ، فصراطهم صراط المنعم عليهم ، وصراط غيرهم صراط المغضوب عليهم والضالين ، قال الامام أحمد رحمه الله : لانزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين - وقال - التشبيه أن تقول : يد كيدي . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله « والإياس من ادرا كنهها وابتغاء تأويلها » يعني ان العقل قد يتأس من تعرفه كنه الصفة وكيفيتها فانه لا يعلم كيف الله الا الله ، وهذا معنى قول السلف ، [بلا كيف] أي بلا كيف يعقله البشر ، فان من لا يعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف يعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ ولا يقدح ذلك في الايمان بها ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك ، كما انا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كيفية مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق ، فمعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم ، فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله والجمال كله والعلم كله والقدرة كلها والعظمة كلها والكبرياء كلها ، من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقته سبحانه السموات والارض وما فيهما وما بينهما وما وراء ذلك ، الذي يقبض سمواته بيده فتغيب كما تغيب الخردلة في كف أحدنا ، الذي نسبة علوم الخلائق كلها الى علمه أقل من نسبة نقرة عصفور من بحار العالم ، الذي لو أن البحر يمدده من بعده سبعة أبحر مداد ، وأشجار الارض من حين خلقت الى قيام الساعة أقلام ، في المداد وفيت الأقلام ولم تنفذ كلماته ، الذي لو أن الخلق من أول الدنيا الى آخرها إنسهم وجنهم وناطقهم وأعجمهم جعلوا صفا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ، الذي يضع السموات على اصبع من أصابعه والارض على اصبع والجبال على اصبع والأشجار على اصبع ثم بهزهن ثم يقول : أنا الملك . فقاتل الله الجهمية والمعتلة ! أين التشبيه ها هنا وأين التمثيل ؟ لقد اضمحل ها هنا كل موجود سواه فضلا عن أن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال ويشابهه فيه .

فسبحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته وولاهها ماتوات من وقوفها مع الالفاظ التي لا حرمة لها والمعاني التي لاحقائق لها ، ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الالهية ماتفهمه من صفات المخلوقين فرت الى انكار حقائقها وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً ، فشبهت أولاً وعطت ثانياً ، وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه ، أما إساءة الظن بالرب فانها عطت صفات كماله ونسبته الى انه أنزل كتاباً مشتملاً على ما ظاهره كفر وباطل ، وان ظاهره وحتماً ثبته غير مرادة ، وأما إساءة ظننا بالرسول فلانه تكلم بذلك وقرره وأكده ولم يبين للامة ان الحق في خلافه وتأويله ، وأما إساءة ظننا بأتباعه فنسبتهم لهم الى التشبيه والتمثيل والجهل والحشو ، وهم عند أتباعه أجهل من أن يكفروهم الا من عاند الرسول وقصد نفي ما جاء به . والتوم عندهم في خفارة جهلهم قد حجبت قلوبهم عن معرفة الله وإثبات حقائق أسمائه وأوصاف كماله (له بقية)

تقرير المطبوعات الجديدة*)

المخلق — مباحث علمية في النفس والعقل وقواها وكنهه الاخلاق والعوامل المغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها . وماهية الفضيلة وتنوع درجاتها في أدوار الحياة وأنواعها وحدودها ، والرذيلة ونشأتها وأقسامها ودرتها

تأليف حسن افندي فتوح بنظارة (وزارة) المعارف ، طبع بمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٠ طبعاً نظيفاً على ورق متوسط بحرف بنط ٢٤ صفحاته ١٤٤ بالقطع الصغير وعمه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

عظة الناشئين — كتاب أخلاق وآداب واجتماع . تأليف الشيخ مصطفى الغلايبي أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية في بيروت ، طبع بمطبعة الثبات في بيروت سنة ١٣٣٠ صفحاته ٦٦ بالقطع الصغير

ومن مباحثه : الاقدام — الصبر — الإخلاص — الشجاعة ، الشرف — الهجمة واليقظة ، الثورة الادبية ، الامة والحكومة ، الغرور ، التجدد — الدين ، المدنية ، الحرية — الزعامة والرئاسة — السعادة ، القيام بالواجب ، الثقة — التعاون — التعصب ، ورثاء الارض الخ

(*) عهدنا بتقرير المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

كتاب الارشاد الى تربية العقل — تأليف الدكتور محمود علي السركي طيب
مستشفى المنيا الاميري ، طبع سنة ١٩١٣ بمطبعة (الآداب الشرقية) بالمنيا على ورق
متوسط صفحاته ١٤٨ بالقطع الوسط وثمانه ١٢ قرشا

من مباحث هذا الكتاب : الفهم والمعرفة ، كيفية تحصيل الاعمال ، كيفية الملاحظة ،
كيفية الحكم ، كيفية الاحساس ، كيفية العمل ، الارادة ، كيف تكون علاقة الانسان
مع غيره ، كيف يجب أن يكون الانسان ، كيف يتجنب الضرر ، معنى الحياة

جمال الزوجة — تأليف الاستاذ الشيخ مهدي أحمد خايل . طبع بمطبعة الجمالية
بمصر سنة ١٣٣٣ صفحاته ١٥٢ بالقطع الصغير ثمنه $\frac{3}{4}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر
جدير بالطلبة والشبان والشابات مطالعة هذا الكتاب فانه من أفيد ما كتب في
هذا الموضوع ، وقد توخى كاتبه فيه استعمال المفردات العربية لحلال النساء وحلّين
وغير ذلك وشرح هذه المفردات ، كما هو دأبه في تصانيفه التعليمية المفيدة
فصول الكتاب : نصائح للامهات ، ما يلزم للمولود المتظر ، الاعتناء بصحة
الأولاد ، التسنين ، غذاء الطفل ، الارضاع المختلط ، الارضاع الصناعي ، تخفيف اللبن ،
غلي اللبن وتعقيمه ، الفطام ، الاعتناء بشدي الام عند الفطام . وفي كل فصل من هذه
بيان وايضاح وشرح لا يستغنى عنه من يعلم ما يجب عليه لأولاده وأمته ونوعه

قبل الزواج وبعده — تأليف الدكتور ا . دنيسون لايت ، الانكليزي
وترجمه بالعربية محمد افندي عبد العزيز الصدر وطبع بالمطبعة الحميدية المصرية بمصر
طبعاً نظيفاً ، صفحاته ٧٠ بالقطع الصغير وثمانه $\frac{3}{4}$

مباحث هذا الكتاب : مستقبل الطفل ، متى أتزوج ، الميل الشهواني — فوائده
ومضاره ، التشریح الجنسي ، الولادة ، قانون الزوج ، قانون الزوجة . وفي الكتاب
جدول لاوقات إرضاع الطفل ومقدار كل رضعة من الماء واللبن من أول عمره الى
الشهر الثاني عشر فنحث الامهات والآباء على اقتنائه

تدبير حياة الرضيع الصحية من يوم ولادته الى يوم الفطام — تأليف الدكتور
نجيب افندي قناوي طبيب عيادة اللادي كرومر للاطفال بالاسكندرية . طبع بمطبعة

محمد الكازد بالاسكندرية سنة ١٣٢٩ طبعاً نظيفاً على ورق جيد وثمنه ثلاثة قروش، وهو من أنفع الكتب في هذا الباب

جرجي زيدان - كتاب فيه ترجمة حياة جرجي بك زيدان صاحب الهلال ومراثي الشعراء والكتاب وحفلات التأبين وأقوال الكتاب والمجلات والجرائد في الفقيه وآثاره ومكانته العلمية الادبية وفي الكتاب رسوم الفقيه شابا وكهلا طبع بمطبعة الهلال بمصر على ورق جيد سنة ١٩١٥ وصفحاته ١٤٧

تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان - الجزء الرابع - طبع بمطبعة الهلال على ورق متوسط سنة ١٩١٤ صفحاته ٣٢٨ بقطع المنار وثمنه ٢٠ ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المنار بمصر

هذا الجزء هو ثمة أجزاء الكتاب، وبه تمت حياة المؤلف الملوثة جدا ونشاطا وعملا

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة العربية وعلومها وتراجم العلماء والادباء والشعراء ووصف مؤلفاتهم وأماكن وجودها، من عهد دخول الفرنسيين الى مصر سنة ١٢١٣ هـ الى هذه الايام، وقد قرظ المنار أجزاء هذا الكتاب الثلاثة ونشر انتقاد الاستاذ الاسكندري له، وأنصف مؤلفه فيما كتبه عن مؤلفاته

ألحق المصنف بهذا الجزء جدولا استغرق ٦ صفحات في تصحيح الاغلاط التي استفادها من المنتقدين على الاجزاء التي قبله، وذكر منهم الاب لويس شيخو والاب انتاس الكرملي والشيخ احمد عمر الاسكندري واحد آل كاشف الغطاء وعيسى افندي العلوف. وهؤلاء نشرت انتقاداتهم في مجلات المشرق ولغة العرب والمنار والعرفان، وذكر من المنتقدين الذين كاتبوه احمد بك تيمور. ولكنه لم يذكر الشيخ شبلي النعماني فانه كاتبه وكتب انتقاداً على تاريخ التمدن الاسلامي في المنار، غير انه كان في انتقاده شدة وغلظة ضاق بها صدر جرجي بك زيدان على سمته

وفي هذا الجدول استدركات استفادها المؤلف من المطالعة وفي ذيله ترجمة حياته وذكر جميع مؤلفاته وفيه فهرس للاجزاء الاربعة

كتاب أصول علم الاقتصاد — تأليف الاستاذ ووكر الامريكى وتحرير محمد حمدي بك السيد من قضاة المحاكم الاهلية يطبع بمطبعة المنار طبعا نظيفا على ورق جيد وقد صدر الجزء الاول منه في اواخر سنة ١٣٣٣ وصفحاته ٢٥٨ وثمنه ٢٠ قرشا وتلاميذ المدارس العليا ١٥ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر ان الحالة المالية والاقتصادية بمصر جعلت الحاجة ماسة الى وجود كتب في علم الاقتصاد والى مدرسين يدرسونه في المدارس ولا سيما في هذه البلاد التي كثرت فيها الشركات الزراعية والتجارية والصناعية واتسعت دائرة الاعمال المالية . وان بلادا كالبلاد المصرية في حالتها المدنية وتغلغل الافرنج فيها وادارتهم للمصارف والشركات فيها لا يمكن ان يحفظ أهلها ثروتهم أو أرضهم فضلا عن أن ينموها الا اذا كثر فيهم العارفون بهذا العلم وبنوا أعمالهم المالية كلها على أصوله التي بنى عليها غيرهم ، فوجب على المصريين خاصة والعرب عامة تناول هذا الفن لان مصر اليوم هي أرقى بلاد العرب ثروة فاذا ارتقى هذا العلم فيها يكون ذلك مقدمة لارتقائه في غيرها

يظن كثير من الناس ان الاقتصاد كل الاقتصاد أن لا يتفق كثيرا ، أو ان تدخر من كسبك شيئا لوقت حاجتك ، وهذا وهم منشأ الجهل فان تناول علم الاقتصاد أوسع من ذلك واكبر من أن ينحصر بالتقتير والتصديق على من وسع عليهم في الرزق وأقل ما يقال فيه انه علم يبحث في (ايجاد الثروة) وهذه الكلمة تتضمن معرفة طبيعة الارض واستعدادها وكيفية توزيع محصولاتها وتكون الصناعة وارتقائها وتأثير العوامل الطبيعية والسياسية والادارية والمركز السياسي في ذلك . ثم هو يبحث في (انماء الثروة) وما يلزم لذلك من تأثير الصناعة وارتقائها وتصرف مديري المصانع وعمل الصناع ورأس المال والقيمة الاعتبارية للنقد أو ما يقوم مقامها والمبادلة والارباح والاقوات وقيمة الايجار والتوزيع والاشترك ومعاملة الدول وتبادل بعضها مع بعض . ثم ما لا اعتصاب العمال وتأثير القوانين الادارية والسياسية في ذلك فالاقتصاد هو ما يوجد ثروة لامة والفرد وينميها أي أن تعلم كيفية كسب المال وكيفية انفاقه بما يعود عليك وعلى أمتك بالثراء ونعمة العيش

ولما أحس الناس بالحاجة الى هذا العلم في السنين الاخيرة كتب فيه بعض الكتابين مقالات في الجرائد والمجلات ، وترجم آخرون بعض المختصرات ، وكان آخر ما ارتقت العناية اليه أن انبرى محمد حمدي بك السيد القاضي بالمحاكم الاهلية الى ترجمة (أصول علم الاقتصاد السياسي) فأفرغ جهد المستطاع في نقله الى العربية مع ما يلزم لذلك من تعريب الاصطلاحات الفنية فأجزه ترجمة وأتم طبع الجزء الاول منها وقد أوشك أن يتم طبع الجزء الثاني . ومن مميزات هذا الكتاب ان المؤلف قد وفي المسائل حتها ، وأعطائها من الايضاح قسطها ، وأبرزها في لغة العرب بعبارة سهلة المتناول صحيحة التعبير واضحة المعنى غير منتطم ولا متعثر

كتاب دروس سنن الكائنات

في مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس علمية طبية اسلامية في الكيمياء والطبيعة والتشريح ووظائف الاعضاء وقانون الصحة وعلم الانسجة للدكتور محمد توفيق صدقي نشرتها مجلة المنار وطبعتها على نفقتها بمطبعتها على ورق جيد وقدم طبع الجزء الاول فبلغت صفحاته ١٨٦ بقطع المنار وثمنه ٥ قروش ويطلب من مكتبة المنار وادارته بمصر

الدكتور محمد توفيق صدقي بحائثة منقبة ، مؤلف محقق ، عرفه قراء المنار بأثاره من أول عهده بالكتابة العلمية لانه قلما كتب شيئاً في غير المنار . ودروسه هذه مبنية على البحث والاطلاع والتحقيق والجمع بين العلم والعمل فهي كتاب علمي طبي جدير بأن يدرس في المدارس العربية ولا سيما الدينية منها لانه يقرب هذه العلوم من ذهن التلميذ بعبارة عربية سليمة ، التزم فيها تعريب الاصطلاحات العلمية والتوفيق بين مسائل العلم المحققة ونصوص القرآن والحديث عند الحاجة الى ذلك ، لالأن المراد مزج العلم بالدين في التعليم كما يتوهم من يرى أن الفصل بينها بتعليم كل منهما وحده أولى ، بل لان الفرض الاول من هذه الدروس أن يكون لرجال الدين الذين يعدون الارشاد والتعليم إمام صحيح بالعلوم التي يحتاجون اليها في التربية والارشاد من وجهين (أحدهما) تقوية الايمان بما ترشد اليه هذه العلوم من الآيات على

قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته ووحدانيته (وثانيهما) العلم بأن الانتفاع بها مطلوب شرعاً لأممنا كما يتوهمه الجاهلون . مثال هذا ان توقي ميكروبات الامراض والآفات التي تصيب الانسان والحيوان والنبات لا ينافي الايمان بالله ولا اتعول عليه ولا ما نقل في كتب الدين من نفي العدوى الجاهلية ، فاذا لم يكن رجال الدين على بصيرة في ذلك لا يسهل عليهم القيام بوظيفة الارشاد الاسلامي الذي يجب أن يكون جامعاً بين حقوق الارواح والاجساد ، ومصالحتي المعاش والمعاد

الالفاظ الكتابية: لعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني — هذا الكتاب غني عن التعريف والتقرير وهو أشهر من نار على علم ، وقد طبع مرات بأشكال مختلفة ، ولعل آخر طبعة طبعها هي هذه التي طبعها محمد امين ومحمود توفيق بمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ على ورق أبيض بقطع رسالة التوحيد وجعل ثمنه أربعة قروش ويطلب منها ومن مكتبة المنار بمصر

أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه — رسالة مقتبسة من كتاب يثيمة الدهر الشهير تأليف أبي منصور الثعالبي ، طبعه علي عطية بمطبعة الجمالية بمصر على ورق أبيض صفحاته ١١٢ بقطع الاسلام والنصرانية وثمانه $\frac{1}{4}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر موضوع الرسالة ما قيل في شعر المتنبي انتقاداً وتقريراً وهو ما كتبه الثعالبي ؛ يثيمة عند الكلام على ابي الطيب وقال في آخره انه يصلح ان يكون كتاباً مستقلاً وهو القائل في المتنبي : إنه نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر .

ديوان عبد الرحمن شكري — طبع الجزء الثالث من هذا الديوان في مطبعة غرزوزي بالاسكندرية سنة ١٩١٥ فبلغت صفحاته ٧٤ فيها من القصائد والمقاطع ٥٥ ثمنه $\frac{1}{2}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر

شعر عبد الرحمن شكري معروف لقراء العربية فهو يطرق أبواباً لم يطرقها غيره لانه يقول الشعر للشعر لا للسعر فاذا كان الكون في نظر الشاعر قصيدة — كما يقول شكري — فان قصائده أبيات من تلك القصيدة كما يعلم من عناوين هذا الجزء ومنها : الربيع والصباء ، بين الحقيقة ، الخيال ، الشعر والطبيعة ، سحر الربيع ، الحسن مرآة الطبيعة ، وغير ذلك ومن قصائده الاخلاقية قصيدة تحت عنوان « صوت النذير » تمثل غيرته وشاعريته

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراء كمنار الطريق ﴾

مصر ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٣ — ١٥ العقرب (خ ٢) ١٢٩٤ هـ ش ٨ نوفمبر ١٩١٥

خلاصة سورة المائدة

انفردت هذه السورة بعدة مسائل في أصول الدين وفروعه وبتفصيل عدة أحكام اجملت في غيرها اجمالاً ، وأكثرها في بيان شؤون أهل الكتاب ومحتاجتهم . ونحن نذكر قارئاً تفسيرنا بختصارها مراعين مناسبة بعض المسائل لبعض لا ترتيب ورودها في السورة ، وجعلنا ذلك على قسمين :

القسم الأول ماهو من قبيل الاصول والقواعد الاعتقادية أو العملية ﴿

(١) أهم الاصول التي انفردت بها السورة ، بيان إكمال الله تعالى للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم بالقرآن ، وإتمام نعمته عليهم بالاسلام . (راجع ص ١٥٤ - ١٦٧ ج ٦) (*)

(٢) النهي عن سؤال النبي (ص) عن أشياء من شأنها أن تسوء المؤمنين اذا أبديت لهم لما فيها من زيادة التكاليف مثلاً (راجع ص ١٢٥ - ٢٠٩ ج ٧) وقد علم من الآيات التي نزلت في هاتين المسألتين المتلازمتين ان كل حكم ديني من اعتقاد أو عبادة أو حلال أو حرام لم يدل عليه النص دلالة صريحة ولم تمض به السنة العملية من عهد النبي (ص) فليس من الدين الذي هو حجة الله على كل من بلغتهم دعوة الرسول بحيث يطالبون به في الدنيا ويستأثرون عنه في الآخرة ، كما فصلنا ذلك في تفسيرهما مع بيان الفرق بين الاحكام الدينية والدينية . وأما ما دل عليه الكتاب أو السنة دلالة غير صريحة - ومنه أكثر ما اختلف أئمة العلم في دلالاته - فهو حجة على من فهم منه الحكم لا على كل أحد كما بيناه في تفسير آية تحريم الخمر (٣) بيان ان هذا الدين مبني على العلم اليقيني في الاعتقاد والهداية في الاخلاق والاعمال ، وان التقليد باطل لا يقبله الله تعالى ، كما هو صريح الآية ١٠٧ (راجع ص ٢٠٥ ج ٧) وتقدم مثلها في سورة البقرة

(٤) بيان ان أصول الدين الإلهي على السنة الرسل كلهم هي الايمان بالله

(*) الإشارة بحرف ج لأجزاء التفسير المطبوع على حديثه لا لأجزاء المنار

واليوم الآخر والعمل الصالح فمن اقامها كما أمرت الرسل من اية ملة - من ملل الرسل كاليهود والنصارى والصابئين - فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون (ص ٤٧٦ ج ٦) وتقدم مثل ذلك في سورة البقرة

(٥) وحدة الدين واختلاف شرائع الانبياء ومناهجهم فيه

(٦) هيمنة القرآن على الكتب الالهية (ص ٤١٠ ج ٦)

(٧) بيان عموم بعثة النبي (ص) وأمره بالتبليغ العام وكونه لا يكلف من حيث كونه رسولا الا التبليغ ، وان من حجج رسالته انه بين لأهل الكتاب كثيرا مما كانوا يخفون من كتبهم وهو قسمان (أحدهما) ما ضاع منه قبل بعثة النبي (ص) بناء على الاصل المبين في هذه السورة وهو أنهم نسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به بانزاله فيها (وثانيهما) ما كانوا يكتُمونه من الاحكام اتباعا لاهوائهم مع وجوده في الكتاب كحكم رجم الزاني ، وقد بينا كلا من القسمين في موضعه من هذه السورة. ولولا ان محمدا الامي مرسل من عند الله لما علم شيئا من هذا ولا ذلك

(٨) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس أن يضره أو يقتلوه أو يقدروا على صده عن تبليغ رسالة ربه. وهذا من دلائل نبوته (ص) أيضا فكم حاولوا قتله فأعيامهم وأعجزهم (ص ٤٧٣ ج ٦)

(٩) بيان ان الله أوجب على المؤمنين اصلاح أنفسهم أفرادها وجماعتها ، وانه لا يضرهم من ضل من الناس اذا هم استقاموا على صراط الهداية ، أي لا يضرهم ضلاله في دنياهم لان الله تعالى لا يجعل له سبيلا عليهم ، ولا يضرهم في أمر دينهم وآخرتهم لأن الله تعالى لم يكافهم إكراه الناس على الهدى والحق ، ولا ان يخلقوا لهم الهداية خلقا ، وانما كلفهم ان يكونوا مهتدين في أنفسهم باقامة دين الله تعالى في الاعمال الفردية والمصالح الاجتماعية ، ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١٠) تأكيد وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما بينه الله تعالى من لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم وتعليقه ذلك بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

(١١) نفي الحرج من دين الاسلام (ص ٢٥٨ و ٢٦٩ ج ٦)

(١٢) تحريم الغلو في الدين والتشدد فيه ولو بتجريم الطيبات وترك التمتع
بها، وتحريم الخبائث والاعتداء والاسراف في الطيبات (ص ٤٨٨ ج ٦ و ١٧٧ - ٣٣٢ ج ٧)
(١٣) قاعدة إباحة الاضطرار للمحرم لذاته فيما يضطر اليه كالطعام، ومنه أخذ

الفقهاء قولهم: الضرورات تبيح المحظورات (راجع ص ١٦٧ ج ٦)

(١٤) قاعدة التفاوت بين الخبيث والطيب وكونهما لا يستويان في الحكم كما
انهما لا يستويان في أنفسهما وفيما يترتب عليهما. وهذا أصل عظيم من أصول
التحليل والتحريم في الطعام وغيره يدل على تعليل الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح،
وعلى عدم استواء جزاء الخبيث والطيب من الناس عند الله عز وجل (ص ١٢٢ ج ٧)
وما كان تعليل الاحكام وبيان حكمتها وفائدتها الا لاجل توخيها - كاحكام الطهارة
وتحريم الخمر والميسر وبعض الطعام واحكام الوصية والشهادة وإقسام الشهداء الميمين
- وانك لتجد الذين يجهلون ذلك لاعراضهم عن حكم القرآن وأسرار السنة قد
جعلوا أمر الوضوء والغسل تعديا محضا لا يستازم النظافة فعلا ولا قصدا، وزعموا ان
تحريم الخمر تعدي لا يدل على تحريم كل مسكر بناء على رأيهم ان الخمر ما كان من
عصير العنب خاصة، فإلى القول في فهمهم لسائر الاحكام

(١٥) تحريم الاعتداء على قوم بسبب بغضهم وعداوتهم، لانه يجب على
المؤمنين أن يلتزموا الحق والعدل ولا يكونوا كأهل السياسة المدنية (ص ١٢٨
و ٢٧٤ ج ٦)

(١٦) وجوب الشهادة بالقسط والحكم بالعدل والمساواة بين غير المسلمين
كالمسلمين ولو للاعداء على الاصدقاء وتأكيده وجوب العدل فيها وفي سائر الاحكام
والاعمال (ص ٢٧٦ و ٢٧٣ و ٣٩٤ و ٤١٢ و ٤٢٠ ج ٦)

(١٧) الامر المطلق العام في أول السورة بالوفاء بالعقود التي يتعاقد الناس
عليها في جميع معاملاتهم الدنيوية من شخصية ومدنية، وهذه قاعدة عظيمة من
قواعد الشريعة الاسلامية، وهي ان الله تعالى وكل أمر العقود التي يتعاملون بها
الى عرفهم ومواضعهم لانها من مصالحهم التي تختلف باختلاف الاحوال، فلم
يقيدهم في أحكامها وشروطها بقيود دائمة الا ما أوجبه الشرع مما لا يختلف باختلاف

الإحوال والعرف كتحريم أكل أموال الناس بالباطل كالربا والقيار ، فكل عقد يتعاقد عليه الناس لم يحل حراما ولم يحرم حلالا مما ثبت بالنص فهو جائز

(١٨) إيجاب التعاون على البر والتقوى ومنه تأليف الجماعات الخيرية والعلمية

وتحريم التعاون على الأثم والعدوان

(١٩) بيان أن الله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس في أمر دينهم

ودنياهم، فهو جعل تكويني باعتبار شرعي باعتبار آخر، وهو يدل على علمه الواسع،

المحيط بالأشياء والحكم والمصالح والمنافع

(٢٠) مسألة موالاتة المؤمنين للكافرين وبيان أن من آيات النفاق ومرض

القلب المسارعة في موالاتهم من دون المؤمنين خوفا أن تدور الدائرة على المؤمنين

ف تكون لهم يد عند أعدائهم يستفيدون بها منهم (ص ٤٢٣ ج ٦)

(٢١) تفصيل أحكام الوضوء والغسل والتيمم مع بيان أن الله تعالى يريد أن

يطهر الناس ويزكهم بما شرعه لهم من أحكام الطهارة وغيرها ، وشمول الطهارة في

آية الوضوء لطهارة الظاهر والباطن . وهذا يدل على أن أحكام الطهارة كلها معقولة

المعنى كما أشرنا إليه في المسألة الرابعة عشرة ، فيجب أن يتحرى بأداء ما ورد به

الشرع ما يتحقق به الحكمة منه ، ويدل على أن الوسوسة في الطهارة مذمومة

مخالفة لنص الشرع ومقصده

(٢٢) تفصيل أحكام حلال الطعام وحرامه وما حرم منه لكونه خبيثا في ذاته

كالميتة وما في معناها والخنزير وما حرم لسبب ديني كالذي يذبح للأصنام

(٢٣) تحريم الخمر وهو كل مسكر والميسر وهو الفهار ومنه ما يسمى في عرف

الناس اليوم بالمضاربات

(٢٤) أحكام محرمات الاحرام

(٢٥) تفصيل أحكام الصيد للحل والحرم في أوائل السورة وأواخرها

(٢٦) حدود المحاربين الذين يفسدون في الارض ، ويخرجون على أئمة العدل ،

وحد السرقة ، وما يتعلق بالحد كسقوطه بالتوبة بشرطه

(٢٧) أحكام الايمان وكفارته واطمان الامناء والشهود

(٢٨) تأكيد أمر الوصية قبل الموت وأحكام الشهادة على الوصية وفي قضاياها وشهادة غير المسلم على المسلم ، والفرق بين الشهادة والاشهاد . وإنما بعد الاطالة في تفسير الآيات في الوصية والشهادة فيها لخصنا مسائلها في ١٥ مسألة

(٢٩) الامر بالتقوى في عدة آيات من هذه السورة تدخل في جمع الكثرة ، لان صلاح أمور الدنيا والدين يتوقف على التزامها ، وأما يرجى بتكرار الامر بها في كل سياق بحسبه

(٣٠) بيان تفويض أمر الجزاء في الآخرة الى الله تعالى وحده كما حكاه سبحانه من قول المسيح في ذلك اليوم مقرونا بتعليله ودليله ، وكون النافع في ذلك اليوم هو الصدق في الظاهر والباطن ، جعلنا الله من أهله

﴿ القسم الثاني ماورد من الاخبار والحجاج والاحكام ﴾

(في شان أهل الكتاب)

من الآيات في هذا القسم ما نزل في شأن أهل الكتاب عامة ، ومنه ما هو في أحد الفريقين خاصة . فمن المشترك وصفهم بالغلو في دينهم المستازم للتعصب الضار ، واتباعهم أهواء من ضل قلبهم من الوثنيين وغيرهم ، وبالغرور في دينهم وزعمهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، وبأنهم مع ذلك نقضوا ميثاق ربهم ، ونسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به على السنة أنبيائهم ، ولم يقيموا التوراة والانجيل كما أوجب الله عليهم ، وقد فسد دعواهم أنهم أبناءه وأحباؤه بما يأتي ذكره قريبا وبين الله لهم حقيقة الامر وهي أنهم بشر ممن خلق الله ، لا مزية لهم على سائر البشر في انفسهم وذواتهم ، لان البشر انما يمتاز بعضهم على بعض بالعلوم الصحيحة والاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة ، لا بالنسب والاتباء الى الانبياء والصالحين وان كانوا مخالفين لهم في هدايتهم وذكر من جزائهم على سوء أعمالهم في الدنيا إلقاء العداوة والبغضاء بينهم ، وأنه يعذبهم في الدنيا بذنوبهم الشخصية والقومية كغيرهم ، وان ذلك يدحض دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ودعاهم كافة الى الاسلام ، والايمان بخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، الذي بين لهم حقيقة دينهم الذي كان عليه سلفهم ، ودحض ما زادوا فيه

بالبرهان، وبين بعض ما كانوا يخفون أو يجهلون منه أحسن بيان
 ووصف التوراة والإنجيل أحسن وصف، وذكر من أخبار التوراة قصة ابني
 آدم بالحق، ومن أحكامها عقوبات القتل واتلاف الاعضاء والجروح، ومن أخبار
 الإنجيل والمسيح ما هو حجة على الفريقيين، وبين ان الكتابين أنزلا نورا وهدى
 للناس، وانهم لو كانوا أقاموها لكانوا في أحسن حال، ولسارعوا الى الايمان بما
 أنزله الله على خاتم رسله مصدقا لأصلهما، ومينا لما طرا عليهما، ومكملا لدين
 الانبياء جميعا، على سنة الله في النشوء والارتقاء، التي هي أظهر في البشر منها في
 سائر الاشياء، ولكنهم اتخذوا الاسلام هزواً واعبا في جهلته وفي صلاته، ووالوا عليه
 المناصبين له من أعدائه، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم لذلك

ومما جاء في اليهود خاصة نعيما عليهم وبيانا لسوء حالهم — انهم نقضوا ميثاق الله
 الذي أخذه عليهم في كتابهم ونسوا حظا عظيما مما ذكروا به، وحرفوا الكلم عن
 مواضعه، وتركوا الحكم بالتوراة وأخفوا بعض أحكامها، وحكموا الرسول ولم يرضوا
 بحكمه الموافق لها، وان من صفاتهم الغالبة عليهم قساوة القلب، والخيانة والمكر،
 والكذب وقول الأثم، والمبالغة في سماع الكذب وأكل السحت، والسعي بالفساد في
 الارض، وفي ايقاد نار الفتن والحرب، وانهم كانوا يقتلون الانبياء والرسل بغير حق،
 وتمردوا على موسى اذ أمرهم بدخول الارض المقدسة وقتال الجبارين فعاقبهم الله
 بالتيه في الارض، وانهم كانوا أشد الناس عداوة لالمؤمنين، حتى انهم يوالون عليهم
 المشركين، بسبب ما ورثوه من تلك الصفات عن الغابرين. وذكر انه عاقبهم على
 ذلك كله باللعن على السنة الرسل، وبالفضب والمسح، وهذه الصفات التي غلبت
 عليهم في زمن البعثة وقبله تثبتتها توارىخهم وتوارىخ غيرهم، ومن المعلوم انها لم تكن
 عاملة فيهم ولا شاملة لجميع أفرادهم، فقد أنصفهم الحكم العدل في هذه السورة وغيرها
 بالحكم على الكثير منهم أو أكثرهم، ومنه قوله في هذه السورة (منهم أمة مقصدة
 وكثير منهم ساء ما يعملون) ويدنا في الموضوع ما كان بعد النبي (ص) من مساعدة
 اليهود للمسلمين في الشام والاندلس

ومما جاء في النصارى خاصة انهم نسوا — كاليهود — حظا مما ذكروا به،

وأهم قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ، ورد عليهم هذه العقيدة بالادلة العقلية وبراءة المسيح منها ومن منتحلها يوم القيامة ، وبين لهم حقيقة المسيح وانه عبد الله ورسوله وروح منه ، وما أيده به من الآيات ، وحال حواريه وتلاميذه في الايمان . وبين أنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين ، (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) فليراجع تفسير ذلك في أول الجزء السابع

وجملة الآيات الواردة في أهل الكتاب تشهد لنفسها أنها من عند الله تعالى لا من عند محمد بن عبد الله العربي الامي الذي لم يقرأ شيئاً من تلك الكتب ، على ان تلك الآيات ليست موافقة لها ولهم موافقة الناقل للمنقول عنه ، وانما هي فوق ذلك تحكم لهم وعليهم وفيهم وفي كتبهم حكم المهيمن السميع العليم

أحكام السورة الخاصة بأهل الكتاب

لو كان هذا القرآن من وضع البشر لشرع معاملة أهل الكتاب الموصوفين بما ذكر — ولا سيما الذين ناصبوا الاسلام العداء عند ظهوره — بأشد الاحكام وأقساها . ولكنه تنزيل من حكيم حميد ، أمر في هذه السورة بمعاملتهم بالعدل ، والحكم بينهم بالقسط ، وحكم بكل مؤاكتهم ، وتزوج نسائهم ، وقبول شهادتهم ، والعتق والصفح عنهم ، وهذه الاحكام التي شرعت هذه المعاملة الفضلى لهم نزلت بعد إظهار اليهود للنبي (ص) والمؤمنين منتهى العداوة والغدر ، وبعد أن ناصبوه مع المشركين الحرب ، وهي تتضمن تأليف قلوبهم ، واكتساب مودتهم ، (راجع ص ١٩٥ ج ٦) وقد ختم الله تعالى السورة بذكر الجزاء في الآخرة بما يناسب أحكامها كلها ، كما بيناه في تفسير آخر آية منها .

روى أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي في سننه ، وبمض رواة التفسير عن جبير بن نفير قال : حججت فدخلت على عائشة فقالت لي يا جبير تقرأ المائدة ؟ فقلت نعم . فقالت أما انها آخر سورة نزلت فما وجدت فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدت فيها من حرام فحرموه ، وروى احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمرو قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة

والفتح . وقد تقدم في آخر تفسير سورة النساء بعض ماورد في آخر ما نزل من القرآن من السور برمتها ومن الآيات ، وكان كل يزوي ما وصل اليه علمه ، والله أعلم

﴿ تم تفسير سورة المائدة ﴾

﴿ يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير قد وفقني الله تعالى لاتمام تفسير هذه السورة في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ وكنت بدأت بتفسيرها في مثل هذا الشهر من سنة ١٣٣١ وسبب هذا البطء اني أكتب التفسير لينشر في مجلة المنار فتارة أفسر في الجزء منه بضع آيات ، وتارة أفسر آية واحدة في عدة أجزاء . وقد يمر شهر أو أكثر ولا أكتب في التفسير شيئاً ، وأسأل الله تعالى ان يوفقني لاتمام هذا التفسير بمنع العوائق والمباركة في الوقت وان يؤيدني فيه بروح من عنده ﴾

مكان الاسباب من الدين

﴿ فصل من مدارج السالكين في رد ما قاله صاحب المنازل في باب التليس ﴾

قد عرفت ان هذا الباب مبناه على محو الاسباب وعدم الالتفات اليها والوقوف معها ، ولهذا سمي المصنف نصبها تلبيساً ، ونحن نقول : ان الدين هو اثبات الاسباب والوقوف معها والنظر اليها والالتفات اليها ، وانه لا دين الا بذلك كما لا حقيقة الا به ، فالحقيقة والشريعة مبناهما على اثباتها لاعلى محورها ، ولانكر الوقوف معها فان الوقوف معها فرض على كل مسلم لا يتم اسلامه وإيمانه الا بذلك ، والله تعالى أمرنا بالوقوف معها بمعنى انا ثبت الحكم اذا وجدت ونفيه اذا عدت ، ونستدل بها على حكمه الكوني ، فوقوفنا معها بهذا الاعتبار هو مقتضى الحقيقة والشريعة ، وهل يمكن حيوانا ان يعيش في هذه الدنيا الا بوقوفه مع الاسباب ؟ فينتجع مساقط غيبتها وموقع قطرها ، ويرعى في خصبها دون جذبها ، ويسالمها ولا يحاربها ، فكيف وتنفسه في الهواء بها وتحركه بها وسمعه وبصره بها وغذاؤه بها ودواؤه بها وهداه بها وسعادته وفلاحه بها ، وضلاله وشقاؤه بالأعراض عنها وإلغائها ، فأسعد الناس في

الدارين أقومهم بالاسباب الموصلة الى مصالحهما ، وأشقاهم في الدارين أشدهم تعطيلاً
 لاسبابهما ، فالاسباب محل الامر والتهمي والثواب والعقاب والنجاح والخسران ،
 وبالاسباب عرف الله ، وبها عبد الله ، وبها اطيع الله ، وبها تقرب اليه المتقربون ،
 وبها نال أولياؤه رضاه وجواره في جنته ، وبها نصر وا حزبه ودينه ، وأقاموا دعوته ،
 وبها أرسل رسله وشرع شرائعه ، وبها انقسم الناس الى سعيد وشقي ، ومهتد وغوي ،
 فالوقوف معها والاتفات اليها والنظر اليها هو الواجب شرعاً كما هو الواقع قدراً ،
 ولا تكن ممن غاظ حجابيه وكشف طبعه فيقول : لا تقف معها وقوف من يعتقد انها
 مستقلة بالاحداث والتاثير وانها أرباب من دون الله . فان وجدت أحدا يزعم ذلك
 أو يظن انها أرباب وإله مع الله مستقلة بالايجاد ، أو انها عون الله يحتاج في فعله اليها ،
 أو انها شركاء له فشانك به ، فمزق أديمه وتقرب الى الله بعداوته ما استطعت ،
 والا فما هذا النفي لما أثبتته الله ! والالفاء لما اعتبره ! والاهدار لما حققه ! والخط
 والوضع لما نصبه ! والمحو لما كتبه ! والعزل لما ولاه !! فان زعمت انك تعزها عن رتبة
 الإلهية فسبحان الله ! من ولاها هذه الرتبة حتى تجعل سعيدك في عزها عنها
 ويالله ما أجهل كثيراً من أهل الكلام والتصوف حيث لم يكن عندهم تحقيق
 التوحيد الا إلفاءها ومحوها واهدارها بالكلمة ، وانه لم يجعل الله في المخلوقات قوى
 ولا طبائع ولا غرائز لها تاثير موجبة ماء ، ولا في النار حرارة ولا احراق ، ولا في
 الدواء قوة مذهبة للداء ، ولا في الخبز قوة مشبعة ، ولا في الماء قوة مروية ، ولا في
 العين قوة باصرة ، ولا في الانف قوة شامة ، ولا في السم قوة قاتلة ، ولا في الحديد قوة
 قاطعة ؟ وان الله لم يفعل شيئاً بشيء ، ولا فعل شيئاً لاجل شيء ، فهذا غاية توحيدهم
 الذي يحومون حوله ويبالغون في تقريره ، فلعمري الله لقد أضحكوا عليهم العقلاء ،
 وأشمتوا بهم الأعداء ، ونهجوا لأعداء الرسل طريق اساءة الظن بهم ، وجنوا على
 الاسلام والقرآن أعظم جنابة ، وقالوا نحن أنصار الله ورسوله الموكاؤون بكسر أعداء
 الاسلام وأعداء الرسل ، ولعمري الله لقد كسروا الدين وسلطوا عليه المبطلين . وقد
 قيل « إياك ومصاحبة الجاهل فانه يريد ان ينفمك فيضرك » فقف مع الاسباب
 حيث أمرت بالوقوف معها ، وفارقها حيث أمرت بمفارقتها ، كما فارقها الخليل وهو في
 (المنار: ج ١٠) (٩٤) (المجلد الثامن عشر)

تلك السفارة من المنجنيق (الى النار) حيث عرض له جبريل أقوى الأسباب، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. ودُر معها حيث دارت ناظرا الى من أزمته بيديه، والتفت اليها التقات العبد المأمور الى تنفيذ ما أمر به والتحديد نحوه، وارعها حق رعايتها، ولا تغب عنها ولا تفن عنها، بل انظر اليها وهي في ربتها التي أنزلها الله إياها، واعلم أن غيبتك بمسبها عنها نقص في عبوديتك، بل الكمال ان تشهد المعبود وتشهد قيامك بعبوديته وتشهد ان قيامك به لا بك ومنه لا منك وبجوله وقوته لا بجولك وقوتك، ومتى خرجت عن ذلك وقعت في انحرافين لا بد لك من أحدهما: إما أن تغيب بها عن المقصود لذاته لضعف نظرك وغفلتك وقصور علمك وعرفتك، وإما أن تغيب بالمقصود عنها بحيث لا تلتفت اليها، والكمال أن يسلك الله من الانحرافين فتبقى عبدا، ملاحظا للعبودية ناظرا الى المعبود، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة الا بالله

حرب أمم المدينة لا الملل الدينية

تسمي الجرائد العربية والاوربية هذه الحرب المشتعلة في أوربة حرب الامم، ولا نرمي لها مخالفا في صحة هذه التسمية، فقد أجمع الناس على ان جميع الامم الاوربية المتحاربة موافقة لدولها على الاستمرار على هذه الحرب الى أن يقضى آخر رجل يقدر على استعمال السلاح فيها، وينفق آخر دينار في صناديقها، أو تقهر عدوها قهرا يخضع به لحكمها، ويدعن صاغرا لشروط الصلح التي تضعها حكومتها، وينقلون لنا ان النساء موافقات للرجال في هذا الامر، وان القسيسين والرهبان والاشتراكيين أيضا متفقون فيه مع رجال الحرب، الا ما تنقله الجرائد آنا بعد أن عن بعض النساء والاشتراكيين في ألمانية من الرغبة في عقد الصلح كراهة للحرب وأطيطا من أوزارها، وأيننا من أهوالها وسوء آثارها، ولعل هذا من قبيل ما كانت تنقله في أول الحرب من كراهة الشعب الألماني كله لها ورغبته عنها، وكون عاهله هو الذي ساقه اليها سوقا، بل دعه اليها دعا، وكنا أول من خالفهم في ذلك على أن المعقول الذي لا يعقل غيره هو أنه يوجد في كل أمة محاربة كثير حتى

من أهل الرأي يكرهون الحرب لذاتها ويتمنون الصلح على علاته، والمعقول أن يكون أكثر هؤلاء الناس من أفراد الحكماء الراسخين ، ومن النساء والاشتراكيين ، ومن المتدينين الذين يفهمون ان الديانة المسيحية ديانة سلم وتواضع وزهد في المال والجاه والرياسة والملك — وما أكثر المتيمين اليها على هذا الفهم — فحيث يكثر هؤلاء يكثر الميل الى الصلح ، والجنوح الى السلم ، وان لم تعن الجرائد بنقل أخبار هؤلاء في بلادها وبلاد أحلافها ، لتلايفتر أعداؤها ويظنون أن أممهم غير متفقة على تأييد حكوماتها ، وهي انما تنقل عن شعوب أعدائها الميل الى الصلح في سياق ذمها بالمجز والضعف ، لا في سياق مدحها بكرهه القسوة والوحشية والافساد في الارض ، واستقباح الطمع المنفسي الى اهلاك الحرث والنسل ، ولذلك كانت تقول في أول الحرب ان الشعوب الجرمانية كارهة له مكرهة عليه ، ويوشك أن تخرج على حكومتها وتثور عليها ، ثم رجعوا عن ذلك ووصفوها بضده ، فالجرائد السياسية لا تكتب الا ما يمليه عليها الهوى ، فهي تابعة لمهابة أهوائه تميل معها كيفما أمالتها

الا أنها صادقة في قولها ان السواد الاعظم من الامم الأوروبية مؤيد لدولها بما لها ورجالها واجماعها على الاستمرار في الحرب ، الى أن تنال ما ترجون النصر ، وتكون كامتها هي العليا ، وكلمة أعدائها هي السفلى ، فان من يوجد في كل منها من محبي السلم يباعث الدين أو حب الانسانية والميل الى التواضع والقناعة مغلوبون على أمرهم ، ووجودهم لا ينافي ما أجمع عليه الكتاب من أن هذه الحرب هي حرب الامم لا الدول ، فان العبرة بالغالب والنادر لا حكم له ، وقد جرت عادة الناس أن يطلقوا على جملة الامم مافشا فيها وثبت لاكثرها من الاعمال ، أو اتصفت به من الصفات والاخلاق ، ولن تستطيع دولة من دول أوروبا الاستمرار على الحرب اذا كان الرأي الغالب في الامم لا يؤيدها ، الا أن تكون الدولة الروسية التي ليس لأمتها رأي غالب ومن أعجب ما نقل الينا عن الحكومة الانكليزية — ويحسن عده في هذا المقام من فضائلها التي تجري فيها على عرق — أنها حكمت أخيرا بوجود التجنيد الاجباري على المزاب الا من يرى ذلك مخالفا لوجدانه واعتقاده ، وقد سبق لسلفها مثل ذلك في قانون وجوب التلقيح للوقاية من الجدري ، وهذه الفضيلة مما امتاز به الانكليز

على غيرهم، وهم موافقون فيه لقاعدة من قواعد الاسلام تركها احكام المسلمين منذ قرون ان ما أجمع عليه الناس من تسمية هذه الحرب حرب الامم قد استثنوا منه الامة العثمانية بالنقل ، كما استثنينا منه بعض الافراد من كل أمة بحكم العقل ، فقد نقلت الينا بلاغات دول الحلفاء الرسمية، والبرقيات العامة والجرائد الغربية والشرقية، أن الشعب العثماني كاره لهذه الحرب ، بل قالوا مرارا ان السلطان وولي عهده وسائر أهل بيته وأكثر رجال دولته كانوا معارضين فيها ، وما زالوا كارهين لها ، بل قالوا أيضا ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا كذلك ، وان السبب المباشر لا يذان دول الاحلاف الدولة بالحرب — وهو اعتداء البارجتين الالمانيتين (غوبن وبرسلو) على ثغور روسية — لم يكن باذن من السلطان ولا الصدر الاعظم ، بل لم يعلما به الا بعد وقوعه ، وقد وعدا سفراء دول الاحلاف بعدم العود الى مثله ، وان أنور باشا ناظر الحرية هو الذي اتفق مع ألمانية على ضم الدولة اليها في هذه الحرب، فغلب نفوذه على نفوذ غيره من زعماء جمعيته بمساعدة الالمان، الذين كان قد وُكل اليهم أمر اصلاح الجيش العثماني بعد حرب البلقان . ولا تزال الجرائد تتخولنا بأخبار كراهة العثمانيين لهذه الحرب في عاصمة الدولة وولاياتها ، وما يأترون به لاسقاط الحكومة الاتحادية وانشاء حكومة جديدة تصالح الاحلاف وتتفق معهم ، وبسعي صباح الدين أفندي ابن أخت السلطان الى ذلك واتفاق حزبه أخيرا مع حزب المشير شريف باشا وبعض رجال حزب الحرية والائتلاف على ذلك أنا لم أصدق كل ما نشرته الجرائد في هذا الموضوع وان كان بعضه رسميا، ولا أكذبه كله وان كان سنده ضعيفا واهيا ، واعتقد ان أهل الحل والعقد من زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا متفقين مع الالمان، وان السواد الاعظم من العثمانيين كاره لهذه الحرب في كل مكان، فهي حرب الدولة التي يتولى ادارتها الاتحاديون، لا حرب الامة العثمانية وان أقرها المبعوثون، فان المبعوثين في هذا العهد لا يمثلون الشعوب العثمانية ولا يصبون عن رأيها ، بل أكثرهم السنة لجمعية الاتحاد والترقي ومظهر لارادتها اذا تمهد هذا فاعلم أيها القارئ أنني لم أقصد به المدح أو الذم للامم المتفقة على الحرب أو المختلفة فيها، ولا التخطئة أو التصويب لموقدي نارها ، وإنما أريد ان أثبت

إنها حرب المدينة الاوربية الحديثة ، لا حرب دينية ولا مذهبية ، وهذه المدينة مادية لا روحية ، دنيوية لا دينية ، وغاية اصحابها ومقصدهم منها هو التمتع بالشهوات البدنية ، والعلو والعظمة في الارض ، والتكاثر في الاموال وضروب الزينة ، فهي لا تتفق مع شرعة المسيح (عليه السلام) في ورد ولا صدر ، ولا تسير في منهاجه في مبدأ ولا غاية ، ولو كان روح المسيحية الحق له سلطان غالب في أوربة لما وقعت هذه الحرب البتة ، كلا ان روح المسيحية مغلوب على أمره لسلطان المدينة المادية ، فموقدو نار الحرب إما من خلص الماديين ، وإما من متبعي أهوائهم في فهم الدين ، ولكن أهوال الحرب قد أيقظت في جمهور كل أمة منهم شعور الدين ، وكثر فيهم من يصلون ويدعون الله ان ينصرهم على أعدائهم ، كما هو شأن البشر في حال الكروب والخطوب (فاذا غشيتهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر ذاهم يشركون * فاذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره ، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) فهل يعتبر بهذه الحرب أولئك الخادعون المخدوعون الذين كانوا يعيرون الاديان ، بزعمهم أنها مثار البغي والعدوان ، ومسر نيران الحرب بين الانسان وأخيه الانسان ، وانه لولاها لا آخت المدينة بين الناس ، وجمعت بين ما تفرق من الاجناس ؟ كلا إن الحياة المدنية هي التي تولد في النفوس المطامع التي لا حد لها ، وتقرن التنافس بالتحاسد ، وتسوق الحسد الى البغي والتقاتل ، وان الدين ينهي عن ذلك كله ، ولكن الناس كثيرا ما يخطئون في فهمه ، وكثيرا ما يتعمدون تحريف كلمه عن مواضعه ، فهم يسيئون استعماله كما يسيئون استعمال الحواس والعقل وغير ذلك من نعم الله تعالى ، فمن مقاصد الدين إزالة الخلاف من بين الناس فاتخاذوه سببا من أسباب الخلاف (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) فالحرب سنة من سنن الاجتماع قد يخفف الدين شرورها بقدر ارتقائه واستمسك أهله به كما بيناه في مقالة نشرناها في الجزء الثالث عنوانها (حرب المدينة الاوربية ، والمقارنة بينها وبين المدينة الاسلامية والفتوحات العربية)

وليس للمدينة المادية مثل هذا التأثير في نفسها ، فان وجد في أمم المدينة من

يقبح الحرب أو يقبح ارتكاب القسوة فيها غيره على العمران ومحافظة على حقوق البشر غير مهتد في ذلك بتربية الدين ولا متأثر بفضائله فهو لا يكون الا كالتاجر الخوان لا يحجم عن صفقة الا خوفا من الخسارة، فتي غلب على ظنه انه يربح فيها لا يبالي ما يفعل . اللهم الا الافراد من الحكماء ، الذين رجح العقل والفضيلة في نفوسهم على الاهواء ، كالفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي الذي اهدى اليه اهل الألمان وساما علميا فلم يقبله منه لانه قيصر حرب وهو عدو للحرب ، وإياك ان تظن في هذا الحكيم الكبير انه كان يبغض الالمان بفضاسياسيا لمناظرتهم لقومه فلبس عليهم وعلى الناس بما ادعاه من سبب رفض الوسام ، فكان ذلك من الرياء الفرسي الذي يغمز به الانكليز منتقدوهم كما صرحوا به في هذه الأيام (١) ، فان هذا الحكيم الكبير قد نصح لليابانيين بأن لا يولوا قومه الانكليز شيئا من شؤون بلادهم ، لان ذلك يكون ذريعة لعيشهم باستقلالهم ، فأني استقلال في الرأي واخلاص في النصيح أدل على الحكمة والفضيلة من هذا ؟

على ان هذا الفيلسوف لم يكن ماديا بل كان يشكو من انتصار المطامع المادية في البلاد الاوربية — حتى في بلاده — على الفضيلة كما حدثنا عنه شيخنا الاستاذ الإمام . واننا نذكر في هذا المقام بعض ما دار بين حكيمي الشرق والغرب في زيارة الاول للثاني بداره في ١٠ اغسطس سنة ١٩٠٣ : بدأ المزور الزائر بسؤاله عما رأى من تغير الافكار في انكلترة وعما دخل الشرق من الافكار الاوربية ، وشكا اليه من سريان الافكار المادية الى قومه وما يخشى من اضعافها للفضيلة ، ثم دار بينهما ما يأتي قال الفيلسوف : الحق عند أوربة للقوة . قال الاستاذ الامام : هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هي التي حملت الشرقيين على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منابها . قال الفيلسوف : محي الحق بالمره من عقول أهل أوربة وسترى الامم يختبئ بعضها ببعض ليتبين من هو الاقوى فيكون سلطان العالم .

(١) من الشواهد على هذا ما في مقالة (آراء الاميركيين في الحرب) المنشورة في جزء يناير سنة ١٩١٥ من المقتطف ، وأوضح منه مقالة لكانب قصصي انكليزي كتبها لصديق له فرنسي ونشرت في المقطم

قال الاستاذ: عندي أمل ان هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادئ الحق يحول دون ذلك. فقال الفيلسوف كلاما يدل على يأسه من ذلك. وقد كتب الاستاذ في مذكرته بعد الاشارة الى هذه المذاكرة مانصه:

« ماذا حركت مني كلمة الفيلسوف « الحق للقوة » الخ؟ جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل فأثارت حرارة وهاجت فكرا، لوجأت من ثرثار غيره كانت تأتي مقتولة ببرد التقليد، فكانت (تكون) جيفة تعافها النفس فلا تحرك الاشتهارازا وغشيانا « هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد في راحة الانسان وتوفير راحته وتعزيز نعمته (أعجزهم) ان يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود اليها، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد اللامع المضيء، افلا يفسر لهم ان يجلبوا ذلك الصدا الذي غشي الفطرة الانسانية ويصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحاني؟ حار الفيلسوف في حال أوربا وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء؟ الرجوع الى الدين الخ الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها الى أربابها في كل زمان لكنهم يعودون فيجهلون، اه الظاهر ان الاستاذ كان يريد ان يتوسع في هذا الموضوع كما يشير الى ذلك قوله في مذكرته « الخ، ولعله كان ينتظر فرصة مناسبة للمقام سواء كانت عملية كهذه الحرب أو قولية كقال ينشر في الصحف في تفضيل المدنية المادية على المدنية الدينية فيكتب مقالا يبين فيه الحق ويزيل فيه الالتباس مؤيدا بالحكمة الصحيحة وشواهد التاريخ، وقد بينا شيئا من المقابلة بينها وبين المدنية الاسلامية في المقالة التي أشرنا اليها آنفا ان أصحاب النظر والاستقلال من هؤلاء المشاق للمدنية المادية — وقليل ما هم — كانوا يفرقون في حسن الظن بالمدنية المادية وبأهلها إغراقا بعثهم على الجزم بأن فكرة الحرب قد قضي عليها في أوربة قضاء مبرما فلن توقدها هنالك نار، وكانوا يقولون: ان وجد من الملوك والرؤساء من يسعى لها سعيها، ويحاول ان يقدح لها زندهاء فان شعبه هو الذي يضرب على يده، ويفت في عضده، وقد كنا نخالف هؤلاء في الرأي، ومنهم من هو أعلم منا بحال القوم، ولكن رأيهم في ذلك خالف رأي من هو أعلم منا ومنهم بحال أوربة وفلسفتها. الا وهو شيخ فلاسفتها الاكبر، هربرت سبنسر

كان أولئك المحسنون للظن ، من ذوي الاستقلال في الرأي ، لا ينكرون كالمقلدين سيئات هذه المدنية المادية ، ولكنهم يقولون إنها اذا قيست بسيئات المدنية الدينية كانت أقل منها وأخف ضررا ، ونحن نخالفهم في هذا أيضا ، ونقول ما كل سيئات المدنية القديمة صادرة عن الدين والفلسفة الروحية ، وما كل حسنات المدنية الحديثة صادرة عن الاتحاد والفلسفة المادية . ولا تضاد بين العلوم والأعمال المادية ، وبين العقائد والأعمال الدينية ، وإنما نعني بالمدنية المادية المذمومة ما كان مبنيا على جحود حياة بعد هذه الحياة الدنيا ، وحصر ثمرات أعمال البشر في التمتع بالذات الدنيوية من طعام وشراب وفراش وزينة ورياسة — ونعني بالمدنية الدينية ما كان مبنيا على أن للإنسان حياتين يجب عليه أن يأخذ حظه من أولاهما الدنيا بالمعروف ويستعد فيها للآخرة بالعمل الصالح ، على حد قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين) فان أصول الدين التي دعا اليها الرسل هي الثلاثة المنصوصة في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) من البديهي ان من لم يكن له حظ من وجوده الا التمتع بلذات الدنيا وزينتها لا يكون له من حياته الا تحصيل المال والجاه الموصل اليها بحق أو بغير حق ، وان الحق يكون عنده تابعا للقوة دون العكس ، فان وجد في أهل هذه المدنية المادية من يعترف بحق لضعيف فانما يعترف به لمنفعة يراعيها ، أو لمفسدة يتقيها ، ولو تنازع أقوياء هؤلاء على الضعفاء ، لما سلم ضعيف من الايذاء ، وقد كان من المصالح جعل بعض الدول الصغيرة في أوربة حاجزا بين الكبيرة المتعادية منها ، وتعاهدوا على ان تكون حرما آمنا لا يجنى عليها ، ولكنهم لم يراعوا هذه اليهود ولا غيرها عند حاجتهم الى نقضها في هذه الحرب ، والدين لا يبيح ذلك . قال تعالى في اليهود بين المسلمين والمشركين (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) وقال في المؤمنين الذين لم يهاجروا الى النبي (ص) (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير)

الألقاب

بحث لغوي تاريخي في الألقاب الرسمية وغير الرسمية

منقول من الفصل الثاني من الباب الأول من المقالة الثالثة من الجزء الخامس من كتاب صبح الاعشى للكلام فيه طرفان - قال :

الطرف الأول في أصول الألقاب وفيه جملتان

(الجملة الأولى في معنى اللقب والنعمة ، وما يجوز منه ويمتنع)

أما اللقب فأصله في اللغة النبز - بفتح الباء ، قال ابن حاجب النعمان في « ذخيرة الكتاب » : والنبز ما يخاطب به الرجل الرجل من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب إليه من كشفه ، وليس من باب الشتم والقذف

وأما النعمة فأصله في اللغة الصفة . يقال : نعمة ينعته نعمتا إذا وصفه . قال في « ذخيرة الكتاب » : وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في اجلاله ونباهته ، بخلاف اللقب . قال : لكن العامة استعملت اللقب في موضع النعمة الحسن ، وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم آياه ، حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله في التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة في النباهة والتكرمة

قلت : والتحقيق في ذلك أن اللقب والنعمة يستعملان في المدح والذم جميعاً فن الألقاب والنعوت ما هو صفة مدح ومنها ما هو صفة ذم . وقد عرفت النجاة اللقب بأنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالمودي الى المدح كأمر المؤمنين ، وزين العابدين ، والمودي الى الذم كأنف الناقة وسعيد كرز وما أشبه ذلك ؛ والنعمة تارة يكون صفة مدح ، وتارة يكون صفة ذم ، ولا شك أن المراد هنا من اللقب والنعمة ما أدى الى المدح دون الذم . وقد اصطاح الكتاب على أن سمو صفات المدح التي يوردونها في صدور المكاتبات ونحوها بصيغة الأفراد كالأمير والإميري

والاجل والاجلي والكبير والكبير ونحو ذلك ألقابا . وصفات المدح التي يوردونها على صورة التركيب ، كسيف أمير المؤمنين وظهير الملوك والسلاطين ، ونحو ذلك نعوتاً . ولا معنى لتخصيص كل واحد منهما بالاسم الذي سموه به الا مجرد الاصطلاح ، ولا نزاع في اطلاق اللقب والنعوت عليهما باعتبارين : فمن حيث انها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليها اسم اللقب ، ومن حيث انها صفات لدوات قائمة بها يطلق عليها اسم النعت

وأما ما يجوز من ذلك ويمتنع ، فالجائز منه ما أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره ، بل ربما استحب ، كما صرح به النووي في «الاذكار» للاطباقي على استعماله قديما وحديثا . والممتنع منه ما أدى الى الذم والنقيصة مما يكرهه الإنسان ولا يجب نسبته اليه ، قال النووي : وهو حرام بالاتفاق ، سواء كان صفة له ، كالاعمش ، والاجلح ، والاعمى ، والاحول ، والابرص ، والاشج ، والاصفر ، والاحدب ، والاصم ، والازرق ، والاشتر ، والاثرم ، والاقطع ، والزمن ، والمقعد ، والاشل ، وما أشبه ذلك ؛ أو كان صفة لأبيه : كابن الاعمى ، أو لأمه : كابن الصوراء ونحو ذلك مما يكرهه قال تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب بئس الأسمُ الفسوقُ بعد الايمان) قال : واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه الا بذلك ، ودلائل ذكره كثيرة مشهورة ، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها الغيبة

الجملة الثانية في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية الى المدح

واعلم أن القاب المدح ونعوته لم تنزل واقعة على أشرف الناس وجملة الخلق في القديم والحديث ، فقد ثبت تلقب ابراهيم عليه السلام بـ«الخليل» وتلقب موسى عليه السلام بـ«الكليم» وتلقب عيسى عليه السلام بـ«المسيح» وتلقب يونس عليه السلام بـ«ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ«الامين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية : كذبي يزن ، وذبي المنار ، وذبي نواس ، وذبي رعين ، وذبي جدن ، وغيرهم مما هو مشهور شائع .

وكذلك وقعت ألقاب المدح على كثير من عظماء الاسلام واشرافه كالصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم ؛ فكان لقب أبي بكر « عتيقا » ثم لقب بـ « الصديق » بعد ذلك ، ولقب عمر « الفاروق » ولقب عثمان « ذا النورين » ولقب علي « حيدرة » ولقب حمزة بن عبد المطلب « أسد الله » ولقب خالد بن الوليد « سيف الله » ولقب عمرو^(١) بن عمرو « ذا اليدين » ولقب مالك بن النسيان الانصاري « ذا السيفين » ولقب خزيمية بن ثابت الانصاري « ذا الشهادتين » ولقب جعفر بن أبي طالب بعد استشهاده « ذا الجناحين »

وأما الخلفاء ، فخلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم ، فلما صارت الخلافة الى بني العباس وأخذت البيعة لابراهيم بن محمد لقب بـ « الامام » ثم تلقب من بعده من خلفائهم : فتلقب محمد بن علي بـ « السفاح » لكثرة ما سفح من دماء بني أمية. واختلف في لقبه بالخلافة ، فقيل « القائم » وقيل « المهدي » وقيل « المرتضى » وألقاب الخلفاء بعده والى زماننا معروفة مشهورة على ما مر ذكره في المقالة الثانية. وعلى ذلك كانت القاب لخلفاء بني أمية بالاندلس الى حين انقراضهم على ما هو مذكور في مكاتبة صاحب الاندلس ، على ما سيأتي في المكاتبات في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى ثم تعدت ألقاب الخلافة الى كثير من ملوك الغرب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء في الالقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك ، فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بـ « وزير آل محمد » ولقب المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان « الأخ في الله » ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره « ذا الكفائتين » ولقب أخاه الحسن بن سهل « ذا الرياستين » ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد ابن مخلد « ذا الوزارتين » اشارة الى وزارة المعتمد والموفق ، وكان لقب اسماعيل ابن بلبل الشكور « الناصر لدين الله » كألقاب الخلفاء

وكذلك وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش ، فتلقب أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة بـ « أمير آل محمد » ، وقيل « سيف آل محمد » وتلقب أبو الطيب طاهر بن الحسين بـ « ذي اليمنين » ولقب المعتمد بالله حيدر

(١) في كتب اللغة والحديث ان اسمه الخرباق فلعل فيه خلافا

ابن كاووس بـ«الافشين» لانه أشروسني ، والافشين لقب على الملك بأشروسنة .
 ولقب اسحاق بن كيداح أيام المعتمد بـ«ذي السيفين» ولقب مؤنس في أيام
 المقتدر بـ«المظفر» ولقب سلامة أخو نوح أيام القاهر بـ«المؤمن» ولقب أبو بكر
 ابن محمد بن طفج^(١) الراضي بالله بـ«الخشيد» والاشيد لقب على الملك بفرغانة
 ثم وقع التلقب بالاضافة الى الدولة في أيام المكتفي بالله ، فلقب المكتفي
 أبا الحسين^(٢) بن القاسم بن عبيد الله « ولي الدولة » وهو أول من لقب بالاضافة
 الى الدولة، ولقب المقتدر بالله علي بن أبي الحسين^(٢) المتقدم ذكره « عميد الدولة »
 ووافت الدولة البويهية أيام المطيع لله والامر جار على التلقب بالاضافة للدولة
 فافتحت ألقاب الملوك بالاضافة الى الدولة ، فكان أول من لقب بذلك من الملوك
 بنو بويه الثلاثة : فلقب أبو الحسن علي بن بويه بـ«هماد الدولة» ولقب أخوه
 أبو علي الحسن بـ«ركن الدولة» وأخوها أبو الحسين بـ«معز الدولة» ثم وافى
 [عضد الدولة] من بعدهم فاقترح أن يلقب بـ«تاج الدولة» فلم يجب اليه وعدل
 به الى «عضد الدولة» فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك ، اختار له أبو اسحق
 الصابي صاحب ديوان الانشاء « تاج الملة » مضافا الى عضد الدولة ، فكان يقال
 « عضد الدولة وتاج الملة » ولقب أبو محمد الحسن بن حمدان أيام المتقي لله
 « ناصر الدولة » ولقب أخيه أبو الحسن علي بن حمدان « سيف الدولة »

وبقي الامر على التلقب بالاضافة الى الدولة الى أيام القادر بالله فافتتح التلقب
 بالاضافة الى الدين . وكان أول من لقب بالاضافة اليه أبو نصر بهاء الدولة بن
 عضد الدولة بن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة « نظام الدين » فكان يقال
 « بهاء الدولة ونظام الدين » قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقب به وأفرط ،
 حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكراد ، وسائر من طلب وأراد ،
 وكره (?) حتى صار لقباً على الاصل . ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد حتى
 تعاطاه أهل الاسواق ومن في معناهم ، ولم تصر به ميزة لكبير على صغير ، حتى قال قائلهم

(١) معنى طفج عبيد الرحمن كما في ابن خلكان (٢) لم يذكر في الضوء لفظ

طلب الدين مستغيثا الى الله وقال : العبادُ قد ظلموني !
 ينسبون بي ، وحقك لا أعرف منهم شخصا ولا يعرفوني !
 أما الديار المصرية فكان جريهم في الألقاب على ما ينتهي اليهم خبره من ألقاب
 الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو القاب خلفاء بني العباس
 ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله »
 وعلى ذلك الى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة
 الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية
 وتلقب وزراءهم وكتابهم بالاضافة الى الدولة ، ومن لقب بذلك في دولتهم
 [ولي الدولة] بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضا [ولي الدولة] بن خيران
 كاتب الانشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » .
 ثم تلقب الوزراء بعده بنحو [الافضل] و [المأمون] . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ،
 كـ « الملك الافضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ماسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى
 وكان الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية الى أثناء الدولة الايوبية يلقبون
 بـ « الفاضل والرشيد والعماد » وما أشبه ذلك . ثم دخلوا في عموم التلقب بالاضافة
 الى الدين ، واختص التلقب بالاضافة الى الدولة كولي الدولة بكتاب النصارى ،
 والامر على ذلك الى الآن

الطرف الثاني في بيان معاني الألقاب وفيه تسع جمل

الجملة الاولى في الألقاب الخاصة بآرباب الوظائف المعتمدة التي بها انتظام أمور
 المملكة وقوامها ، وهي قسمان (القسم الاول) الألقاب الاسلامية وهي نوعان :
 (النوع الاول) الألقاب القديمة المتداولة الحكم الى زماننا ، وهي صنفان :

الصنف الاول ألقاب آرباب السيوف ، وهي سبعة ألقاب

الاول — الخليفة . وهو لقب على الزعيم الاعظم القائم بأمر الأمة ، وقد اختلف
 في معناه ، فقيل : انه فعيل بمعنى مفعول ، كجريح بمعنى مجروح ، وقيل بمعنى مقتول
 ويكون المعنى انه يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى (اني جاعل في الارض

خليفة) على قول من قال: ان آدم عليه السلام أول من عمر الارض وخلفه بنوه من بعده . وقيل : فعيل بمعنى فاعل ، ويكون المراد أن يخلف من بعده ^(١) وعليه حمل الآية من قال انه كان قبله في الارض الجن وانه خلفهم فيها ، واختاره النحاس في [سنة الكتاب] وعابه اقتصر البغوي في [شرح السنة] والماوردي في «الاحكام السلطانية» قال النحاس: وعليه خوطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله وقد أجازوا أن يقال في الخليفة : خليفة رسول الله ، لانه خلفه في أمته . واختلفوا هل يجوز أن يقال فيه خليفة الله ؟ فجوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلقه محتجين بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت والله تعالى باق موجود الى الابد لا يغيب ولا يموت ، ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روي أنه قيل لابي بكر رضي الله عنه : يا خليفة الله . فقال : لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله -- فقال : ويلك ! لقد تناوت متارولا بعيدا ! ان أمي سميتي عمر ، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ، ثم كبرت فكتبت أبا حفص ، فلو دعوتني به قبلت ، ثم وليتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين ، فلو دعوتني به كفاك . وخصر البغوي جواز اطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام ، محتجا بقوله تعالى في حق آدم (اني جعل في الارض خليفة) وقوله في حق داود (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) ثم قال : ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما . قال في [شرح السنة] ويسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل اطلاق اسم الخليفة على ما بعد خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره ، محتجين بحديث « الخلافة بعدني ثلاثون » يعني ثلاثين سنة ، وكان انقضاء الثلاثين بانقضاء خلافة الحسن . ول انقضت الخلافة سارت ملكا . قال المعافى بن اسماعيل في تفسيره : وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان عن الفرق بين الخليفة والملك . فقال طلحة والزبير : لا تدري . فقال

(١) أيضا في الفسرة أيضا وفي نسخة أخرى: وألا ظهر من قبله

سلمان : الخليفة الذي يعدل في الرعية ، ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ؛ ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت أحسب أن في هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله أهدى سلمان حكماً وعلماً

واختلف في الهاء في آخره : فقيل أدخلت فيه للمبالغة كما أدخلت في رجل داهية وراوية وعلامة ونسابة وهو قول الفراء ، واستحسنه النحاس فأقلا له عن أكثر النحويين ، وخطأه علي بن سليمان محتجاً بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقياً . وقيل : الهاء فيه لتأنيث الصيغة . قال النحاس : وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا « فلان خليف فلان » يعنون خليفته

ثم الأصل فيه التذكير نظراً لأنه منى لان المراد بالخليفة رجل وهو مذكر ، فيقال أمر الخليفة بكذا على التذكير . وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة فيقال أمرت الخليفة بكذا ، وأنشد الفراء : « أبوك خليفة ولدته أخرى »

ومنع البصريون محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز [قالت طلحة] في رجل اسمه طلحة وهو ممتنع . فان ظهر اسم الخليفة تعين التذكير باتفاق فتقول قال أبو جعفر الخليفة أو : قال الرازي الخليفة ونحو ذلك . ويجمع على خلفاء ككريم وكرماء ، وعليه ورد قوله تعالى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وعلى خلاف كصحيفة وصحائف ، وعليه جاء قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) والنسبة اليه خلفي كما ينسب الى حنيفة حنفي . وقول العامة درهم خليفتي ونحوه خطأ ، اذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب اليه الياء وهاه التأنيث على ما هو مقرر في علم النحو . ومن وهم في ذلك المقر الشهابي بن فضل الله رحمه الله في كتابه [التعريف] حيث قال : وأول ما نبدأ بالمكاتبة الى الابواب الشريفة الخليفية ، ولعله سبق قلم منه ، والا فالله أله أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه

الثاني - الملك . وهو الزعيم الاعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة ، وقد نطق القرآن بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) (وقال الملك اثوني به) الى غير ذلك من الآيات ، ويقال فيه ملك بنكر اللام

وملك باسكانها ومليك بزيادة ياء ، ومنه قوله تعالى (عند ملك مقتدر) قول الجوهري : والملك مقصور من مالك أو مليك ، ويجمع على ملوك وأملاك . ويقال لموضع الملك المملكة

الثالث - السلطان . وهو اسم خاص في العرف العام بالملوك . ويقال : ان أول من لقب به [خالد بن برمك] وزير الرشيد ، لقبه به الرشيد تعظيما له ، ثم انقطع التلقب به الى أيام بني بويه فنلقب به ملوكهم فمن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم وهلم جرا الى زماننا

وأصله في اللغة الحججة قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) يعني من حجة . وسمي السلطان بذلك لأنه حجة على الرعية يجب عليهم الانقياد اليه

واختلف في اشتقاقه : فقيل انه مشتق من السلاطة وهي القهر والغلبة ، لقهره الرعية وانقيادهم له ، وقيل مشتق من السليط ، وهو الشيرج في لغة أهل اليمن لأنه يستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسان سليط أي حاد ماض لمضي أمره ونفوذه . وقال محمد بن يزيد البصري : السلطان جمع واحده سليط كقفيز وقفزان ، وبمير وبهران

وحكى صاحب [ذخيرة الكتاب] أنه يكون واحدا ويكون جمعا ، ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحججة . وحكى الكسائي وانفراء على التأنيث عن بعض العرب : قضت به عليك السلطان . قال العسكري في كتابه [الفروق] في اللغة : والفرق بينه وبين الملك أن الملك يختص بالزعيم الاعظم ، والسلطان يطلق عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عرف الفقهاء في كتبهم ، اذ يطلقونه على الحاكم من حيث هو حتى على القاضي فيقولون فيمن ليس لها ولي خاص يزوجه السلطان ونحو ذلك . ومن حيث ان السلطان أعم من الملك يقدم عليه في قولهم السلطان الملك الفلاني ، ليقع السلطان أولا على الملك وعلى غيره ثم يخرج غير الملك بعد ذلك بذكر الملك

الرابع - الوزير . وهو المتحدث للملك في أمر مملكته . واختلف في اشتقاقه : فقيل مشتق من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملجأ ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر)

سمي بذلك لان الرعية يلجئون اليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الاوزار وهي الامتعة ، ومنه قوله تعالى (ولكننا حملنا اوزارا من زينة القوم) سمي بذلك لانه متقلد بخزائن الملك وأمتعته ، وقيل مشتق من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو الثقل ، ومنه قوله تعالى (حتى تضع الحرب اوزارها) سمي بذلك لانه يتحمل أفعال الملك ، وقيل مشتق من الازر : وهو الظهر ، سمي بذلك لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر . وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وقد أوضحت القول في ذلك في [النفحات النثرية في الوزارة البدرية] قال القاضي في [عيون المعارف في أخبار الخلائف] وأول من لقب بالوزارة في الاسلام أبو سلمة حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح . قال : وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب . ثم هو إما وزير تفويض : وهو الذي يفوض الامام اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من لدن وزارة بدر الجمالي والى حين انقراضها ، واما وزير تنفيذ : وهو الذي يكون وسيطا بين الامام والرعايا معتمدا على رأي الامام وتديبه . وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة . أما الوزارة في زماننا فقد تقاصرت عن ذلك كله حتى لم يبق منها الا الاسم دون الرسم . ولم تنزل الوزارة في الدول تتردد بين أرباب السيوف والاقلام تارة وتارة الا أنها في زماننا في أرباب الاقلام

الخامس — الامير . وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يوليه الامام وأصله في اللغة ذو الامر وهو فعيل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى أمر ، سمي بذلك لامثال قومه أمره . يقال : أمر فلان . اذا صار أميرا ، والمصدر الامرة والامارة بالكسر فيهما ، والتأشير تولية الامير ، وهي وظيفة قديمة

السادس — الحاجب . وهو في أصله الوضع عبارة عن يبلغ الاخبار من الرعية الى الامام ويأخذ لهم الاذن منه ، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت لا تبدأ الخلافة فقد ذكر القاضي في [عيون المعارف] لكل خليفة حاجبا من ابتداء الامر والى زمانه : فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضي الله عنه « شديدا »

مولاه ، وحاجب عمر « يرفاً » مولاه ، وحاجب عثمان « حمران » مولاه ، وحاجب علي « قنبرا » مولاه ، وعلى ذلك في كل خليفة ، ماعدا الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا ، وسمي الحاجب بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عن يدخل اليه بغير اذن . قال زياد لحاجبه « وليتك حجابي وعزيتك عن أربع : هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح فلا تعوجه عني ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل فلا تحجبه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء في تلك الساعة ، ورسول الثغر فإنه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة ، فأدخله عليّ وان كنت في لحافي ، وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد »

ثم تصرف الناس في هذا اللقب ووضعوه في غير موضعه ، حتى كان في أعقاب خلافة بني أمية بالاندلس ربما أطلق على من قام مقام الخليفة في الامر ، وكانوا في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يعبرون عنه بصاحب الباب كما سبق بيانه في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب دولتهم . أما في زماننا فإنه عبارة عن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ، ليبلغ ضرورات الرعية اليه ، ويركب أمامه بعضا في يده ، ويتصدى لفصل المظالم بين المتداعين خصوصا فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الامور الديوانية ونحوها . وله بيلاذ المغرب والاندلس أوضاع تخصه في القديم والحديث ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكانباتهم في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

السابع — صاحب الشرطة . بضم الشين المعجمة واسكان الراء : وهو المعبر عنه في زماننا بالوالي ، وتجمع الشرطة على شرط بضم الشين المعجمة وفتح الراء . وفي اشتقاقه قولان : أحدهما انه مشتق من الشرط بفتح الشين والراء وهي العلامة ، لانهم يجعلون لانفسهم علامات يعرفون بها ، ومنه أشرط الساعة يعني علاماتها ، وقيل من الشرط بالفتح أيضا : وهو رذال المال ، لانهم يتحدثون في أراذل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص ونحوهم .

مجلد الحفظ كتاب الوباء والانتشار

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٢

الهيضة - أو الكوليرا Cholera

داء وبيل ، سريع الانتشار ، وأوبئته تفنك بالأم فتكا ذريعا
وكلمة كوليرا من كلمة يونانية معناها الميرة (وهي افراز الكبد المعروف الآن
بالصفراء) لان القيء والبراز بشملان في أول الامر على الصفراء ، ويسمى هذا
المرض باللغة العربية [الهيضة] ويسميه المتأخرون من العرب بـ [الهواء الأصفر]
لانهم توهموا أنه ينشأ من تغير في الجو أو الهواء
ومنبع هذا الداء بلاد الهند بأسية ولذلك يسمى بالهيضة الآسيوية ومنها انتشر
في أقطار المسكونة ، وقد دخل مصر عدة مرات

الاسباب - لهذا المرض ميكروب خاص يشبه الضمة اكتشفه (كوخ) سنة
١٨٨٣ وهو لا يصيب عادة غير الانسان. طول هذا الميكروب [ميكرون] واحد أو
اثنان . وقد يجتمع منه اثنان فأكثر فيتألف منهما حلزون ، وهو متمحرك وله هذب
واحد غالبا في أحد طرفيه ولا حبيبات له وإنما يتوالد بالانقسام
يوجد هذا الميكروب في براز المصابين وقد يوجد أحيانا في القيء أيضا ولا
يوجد في الدم ولا في الاعضاء ولا الانسجة وقد يستمر خروجه مع البراز حتى بعد
الشفاء بمدة ، وهو يسكن في الامعاء وأغشيتها المخاطية . وبعد الوفاة قد يوجد في جميع
أجزاء الجسم لانه ينفذ من الامعاء اليها

يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره ، والجفاف التام يقتله . وقد يعيش في الطين الرطب الى ٦٨ يوما ، وفي ماء الشرب عدة أشهر ، وفي البراز عدة أسابيع وحامض العصير المعدي يقتله ، ولكن هذا العصير لا يفرز إلا مع وجود الطعام فإذا شرب الانسان ماءً على الجوع خيف عليه العدوى لعدم وجود هذا الحامض حينئذ فيصل الميكروب الى الامعاء . وأمراض الجهاز الهضمي أو اضطراباته تهيئ المرء لقبول العدوى به

ولا يميز هذا الداء بين الذكر والأنثى ويصيب الناس في جميع الأعمار . والفاقة والضعف والادمان على الخمر مما يهيئ له وكذلك الافراط في الطعام الكثير . ويكثر انتشاره في فصلي الخريف والصيف ، ولكن البرد يوقف سيره والاصابة به مرة تحمي غالبا من الاصابة به ثانية

ولا يصل هذا الداء الى الانسان الا بطريق القناة الهضمية فهو في ذلك كالحي التيفودية سواء بسواء . ومما ينقله الى الطعام أو الشراب الذباب والنمل وغيرها الاعراض — مدة التفريح هي يومان عادة أو ثلاثة أيام ، وقد تكون أكثر من ذلك أو أقل

وقد يسبق جميع الاعراض اسهال أو يصاب المرء بنحمول وصداع ودوار وطنين وغير ذلك ، وتستمر هذه الحالة يوما أو اثنين أو ثلاثة ثم يشتد الاسهال دفعة واحدة وتزول الصفراء من البراز فيصير لونه كحساء الارز (أي مرق الارز المغلي) وتسمع في بطن المصاب قراقر كثيرة قلما يكون معها ألم . وبعد الاسهال بساعة أو أكثر يتبدى القيء فلا يبقى في المعدة شيء ، ويصير لونه كالون البراز أي كحساء الارز أيضا ، ويشتد العطش ويجف اللسان ويبيض ويتألم المريض من جس معدته ويصاب بتقلص مؤلم جدا في عضلات الساقين والقدمين أو الايدي والجذع (أي باقي الجسم) ثم يصاب المرء بالهمود (الهبوط) فيبرد الجسم ويزرق ، وتغور العينان ، ويبرد النفس وتنخفض الحرارة ويسرع النبض ويضعف جدا ولا يقدر المريض على الكلام ويزول الاسهال غالبا ولكن القيء يستمر ، ويقل افراز البول أو ينقطع مطلقا لشدة ضعف الدورة الدموية ولتقص مائة الجسم بالقيء والاسهال . وكثيرا ما يموت المصاب في هذا الطور

فإذا جاوزه ترتفع الحرارة تدريجياً ويعود لون الجلد الى أصله وترتفع العينان بعد الغرور ويتحسن النبض ويفرز البول ويزول الخطر شيئاً فشيئاً حتى يشفى المريض المضاعفات والعواقب كثيرة — منها: الالتهاب الرئوي أو الپليوراوي وموت بعض الأجزاء (غفرينا) وسقوطها كالصفن والقضيب أو الأنف، وظلمة القرنية وتقرحها الانذار — تختلف الوفيات من ٢٠ — ٦٠ في المئة. والمرض شديد الخطر على الصغار والشيوخ ومن كان ضعيف البنية أو سكيراً المعالجة — عند ظهور أعراض المرض الأولى تعطى الادوية الفايضة وأحسنها الأفيون

فإذا اشتد الاسهال والقيء وألم الساقين حقن المريض بالمورفين^(١) تحت الجلد وأعطى قطعاً صغيرة من الثلج لمصها أما في طور الهبوط فيعطى المنعشات المنبهات وما يملأ العروق مما سبق ذكره في باب النزف (صفحة ٥٥ من الجزء الاول) إما حقناً تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة وإما شرباً، ويدفأ تدفئة جيدة بزجاجات الماء الساخن والاعطية الثقيلة وبالدلك للاطراف

وقد وجد الماجور [ليونارد روجس Leonard Rogers] أن الحقن بمحلول ملحي في الاوردة واعطاء البرمنجنات من الفم قد قلل الوفيات الى ٢٣ في المئة. وقائدة هذا الحقن أن يزيل الهمود ويقوى القلب ويعوض الجسم ما فقده من الاملاح. وأما البرمنجنات فيظن أنها تؤكسد سموم ميكروب الكوليرا وبذلك تبطل عملها. وتركيب هذا المحلول الملحي هو ١٢٠ قححة من ملح الطعام و ٦ قححات من كلوريد البوتاسيوم و ٤ قححات من كلوريد الكلسيوم، تذاب كلها في نصف لتر من الماء العقيم ثم يحقن منها نحو لترين في أحد أوردة الذراع (أعني عرق الباسليق الاوسط وهو الاكحل بالعربية) وتكفي عادة حقنة واحدة. فإذا عاد الهمود عدنا باخرى، ولكن اذا كان الهمود قليلاً فالأولى الحقن تحت الجلد. وتكون حرارة الحقنة

(١) هو أهم الاصول الفعالة في الافيون، سمي بذلك من كلمة يونانية معناها « إله الاحلام » لأنه يحدث نوماً مريحاً، وأحلاماً لذيدة

٧٦٦ الوقاية من الكوليرا . وجوب تطهير الفضل شرعا وطبا [المنار : ج ١٠ م ١٨]

أعلى بقليل جدا من حرارة الجسم الطبيعية
أما طريقة إعطاء البرمنجات فهي أن يشرب المريض مقادير قليلة من محلول
برمنجات الكالسيوم بنسبة نصف قححة في كل ٥٠٠ جرام ماء وتزداد هذه النسبة
تدریجا الى ٤ أو ٦ قححات

الوقاية — خير من العلاج ، وتكون بأمر :

(١) عزل المرضى وتطهير مواد قثيم وبرازهم وسائر ما يستعملونه من ملابس
وأنية وفراش الخ ، وإلقاء تلك المواد حيث نأ من تلويثها لأي شيء آخر
(٢) غسل الأيدي قبل مس أي طعام وتطهير جميع ما يأ كاه الأصحاء أو
يشربونه أو يستعملونه في ذلك كله من أواني وغيرها بالغلي وخصوصا ماء الشرب
فيجب غليه دائما ، ويجب تجنب التخمر وكل ما يفسد الهضم
(٣) إبادة الذباب والنمل ومنعهما من الوصول الى مفرزات المرضى ثم الى
طعام الأصحاء وشرابهم

(٤) عدم أكل شيء غير مطبوخ في زمن الوباء

(٥) عدم الإذن للناقلين بالاختلاط بغيرهم الا بعد خلوت مفرزاتهم من
الميكروب بأن يعلم ذلك بالبحث البكتيريولوجي الدقيق ، وبعد ذلك يستحمون
وتغلي ملابسهم ويلبسون غيرها جديدا . وكذلك يبحث عن [الحملة الاصحاء]
وهم الذين خالطوا بعض المرضى فوصل الميكروب الى أمعائهم ولم يصابوا بالمرض ،
فهؤلاء يعزلون وتطهر مفرزاتهم حتى تخلو من الميكروب

(٦) أن تدفن الموتى بعيدا جدا عن الاماكن المسكونة بشرط أن لا يتلوث بمجثمهم
ماء الشرب أو غيره ، ويفتسل [المفتسل] ويطهر يديه بالمحاليل المطهرة ، وكذلك
تطهر ملابسه بالغلي

هذا ويرى بعض أئمة الدين وجوب الغسل بعد تفسيل الميت لما روي عن
النبي (ص) أنه قال «من غسل ميتا فليفتسل ومن حمله فليتوضأ» ولعل المراد بالوضوء
هنا غسل اليدين كما في قوله (ص) «الوضوء قبل الطعام حسنة وبعد الطعام حسنتان»
وهذا كله مما يوافق قواعد الصحة كل الموافقة . ومثل [المفتسل] كل من قام بدفن

الميت أو بتمريره قبل الوفاة فيجب عليه غسل يديه خصوصاً قبل أكله
 (٧) يعمل التلقيح الواقي لمن شاء بميكروبات الكوليرا حسب طريقة هافكين
 [Haffkine] فيحقن أولاً سننيمتر مكعب وبعد أربعة أيام أو خمسة يحقن غيره
 أقوى منه . ويصاب الإنسان بعد الحقن بصداع وحمى وأحطاط مدة ثلاثة أيام
 أو أربعة عقب كل حقنة منهما . وما قيل في عيب الحقن الواقي من التفود يقال
 مثله هنا أيضاً

الكزاز — التيتانوس Tetanus

التيتانوس كلمة يونانية معناها التشنج أو التقلص وهو اسم داء يسمى بالعربية
 [الكزاز]

ينشأ هذا الداء من باسيل مخصوص يوجد في الطين وغيره كأوساخ الحدائق
 والاسطبلات ، طوله ٤ الى ٥ ميكرونات ونحوه ٤ و ٩ . من الميكرون وله أهداب ،
 غير أنه قليل الحركة . ولا ينمي في جو فيه أثر من الأكسجين الخالص . ويتكون
 في داخله حبيبات عند أحد طرفيه وهي كروية الشكل وأغلظ منه حتى شبه العلماء
 هذا الميكروب عند تكون الحبيبة بمطرقة الطبل

الأسباب — يصيب هذا المرض الإنسان في جميع الأعمار حتى الأطفال الرضع
 عقب ولادتهم بقليل . وهو كثير الحصول في البلاد الحارة . والجنس الأسود أو
 الأسمر أكثر عرضة له من غيرها . وأهم سبب لدخول الميكروب في الجسم إنما
 هو الجرح أو السحج صغيراً كان أو كبيراً حتى ولو كان كوخز الأبرة
 أما إصابة الأطفال الرضع به فسيبها الغالب قذارة ما يقطع به الحبل السري ،
 أو تعرض السرة لشيء قذر

وقد يصيب بعض الناس بدون أن تشاهد في أجسامهم إصابة ، ولعل السبب
 في ذلك دخول الميكروب من سحج بسيط جداً لم يلتفت إليه أحد أو دخوله من
 بعض الأغشية المخاطية فقد شاهد بعض الباحثين حبيباته في رجيع الإنسان وفي رجيع
 الأنعام والحيل وغيرها . والإنسان والحيل أكثر الحيوانات إصابة به

وإذا دخل الميكروب من الجرح عاش حيث دخل مدة قصيرة ومات بعد بضعة أيام. وهو لا ينتشر في البذبة البتة، وغاية ما يمكنه الوصول إليه هو بعض الغدد اللمفاوية القريبة من الجرح. وجميع الأعراض إنما تنشأ من امتصاص سمومه. وحييات هذا الميكروب تعيش عدة سنين ولو جفت وتقاوم درجة ٨٠° سنتجراد مدة ساعة ولكن درجة الغليان تقتلها بعد خمس دقائق وحامض الفنيك بنسبة ١٪ لا يهلك هذه الحبيبات في أقل من ١٥ ساعة ولذلك يجب تطهير الآلات الجراحية بالغلي مدة طويلة حتى يؤمن شربه، فقد شوهد كثرة الإصابة بهذا الداء بعد عمل الخزام أو عقب الحقن تحت الجلد أو في العضلات خصوصا بمادة الكينين لتأثير هذه المادة في كريات الدم البيضاء وعاقتها عن قتل هذا الميكروب فيجد بيئة صالحة لنموه لا سيما وأن الأكسجين الخالص غير موجود في تلك البيئة

وسكان جزائر سليمان في المحيط الأعظم في الشمال الشرقي من استرالية قد عرفوا شيئا من هذه الحقائق، فلذلك يصنعون سهاماً ويفسسون طرفها في مادة لزجة ثم يلوثونها بقذارة المستنقعات ويجففونها فتوجد فيها بذور هذا الميكروب اللعين فإذا أصابت شخصا كانت السبب في موته غالبا

الأعراض — بعد دخول هذا الميكروب في الجرح ببضعة أيام يشعر المريض بيبس في فاه وفي فكيه بحيث يتعسر عليه المضغ أو أن يفتح فاه وقد تستمر هذه الحال يوما أو يومين، وقد ينتقل إلى الطور الثاني بأسرع من ذلك، فتيبس عضلات الجذع يبسا شديدا وتيبس عضلات الأطراف يبسا قليلا ثم يشتد تيبس الظهر وانتباض عضلاته حتى يتقوس ويكون تقعره إلى الخلف، وتيبس كذلك عضلات البطن والصدر— حتى يتعسر التنفس— وعضلات الأطراف السفلى، وأما الأطراف العليا فيكون تيبسها حول الكتفين والرفقين وتبقى حركة الأصابع ميسورة. وفي هذا الوقت يشتد تقلص الفكين حتى لا يمكن فتحهما إلا بشق الأنف، ومع ذلك لا يمكن الفصل بينهما بأكثر من ١/٤ بوصة. وتقلص كذلك عضلات الوجه حتى ينشأ من تقلصها ما يشبه الضحك، ويسمى هذا الضحك المؤلم عند الأطباء [ضحك سردينية] وهي تلك الجزيرة المشهورة في البحر الأبيض المتوسط لوجود

عشب سام فيها يذهب العقل ويحدث تشنجا في عضلات الفم يشبه الضحك
 فاذا وصل المرض الى هذا الحد صار المريض عرضة لاشتداد تقلص العضلات
 كلما مسه أي شيء ولو أطراف الاصابع أو كلما هز سريره . ومدة اشتداد هذا
 التقلص لحظات يتعسر عدها بالثواني وفيها يخشى عليه من الاختناق . والفترات
 بين هذه النوب تكون من نصف ساعة الى ساعة أو أكثر وكلما طال المرض نقصت
 وازدادت شدة التقلصات . ويكون المريض في تلك الفترات متألما جدا من انقباض
 عضلاته، ويكون تنفسه عسيرا ، وصوته ضعيفا ، ونبضه صغيرا سريريا، ولكن حرارته
 تكون عادة طبيعية غير انها قد ترتفع ارتفاعا فاحشا قبيل الوفاة ، وتستمر في الارتفاع
 حتى بعد الوفاة فتصل الى أكثر من ٤٣ درجة ويحتمس البول أيضا . ويكون احساس
 المريض طول مدة المرض على أمه وكذلك عقله الا قبيل الوفاة فقد يعتره الهديان،
 وأكثر اصابات الكزاز (التيتانوس) تنتهي بالوفاة بعد يوم أو ١٢ يوما . وسبب الموت
 اما نهائة قوى المريض أو اختناقه لتشنج عضلات التنفس أو الخنجر أو طرؤه
 بعض المضاعفات عليه كالتهاب الرئوي أو الشعبي . وقد تطول الحياة الى ٣ أو ٤
 أسابيع ، وقد يشفى المريض

الانذار — عدد الوفيات في الاحوال ذوات الجرح نحو من ٩٠٪ وفي
 الاحوال التي لم يشاهد فيها جرح نحو من ٥٠٪ والكزاز من الامراض القتالة
 جدا خصوصا عقب الاجهاض أو الوضع . وكلما كان الجرح شديدا أو متسعا كان
 الامل في الحياة ضعيفا جدا

المعالجة — يوضع المريض في الفراش في مكان مظلم لا حركة فيه ولا صوت،
 ويغذى بالسوائل وإن اضطررنا الى تغذيته بأنبوبة من أنفه أو بالحقن الشرجية،
 والاحسن أن تدخل الأنبوبة من بين أسنانه اذا كان بعضها مفقودا . ومن الاطباء
 من يقلع بعضها من أجل ذلك ولكنه عمل غير محمود

ومن الواجب تنظيف الجرح قبل كل شيء وتطهيره طهارة تامة لكي تقبل أو
 نزيل بقدر الامكان تلك الميكروبات منه ؛ ولكن مما يوجب الاسف أن ظهور
 الاعراض دليل كاف على أن السم قد وصل الى المراكز العصبية واتحد بها

وتعطى المسكنات بمقادير كبيرة ومن أحسنها بروميد البوتاسيوم والافيون أو المورفين . ومن الاطباء من ينشق المريض الكلوروفورم مرة أو مرتين في اليوم لتخديره حتى ترتخي عضلات الفكين وحينئذ يمكن تغذيته

وللكزاز مصل يستخرج بطريقة استخراج مصل الدفتيريا . وتجب المبادرة بحقنه بمقادير كبيرة جدا فيحقن منه ١٠ آلاف الى ٢٠ ألف وحدة في الاوردة أو ١٠ آلاف الى ٥٠ ألف تحت الجلد . ويتكرر الحقن يوميا حتى تتحسن الحالة . ومن الناس من يحقن هذا المصل في النخاع أو في المخ بإحداث ثقب في عظام الجمجمة يسمى عند الجراحين بالتربنة [Trephining] ولكنه عمل عسير مشكوك في نفعه والسبب في عسر شفاء هذا المرض أن سم الميكروب يسرى في الاعصاب المحركة ويلتصق بالمراكز العصبية التصاقا شديدا بحيث يتعذر ازالته منها بعد تمكنه ، زد على هذا ان بعضه يدور في الدم ويصل معه الى المراكز العصبية أيضا

الوقاية — عقب إصابة أي شخص بأي جرح يجب تنظيفه جيدا ثم تطهيره بكل الوسائل الممكنة واذا ظن أن الجرح تلوث بشيء قذر مما يحتمل وجود الميكروب فيه وجبت المبادرة الى الحقن قبل أن تبدئ الأعراض فيحقن ١٥٠٠ وحدة تحت الجلد ، ولذلك بادرت الحكومة الانكليزية باتباع هذه القاعدة مع جنودها ، فترى الاطباء الانكليز يحقنون كل جريح اشتبه في جرحه في أقرب وقت ممكن في ميدان القتال

وتطهير الجرح بالكي بالنار عقب حدوثه مباشرة كما تفعل العرب عمل محمود
الحمرة

اسم لداء يسمى باللغات الافرنجية [Erysipelas] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي (الجلد الاحمر) ويسمي الانكليز هذا المرض أيضا بنار القديس أنطونيوس [Anthony] لتوهم عامتهم أنه قادر على شفائها . وهو من الامراض المعدية الشديدة ، وينشأ من ميكروب من الشكل المسمى بـ «البنزور السلسلية» [Streptococcus erysipelatis]

الاسباب — أعظم الاسباب المهيئة لهذا المرض وجود أي جرح بالجسم يخل

منه هذا الميكروب الخبيث مهاصر الجرح . وفي أحوال قليلة جدا يحدث هذا المرض بدون جرح ظاهر ، ولكن اذا دقق في البحث فلا بد من وجود أي منفذ الى الجسم ولو سحج بسيط جدا أو دمل صغير أو خدش كخدش الدبوس . والمدوى لا تنتقل إلا الى المسافات القصيرة

وهو يصيب الاطفال الرضع والكبار فوق الاربعين اكثر من غيرهم ولكنه لا يميز بين الذكر والانثى

ومما يجعل الشخص أكثر تعرضا له من غيره إدمان الخمر وأمراض الكبد والكلية المزمنة والضعف أو الفاقة وكذلك البرد والرطوبة وكثرة الازدحام خصوصا اذا كان المكان رديء الهواء أو قذرا . ومن الاسباب أيضا استعداد مخصوص في الشخص نجهد حقيقته فان هذا المرض كثيرا ما يعاود شخصا عدة مرات ، فالوقاية منه لا تطول مدتها

أما ميكروبه هذا البزري فهو عديم الحركة ، وقطر كل برة نحو ميكرون واحد . ويحصل الاقسام فيه في جهة واحدة فقط ولذلك تتكون منه السلاسل المذكورة . وهو يموت اذا بلغت الحرارة 53° الى 55° سانتجراد وعرض لها ١٠ دقائق

الاعراض — في الاحوال التي يتعسر فيها مشاهدة الجرح أو السحج نرى أن هذا المرض يصيب الوجه على الأكثر ولذلك كان وصفنا الآتي قاصرا على وصف هذا العضو اذا أصيب به

ومدة التفريخ أيام معدودة فهي في أكثر الاحوال من ٣ الى ٦ وان كانت تطول في بعضها . ويبتدىء المرض عدة بقع شريرة أو رعدة وصداع وغثيان ويبيض اللسان ويحس المريض بالآلام عامة في جسمه ، وبعد بضع ساعات تظهر على الوجه بقعة حمراء مؤلمة خصوصا حيث يلتقي الجلد بالفشاء المحاطي كفتحة الفم أو الأذن أو الأنف . ثم تكبر هذه البقعة وترم ويشد احمرارها وألمها واذا ضغط عليها انبعجت ، ثم يمتد الورم بسرعة متفاوتة فترى أن السطح العالي الأحمر كأنه يسير في باقي الجلد . وفي بضعة أيام قد يغطي الوجه كله فتراه متفخا جدا وكذلك الجفون حتى تتدلى . وترم الاذنان والشوأة (فروة الرأس) وتكون غالبا فقاعات أو نفاخات ممتلئة بسائل

مصلي صديدي على الخدين أو الجفون ، وقد تنفجر فتزيد المصاب تشويها حتى
تتعذر معرفته . وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة من المكان الملتهب وتكون مؤلمة ،
ويقال انها تلتهب حتى قبل ظهور التهاب الجلد

وتكون الحمى عالية جدا حتى تزيد عن الاربعين في اليوم الثالث والرابع . وفي
السادس تميل للانخفاض فجأة ما لم يستمر التهاب الجلد أو يظهر التهاب جديد ، فهي
تابعة لحالة الالتهاب . وتكون الحمى مصحوبة بباقي أعراضها المعروفة

وهذا الالتهاب يمتد أيضا الى الأغشية المخاطية كاغشية الحلق أو اللوزتين
وأحيانا الى أغشية الحنجرة حتى يتعسر التنفس والازدراد . ويعتري المريض الهذيان ،
وقد تطرأ عليه الغيبوبة . وبينما نرى الالتهاب يمتد في جهة قد نشاهده يشفى حيث ابتدأ
وسبب الموت نهاكة القوى مع الهذيان والغيبوبة خصوصا في الشيوخ ومدمني

الحمر وغيرهم ممن ذكرنا من قبل

وإذا شفي المريض تقشرت البشرة مكان الالتهاب ويستمر التقشر بضعة أيام ،
وكثيرا ما نشاهد سقوط شعر الشواة

المضاعفات والمواقب - منها: الخراجات وموت الجلد وسقوطه وضخامة
الغدد اللمفاوية أو تقيحها - في النادر - والاختناق من تورم الحنجرة والالتهاب
الرئوي أو الپليوراوي في بعض الاحوال وكذلك الالتهاب السحائي
ويقال إن امتداد هذا المرض في الجلد تابع لسير الاوعية اللمفاوية ، ويقف
الالتهاب في الغالب حيث يلتصق الجلد التصاقا شديدا بالانسجة التي تحته كما يحصل
في الارية عند رباط [پوپارت Poupart]

وانذار هذا المرض في أكثر الاحوال حميد ، ولكن يختلف خطره باختلاف
امتداد الالتهاب . وهو قاتل غالبا للشيوخ والسكريين وغيرهم ممن ذكرنا

المعالجة - المبدأ العام في معالجة هذا المرض هو استعمال المنعشات والمقويات
للمريض ، فيعطى كثيرا من اللبن والمرق وغيرها من السوائل المغذية ، وبعض
المنعشات كالحمر - اذا لم يوجد ما يعني المسلم عنها - والنوشادر والاثير والاستركنين
وغيره . وصبغة فوق كلوريد الحديد نافعة جدا في هذا المرض حتى كانوا يعدونها شفاء

قطبياً له ، فيعطى منها من ٣٠ - ٤٠ نقطة للشبان والكهول كل ٣ أو ٤ ساعات . وقد وصل بعضهم أيضاً باستعمال الكنيين . وظهرت نتائج حسنة من استعمال المصل المضاد لبزور هذا المرض [Anti - streptococcus Serum] فيحقن منه تحت الجلد مرة أو مرتين يومياً ١٥ أو ٢٠ سنتيمتراً مكعباً . وهذا المصل يستخرج من الحصان بطريقة تشبه استخراج مصل الدفتيريا ، غير أنها تختلف عنها في أنه في مصل الدفتيريا يحقن الحصان بسم الميكروب ولكن هنا يحقن الحصان بنفس الميكروب حياً ، لأن ميكروب الدفتيريا يفرز سما في السائل الذي يربى فيه وأما ميكروب هذا المرض فسمه كامن في جسمه فإذا حقن السائل الذي يربى فيه لا يفيد . وطريقة ذلك أن يقوى ميكروب الحمرة بحقنه في عدة أرناب فيكون ما حقن في الأخير أقوى مما حقن في الأول ويزرع من كل منها جزء من الميكروب فتكون قوته متفاوتة ، ثم يحقن الحصان بأضعف هذه الميكروبات سما ، وترفق منه تدريجاً إلى أقوى . وفي نهاية سنة الحقن يؤخذ مصل هذا الحصان فيكون فيه سم قاتل لميكروب الحمرة ، فإذا حقن المريض به أفاده فائدة عظيمة

وإذا اشتدت الحصى كان استعمال الماء البارد أو الفاتر نافعا فيها أيضاً
وعلاج مكان الحمرة نفسه قليل الجدوى ، وغاية ما يعمل له أنه يدهن ببعض
المراهم أو نحوها كمرهم البوريك وإذا اشتد تورم الجلد جاز تشريطه قليلاً

النزلة الوافدة - الانفلونزا Influenza

الانفلونزا اسم ايطالي أو لاتيني لمرض كانوا يظنون أنه من تأثير الكواكب في الانسان ، فلذا سموه بهذا الاسم الذي معناه (التأثير) ويسمي الاطباء المحدثون من العرب هذا المرض بالنزلة الوافدة

الاسباب - هذا المرض كثيراً ما ينتشر في البلاد بشكل وبائي سريع

خصوصاً إذا كانت القرى مزدحمة فيصاب به في وقت واحد مئات من الناس
وميكروب هذا المرض من النوع الباسيلي (المستطيل) اكتشفه [بفيفر Pfeiffer]
في سنة ١٨٩٢م وهو يوجد في بصاق المصابين وأنوفهم وقد أن يوجد في دمهم ، وهو

٧٧٤ أعراض النزلة الوافدة وانذارها وعلاجها. ميكروب الزكام [المنار: ج ١٠ م ١٨]

من أدق الميكروبات وأصغرها حجماً فإن طولها ٥،٠ إلى ١٠،٥ ميكرون وهو ساكن لا حركة له ولا حبيبات، ولا يعيش إلا في الأكسجين. وكثيراً ما يصاحبه ميكروبات أخرى في هذا المرض. وإذا شفي المريض زالت منه الميكروبات بسرعة فلا يعدي بعد النقاها كالدفتيريا مثلاً، وهو ينتقل من شخص إلى آخر إذا اقترب منه بحيث يصل إليه بعض إفرازات الأنف أو الفم. والاستعداد لهذا المرض يختلف باختلاف الأشخاص فمنهم من يعاوده مراراً ومنهم من لا يمسهم مرة واحدة في حياتهم وكثير من الناس يطلقون اسم (انفلونزا) على كل النزلات التي تعقب البرد كالزكام أو السعال، ولكنه خطأ

الأعراض — مدة التفريح ساعات معدودة. ويبتدىء هذا المرض فجأة بألم شديد في الجبهة ومؤخر العينين وألم في عضلات القطن والفخذين وغيرها، وقل أن تحدث فيه رعدة. والحرارة ترتفع في ساعات قليلة إلى ٣٩° أو ٤٠° وتكون مصحوبة بباقي أعراض الحمى، ويلتهب الحلق واللوزتان وتصبح رائحة النفس كريهة، وقد يكثر العرق ولكن الغالب أن يكون الجلد جافاً، وتضعف قوى المريض ويشد به الأرق والتألم. وقد يقتصر المرض على هذه الأعراض وتزول الحرارة فجأة بعد يوم أو يومين غير أن آلام الأطراف تستمر بعدها مدة وكذلك الضعف. وقد تطول مدة الحمى بضعة أيام، أو ينكس المريض. ومن الناس من يصابون فوق ذلك بالنزلات الشعبية أو الرئوية، ومنهم — وهم الأقل — من يصابون باضطراب في الجهاز الهضمي فيعتبرهم مغمص وقئ وإسهال وأحياناً اليرقان، ومنهم أيضاً من يصابون في جهازهم العصبي فيعتبرهم النعاس في أول الأمر والهديان ثم يزول عنهم النوم ويحل محل الأرق، وتشتد عندهم الآلام العصبية والعضلية

وقد يحصل في هذا المرض طفح في الجلد

وانذار هذا المرض في الغالب حميد

والعلاج كعلاج باقي الحميات سواء بسواء

أما الزكام والسعال العاديان فينشآن غالباً من ميكروب آخر من الشكل البزري

يسمى «البزور الصغيرة النزلية» [Micrococcus catarrhalis] وهو يوجد

كثيرا في الانف والحلق في اصابات البرد وفي البصاق بعد السعال الناشئ من
النزلات الشعبية وقد يوجد في الاشخاص الاصحاء ويوجد أيضا في الاطفال اذا
أصيبوا بالنزلات الشعبية الرئوية

الحمى المخية الشوكية أو الالتهاب السحائي الوبائي

هذا المرض عرف أولا في [جنيفا Geneva] سنة ١٨٠٥ ومنذ سنة ١٨٦٠
صار منتشرا في الولايات المتحدة وألمانيا وغيرها . وهو كثيرا ما يشاهد أيضا في مصر
خصوصا في الاماكن التي يكثر فيها الازدحام كالسجون والمعاهد العلمية

ينشأ هذا المرض من [بزور مزدوجة Diplococcus] تسمى البزور السحائية
[Meningococci] تشاهد في الكريات البيضاء التي توجد في السائل المستخرج
من النخاع في هذا المرض ، وقد توجد هذه البزور أيضا خارج الكريات في السائل
نفسه، وأحيانا في دم المصاب وفي مفاصله اذا نهبت وكذلك في الرئتين اذا التهابتا
وفي الانف والحلقوم والاذن الوسطى. وهذا الميكروب اكتشف سنة ١٨٨٧ وهو يشبه
ميكروب السيلان ولا ينمو الا بوجود الاكسجين ولا في حرارة أقل من ٢٥° سنتجراد
الاسباب — يدخل هذا الميكروب من الحلقوم سواء أوصل اليه من الفم أم من الانف.

ويوجد في حلقوم المرضى والناقلين كذلك وفي حلقوم بعض الاصحاء المخالطين للمريض .
وهو يصيب الصغار اكثر من غيرهم حتى ان ٨٠٪ من المصابين منهم تجد أن عمرهم أقل
من ١٦ سنة وهـ ٥٪ فقط فوق ٢٥ سنة، ولا يميز بين الذكور والاناث. وهذا المرض كثير
الحصول في أزمته البرد، لان الناس في تلك الازمنة يضطرون الى السكنى في أماكن
محتبسة الهواء فيفسد وترتفع حرارته وتكثر رطوبته وبذلك يصير بيئة صالحة لنمو هذا
الميكروب الخبيث وان كان البرد الشديد يقتله، ولذلك لم يعرف هذا المرض بين سكان
المنطقة القطبية. ولهذا الهواء الفاسد تأثير سيء في بنية المستنشقين له وهو يجذب بسخوته
الدم من الاحشاء الى ظاهر الجلد وذلك أيضا مما يضعف البنية ويهوق الاعضاء عن
آتمام وظائفها، فكأن الهواء الفاسد السخخن سبب للمدوى من وجهتين (١) كونه بيئة
صالحة لنمو الميكروب و(٢) كونه مضعفا للبيئة عن مقاومته ، مفسدا للصحة . ولولا

ذلك لما كثر انتشار هذا المرض في أزمئة الشتاء. ومن المشاهدات العجيبة في العدوى بهذا المرض أن الأشخاص الذين يكونون في جهة معينة من المريض يصابون به بينما غيرهم في الجهة الأخرى لا يصابون، وما ذلك إلا لكون الهواء يهب على المريض من تلك الجهة التي فيها السليمون فيمر عليهم أولاً ثم على المريض ويحمل ذرات فيها الميكروب من نفسه أثناء الكلام أو السعال ونحوهما إلى الذين في الجهة الأخرى. وقد وجد أن نحواً من ٤٠٪ ممن يخاطبون المريض قد يصيرون من (الحملة الأصحاء) الاعراض — في أحوال قليلة يتقدم المرض أعراض بسيطة كالصداع والغثيان، ولكن في أكثر الأحوال يتبدى هذا المرض فجأة بألم شديد في الدماغ ورعدة أحياناً فيضطر المريض في الحال للملازمة الفراش وترتفع الحرارة بسرعة حتى تصل إلى ٤٠° ويشد الصداع خصوصاً في مؤخر الرأس وتيبس عضلات القفا حتى يتعسر على المريض الانحناء إلى الأمام، ويبقى شاخصاً يبصره إلى السماء، وكذلك يقمنس المصاب أي يتقوس الظهر ويكون تقميره إلى الخلف، وتتشنج الأيدي والأرجل وتكثر الآلام في الظهر والأطراف ويكون الجلد حساساً وقد يرتخي الجفنان أو أحدهما الشال فيها وربما يشعر المريض بألم في أذنه وطين أو صمم ويقل شمه ويعتريه النعاس فالهفديان فالغيوبة. وقد يصاب بنوبات تشبه الصرع فيتخبط كما يتخبط المصروع وفي كثير من الأحوال يظهر على وجهه ما يسمى بالحملة [Herpes] وهي فقاعات صغيرة ممتلئة بسائل. وتلتهب المفاصل أحياناً وقد نتقيح. ويتقرع البطن حتى يصير كالزورق، ويعظم الطحال ويكثر البول، وقد يوجد فيه زلال قليل أو أثر من السكر. وإذا رفع فخذ المريض — وهو ملقى على ظهره — بحيث يكون مع جسمه زاوية قائمة تمذر مد الساق حتى تكون مع الفخذ على خط مستقيم. وهذه العلامة — وتسمى علامة [كرنج Kernig] — من أهم ما يعرف به الالتهاب السحائي، وإذا مررت بأصبعك على جسم المريض ظهر خط أحمر حيث مرت الأصبع ويستمر نحو خمس دقائق أو أكثر ويسمى هذا الخط بالفرنسية [Tache Cérébrale] ومعناه [البقعة الحية] وهي من أهم علامات الالتهاب السحائي أيضاً، وتنشأ من شال في أوعية الدم وهذا المرض خطر جداً على الحياة، وكثيراً ما يموت به المصابون بل منهم من

يموت في بضع ساعات أو بضعة أيام . وعدد الوفيات يختلف من ٣٠ الى ٧٠٪
ويوجد نوع آخر منه يصيب الاطفال الرضع فيقتلهم غالبا
وإذا شفي المريض منه قام غالبا بصمم أو عمى أو استسقاء في الدماغ مع صداع
وتشنجات وضعف شديد في العقل أو الجسم أو شلل بعض الاعضاء . وإذا أصاب
الصمم الاذنين قبل أن يتعلم الطفل الكلام بقي طول حياته أبكم أصم
وقليل من الناس من يشفي منه ولا يصيبه شيء

الصفة التشريحية — إذا شرحت الجثة بعد الوفاة من هذا المرض يُشاهد
التهاب حاد في الأم الحنون للمخ والنخاع الشوكي قترى الصديد والمواد اللفافية
متراكمة على سطح المخ في شقوقه (أي ما بين التلافيف) ويكون السطح الخلفي
للنخاع ملتبها أكثر من السطح الامامي وخصوصا القسم القطبي منه . وفي بطينات
المخ يشاهد مصبل عكر أو صديد، وفي القشرة السنجابية تقط نزفية أو بثور
وترى الرئتين والكبد والطحال والكليتين جميعا محتقنة مع استحالة شحمية في
خلايا الكلية واستحالة حديدية في ألياف العضلات الاختيارية . وقد ترى أيضا
نتطا نزفية في الشغاف والپليورا وأحيانا نقيحا في المفاصل
وكل هذه التغيرات المرضية التي تشاهد في الاحشاء ما عدا المخ والنخاع هي
تابعة لالتهاب السحايا وليست من أصل المرض وإنما تنشأ من سبب الميكروب ومن
شدة ارتفاع الحرارة ونحو ذلك

المعالجة — أحسن علاج لهذا الداء استعمال المصل الخاص به فيصفي جزء
من السائل الذي في النخاع بالبرز القطبي ويستعاض عنه بحتن ٣٠ سنتيمترا مكعبا كل
يوم أو كل يومين بحسب شدة المرض
والبرز القطبي وحده نافع في هذا المرض لتخفيف الضغط على المراكز العصبية
بسحب بعض المواد الالتهابية ولازالة بعض سموم المرض
وباقى علاج هذا المرض كعلاج سائر الحميات ، ومن النافع فيه أيضا استعمال
مركبات الزئبق ويودور اليوداتسيوم في بعض الاحوال
انوقاية — عزل المريض كما تقدم في الحميات وتطهير كل افرازاته واثقاء القرب منه

والسكنى في الاماكن النقية الهواء ذات النوافذ الكثيرة من أحسن ما يتقى به هذا الداء. فلذا يجب تهوية الاماكن المسكونة ليلا ونهارا صيفا وشتاء. ولا يتوهم أحد أن الهواء المطلق الذي نرغب فيه هو مما يسمونه « بتيارالهواء » ويقولون إنه يجب اتقاؤه بل التيار الضار يكون بتعريض جزء من الجسم لهواء يغير باقي الهواء المحيط بالجسم في سرعته وفي درجة حرارته ، كالجلوس امام إحدى النوافذ من بيت دافئ مع تعريض جزء من البدن لهواء النافذة الباردة . وأما خروج الانسان الى الاماكن الطلقة لهواء كالفلوات والبحار والمكث فيها زمنا مآ فإنه لا يضر الصحيح البنية خصوصا اذا كان جسمه مدفاً جيداً بالملابس الكثيرة الجافة ، ولكن اذا ابتلت هذه الملابس بالعرق أو بالماء خيف على المرء من ضرر البرد بالملكث في الهواء البارد .

الجذام Leprosy

مرض شهير منذ العصور الغابرة سمي بذلك في العربية لانه يبتر بعض الاعضاء ، وهو من الأمراض المزمنة المتعدرة الشفاء ، ينشأ من ميكروب من الشكل الباسيلي اكتشفه [هانسن Hansen] سنة ١٨٧٩ م يشبه ميكروب الدرن من عدة وجوه . وحقن هذا الميكروب في الحيوانات لم ينجح في احداث المرض فيها ما عدا القردة فانها تصاب باصابة موضعية وقتية . ويوجد الميكروب في دم المجذوم وفي الجلد والاعشية المخاطية والاعصاب والغدد اللمفاوية والحنجرة والكبد والطحال والخصيتين والكليتين ، ونادرا في الرئتين ، ولا يوجد في العظام ولا المفاصل ولا العضلات

الاسباب — هذا المرض قليل الوجود في أوربة ماعدا بلاد الترويح ويوجد في كثير من البلدان الافريقية والآسيوية والامريكية وكثير من جزائر المحيط الهادئ ، وهو يصيب الذكور أكثر من الاناث ، والصغار قبل سن الثلاثين أكثر من غيرهم ، ومن النادر جدا أن يصيب الاطفال . وللوراثة بعض التأثير في احداثه

يدخل ميكروب هذا الداء الى الجسم من منفذ أو أكثر من المنافذ الآتية :
الانف أو أعلى الجهاز التنفسي أو الفم أو اللوزتين أو سحجات الجلد أو الجهاز التناسلي
ومن العلماء من يرى أن بعض الحشرات تنقل هذا المرض من شخص الى

آخر، فقد وجد ميكروبه في البعوض (الناموس) والبق . ولم يشاهد ميكروبه في الارض ولا في الهواء^(١) ولا في الطعام ولا في الشراب ويرى بعض العلماء ان الافراط في أكل السمك خصوصا الفاسد مما يهيء الجسم لقبول هذا الميكروب الخبيث ويسكن هذا الميكروب في جميع أجزاء جسم المصاب حيث توجد أنسجة مريضة به ويخرج من جسم المجدوم في مخاطه ودموعه ولعابه ولبنه ومنيه وافرازات الاحليل والمهبل . وفي البراز يل يخرج أيضا مع خلايا البشرة التي تنفصل بالتدرج من الجلد . هذا فضلا عن خروجه بالضرورة مع ما ينسكب من قروح المريض ولكن أهم الأشياء التي يوجد فيها الميكروب هو افراز الانف فانه يوجد فيه بكثرة عند أقل بحث فيه

الاعراض — يبدأ هذا المرض بتوعك عام مع حمى خفيفة وتكسر في الجسم ثم تظهر بقع حمراء في الجلد قطرها يبلغ من نصف بوصة الى ثلاث أو أربع بوصات منتفخة قليلا ومستديرة أو غير منتظمة ، وقد يتكون من هذه البقع الحمراء حلقات وذلك بشفاء الجلد الذي في وسطها ، وتزول هذه البقع الحمراء أيضا اذا زالت الحمى ، وكثيرا ما تترك خلفها آثارا ملونة أو بيضاء . وقد تعود الحمى وتظهر هذه البقع آنا بعد آن . وبعد ذلك تنقسم أعراض المرض الى قسمين فيصاب المريض اما بالجدام الدرني أو بالجدام الخدرري ، وقد يجتمع فيه النوعان

أما في الجدام الدرني فتظهر في الجلد درنات مرتفعة حجمها قدر حبة الحمص أو البندق أو اكبر — تظهر أثناء ظهور البقع الحمراء أو بعدها بقليل . وهذه الدرنات قد تمتد زمنا طويلا وقد تزول تاركة خلفها بقعا ملونة، وكثيرا ما تتأكل فيتكون منها قروح يسيل منها صديد (أي سائل رقيق) قليل وهذه الدرنات تظهر على الاكثر في الوجه وفي ظهر اليدين والقدمين وغير ذلك ، قشوه الوجه ، وتغلظ الحواجب والانف والحدود والآذان ويكون شكل الوجه كوجه الاسد . ولذلك يسمى هذا

(١) اللهم إلا ما كان حول المريض مباشرة فقد توجد فيه ذرات من مخاطه حاملة لهذا الميكروب

المرض عند المصريين بالأسد أيضا
وكثيرا ما تتقرح الجفون حتى يصل المرض الى طبقات العين وان كان العصب
البصري والشبكية والزجاجية والبلورية كلها تنجو منه عادة . وتصيب الدرنات أيضا
الاعشية المخاطية للحم والخلق والخنجرة والانف فيغلظ الصوت أو يضعف . وهذه
القروح قد يزداد تأكلها حتى تصيب الاوتار فتقطعها والعظام فتخرها والمفاصل
فتفتحها وبذلك تبتدئ بعض الاجزاء

أما الجذام الخدري فتكون اصابة الاعصاب فيه أكثر ، وفي أول الداء يحصل
احساس في بقع كثيرة من الجسم يشبه الاحساس بمشي النمل ووخز الابر
يعقبه خدر ويكون الجلد في البقع المصابة اما أكد (باهتا) أو ملونا ويضعف الشعر
ويزول لونه ويكون سطح الجلد ناعما برأقا ، وتضخم الاعصاب حتى يمكن الاحساس
بعضها بغاية السهولة وذلك لالتهاها بسبب المرض . وبسبب مرض الاعصاب
تضمحل العضلات خصوصا ما بين مشط اليدين والقدمين ، وترنخي الايدي والاقدام
ويكون شكل اليد كبرثن الاسد^(١) وقد يحصل في هذا النوع من الجذام قروح
فوق المفاصل أيضا فتبتدئ الاعضاء خصوصا أطرف الايدي والاقدام وينجو من هذا
البتدئ السلاميات الاولى للاصابع غالبا . وكثيرا ما تشفى هذه القروح فتبقى اليد
بالسلاميات الاولى فقط

وسبر هذا الداء موجب لليأس ويجعل الشخص المجذوم مكروها عند الناس مخيفا
لهم بمنظره — وبعد زمن قد يمتد الى ١٥ سنة أو أكثر — يموت المصاب غالبا بمضاعفات
المرض أو بطروء السل الرئوي أو التهاب الكلى أو بالدوسنطاريا وغير ذلك
الانذار — هذا المرض لم يعرف أن احدا أصيب به وشفي منه ، غاية الامر
انه قد تلطف الاعراض ويقف الداء مدة ما

المعالجة — تعالج الاعراض بالطرق الطبية المعروفة عند الاطباء ، وتعطى
للمريض الاغذية الجيدة السهلة الهضم ، ويوضع في مكان نقي الهواء بمعزل عن الناس .
ومما ينفع فيه بعض النفع زيت كبد الحوت وزيت [حب الشلمغرا Chauymoogra]

(١) البرائن للصباع بمنزلة الاصابع للناس

وجرعه في اليوم تبدئ من ٢٠ نقطة الى درهمين ويجب تعاطيه لمدة سنتين على الأقل . وهناك علاجات أخرى كالختم باللقاح ونحو ذلك ولكنها غير محقق نفعها ويجب مدة المرض استعمال المطهرات للقروح وتضميدها جميعا

الوقاية — لما كانت كيفية العدوى بهذا الداء غير معروفة بالضبط يجب عزل المرضى والاحتراس من كل من يلامسهم أو يوجد معهم ، وهذا غاية ما يمكن أن يقال الآن في أسباب الوقاية من هذا الداء . وفي الحديث الصحيح « فرّ من المجذوم فرارك من الاسد » *

(* المنار : رواه البخاري من حديث أبي هريرة معلقا — او موصولا على طريقة ابن الصلاح — ووصله آخرون واخرج ابن خزيمة له شاهدا من حديث عائشة . ويؤيد ما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الشريد عن ابيه قال : كان في وفد ثقيف مجذوم فأرسل اليه رسول الله (ص) « إنا قد بايعناك فارجم » واختلف العلماء في الجمع والترجيح بين هذه الأحاديث وما في معناها كحديث أبي هريرة في الصحيحين « لا يوردن ممرض على مصحح » (الممرض بصيغة اسم الفاعل صاحب الابل المريضة بالجرب مثلا والمصحح صاحب الابل الصحيحة) وحديث النهي عن دخول ارض فيها الطاعون . وبين حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيره « لا عدوى » وحديث جابر ان النبي اخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال « كل » رواه الترمذي . فبعضهم يزجج العدوى ويؤول ما يعارضها وبعضهم يعكس ومما قاله هؤلاء ان ابا هريرة رجح عن حديث « لا عدوى » وانكره كما في البخاري . وبان الترمذي ذكر الاختلاف في حديث جابر على راويه ورجح وقفه على عمر . واقرب ما قالوه الى الطب والعقل قول البيهقي وغيره ان العدوى المنفية ما كانت تعتقده الجاهلية لا العدوى التي تحصل بالاسباب بقدر الله تعالى . وقول ابن قتيبة ومن واقفه : ان الامر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لامر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بطريق الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع في كثير من الامراض في العادة انتقال الداء من المريض الى الصحيح بكثرة المخالطة . حكاهما الحافظ ابن حجر في شرح البخاري . وذكر أن جمهور الفقهاء اثبتوا الخيار لكل من الزوجين في فسخ النكاح اذا وجد الجذام في الآخر

المعرفة بالله تعالى

٢

فصل

قال في الدرجة الثانية معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات ، وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصفو في ميدان الفناء ، وتستكمل بعلم البقاء ، وتشارف عين الجمع في شرح كلامه ومراده أولا ثم نبين ماله وعليه فيه ، فكانت هذه الدرجة عنده أرفع مما قبلها ، لأن التي قبلها نظر في الصفات وهذه متعلقة بالذات الجامعة للصفات ، وإن كانت الذات لا تخلو عن الصفات فهي قائمة بها ، ولا تقول : إن صفاتها عنها ولا غيرها ، لما في لفظ الغير من الاجمال والاشتباه ، فإن الغيرين قد يراد بهما ماجاز افتراقهما ذاتا أو زمانا أو مكانا ، وعلى هذا فليست الصفات بمغايرة للذات ، ويراد بالغيرين ماجاز العلم باحدهما دون الآخر فيفترقان في الوجود الذهني لافي الوجود الخارجي ، فالصفات غير الذات بهذا الاعتبار لانه قد يقع الشعور بالذات حال ما ينفل عن صفاتها فتتجرد عن صفاتها في شعور العبد لافي نفس الامر . وقوله « مع اسقاط التفريق بين الصفات والذات » التفريق بين الصفات والذات في الوجود مستحيل ، وهو ممكن في الشهود بان يشهد الصفة ويذهل عن شهود الموصوف ، أو يشهد الموصوف ويذهل عن شهود الصفة ، فتجريد الذات أو الصفات إنما يمكن في الذهن ، فالمعرفة في هذه الدرجة تعلقت بالذات والصفات جميعا فلم يفرق العلم والشهود بينهما ، ولا ريب ان ذلك أكل من شهود مجرد الصفة أو مجرد الذات . ولا يريد الشيخ انك تسقط التفريق بين الذات والصفات في الخارج والعلم بحيث تكون الصفات هي نفس الذات (١) فهذا لا يقوله الشيخ وإن كان كثير من أرباب الكلام يقولون ان الصفات هي الذات . فليس مرادهم ان الذات نفسها

(١) في ب « بحيث تكون الذات هي نفس الصفات »

صفة ، فهذا لا يقوله عاقل ، وإنما مرادهم ان صفاتها ليست شيئاً غيرها . فان أراد هؤلاء ان مفهوم الصفة هو مفهوم الذات فهذا مكابرة ، وان أرادوا انه ليس هاهنا أشياء غير الذات انضمت اليها وقامت بها ، فهذا حق

والتحقيق ان صفات الرب جل جلاله داخلة في مسمى اسمه ، فليس اسمه الله والرب والآله أسماء لذات مجردة لا صفة لها البتة ، فان هذه الذات وجودها مستحيل ، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها ، واسم الله سبحانه والرب والآله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال ، كالعلم والقدرة والحياة والارادة والكلام والسمع والبصر والبقاء والقدم وسائر الكمال الذي يستحقه لذاته ، فصفاته داخلة في مسمى اسمه ، فتجريد الصفات عن الذات والذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لاحقيقة له ، وهي أمر اعتباري لافائدة فيه ولا يترتب عليه معرفة ولا ايمان ولا هو علم في نفسه ، وبهذا أجاب السلف الجهمية لما استدلوا على خلق القرآن بقوله الله (الله خالق كل شيء) فاجابهم السلف بان القرآن كلامه وكلامه صفاته وصفاته داخلة في مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويديه ، فليس « الله » اسما لذات لانعت لها ولا صفة ولا فعل ولا وجه ولا يدين ، ذلك إله معدوم مفروض في الأذهان لا وجود له في الاعيان كإله الجهمية ، الذي فرضوه غير خارج عن العالم ولا داخل فيه ولا متصل فيه ولا منفصل عنه ولا محايث له ولا مباين ، وكإله الفلاسفة الذي فرضوه وجوداً مطلقاً لا يتخصص بصفة ولا نعت ولا له مشيئة ولا قدرة ولا ارادة ولا كلام ، وكإله الاتحادية الذي فرضوه وجوداً سارياً في الموجودات ظاهراً فيها هو عين وجودها ، وكإله النصارى الذي فرضوه قد اتخذ صاحبة وولداً وتدرع بناسوت ولده واتخذ منه حججاً ، فكل هذه الآلهة ماعلمته أيدي أفكارها . وإله العالمين الحق هو الذي دعت اليه الرسل وعرفوه باسمائه وصفاته وأفعاله فوق سمواته على عرشه بأئن من خلقه ، موصوف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، لا مثال له ولا شريك ولا ظهير ، ولا يشفع عنده أحد الا باذنه ، هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، غني بذاته عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بذاته

قوله « وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصفو في ميدان الفناء » يعني ان هذه المعرفة الخاصة تثبت بعلم الجمع ، ولم يقل « بحال الجمع ولا بعينه ولا مقامه » فان علمه أولاً هو سبب ثبوتها ، فان هذه المعرفة لا تنال الا بالعلم فهو شرط فيها ، وسيأتي الكلام — ان شاء الله تعالى — في الجمع عن قريب . فاذا علم العبد انفراد الرب سبحانه بالازل والبقاء والفعل وعجز من سواه عن القدرة على ايجاد ذرة أو جزء من ذرة ، وانه لا وجود له من نفسه فوجوده ليس له ولا به ولا منه . وتوالي هذا العلم عن القلب لا يسقط ذكر غيره سبحانه عن البال والذكر ، كما سقط غناء وربوبيته ومملكته وقدرته ، فصار الرب سبحانه وحده هو المعبود والشهود المذكور ، كما كان وحده هو الخالق المالك الغني الموجود بنفسه أزلاً وأبداً ، وأما ما سواه فوجوده وتزايح وجوده عارضة ليست له ، وكما في العبد عن ذكر غيره وشهوده صفت هذه المعرفة في قلبه ، فلماذا قال « وتصفو في ميدان الفناء » واستعار الشيخ للفناء ميداناً وأضافه اليه لاتساع مجاله لأن صاحبه قد انقطع التفاته الى ضيق الاثيار ، انجذبت روحه وقلبه الى الواحد القهار ، فهي تجول في ميدان أوسع من السماوات والأرض ، بعد ان كانت مسجونة في سجون المخلوقات . فاذا استمر له عكوف قلبه على الحق سبحانه ونظر قلبه اليه كأنه يراه ، ورؤية تفرد بالخلق والامر والنفع والضر والعطاء والمنع - كملت في هذه الدرجة معرفته ، واستكملت بهذا البقاء الذي أوصله اليه الفناء وشارفت عين الجمع بعد علمه ، فغاب العارف عن معرفته بمعرفته وعن ذكره بمد كوره وعن محبته وارادته بمراده ومحبوبه فإذ ذلك قال :

« ويستكمل بعلم البقاء ويشارف عين^(١) الجمع » ولهذا المعرفة ثلاثة أركان^(٢)

أشار اليها الشيخ بقوله « ارسال الصفات على الشواهد ، وارسال الوسائط على المدارج ، وارسال العبارات على المعالم » شواهد الصفات هي التي يشهد بها ويدل عليها من الكتاب والسنة وشهادة العقل والنظرة وآثار الصنعة فاذا تمكن العبد في التوحيد علم ان الحق سبحانه هو الذي دله صفات نفسه بنفسه ، لم يعرفها العبد من ذاته ولا بغير تعريف الحق له بما أجراه له سبحانه على قلبه من معرفة تلك الشواهد

(١) في المتن « بعين الجمع » (٢) في المتن « وهي ثلاثة أركان : ارسال ،

والانتقال منها الى شهود^(١) المدلول عليه ، فهو سبحانه الذي شهد لنفسه في الحقيقة ، اذ تلك الشواهد ، صدرها منه فشهد لنفسه بنفسه بما قاله وفعله وجعله شاهداً لمعرفته . فهو الاول والاخر ، والعبء آلة محضة ومنفصل ومحل لجريان الشواهد وآثارها وأحكامها عليه ليس له من الامر شيء ، فهذا معنى ارسال الصفات على الشواهد ، فاذا أرسلها عليها تبين له ان الحكم للصفات دون الشواهد بل الشواهد هي آثار الصفات ، فهذا وجه

ووجه ثان أيضاً وهو أن الشواهد بوارق وتجليات تبدو للشاهد ، فاذا أرسل الصفات على تلك الشواهد تواري حكم تلك البوارق والتجليات في الصفات وكان الحكم للصفات فحينئذ يترقى العبد الى شهود الذات شهوداً علمياً عرفانياً كما تقدم قوله « وارسال الوسائط على المدارج » الوسائط هي الاسباب المتوسطة بين الرب والعبد التي بها تظهر المعرفة وتوابعها ، والمدارج هي المنازل وال مقامات التي يترقى العبد فيها الى المقصود ، وقد تكون المدارج الطرق التي يسلكها اليه ويدرج فيها ، فارسال الوسائط التي من الرب على المدارج التي هي منازل السير وطرقه توجب كون الحكم لها دون المدارج فيغيب عن شهود المدارج بالوسائط وقد غاب عن شهود الوسائط بالصفات فيترقى حينئذ الى شهود الذات ، وحقيقة الامر أن يعلم أن الرب سبحانه ما أطلعه على معرفته الا بشواهد منه سبحانه وبوسائط ليست من العبد ، فهو قادر على قبض تلك الشواهد والوسائط وعلى اجرائها على غيره فان الامر كله له وتلك الوسائط لا توجب بنفسها شيئاً قال الله تعالى لرسوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً الا رحمة من ربك - وقال للامة على لسانه - قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به - وقال تعالى - قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) ويعلم العبد ان ما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله من شواهد معرفته والايمان به هي معالم يهتدي بها عباده اليه ويعرفون بها كماله وجلاله وعظمته ، فاذا يتقنوا صدقه ولم يشكوا فيه وتفظنوا لآثار أسمائه وصفاته في أنفسهم وفي سواهم انهم شاهد

(١) في ب « المشهود »

العقل والفترة الى شاهد الوحي والشرع ، فانتقلوا حينئذ من الخبر الى الميان ، فالعبارات معالم على الحقائق المطلوبة ، والمعالم هي الأمارات التي يعلم بها المطلوب ، فاذا أوصل العارف كل معنى مما تقدم ذكره على مقصوده وصرف همه الى مجريه وناصبه ومصدره اجتمع همه عليه ويمكن في معرفة الذات التي لها صفات الكمال ونعوت الجلال ، ومقصوده أن يبين في هذه الاركان الثلاثة حال صاحب معرفة الذات وكيف ترتب الاشياء في نظره ويترقى فيها الى المقصود .

مثال ذلك ان الشواهد أرسلته الى الصفات بارسالها عليها فانتقل من مشاهدتها الى مشاهدة الصفات والوسائط التي كان يراها آية على المدارج انقل فانتقل منها الى المدارج ولم يلقها وانما تعلق بما هي آية له . والعبارات التي كانت عنده ألفاظا خارجة عن المعبر عنه صارت أمارات توصله الى الحقيقة المعبر عنها . فهذه الاركان الثلاثة يصير من أهل معرفة الذات عنده

قوله ﴿ وهذه ^(١) معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة ﴾ أي تدرك وتحس من ناحية الحقيقة ، والايناس الادراك والاحساس قال الله تعالى (فان آنتم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) وقال موسى (اني آنت من جانب الطور نارا) والمقصود ان العارف اذا علق همه بافق الحقيقة وأعرض عن الاسباب والوسائط — لا أعراض جحود وانكار بل أعراض اشتغال ونظر الى عين المقصود — أوصله ذلك الى معرفة الذات الجامعة لصفات الكمال والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

قال ﴿ الدرجة الثالثة معرفة مستغرقة في محض التعريف ، لا يوصل اليها الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، ولا تستحقها وساية ، وهي على ثلاثة أركان : مشاهدة القرب ^(٢) والصعود عن العلم ، ومطالعة الجمع ، وهي معرفة خاصة لخاصة ﴾ انما كانت هذه المعرفة عنده أرفع مما قبلها لان ما قبلها متعلقة بالوسائط والشواهد متصلة الى المطلوب ، وهذه متعلقة بعين المقصود فقط ، طهية للوسائط والشواهد ،

(١) في المتن «وهي معرفة» الخ (٢) في المتن «القلوب» وللملها غلط

فالوسائط صاعدة عنها اليه وهي غالبة على حال العارف وشهوده وقد استغرقت ادراكه لما هو فيه بحيث غاب عن معرفته بمعرفته وعن ذكره بذكره وعن وجوده بموجوده فنقوله « مستغرقة في محض التعريف » المعرفة صفة العبد وفعله ، والتعريف فعل الرب وتوفيقه ، فاستغرقت صفة العبد في فعل الرب وتعريفه نفسه لبعده . وقوله « لا يوصل اليها بالاستدلال » يريدان هذه المعرفة في الدرجة الثالثة لا يوصل اليها بسبب فان الأسباب قد انطوت فيها ، والوسائل قد انقطعت دونها ، فلا يدل عليها شاهد غيرها ، بل هي شاهد نفسها ، فشاهدها وجودها ودليلها نفسها . ولا تمجّل بانكار هذا فالأمور الوجدانية كذلك ودليلها نفسها وشاخصها حقيقته ، فتصير هذه المعرفة للعارف كالأمور الوجدانية . كاللذة والفرح والحب والخوف وغيرها من الأمور التي لا يطلب من قامت به شاعدا عليها من سوى أنفسها

ولعمرك الله ان هذه درجة من المعرفة منيفة ورتبة شريفة تقطع دونها أعناق مطايا السائرين ، فاذلك لا يوصل اليها بالاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة ، والأعمال والأحوال وإثقاتها كلها وسائل وهي لا تستحق هذه الدرجة من المعرفة وإنما هي فضل من الفضل كله بيده وهو ذو الفضل العظيم ؛ وكون الوسائل المذكورة لا تستحقها لا تمنع من القيام بها على أتم الوجوه وبذل الجهد فيها ، ومع ذلك فلا تستحقها الوسائل

قوله « وهي على ثلاثة أركان : مشاهدة الترب والصمود عن العلم ومطالعة الجمع » إنما كانت هذه الثلاثة أركاناً لها لان راحب هذه المعرفة قد وصل من الترب الى مقام يليق به بحسب معرفته فكأنما كانت معرفته أتم كان قربه أتم ، فان شهود الوسائط والوسائل حجاب عن عين القرب ، وإثباتها وجودها حجاب عن أصل الايمان . وأما صعوده عن العلم فليس المراد به صعوده عن أحكامه فان ذلك سقوط ونزول الى الخسيس الأدنى ، لا صعود الى المطلب الأعلى ، وإنما المراد انه يصعد بأحكام العلم عن الوقوف معه وتوسيطه بينه وبين المطالب فان الوسائط قد تطوي بساطها في هذا الشهود والمرقان ، أعني بساط الوقوف معها والنظر اليها فيدرك مشهوده ومعرفة به سبحانه لا بالعلم والخبر بل بالمشاهدة واليهان ، وان كان لم يصل الى

ذلك الا بالعلم والخبر لكنه قد صعد من العلم والخبر الى المعلوم المخبر عنه .
 واما مطالعة الجمع فهي الغاية عند هذه الطائفة ، ونحن لانكر ذلك لكن : أي
 جمع هو ؟ هل هو جمع الوجود كما يقوله الانحادي ؟ أم جمع الشهود كما يقوله صاحب
 الفناء في توحيد الربوبية ؟ أم هو جمع الارادة كلها في مراد الرب تعالى الديني الامري ؟
 فالشأن في هذا الجمع الذي مطالعته من أعلى أنواع المعرفة . نعم هاهنا جمع آخر مطالعته
 هي كل المعرفة وهو جمع الافعال في الصفات وجمع الصفات في الذات وجمع الاسماء
 في الذات والصفات والافعال ، فطالمة هذا الجمع هي غاية المعرفة وأعلى أنواعها ،
 وهي لعمر الله معرفة خاصة الخاصة ، والله المستعان وبه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله إه

[المنار]

ان أكثر الناس يرون هذا الكلام غريباً لا يكاد يفهم ، ويعدون هذه المعرفة
 خيالية لانكاد تعقل ، ومثل هؤلاء العارفين في نظر جمهور أهل العلوم النظرية والفنون
 العملية ، كمثل خواص الادباء الذين يتمتعون بجمال المعاني الدقيقة ، متجلية في العبارات
 الرشيقة ، في نظر عوام أهل البلادة . ذوي العي والفهاة ، — أو كمثل بعض أهل
 الذوق السليم ، العاشقين لجمال هذا الكون العظيم ، يوثمون روضة غناء ، أو غابة غيباء ،
 يسابقون اليها أشعة الشمس ، ليمتعوا بجمالها الحسن والنفس ، — في نظر مجرم فظ ،
 غليظ الطبع ، لا يرى حظاً من تلك الروضة الا أن يجتث أزهارها ، ويقطع أشجارها ،
 ليتخذ الاولى علفاً لحماره ، والثانية وقوداً لناره ، أو كمثل المغرمين بآلات الطرب ،
 وسماع الالحان في المشق والادب ، في نظر العابد المتبتل ، أو المعجوز الثاقل ،

على أن جميع اللذات المعنوية ما أشرنا اليها منها وما لم نشر اليه هي مبادئ
 ووسائل لتلك اللذة الروحية العليا التي يجدها العارفون بالله تعالى ، فكل ما في الكون
 من الجمال والكمال فهو بعض جماله وكمال عز وجل ، اذ هو صنع الله الذي أتقن
 كل شيء ، وكل طائفة من طوائف البشر المرتقية تتمتع بنوع من أنواع جمال
 الكون والعارفون بالله هم الذين يتمتعون بكل نوع من تلك الانواع تتمتعاً ارقى واعلى
 من تتمتع المفردين بالارتقاء فيه ، ويتمتعون بما هو أعلى من ذلك وأجل واكمل ،
 وقد ضرنا لذلك المثل ، والله اعلى واجل ؛

باب الشعر والادب

شرف العلم وشمال العلماء

نبدأ هذا الباب بقصيدة القاضي عبد العزيز الجرجاني الشهيرة
في شرف العلم وأخلاق العلماء وشمالهم قال: —

يقولون لي فيك انقباض وانما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم
ولم أقض حق العلم ان كان كلما
وما زلت منجازاً بعرضي جانباً
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
أثرها عن بعض ما لا يشينها
فأصبح عن عيب اللثيم مسلماً
واني اذا ما فاتني الامر لم أبت
ولكنه ان جاء عفواً قبلته
وأقبض خطوي عن حُظوظ كثيرة
واكرم نفسي ان أضاحك عابساً
وكم طالب رقي بنعماه لم يصل
وكم نعمة كانت على الحر نعمة
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أشقى به غرساً وأجنيه ذلة

وأوارجلاً عن موقف الذل أحجماً
ومن أكرمه عزّة النفس اكرماً
بدا طمع صيرته لي سلماً
من الذل أعنذ الصيانة منما
ولكن نفس الحر تحمل الظما
مخافة أقوال العدا فيم أو اما
وقدرحت في نفس الكريم معظماً
أقلب فكري إثره متندماً
وان مال لم أتبعه هلاً ولتأماً
اذا لم أنلها وافر العرض مكرماً
وان ألقى بالمدح مذمماً
اليه وان كان الرئيس المعظماً
وكم مغم يعتده الحر مفرماً
لأخدم من لاقت لکن لأخدماً
اداً فاتباع الجهل قد كان أحزماً

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
وما كل برق لاح لي يستفزني
ولكن إذا ما اضطررتي الضر لم أبت
إلى أن أرى ما لا أغصُّ بذكره
إذا نلتُ قد أسدى إليّ وأنما

ومما يروى عن الامام الشافعي في معنى هذا الشعر قوله :

العلم من شرطه لمن خدمه
وواجبٌ صورته عليه كما
فمن حوى العلم ثم أودعه
وكان كالمبني البناء إذا
أن يجعل الناس كلهم خدمته
يصون في الناس عرضه ودمه
بجهله غير أهله ظلمه
تم له ما أرادَه هدمه

المراد من البيت الاول : ان من خدم العلم حق الخدمة ساد الناس وكان اماما
وقدوة لهم . وبذلك يجعلهم خدماً له باختيارهم . وانما يكون هذا في الامم الحية التي
تعرف قدر العلم وأهله . وكذلك كان المسلمون في عصر الامام الشافعي ، وهو ما نرى
مثاله في امم الافرنج اليوم على كثرة علمائهم المبرزين . وقد نهى أحد ملوكهم ولده
ان يخاطبه بنعت « الجلالة » في حضرة شاعر الفرنسي الملقب [فيكتور هيغو]

والمراد من صون العلم في البيت الثاني المفسر في البيت الثالث ان ايداعه غير
اهله هو ان تصان العلوم الكمية التي هي فروع كفاية عن السفهاء فاسدي
الاخلاق ، فلا يلتقن هؤلاء الا ما يجب عليهم شرعاً لاداء عباداتهم وتصحيح
معاملاتهم . ثم بصرفون الى الاعمال اللائقة بهم لانهم اذا تقنوا العلوم العالية
يتخذونها ذرائع لمفاسدهم ، ويضلون الناس بحيلهم وسوء سيرتهم ، كما نرى مثاله في
رعاع الناس الذين يتعلمون ولا يتهدون ثم يصيرون حكاماً او معلمين

وللامام شعر آخر في هذا المعنى رواه السبكي في طبقات الشافعية بسنده الى
ابي عمر العثماني قال : لما دخل الشافعي الى مصر كاهه أصحاب مالك فأنشأ يقول :

أثر درأ بين راعية الغنم وأثر منظوما لراعية النعم
 أن كنت قد ضيقت في شربلدة فليست مضيعة بينهم غرر الكلام
 فان فرج الله الكريم بلطفه وأدركت أهلا للعلوم وللحكم
 بثت مفيداً واستفدت ودادهم والا فمخزونات لدي ومكتم
 ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وروي السبكي بسند آخر بيتين عن الشافعي ذكر لها سبباً يدل على قدم التعصب
 لهؤلاء الأئمة ، فقد نقل عن الحافظ ابن منده ان الربيع قال رأيت أشهب بن عبد
 عبد العزيز ساجداً وهو يقول في سجوده : اللهم أمت الشافعي والا يذهب علم
 مالك . فبلغ الشافعي ذلك فتبسم وأنشأ يقول :

تمنى رجال أن أموت فان أمتك سبيل بلست فيها بأوحد
 فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تهباً لاخرى غيرها فكان قد

وماروي عنه من الشهر ، عند إرادة الهجرة الى مصر ، قوله : —

لقد أصبحت نفسي تتوق الى مصر ومن دونها ارض المهامه والقفرة
 فوالله ما أدري للفرور والغنى أساق اليها أم أساق الى قبري

ومن شعره الذي يذكر فيه السفر ولوازمه ماروي عن صاحبه المزني قال : قدم
 الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه واذا هو قد نزل منزلاً والى
 جانبه رجل جالس وفي حجره عود ، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له : يا أبا
 عبد الله أنت في مثل هذا المكان ؟ فأنشأ يقول : —

وأزاني طول النوى دار غربة يجاورني من ليس مثلي يشاكله
 فخامته حتى يقال سجيبة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ويروي أحامقه مكان فخامته . ومعنى حامقته ساعدته على حقه كما قال
 الجوهري وابن منظور ، وأما عاقله فمعناه غالبه في العقل ، فيفهم من البيت ان الامام

كان بجاري رفيقه العواد في هوسه بضرب العود ولا يأتي هذا الا اذا كان يري اباحته

أكثر شعر الامام الشافعي في الحكم والاخلاق ، وروي عن أبي يعقوب البوبطي أنه قال له : قلت للشافعي : قد قلت في الزهد فهل لك في الغزل شيء ؟ فأشديني ما كانت كحلك بالمنعوت للبصر
يا كاحل العين بعد النوم بالسهر
لو أن عيني اليك الدهر ناظرة
جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر
لولا التفرق والتنقيص بالسهر
سقياً لدهر مضى ما كان أطيبه
مثل السحاب الذي يأتي بلا مطر
ان الرسول الذي يأتي بلا عِدَة

ومن كلامه في الشكوى من الاعتياء الاعتياء البخلاء

وأنظقت الدراهم بعد صمت
فما عطفوا على أحد بفضل
وأناساً بعد ان كانوا سكوتاً
ولا عرفوا لمكرمة بيوتاً
وجدير بهذا القول من عبر عن حاله بعد انفاق جميع ماله بهذين البيتين
يا لهف نفسي على مال أجود به
ان اعتذاري لمن قد جاء يسألني
على المقلين من أهل المروءات
ماليس عندي لمن احدى المصيبات

وقال في الصداقة

صديق ليس ينفع يوم بأس
وما يبني الصديق بكل عصر
قريب من عدو في القياس
ولا الاخوان الا للتأسي
أخا ثقة فأكداه التماسي
كأن أناسها ليسو بناس
تكرت البلاد علي حتى

وقال في مثل ذلك

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة
ان الكلاب لتهدا في مرابضها
واننا لا نرى ممن نرى أحدا
والناس ليس بهاد شرهم أبدا
تلفي سعيدا اذا ما كنت منفردا
فأنتج نفسك واستأنس بوحدتها

باب امر اسئلة والمناظرة

حال المسلمين اليوم وجماعة الدعوة والارشاد

حضرة السيد الامام العالم البصير والمصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد طرق سمعي ما وصلت اليه حال جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها من الضعف بسبب نفاق المال القليل الذي جمعها وبخل المسلمين . فأثر ذلك في قلبي تأثيرا محزنا لعودنا عن العمل في الوقت الذي نهضت فيه أمم العالم قاطبة . وحيث إن حبل رجائي مع ذلك لم يتقطع من ترك المسلمين لهذه الغفلة وهذا الجود الذين أخرجوا مركزهم أشد الحرج في الهيئة الاجتماعية - رأيت أن أبعث اليكم بهذه الكلمة راجيا نشرها في مجلتكم المنيرة قياما بالنصيحة الواجبة على كل مسلم وتذكرا للمستعدين (وذكروا فإن الذكري تنفع المؤمنين) :

أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه أعزاء ترفرف فوقهم أجنحة الامن والسعادة ، وكانوا خيرا على أنفسهم وعلى البشر بما وضعوا من النظام القويم ، والقوانين العادلة ، وبما كانوا يقومون به من الاعمال النافعة لأنفسهم وللناس . ولا عجب فقد كانوا في ذلك متبعين أوامر دينهم الحنيف . فلما انحرفوا عنها كما هو حالهم الآن شقوا وصاروا شرا وبلاء على أنفسهم وعلى البشر ، وأصبحوا عالة على الامم الاخرى في جميع مقومات الحياة وعبرة لمن يعتبر .

على ان أعظم ما تركه المسلمون من هداية دينهم وكان له الاثر السيء في عامة شؤونهم هو فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « الدعوة الى الدين » . فقد ادت اغفال الفرض الاول الى انتشار المنكرات والفجور بالتدريج بين المسلمين كافة ، وفسدوا الجهل فيهم بأقبح أشكاله ، وأن صار الدين غريبا عن كل أعمالهم . وهذه الاعمال أثرت فيهم أعظم تأثير بالمواظبة عليها ، وعدم وجود من يقاومها أو

يتكرها ، فألفتها نفوسهم واستأنست بها فكانت ملكات وتقاليد وعادات . ولم يقف الشر عند هذا الحد بل بانغ المسلمون في الامر فالتمس بعضهم نصرا من الشرع يستبيحون بها ما أحدثوا في الدين فلما أعيام ذلك تأولوا كتاب الله وسنة رسوله بغير ما يؤديان اليه وطبقوا بعض محدثاتهم عليهم ما وهمين أنفسهم والناس انما من الدين وما هي من الدين ، وان هم الا يكذبون .

وكان من عاقبة اهمالهم الفرض الثاني انتشار الكاذب عن الدين الاسلامي وتشويه أعدائه لسمعته ، وقلبهم حقيقته ، حتى خفيت هذه الحقيقة عن مرئيه أو المستعدين لقبوله . وقد فطنت لفوائد الدعوة الى الدين الامم المسيحية العظيمة الحية فتألفت عندهم الجمعيات ذات رؤوس الاموال الضخمة التي أوفدت رجال الدين الى مشارق الارض ومغاربها وزودتهم بالمال الوفير وعضدتهم بنفوذها فنجحت أعمالهم في نشر الدين المسيحي حتى بين المسلمين .

ألا إن البلاء الذي نزل بالمسلمين لعظيم . وما ينتظرهم منه ان لم يفتتوا من غفلتهم أعظم . وقد صاروا الآن امام أحد أمرين : إما العمل العاجل السريع ، وإما الهلاك الاكيد والسقوط المريع . ولا مخرج من هذا البلاء إلا بالاقلاع عن هذه الخطة الذميمة الضارة ، والعمل بقواعد الدين الاسلامي الذي نعتقد ان فيه فلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة . وان أعظم ما ينبغي البدء به منها انما هو قيامنا بهذين الفرضين العظيمين « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و » الدعوة الى ديننا القويم » . ولكن لذلك وسائل لا بد من إعدادها وتوفيرها في الامة . اذ انه لا يستطيع القيام بذلك الواجب إلا اناسي يتخصصون له من أفراد المسلمين يكونون واسعي الاطلاع بعلوم الدين واقفين على حقائقه ملمين بطرف من العلوم الاجتماعية والعصرية على قدر حاجتهم منها كي يمكنهم تقريب ما يريدون من اذهان مخاطبيهم على اختلاف درجاتهم في العلم والاستعداد وتباينهم في الاخلاق والعادات . ولما كان أمثال هؤلاء لا وجود لهم الآن في الامة الاسلامية أو ما يوجد منهم ليس بالعدد الكافي - قضت الضرورة بإعداد هؤلاء الهداة اعدادا وانشأهم انشاء . وهذا ما فكر فيه استاذنا زاده الله توفيقا فأقترح تأسيس جمعية [جماعة الدعوة والارشاد

ومدرستها الجليلة وبذلك وصف الدواء لداء الامة الدفين الذي كاد يودي بحياتها.
ان مهمة تعليم فئة من المسلمين ذلك التعليم الخاص وتربيتهم تلك التربية الدينية
المحضة بين زواج الفساد التي اكتسحت البلاد لمن الاعمال التي تتطلب كفاءة
عظيمة واستعدادا خاصا - ولكن الاستاذ الذي لا ينثني له عزم أخذ على عاتقه
القيام بانفاذ المشروع وحق للمسلمين ان يفرحوا ويتمهلوا وقد جاءهم الطبيب الماهر ،
ولكن ماذا حصل ؟

نشر المقترح دعوته بين المسلمين في انحاء المعمورة كافة فلبتها طائفة كل على
قدر استعداده وقبوله للمشروع فكان المال الذي جمع كان قليلا جدا لا يفي بجزء
ما يلزم لهذا العمل العظيم وانقبضت أيدي سائر المسلمين
وأما الاستاذ فقد بسط يده للعمل على قلة وسائله فولد المشروع وقرت برؤيته
عيون المخلصين . ولكن ذلك المولود ككل مولود حي يحتاج الى عناية وغذاء كي
ينمو ويشتد ، غير أن صن المسلمين بالمال كان سببا في سريان الضعف اليه حتى
أشرف على الاضمحلال والعياذ بالله تعالى .

ولا يفوتني في هذا المقام ملاحظة التفاوت العظيم في إقبال الشعوب الاسلامية
على المشروع . فمع ان المكان الذي اختبر ليكون مقرا للجمعية ومدرستها هو مصر
فان قومي المصريين لقلّة ما ساعدوا كانوا كأنهم غير متصودين بالدعوة حتى انه
ليصح أن يقال مع الخجل العظيم ان الجمعية أسست والمدرسة أنشأت من أموال
غيرهم .

فأنتم يا مسلمي مصر بوجه خاص أعنيكم بالمقال . انه غير خليق بكم أن تقفوا
ساكنين امام أعظم مشروع اسلامي وهو قد انشئ بينكم واحتمى بجواركم ولكم
ثماره وشرفه قبل غيركم . ان اضمحلال هذا العمل لا قدر الله ان بسبب سمعة
المصريين كثيرا كما ان نجاحه يشرفهم ويرفع قدرهم . ففي هذه الازمة الكبرى التي
يجتازها العالم أجمع وتدوس فيها الامم الكبيرة باقدامها ظهور الامم الصغيرة أو الضعيفة
ينبغي للشعب المصري الكريم الذي آتاه الله من الاستطاعة على خدمة دينه ما لم
يؤت غيره ان يقوم بالعمل الذي ينتظره منه العالم الاسلامي الذي يهدده في مقام الامام

المرشد وهو تمضيده هذا المشروع الذي اذا قوي وعاش سيكون باذن الله تعالى ينبوع حياة الاسلام والمسلمين واساساً لسعادتهم المستقبلية .

ان المصريين يستطيعون ان يحرزوا هذا الفخر الخالد بالتبرع بشيء من مالهم لا يضرهم انفاقه ولا يفنيهم امساكه ، ان المشروع ضروري حيوي ونجاحه يدل على حياة كامنة في جسم الامة الاسلامية طالما انكرها ابيها محتقروها وحاسدوها كما ان مرتبه لا قدر الله يشمت فينا اعداءنا ويجعلنا عرضة لهزه العالم اجمع وسخريته تقوم الامم الحية كل يوم بالاعمال العظام والمشروعات الكبرى لاغراض ثانوية أو كالية ونجد الاموال تتدفق على القائمين بها من جيوب أهل الغيرة من أهلها فلا يمضي وقت قصير حتى نوضع لها أسس وطيدة ودعائم ثابتة ويجني القريب والبعيد من أفراد الامة ثمارها ، وهذا مشروع واحد أساسي لحفظ حياتنا الدينية والمدنية ، وسلاح لدرء الخطر الذي يهدد كيان الملة الاسلامية ، ونور لمحو الظلمة التي خيمت على العقول والقلوب ، ورحمة لمنع ما حل بنا من الشقاء والخطوب . فهل يموت رضيعا وفي جيوبنا درهم ؟ وهل نستطيع بعده ان ندعي المروءة والشمم ؟ « انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم »

اي قوم ، ان المشروع كبير ولا يقوم به الا أعظم الرجال استعدادا وأبدهم همة . ومثل هؤلاء قليل ظهورهم في الامة . وان الاستاذ صاحب الاقتراح بما هو عليه من التقوى والصلاح وما امتاز به من العلوم الشرعية وما كسبه من المعلومات الثمينة والاختبار العظيم بسياحاته العديدة في بلاد المسلمين وما وهبه الله من الاستعداد الفطري النادر المثال لا ريب انه أقدر الناس على تنفيذه على الوجه الأكمل ووضع أسسه الكفيلة ببقائه حتى يستطيع من يخلفه فيه ان يتبع خطواته بغير عناء .

ان الرجل ثالث ثلاثة نوابغ لم يوجد لهم نظير من عدة قرون وقد شهد الاستاذ الامام بكفائه وجعله موضع رجائه . فعلى المسلمين كافة والمصريين خاصة أن يستدركوا ما فاتهم من الانتفاع بمواهب سلفيه « جمال الدين » « ومحمد عبده » بأن لا يضيعوا الفرصة السانحة الآن . انكم ان أضعثتموها يخش أن لا تعود قبل عدة قرون . أقول وقولي هو الحق ، انه لو علم المسلمون حق العلم بقدر رجلهم الذي ضيعوا

أمواله وحياته ونفسه في سبيل مصلحتهم اعدوه بالاولاد قبل الاموال ، وبالانفس قبل الاولاد . لامراء في ان الامة الاسلامية أشد الام تأخرا في مضمار الحياتين الدينية والمدنية وهي لذلك أشدهم افتقارا للعمل . فان كنتم أيها المسلمون لا تعملون الآن فتمتعوا ، وان لم يعجبكم مشروع امامكم الرشيد فاذا أنتم من وسائط الحياة والعمل النافع تعدون . وان كنتم مقتنعين بصلاحية المشروع فمن ذا الذي يقدر على تنفيذه كما ينبغي من بعده أفلا تذكرون ؟

أيها المسلمون ان الله غني عني وعنكم وعن العالمين . ولا يتوقف نصر حق على مساعدتنا . فالله يختار لنصرة دينه من يشاء . فان لم تكن من الوقتين ، فيوشك ان يخرج الامر من أيدينا ويوكل الله به قوما آخرين . والله غيور على دينه وحافظ له من الزوال . ولا بد ان يتم نوره ولو كره الكافرون . فظهور الدين محقق فان لم يكن على أيدينا فسيكون على أيدي غيرنا « ها أنتم هؤلاء تُدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تمولوا يسئبل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » وما ذلك على الله بعزيز .

فمن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعف له القرض ؟ ومن يسارع الى جنة هرضها السموات والارض ؟ هذا أو ان العمل فاعملوا أيها المسلمون ، وهاكم طريق الفلاح فاسلكوه لعلكم تهتدون .

يا قوم : . أنذرتكم ونصحت لكم وأنا منكم ، واقع في التخصير مثلكم ، وأنا أدعوكم وادعو نفسي قبلكم ، بالتبرع بما تقدر عليه من مالي ومالكم ، لا يستقل مقل عطاء وان قل ، ولا يستكثر مكثر ما يستطيع ان يبذل . وها أنا ذا اخطو الخطوة الاولى في هذه الكرة الثانية فادفع على قلة روتي خمسة عشر جنيا مصريا بعد ان « نصت في الكرة الاولى عشرين جنيا مصريا . ابقيها ذخرا عند من خلقتي ولم أكن شيئا ، فأقبلوا على تجارة لن تبور ، وهلموا الى التبرع بالقليل والكثير . وانظروا الى ما نحن فيه من الخنسة ، وادرووا السيئة بالحسنة ، وأحرزوا بالقيام بتنفيذ المشروع شرفا تحفظه لكم الاجيال المقبلة فلا يضيع ، ويكون لكم عند الله خير

شفيح ، يوم يقوم الناس ويحشر الجموع .

هذا وانصافاً لمجلة المنار الاسلامية ؛ وتقديراً لخدمتها في سبيل الغرض المقصود للجمعية ، اذ دفع اشتراك خمس سنين سلفاً ، وأتبرع باشتراك سنة لمن يبرز في انشاء أحسن مقالة في أحسن فكرة اصلاحية لخدمة الاسلام والمسلمين . فسدد اللهم أعمالنا ، وأزر لنا سبيلنا ، آمين . م . ن .

[المنسا]

نشكر للكاتب غيرته على دينه وملكته ، وشعبه المصري وسائر أمته ، كما نشكر له حسن ظنه فينا ، ونسأل الله ألا يجعل اطراءه فتنه لنا ، ولا مدعاة الى ترجيح ظنه فينا على ما نعلمه من ضعفنا وعجزنا ، ونرجو ان يعذرنا اذا نحن لم تقبل منه الاشتراك عن خمس سنين سلفاً فحسبه من الوفاء للمنار ماجرى عليه من دفع اشتراك كل سنة سلفاً ، فهو من السابقين بالخير اشتراكاً وأداءً .

هذا— وإن الكاتب قد كان كتب مقالا قبل هذا في معناه أكثر ما فيه المبالغة والاعراق في المدح والثناء على صاحب المنار فكان استحيائنا من نشره بل من قراءته أقوى وأشد من استحيائنا من رده ، مع يقيننا باخلاص الكاتب واعتقاده أنه كتب بعض الحقيقة بلا خلو ولا مبالغة ، وقد قلنا له إننا لانظن ان نشره يأتي بالفائدة التي ترمي اليها ، وان كنت أحسن منا ظناً ولا بد أن تكتب في هذه الدعوى شيئاً فاجعل الكلام في موضوع العمل دون مدح العامل ، — فجاءنا بهذا المقال ، فلم نر بدا من نشره ، لان ذلك من حق كاتبه علينا اذ لا نسرف أحداً من الناس أشد غيرة ، وإخلاصاً منه لربه ودينه وأمه ، وأي دليل أدل على الغيرة والاخلاص من بذل المال في سبيل الله ؟ وقد علمنا علم اليقين اننا لو قلنا أن نأخذ منه جميع ما بيده لإيقافه في مشروع الدعوة والارشاد لبذله مرتاحاً ، بل طالما عرض علينا بذل ماله ووقته فيما نراه من خدمة الدين وإقامة السنة ولكننا نعلم ان عياله أحوج الى ذلك من مشروع لا يتوقف نجاحه على هذا المال القليل ولا يسقط بفقده ، وقد كان ما بذله كتابة بهذه المقالة أكثر مما أثبتناه فيها فاستأذناه بتصحيحه فسكت بعد

مناقشة ومراجعة

واننا نستحسن ان نعيد بعض ما سبق لنا من الكلام في أسباب نشر بعض الرسائل والاستمالة المشتملة على الثناء وألقاب المدح لنا بنصها على خجلنا مما في بعضها من المبالغة وانتقاد كثير من الناس لنشر مثله، وأهم تلك الاسباب الامانة وبيان آراء الكتابين في الاصلاح الاسلامي والقائمين به لاهل عصرهم ولن بعدهم وموافقة سلفنا الذين كانوا ينشرون مثل ذلك بنصه كما تراه في كتب الفتاوى، وكان كثير من هذه الفتاوى ينسخ في عصور العلماء الذين كتبوها وينشر في الاقطار

إن بيان ما ذكر من الاسباب لنشر ما اشتغل على المدح باب من أعظم أبواب التاريخ وأعمها فائدة، وليس هو من قبيل تدوين المدائح الشعرية في شيء، واننا نكره المدائح الشعرية المحضنة، ويقابل هذا الباب في تاريخ الاصلاح باب الانتقاد وقد التزمنا نشر ما يجيئنا من الانتقاد على أقوالنا وأعمالنا حتى أننا ندعو الناس الى ذلك في منار كل عام ولم ندع أحدا قط الى المدح والتحميد وان كان من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي يقصده صاحب هذه الرسالة

كتب الكاتب هذه الرسالة معبرا به عن بعض ما في نفسه من وجدان واعتقاده راجيا ان يشعر بشعوره ويعتقد اعتقاده كثير من المسلمين فينبهوا بمشروع الدعوة والارشاد، ويجود كل له بما يستطيع على قدر ما آتاه الله من السعة والثروة، ولولا ذلك لما كتب حرفا. وقد نشرنا له ما كتب احتراماً لشعوره واعتقاده ولما فيه من التعاون على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف الذي تصدينا له، ولما كنا لانظن أن دعوته تجاب ولا أن أمنته تصدق وان كنا من القائلين بتأثير الكلام في الجملة، وانما يكون التأثير بقدر استعداد من يقرأ الكلام ويسمعه، ولا يزال استعداد الامة الاسلامية للقيام بالاعمال الاجتماعية ضعيفا جدا، وهو في البلاد التي لها حكام من أهلها، أضغف منه في غيرها، وان كان هؤلاء الحكام صوريون لا استقلال لهم في سياسة ولا ادارة، فأرق مسلمي الهند وبنينا هم أهل الولايات التي يتولى حكمها الانكليز بأنفسهم، وابعدهم عن الترقى والاصلاح من لهم حكام من أنفسهم، وسنين رأينا في أغنياء بلادنا وأصناف الناس في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

خاتمة السنة الثامنة عشرة للمنار

وحاله في السنة الجديدة

بحمد الله نختتم السنة الثامنة عشرة للمنار كما افتتحناها بحمده وهو هو الذي بحمد في السراء والضراء وحين البأس ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن عودا على بدء ، فقد لطف بنا في هذه العسرة العامة ، ورحمنا في هذه الفتنة الطامة ، التي لم تصب الذين ظلموا منا خاصة ، وغاية ما أصاب إدارة المنار ومطبعتها من تأثير هذه الحرب ان قل دخلها وفقدت أكثر أصناف الورق بضعة أشهر لقلّة الوارد من أوربة ومضاعفة ثمنه أضعافا ، حتى ان هذا الجزء من المنار بدى بطبعه في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وطبع بعضه في ربيع الآخر والكراسان الاخوان منه في شهر رجب سنة ١٣٣٤ ونحن قد كنا ابتعنا في أول سنة ١٣٣٣ ورقا يزيد عن حاجة المنار فيها بمد أن أمرنا المطبعة بأن تنقص ألف نسخة مما كان يطبع منه في مقابلة انقطاعه عن الممالك العثمانية وبعض البلاد التي تعذر ايصاله اليها ، ثم علمنا في أواخر السنة ان الورق قد نفد ، لأن الأمر باتصاص المطبوع ما نفد ، وما ذاك الا ذهول ونسيان ، وما قدر كان ، فعهدنا الى من يجلب لنا الورق من أوربة بطلب طائفة منه فلم يصل الينا بعض ما طلبنا الا بعد بضعة أشهر ، وهو لا يكفي لاصدار عشرة أجزاء من المنار وان نقصنا من المطبوع ألف عدد أو أكثر

فنحن مضطرون لقلّة الورق وخشية انقطاع وروده كما يتوقع تجار الجلب ان نجعل كل جزء منه ثمانية كرايس (ملازم) فاذا يسر الله لنا ورقا تم السنة اثني عشر شهرا فيكون المجلد التاسع عشر كالثامن عشر ، والا جعلناها عشرة أشهر فقط ، على ان ورقها أغلى ثمنا من ورق المجلدات الكاملة

هذا وان قراء المنار في مصر يعلمون أن دخله قد انقطع من عدة ممالك تعذر ارساله اليها في زمن الحرب ، فلم يبق له مورد يعتد به الا منهم ، و يعلمون أيضا ان النفقات قد زادت ، وان كل شيء صار يشتري بالنقد ، فنرجو من مروءتهم العالية ان يتفضلوا بأداء ما عليهم من قيمة الاشتراك فيكون جل الفضل لهم باستمرار هذه الخدمة للاسلام والانسان ، وقد دفعنا هذه الحاجة الى تذكير من لم يدفعوا للمنار شيئا مما عليهم منذ عشر سنين أو أقل أو أكثر ، فمنهم من بادر الى أداء جميع ما عليه ، ومنهم من جعله أقساطا ، ومنهم من مطلق ولوى ، ومن أعرض بجانبه ونأى ، وسنين أحوال هؤلاء الناس في المقالة التي وعدنا بها في تعليقا على الرسالة المنشورة قبل هذه الخاتمة

ولم يرد علينا في هذه السنة نقد على المنار ولا نزال نطالب القراء بان يتعاهدونا بالنصيحة ، والحمد لله أولا وآخرا